

عبد السلام مراد بن اھمیر

عرش الدیناری

مروایۃ



عبد السلام إبراهيم

عرش الديناري

إِنَّ اللَّهَ

المعبر والمترجم والمترجم

إهداء

إلى

نهر الحياة

زوجتي وبنائي الثلاثة

نهي وابتهاال وأحمد

مُفْتَحُ السَّرْدِ الْمَنْفُوتِ

"التاريخُ قالبٌ جامد، فهو حتماً ليس بُفَيْتَنَا، والسردُ روحٌ بُعِثَتْ لتسردَ فهو ساحتنا، وإذا بَلَغَ منا العُطْلُ تحتَ أي ظرفٍ في طريق السرد فنحن إذا لخاسرون." (الشيطان السارد)

"الدينارية قريةٌ صغيرةٌ في البَرِ الغربي بالأقصر كانت هادئة، هي بلا جدال مُجَمِّعُ الأديانِ الثلاثة، تضم الإسلامَ والمسيحيةَ واليهودية، قريةٌ من سبعة نجوع: نجع الطويرات، ونجع الطوامية، ونجع التفاريع، ونجع الخواجات، ونجع النصارى، ونجع الخرس، ونجع المباديل." (الشيطان السارد)

"الصوفية ماءٌ عذبٌ رائق لا تعكره السياسةُ ولا الأهواءُ الشخصية." (الديناري)

"هناك طُرُقٌ صوفيةٌ يمتد نورُها حتى يوم القيامة، يَهْتَدِي بها مَنْ يَهْتَدِي وَيَضِلُّ عنها مَنْ يَضِلُّ، تَسْلُخُ منها طُرُقٌ أخرى ربما تسير على نهجها، وربما تتخذُ مَنَحْنَى آخرَ ونَهْجاً آخرَ، يقودُها شيوخٌ يُضَيِّفُونَ إليها مَنْ كَشَفِهِمْ وربما لا يُضَيِّفُونَ." (الشيطان السارد)

"الطريقةُ الدينارية وليدةٌ طريقة صوفية أخرى اسمُها الطريقة الضيومية، مات أولياؤها الذين يُعْتَبَرُونَ أجدادَ الديناري، واندثر فكرُها ونهجُها وجاءَ الديناري (الجَد) فسمَّاهَا الطريقةُ الدينارية ونَفَخَ فيها من روجه وكَشَفَهُ وفكره وعلمه وسكَبَ عليها صبغةَ المكانِ وأسبغَ عليها من فيوضاته، وفَتَحَتْ له بوابةً متجذرةً في الماضي ومستقبلٌ لا يَعْلَمُهُ إلا اللهُ. و..." (الشيطان السارد)

"الرهبنة فتح كريم لامريء طاف بحدائق الدين والتزم بظلال التنزيل" (الكاهن يواقيم الصموثيلي)

"صَبَّ غَضَبِكَ عَلَى الْأَغْيَارِ غَيْرِ الْيَهُودِ؛ فَهَذِهِ مَنَاسِبَةٌ جَدًّا لِأَوْضَاعِنَا، لِأَنَّ أَعْدَاءَنَا يَحَاوِلُونَ الْقَضَاءَ عَلَيْنَا مِنْذُ خُرُوجِنَا مِنْ مِصْرَ وَحَتَّى الْيَوْمِ وَمِنْ دُونِ تَوْقِفِ. (الْحَاخَامُ الْأَكْبَرُ عَوْفَادِيَا يَعْقُوبُ)

"إِنَّ الْعَرَبَ صِرَاصِيرَ يَجِبُ قَتْلُهُمْ وَإِبَادَتُهُمْ جَمِيعًا." (الْحَاخَامُ الْأَكْبَرُ عَوْفَادِيَا يَعْقُوبُ)

"إِنَّهُ مَنْ يقرأ التوراة بدون المشنا والجمارة فليس له إله." (خبر يهودي)

"الصوفية الجديدة تنهل من فكر السلف المعتدل وتضيف فكراً جديداً غير مسبوق، نقلاً عن الديناري." (الشیطان السارد)

"وَمَنْ يَسْفِكُ دَمًا غَيْرَ يَهُودِيٍّ فَإِنَّمَا يَقْدَمُ قَرِيبَانًا لِلرَّبِّ" (التلمود)

"هناك شيوخ طرُق صوفية يحملون اسم مؤسس الطريقة حتى بعد وفاته بألفية كاملة وربما أكثر، الطريقة الدينارية هي طريقة مستسخة من طريقة مندثرة وتنقسم إلى ثلاث مراحل "الدينارية الأولى، والدينارية الثانية، والدينارية الثالثة" والديناري يحمل اسم جده، وكذلك أبيه، وحينما يأتي ذكر الديناري منفرداً فهو بطلنا، وإن جاء ذكر مؤسسها فتتبعه كلمة (الجَد)، وإن كان السرد يتضمن الأب الذي جاء بعد المؤسس وقبيل البطل فتتبعه بكلمة (الأب)، وإن أردت أن تعرف اسم الديناري على الرغم من عدم أهميته فهو محمد أحمد الديناري." (الشیطان السارد)

"اليهود بشر لهم إنسانيتهم، أمّا الشعوب الأخيرة فهي عبارة عن حيوانات." (التلمود)

"إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها حتى بأمر الله." (التلمود)

"الديناري هو الوحيد الذي يعرف أنني أسرد حينما جاءه كشف نوارني اجتاحه ليلة القدر في شهر رمضان الماضي، يشعر بي، وربما يحدق في الفراغ فيظنه الحاضرون أنه يفكر في شيء ما، لكنه في تلك اللحظة يستدر من الخيال صورة يراني بها، صورة تتغير كل مرة، لكن علي أية حال يجسدني في خياله، برغم كل المحاولات الجنية التي أبذلها لتغيير موقعي أثناء السرد المباشر الذي يواكب الحدث" (الشیطان السارد)

"إن المرأة اليهودية إذا خرجت من الحمام ووقعت نظرها على غير يهودي، أو كلب أو حمار أو خنزير أو برص فلا بد أن ترجع وتغتسل مرة أخرى." (التلمود)

"ولولا اليهود لارتفعت البركة من الأرض، واحتجبت الشمس وانقطع المطر." (التلمود)

"الدين يلم الشمل أم يفرق؟" (الديناري)

"المذاهب الدينية المستحدثة يصدقها المجانين ويتبعها أرازل القوم." (الديناري)

"عازف التشيللو في فرقة أم كلثوم يشارك في الإيقاع العام للأغنية، ولا يمكن أن تميز نغمة آله إلا في لحظات نادرة." (الشیطان السارد)

"جبانة قديمة جداً أنشأها مبعوثٌ ديني ليس له توجهٌ عسكري أو سياسي من قبَل عمرو بن العاص في البَرِ الغربي تقع على الحدود الغربية لقرية الدينارية تتمدد عليها ظلالُ الساحة من بعد الظهيرة حتى مغيب الشمس، توقَّف الدفنُ فيها منذ خمسين عاماً." (الشیطان السارد)

"عندما يضعف جيلٌ من الأجيال يُبْعَثُ منه شخصٌ ليقوِّدَ جيلاً جديداً ضعيفاً وراثياً، أضعف من الجيل الذي سبقه وأقل منه في الأعمار وتزيد فيه الأمراض، ولهذا السبب تناقصت الأعمار منذ عهد نوح، فيكون الجيلُ الأقدم هو الأكثر قيمةً مثل الألوان التي تُسْتَقَى من الألوان الداكنة حتى تصير باهتة، وكذلك الإيمان يتناقص ويظهر تأثيرُ الشيطان على الإنسان كلما تباعدت الرسائل." (الشیطان السارد)

"كان الديناري (الأب) يحلُمُ لو أنه يرى الشيطانَ والجنَّ حتى يتغلب عليهما." (أسطورة)

"نحن نبرر الأخطاء دائماً لنوهمَ الآخرين بأننا مُصيبون." (الشیطان السارد)

الفصل الاول

أنا الشيطان ...

الفصل الثاني

التقط أنفاسك وافتح عينيك ...

أعرفُ الرعبَ الذي تَمَلُّكُ حينما قرأتَ استهلال "أنا الشيطان"، ولذلك تركتُ الفصلَ الأولَ فارغاً مفرغاً من أي سرد، أو حوار، أو تنويه قد يُحيلُك إلى أفاق غير مقصودة، وحتى تتخلص من جبال الرعب التي انهارت عليك بسببها، وربما تركت الرواية دون إنهايتها، أو أحرقتها حتى لا تصيبك لعنة بسبب ما سيردُ بها من أحداث.

لكنني أؤكد لك أنني سأسردُ سرداً ليس كمثله سرد، سرد لم يؤت لأحد من البشر أو من جان، سرد لا يخضع لفكر البشر المحدود حتى ولو أتاهم الله علماً دون بقية الكائنات، وفي نفس الوقت ليس سرداً مغموساً بفواية الشيطان فيجرك لهاوية سحيقة لا تستطيع بعدها الخروج سالماً، أو يفرقك في مستنقع المرض النفسي الذي يكبل الإنسان فيفر منه منطق الحديث ويتعرض للغو القول وسيولة اللعاب فتتفر منه صاحبته أو ذوهه، وهل يتجرأ شيطانٌ مثلي أن يغوي إنساناً متعه الله بالاستعاذة من شياطين مرّدة؟

أنا شيطانٌ ليس كمثلي شيطان، شيطانٌ جاء بأمر عجيب، ولستُ كمثلي إخوتي الشياطين، أنجبتني الشيطانُ الأعظم منذ ملايين السنين، خضعت لقواعده وأهدافه وخضت معه وجنوده حروباً شرسة ضد الجان الأعظم وأعوانه، وحينما تكافأت الفئتان واستعادت كل فئة أشيائها الممزقة فوق القارات وفي أعماق المحيطات وفوق قمم الجبال أعلنت

الهدنة الكونية الكبرى لأكثر من عشرة ملايين عامًا تنتهي بخلق آدم. تبت فوق صخور جبل البحر الأحمر حينما رفض الشيطان السجود لآدم، فوق صخرة المذبح. وتعرضت للعذاب الأليم لآلاف السنين، وأوتقني إخوتي وحبسوني في قفص فولاذي فوق الجبل، وبعد أن أدرك الشيطان الأعظم أنني مارق لا محالة عن سبيله وليس في صُحفه ما ينبيء عن هدايتي تركني ولعنني ونفت نفثه عاصفة أطاحت بي، ألقني عند جبل البر الغربي، هنا عند موقع قرية الدينارية قبل أن يقطنها بشر.

أخذتني سنة من النوم العميق لآلاف من السنين تحت سفح الجبل. وحينما أفتت حاولت الصمود في عالم غريب منفلت، على الرغم من أن حياة الشياطين تتسم بالانفلات وعدم الانضباط، ومتغيرة حسب أحوال البشر الذين يتعرضون للغواية والوسوسة أو الانفلات.

"تقول صحف الشيطان إن شيطانًا يشهد يوم الطوفان بعد أن يمرق عن سبيل الشيطان الأعظم وهديه، يتعرض لعذاب أليم في مناطق خطيرة من كوكب الأرض طوال ألف عام شيطاني، ثم يُنبذ بعيدًا عن ركب الوسوسة والإضلال."

لذلك جئت الآن لأسرد سردًا منفلتًا لا يتسق مع الفهم البشري واستيعابه، وأذكرك بأنني لست شيطانًا رجيماً ينفر منه البشر، وأتمنى ألا أسمع منك الآية التي تقول "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" لأنني ببساطة لست شيطانًا رجيماً، يمكنك أن تقول شيطانًا رحيم، شيطان مرق عن جنسه، ما يدفعك لقول ذلك؟ من حقك التساؤل ومن واجبي الرد: لأنك سترى من خلال السرد الذي ليس كمثل سرد أنني مجرد

شاهد على أحداث تحدث في بقعة من بقاع العالم، ولا أدعي بأنني شيطانٌ عليم؛ لأن الله لم يختصنا نحن الشياطين بتلك الموهبة، وفي نفس الوقت ليس من صفات الشياطين السرد.
أعترف أنني أقولُ كلامًا غريبًا.

إن أنسجَ عالمًا بسردي هذا يراه البشرُ بعيونٍ أخرى، عيونٌ تمتطي سُرفاتٍ عالية لم تُدَسَّسها مخلوقاتٌ اهتزت خريطتها الوراثية بعد نوح، وصار البشرُيون يُعانون من عيوب خلقية في العقل، وعيوب جسمانية تواكب خللاً نفسياً رهيباً وانفلاتاً، يتطور ذلك الخلل إلى أمراض عقلية ونفسية يمكن أن تحوّل العالم إلى ساحة اقتتالٍ مستمرٍ حتى يُنفخ في الصور.

ومن يعدل الخريطة الوراثية لبشرٍ ينطلقون إلى الهاوية؟

لذلك لن أطيل في الكلام عن نفسي حتى لا تطيح بك الظنون فتستعيز مني فيفر منك هذا الموجُ السردي، ولن تكمل ما تعرضتُ بسببه لعذاب لن أبوح به، وإذا قدّر لي الله أن أكمل فسوف تدرك أن هناك شيطاناً يعيش بين يديك ومن خلفك كي يوقع بك أو يستنزّل لك غضباً يودي بك إلى الجحيم، على الرغم من أنني حتى هذه اللحظة لا أعرف إذا كنت من أهل الجحيم مع الشيطان الأعظم أم يرأف بي الرب الإله ويدخلني الجنة مع الساردين التائبين؟

أنا الشيطان...

من المؤكد أنك بعد هذه المباراة لن يملكك الرعبُ والفرع مثل المباراة الأولى، واستعادت ملامحك تكوينها البشري على الرغم من بقاء عكار التصق بجبهتك وطفاً على عينيك وترسب تحتها ليمثل مع الهلام

الأسود بقايا قروح سوداء لا تُشفى منها، وبقينا تألفت روحك ولو قليلاً مع هدفي السردى الذي ليس كمثلته سرد.

سرد لا يخضع - كما قلت - لغواية أو وسوسة أو بُعد هوة سحيقة أنوي القاءك فيها. "ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا" أرجوك لا تضحك لسماعك لتلك الآية مني - أنا الشيطان - وربما تتساءل بفكرك الدنيوي القاصر ممن سمعتها؟ وهل يصعب على معشر الشياطين شيء؟ طبعاً، سمعتها من الديناري الذي جئت من أجله لأسرد سرداً ليس كمثلته سرد. ومن هو الديناري حتى يتفرغ شيطان مثلي لسرد ما آتى به أو ما سوف يحدثه في تلك البقعة من جنوب مصر؟

يشتل الشيطان الأكبر غيظاً لسماعه تلك الآية. فتسع حدقاته لأكبر مدى تقريباً وتدقيقاً فيمكنها أن ترى ثلاث قارات في وقت واحد، ثم تضطرم النار في جانبه الأيسر فتخرج أسننتها من ذراعه الذي يستسخ نفسه خمس مرات في الخمس دقائق. وحينما تنتقل جذوة النار في ذراعه اليمنى الأخطبوطية يصرخ صرخات تشبه صوت حفيف النار فيركض فوق الجبال وتنصهر أعضاؤه وتتقاطر فوق البرك التي صنعتها سيول وفيضانات قديمة وأخرى نضجت بماء أرضي يحمل في مكوناته ذنوب وخطايا بشر اقتتلوا ونسجوا الفتن ما ظهر منها وما ظللته أشجار الطلح، وما بين النطق بالآية وبين النسيان الذي يعمل عليه إخوتنا كمثل حمل ذرات تراب ليخفي ما صنعه خشية ذنوب اقترفتها لا يفهمها إلا سليمان، يشهد أبونا عذاباً لا يقدر عليه كائن آخر، لكنها على أية حال فترة لا تزيد عن خمس دقائق فينسى القائل ما قاله ويتعرض لموجات نزع لو عرّف خطورتها لما طلب الهداية، وظل في معرض الغواية لسنوات، على أية حال أنا لا أردُّ كلاماً مهترناً مثل

المجانين الذين يعيشون في الشوارع، حتى ولو كان المجنون مرفوعاً عنه القلم.

يهدف الشيطان بغوايته أن يضل البشر ليرتكبوا الذنوب والمعاصي، لكنني وأنا الشيطان المارق عن فصيله والمُبعد عن سبيله، لا أهدف بسردي هذا ضللاً وغوايةً سواءً بالهمز أو باللمز أو بالوسوسة، سرّاً أو علانية، نهاراً أو ليلاً، وبما أنني منذ ملايين السنين عاطل متعطل لا أفل شيئاً وكنت مجرد شاهد على أحداث كثيرة وجدت نفسي مدفوعاً برغبة شديدة للكتابة، وإذا أصابني شطط أو غواية ليس لي فيها مقصد أو انفلات فاعذرني، وإن أصابك نزغ شيطاني بأنني شيطان أحاول غوايتك فاستعد من الشيطان الذي يفح لك بذلك النزغ.

من يصل إلى اليقين إن تعاضمت لديه الشكوك؟

لكن كيف تتأكد من أنني لستُ شيطاناً رجيماً؟ ضع الرواية أينما كنت وإن وجدت يدك تمتد لتفتحها مرةً أخرى فتق حينئذ أنني لستُ شيطاناً رجيماً، فالشيطان الرجيم سيحثك على عدم قراءتها لأنني سوف أكشف ما لا يمكن كشفه، وأسرد ما لا يمكن سرده.

قم لعبادتك أيّاً كانت، أو أد طقوسك كما تشاء، وإذا وجدت بعد ذلك أنك تريد مواصلة قراءة تلك الرواية فتأكد حينئذ أنني لستُ شيطاناً رجيماً، فالشيطان الرجيم يحترق إذا قام العبد بعبادته أو أدى طقوسه. إذا استقرت في يقينك الآن طبيعتي التي ليست شيطانية ولا بشرية على الرغم من انفلاتها فأكمل دون إبطاء. ليكن في حسابك أنني أنا تلك المادة الهلامية التي ليست شيطانية ولا بشرية، وبما أنك إنسان عصري رأيت بنفسك التقنيات الحديثة فيمكنك أن تتخيل طبيعتي

العصرية، وإذا كنتَ تؤمن بالميتافيزيقا أو علم ما وراء الطبيعة فسوف تدرك الخلايا التي يتكون منها كياني.

حينما تتوصل إلى كُهي وهويتي سوف تدرك تمامَ اليقين أن ما سوف أقوله لك يختلف تمامَ الاختلاف عما يقوله البعض، وأن سردي ليس كمثله سرد، ربما يتبعني آخرون سواءً أكانوا شياطين تائبين، أم شياطين مَرْدَة يحاولون من خلال سردهم ضلالَ البشر فليس لي ذنب، أو أوضع في مغبة ما وأتبرأ تماماً ممن يقلدون سردي وهم فاقدو البصر، أو لا يملكون ناصية السرود التي أوتيتها.

الآن وقد أيقنت.

أين يقف الشيطان؟

سؤال لم يتبادر إلى ذهنك، نعم، لم يخطر ببالك أن تسأل نفسك أو تسأل كهنة دينك أيًا كانوا. ولستُ معنيًا بالإجابة عن هذا السؤال، لكنني طالما أنني وهبتُ نفسي لسرد أحداث منفلة تخص قطاعاً عريضاً من البشر فلمسوف أبين لك موقعَ الشيطان أو الشياطين منك. الفراغ الذي تراه أمامك سواءً أكنتَ ماشياً أم واقفاً تملأه الشياطين، تحتشد به كأنه يوم السوق، وإذا تواجد في السوق عشرة آلاف بشري فيقف معهم خمسون ألفاً من الشياطين في نفس المكان، فوق الأرض وفوق مستوى الأرض وفوق رؤوسكم وفوق الشرفات وفوق أسطح العمارات، وتحت أرجلكم، وشياطين طائرة تطير خلال الثانية الواحدة مائة مرة، أنا لا أريد إخافتك أو بثّ الرعب في قلبك، فمن حَقك أن تتعرف على عالمي إذا كنتَ سأسرد لك عالمك.

خرجتُ وكلُّ خروجٍ يستتبعه عودة، والهجرة هي المطاف الأخير،

خرجتُ منفلتاً عن هومي وليتَ كلُّ منفلتٍ تائبٌ يخرجُ ولا يمود.

وأخيراً أقرُّ أنني أنا الشيطان القديم المعاصر، اقرأ ما أكتبه ولن تراني، ربما تُشعر بي، لكنني لن أشعر بك، وأنا بريء مما قد يتقوله الآخرون؛ لأنني قلتُ لك ما يُمليه على ضميري الشيطاني، وأنا مُحكمٌ فيمَ تصل إليه من فتاعاتٍ أو من يقينٍ أو قرارٍ بشأن هذا المبرد الذي ليس كمثلِه سرد.

سردُ شيطانٍ تائبٍ أفضلُ من سرد رجلٍ كَثَّ اللحية وأخطبوطي اللسان.

الفصل الثالث

وقفَ الديناري بعد الطوفان الذي دَمَرَ قريةَ الدينارية مباشرةً مثل آدمَ وحيداً قَبْلَ أن يَخْرُجَ من صُلْبِهِ البَشَر. بعينيه رأى الجبلَ الغربيَ ذا الأحجارِ الجرانيتيةِ ينفلقُ كأنماً مارداً جِبَارَ هَوَى بِفَأْسٍ فُولاذيةِ على جانبيه فأثرتَ على اتزانهِ القديمِ، فاتكأ كل جانبٍ على رصيدِ ضخمٍ من أحجارٍ ربضت تحت سفحهِ تعند ما علا منها مقاماً وقيمةً وتكُن على الكيانِ المنهار. وقد أفلتت الأحجارُ التي تساقطت من قمته، والربوات والنتوءات الأمامية والجانبية متحررةً بسبب شدة الضربة التي تكفل بها ملاكٌ شديدُ البأس.

وبقيت الساحةُ الدينارية قائمةً على هضبةٍ متوسطةٍ متزنة اهتزت لكنها ظلت في مكانها متماسكةً على الرغم من سقوط بعض الدعامات التي تشكلها أحجار مضمرةً تسندها رمالٌ ناعمة.

ملا الجوَّ غباراً أرجواني لم يتصاعد إلى أعلى، وإنما ارتفع بقوة الدفع الحَجْرِي وتعلقت ذراته في طبقات الغلاف الجوي الدنيا، وظل متردداً ما بين الصعود ومن ثم يتلاشى في المسافات اللانهائية العليا أو السقوط إلى الأرض التي تنوء بحمل طبقاتها، فبدأت تترجج نفسها ضيقاً وحزناً، وعبقت الدوامات الفبارية روائح نفاذة تنبعث من كل جانب، وتفتتت في كل اتجاه، وتترفق بذرات الغبار فتتمزج معها فتكون نموذجاً استثنائياً لتلاحق الذرات الترابية مع الأبخرة الكريهة التي نتجت عن بقاء الجُثث في المرء لفترة طويلة قبل أن يدهنها مبعوثو نجع الخرس ولم تتوفر النعماتُ المُنهكة الساقطة حتى تحملها

وتصرفها بعيداً.

توالت انهيارات حَجْرِيَّة وصخرية، بعضها وصل إلى الأسفل كاملاً بسبب كيانها الصلب، والبعض وصلت مهشمة قبل أن ترتطم بالأرض التي تمور غضباً، جرفت معها كهوفاً كبيرة خبأت في جوفها الوطواط والثعابين السامة والطريشات والمقارب وعناصر فارة من الجن متحالفة مع مَرْدَةِ الشياطين تدير مؤامرات ضد الجنس البشري منذ ملايين السنين، وعصابات فرعونية لجأت إليها طوال عصور الأسرات الفرعونية كانت تُغير وتناويء على فترات متقاربة ومتباعدة ملوكاً وحكومات وكهناً حاولوا أن يقضوا عليها، ولكن هؤلاء الملوك القادة انشغلوا بحروب مصيرية حدودية من ناحية الشمال والجنوب والغرب، والتجأ فارين إليها بعض المتمردين على عبادة آمون وكهنته وخصوصاً الذين اعتنقوا ديانة أخناتون وتمسكوا بها طائمين وكان دعاؤهم وتهديهم يعلو بالليل قائلين :

" هو الإله الذي يُقَدِّر المقادير، صاحب العلامات والمعجزات،
ربُّ المقادير واهبُ الحياة سيدُ العطايا، نورُ كل الأرض،
سيدُ بيت آتون هي أخت آتون "

منذ بدء الخليقة وجدت أن كثيراً من الأحداث تتكرر وكأنها تحدث مرة أخرى كما هي بعلاماتها وبتفاصيلها الصغيرة ولكنها تتكرر في بلاد تتحدث بلغات أخرى وبشخوص جديدة، وكان الزمن هو المسؤول عنها يكررها في كل مكان، موتُ عابر طريق تحت عجلات قطار سريع شطر جسده نصفين، أو موتُ زوجة وأولادها مخنقين بالفاز، أو عروسان يَخْتَنقان أثناء استحمامهما بعد أن قضيا ليلة بألف ليلة أو

قَبْلَ أَنْ يَتَنَمَّأَ بِهَا، وَزَوْجٌ يَقْتُلُ زَوْجَتَهُ بَعْدَ ضَبْطِهَا فِي أَحْضَانِ عَشِيقٍ
يُضْرَمُ مِنَ النَّافِذَةِ عَارِيًّا فِيمَا هَرَبَ وَأَمَّا نَزْلُ مَيْتَا، أَوْ مَوْتُ أَطْفَالِ مَدَارِسَ
ذَهَبًا تَحْتَ عَجَلَاتِ قَطَارٍ مَوْتُورٍ أَوْ بِطَعَامٍ مَسْمُومٍ، مَرَضٌ مُعَدٌّ أَوْ وَبَاءٌ
قَاتِلٌ، أَوْ مَوْتُ شَابٍ اعْتَقَقَ فِكْرَ رَجُلٍ آخَرَ كَانَ يَعْشَى فِي جَيْلٍ سَابِقٍ
تَعَرَّضَ لظُرُوفِ سَيِّئَةٍ وَقَاسِيَةٍ فَتَشَرَّ فُكْرَهُ وَمَاتَ أَوْ انْتَحَرَ بِسَبَبِهِ مَعْتَقُو
مَذْهَبِهِ، أَوْ رَجُلٌ مَاتَ دَفَاعًا عَنِ مَبْدَأِ آمَنَ بِهِ فِي مَجْتَمَعٍ لَا يَقْرَهُ هَذَا
الْمَبْدَأَ، أَوْ مَوْتُ مَجْمُوعَةٍ مِنَ النَّاسِ جُرِيرَةٌ صِرَاعٍ لَيْسُوا أَطْرَافًا فِيهِ.
كُلُّ تِلْكَ الْأَحْدَاثِ الصَّغِيرَةِ حَدِثَتْ أَمَامِي وَكَأَنَّهَا تُجَدِّدُ نَفْسَهَا بِنَفْسِهَا
عِدَّةَ مَرَاتٍ فِي أَمَاكِنَ مُخْتَلِفَةٍ، أَوْ أَنَّ تِلْكَ الْأَحْدَاثَ هِيَ مِنْ وَسَائِلِ مَلِكِ
الْمَوْتِ الْمَعْدُودَةِ وَالْمُجْرَبَةِ لِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْبَشَرِ.

الأحداثُ الصغرى تتناسخُ بينما الأحداثُ الكبرى لا تتكرر.

كَمَا لَازَ بِتِلْكَ الْكُهُوفِ بَعْضَ الْمَتَمَرِّدِينَ مِنْ مَثْقُفِي بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ
نَمَرَدُوا عَلَى رَمْسِيَسِ الثَّانِي لِرَفْضِهِمُ التَّعْذِيبَ بَعْدَ يَوْمِ الزَّيْنَةِ بِعَشْرَةِ
أَيَّامٍ فَكُتِبَ عَلَيْهِمُ الْخُرُوجُ الْأَصْفَرُ إِلَى الْكُهُوفِ حَتَّى جَاءَ الْأَمْرُ بِالْخُرُوجِ
الْأَكْبَرِ فَكَانُوا أَوَّلَ الْخَارِجِينَ، وَلَاذَ بِهَا مَفْجَرُ الثُّورَةِ الْيَهُودِيَّةِ فِي الْقَرْنِ
الثَّانِي الْمِيلَادِيِّ فِي جَنُوبِ مِصْرَ وَالَّتِي اسْتَمَرَّتْ ثَلَاثَ سِنَوَاتٍ يَنَاوِئُونَ
الْحَاكِمَ بِالْإِسْتِرَاكِ مَعَ النَّوَبِيِّينَ وَشَكَلُوا ثَنَائِيًّا مِنْ ثَنَائِيَّاتِ الْأَقْلِيَّاتِ
الْفَرِيدَةِ فِي تِلْكَ الْحَقْبَةِ، وَالتَّجَأَ إِلَيْهَا أَيْضًا بَعْضُ الْمَتَمَرِّدِينَ الْعَمَالِيكِ
وَكَانُوا مِنْ أَنْ لَآخَرَ يَقُومُونَ بِعَمَلِيَّاتٍ تَخْرِيبِيَّةٍ بَعْدَ فِرَارِهِمْ مِنْ سَطْوَةِ
الْحَمَلَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ، وَجَاءُوا يَحْتَمُونَ بِالْجَبَلِ الْغَرْبِيِّ قَبْلَ شَهْرِ رَمَضَانَ
بِأَسْبُوعٍ وَاحِدٍ، وَرَاحُوا مِنْ حِينَ لَآخَرَ يُغَيِّرُونَ عَلَى جَنُودِهَا كَلِمًا تَقَدَّمَتْ
نَحْوَ الْجَنُوبِ، لَكِنَّهُمْ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ كَانُوا يَخْشَوْنَ مِنْ الْمَعْلَمِ يَعْقُوبَ
الْخَائِنَ (كَانَ الْفِرَاةَ بِسْتِخْدَامِ بَصَّاصِينَ وَجَوَاسِيَسَ مِنَ الْأَقْلِيَّاتِ

لأنهم يعرفون أن ولاءهم مُكرس للقادم وليس لصاحب المكان) الذي رافق الجنرال ديزيه من ملوى بالمنيا (كافأه الجنرال كليبر بأن وكله لجمع الأموال العامة بعد أن قام بتقديم العون له بإخماد ثورة القاهرة الثانية) يرشده ويؤلِّبه على العُصاة والمتمردين من المماليك الفارين والذين لجأوا إلى كهوف الصعيد ذات صباح ممطر تحتله غيومٌ محمَّلة برسُل الشيطان، كما لجأ إليها بعض الأقباط يقودهم الراهب أنطونيوس المُحرَّق الذي انتابهم الهلعُ والذعر من عمرو بن العاص بعد أن وصلتهم أنباءُ غزوه لمصر وهزيمة الرومان، وظلوا به شهورًا يرددون ترانيم النجاة من الغزاة التي ردها من قبلهم أشعيا بسنوات طويلة :

"لا تَخَفْ لأنِّي معك، لا تلتفتِ حولك جَزَعًا لأنِّي إلهك،

فلا تخافوا إذن إذن! فأنتم أعز من عصافير كثيرة.

ويختتمون الترانيم وأقندتهم قد لانت على مذبح صخري بسبب الكلمات النورانية بما جاءت في المزامير التي كتبت بنور ميثافيزيقي :

"على الله توكلتُ فلا أخاف، ماذا يستطيع أن يصنعه بي الإنسان.

ومثل أهل الكهف ينامون على جنوبهم ويتقلبون يمينًا ويسارًا وعشاؤهم عند الفؤمة لم يتسنه تحرسه أسرابُ النمل الأحمر والعقاربُ والخنافس المتلصصة والثعابين السوداء وأدخنة تلتف صاعدةً مر الأسفل متعانقةً ثم تتلاشى، وعناكبُ تجثم عند الحُفَر الكئيبة بع نسجها ثوبًا كبيرًا يعلق بأسنة دقيقة، وتمر الساعات الملقومة بثنا، التوتر وتلحق بها الأيامُ راکضةً فوق حواجز الليل المشحوذ ببقايا نها كتيب يُسِّفه الحالمين والطموحين، وتمتطي السنواتُ البركانية الشهب

المتأنية ولم يستيقظوا من نومهم، فقد تحولت أجسادهم التي نامت
آمنة مطمئنة إلى هياكل عظمية بعد أن التهمت الحيوانات الضارية
لحومهم وجلودهم، وما تزال أسراب النمل الأحمر تتضخم وتبوح
بأسرار زوارها القدماء فوق كئبان رملية كلما جاء متمرّد أو لص أو
قاطع طريق أو بلطجي أو معارضٍ لحكم دكتاتوري، والعقارب المُشرّعة
أذنانها، والثعابين التي تفح سماً مهلكاً تتقدمهم الخنافس البصاصة
ينتظرون صيداً ثميناً يرسله عصرٌ آخر لمجموعة متجانسة تبحث عن
كهفٍ تنام فيه لسنواتٍ خوفاً من حاضرٍ مجهول.

تحمل الكهوفُ في جوفها أصحابَ الأفكار النبيلة كما تحمل من سالت
على أيديهم الدماء.

كانت تلك الكهوف كأنها أرحامٌ حملت أجنةً على مرّ العصور، فمنهم
من خرج مَيِّتاً معمولاً على الأعناق لأن جنود النظام الحاكم كانوا
ينتظرونه بعد أن حرق منازل ودمّر حقولاً وتحوّل على يديه بعضُ
الأطفال أيتاماً، ومنهم من عاد لحياته الطبيعية بعد ظهور براءته أو
رضاء الوالي عنه أو انقضاء مدة حكمه، ولجأ إليها بعضُ لصوص بني
إسرائيل الذين كانوا يسرقون الغلال من مخازن يوسف عزيز مصر
ودعا عليهم فتسلطت عليهم الأفاعي والعقارب فتورمت أجسادهم
وتقيحت وبُترت سيقانهم وهناك لفظوا أنفاسهم الأخيرة وهم يرددون
في نفسٍ واحد:

- لَسْنَا بِسَارِقِينَ وَلَا بِلُصُوصٍ، إِنَّمَا نَأْخُذُ مِنْ حَقِّقِنَا الَّتِي
وَهَبَهَا لَنَا الرَّبُّ.

اختفت الشمسُ من كبد السماء فجأة، وكان ملاكاً آخرَ اختطفها عنوةً

بعد محاولات عديدة فاشلة بين الكواكب محاولاً انتزاعها، فراحت تتمايل حينما حاول اقتلاعها من فلكها فاهتزت بشدة وأحدثت ثقباً هائلة في الغلاف الجوي المتين، وأحرقت أشعتها الأشجار اليابسة التي كانت تقف منكسرة ذليلة بعد الطوفان تحت سفح الجبل، وضمخت الأحجار القديمة بسخام شديد السواد، وسُمعت حينئذ صرخة الملاك القوي حينما لسعت حرارتها جناحيه اللذين استعادا أنسجتهما التي أحرقتها حممٌ شمسية خرجت صارخة متفجرة من البؤرة الملتهبة للشمس الكونية.

لم يقبل الليل ليستلم نوبته مستعيداً من الشمس، فلم تكن الرؤية تخضع لمقاييس النهار أو حتى لمقاييس الليل، الجبل الذي انطلق ارتخى على جانبه مستريحاً من عناء الوقوف ملايين السنوات صامداً لم تزعه عواصف أو رياحٍ رعديّة ملقومة بنوبات غضب ربّاني متكرر، يراه الديناري - بعد قتيه اللتين اتخذتا من صورة الأشياء القديمة مقياساً لرؤيتها بعد توقف ديمومة الحياة - واضحاً متبدياً أمامه بأحجاره التي ربضت أسفله خاشعة ومنهكة، ولم يكن الليل قد تلى النهار حينئذ لكي يظلم الكون فيراه بنور القمر أو حتى بخيوط من نور النجوم، لكن حتى القمر والنجوم لم تظهر في كبد السماء.

وظلت تلك الحالة اللاكونية تسود الأفق.

ربما كانت الرؤية خاضعة لمقاييس أخرى مثل التي سادت الكون قبل خلق الشمس، أشياء قائمة بذاتها تراها العين البشرية التي خلقت بعد الشمس بملايين السنوات بمقياس نظرية الرؤية القديمة التي تؤكد أن الرؤية تتم بواسطة أشعة الضوء المنبعثة من عين الإنسان، والسهول العشبية التي نمت بمرأى من الجبل قد صارت رماداً يتطاير حوله.

وصغير ممزوج برائحة الخوف يدوي هي أبواق بعيدة.

الحيوانات المتوحشة اختفت تماماً من أمام الجبل، فبعضها فر قبل الطوفان وبعضها غرق فجرفته سيوله، خرجت مذعورة فارة من أمام خوف مزلز غير مرئي بعد الخواء الذي ساد الدينارية، فلم تكن تلك الحيوانات الفارة على الرغم من شراستها ورغبتها الدائمة في اهتراس بتي البشر الا أنها كانت تأتص بوجودهم، وقبل اختفائهم بيوم واحد شعرت بنفس الوحشة التي انتابت الديناصورات والتيرانوصورات والبلصورات والاكصورات والسوروس ذوات الأحجام الميجا جسد، ذوات الأربع وذوات الثلاث وهي تزحف مترقبة تُخرج زفيراً وشخيراً مخيفاً بعد خلقها مباشرة بين الجبال والتلال والبرك التي نتجت عن أمطار غير منتظمة، باحثة عن مصيرها وهي تلقم أعشاباً اختبأت صفار الجن في أوراقها خوفاً من تلك الكائنات الهائلة التي ظنت أنها جاءت إلى الدنيا للقضاء عليها كلما تمافزت طائرة ومنفلتة، ولم يهديء من روعها حينئذ إلا "سوميا" أبوالجن الذي راح يهادن الوحوش الكونية وعلمها التوحش فيما بينها وتناحرت فوق قمم الجبال وهدمت الكهوف وقطعت الأشجار العملاقة التي كانت تسد أشعة الشمس، قبل أن يفر إلى مثلث برمودا ومثلث التنين بملايين السنين.

الأفق عديم اللون، ولأول مرة يرى الديناري الأشياء بلا لون، وكان الشمس قد انتزعت الألوان فصارت الأحجار والجبل والسهول متماوجة، وصورتها مهتزة وكان اللون يحقق ثبات الرؤية للأشياء، هذا اللون اذا قسناه بمقياس الألوان فهو ما بين اللون الأبيض والأسود الفاتح، لكنه يهتز ويخيّل للعين أن بها بُعد نظر فتتباعد الصورة كلما حدقت أو كما تغرورق المينان بالدموع بسبب هلامية الشيء أو غيميته

فلا تثبت الرؤية حينئذ، فعدم ثبات الرؤية هو جوهر اللالون تماماً مثل مرض عمى الألوان الذي يصيب المرء بسبب خلل في العصب البصري أو في الدماغ.

قال وهو يدور حول نفسه مولوياً وتتقلب عيناه في السماء :

يا مَنْ يراني ولا أراه،

يا مَنْ يجير المستجيرَ إذا دَعَاه،

ويذرف من عينيه دموعَ الوجد والخوف فيطلب المدد :

يا إمامَ الرسل يا سندي

أنت باب الله معتمدي

على الرغم من أن الديناري لم يُصَب حينئذ باضطراب الرؤية أو بانفصال في الشبكية أو اعتلال الشبكية السكري أو بعمى الألوان إلا أنه أُصيب بوحدة كونية مؤلمة، شعرَ بها آدمٌ بعد عام من خلقه، ولم ينقذه إلا الكشفُ والمدد، لكن الديناري لم يؤتَ وحياً لذلك شعرَ لأول مرة بتوحد قاس حاول من خلاله الهروبَ إلى داخل نفسه فينعتق من كونٍ كبيرٍ مجوّفٍ ليدخلَ ذاتاً مجوّفةً لكنها ضيقة، أو حتى الانزلاق في أوردة ذراعية التي نقرت من مكانها فليس من اليسير أن يلجأ أو يلوذ بمكان قد يتهدم أو ينهار عليه، ولما فر للخلاء بعد فناء بني الدينارية وقبيل الحدث العظيم الذي شهدته الشمس قبل اختطافها بثلاث ساعات احترقت بداخله مشاعرٌ متباينة تمنعه من التفكير أو محاولة استجلاء الحقائق الجديدة التي يطالعها حينئذ.

لم يكن خوف الديناري مما يحدث أمامه ومن حوله مثل خوف بني البشر الذين لم يعد لهم وجودٌ لرؤية ما يراه الآن، ولكنه خوفٌ جديد لم

يكن يحتمله منهم سوى أيهم آدم الذي خطا بقدميه متعثراً في جذور الأشجار الجافة التي كانت الديناصورات تقضم فيها قبل انقراضها بملايين السنين وعظام مكدمسة لزواحف أخرى تناحرت وقضت على بعضها البعض، وكما كان على آدم أن يبعد تلك العظام عن طريقه بعنفوان تنامي بداخله تدريجياً وبصورة سريعة، فكان على الديناري أن يبعد تلك الأحجار التي سدت عليه كل الطرق والمسالك.

الشمس والقمر عن صفحة السماء غائبان، والكون باهت بلا لون، والأفق يميل إلى الدرجة الداكنة كمرضى أسود وجهه تدريجياً بسبب العقاقير التي وصفها له أطباء غير أكفاء في مستشفى حكومي فأثرت على لون بشرته بعد أن تفحمت أعضاؤه الداخلية تماماً، فليس يرتجى منه شفاء، ولا ينتظر سوى أن تحين ساعة خروج روحه فيكتسي وجهه ببلاهة مَرضية فلا يمي قولاً أو يعجز حيلة إلا كلمات الصبر على الابتلاء أو تذكيره بمآب الصابرين، وليس بصابر على البلاء على تلك التقلبات الكونية التي اختصه بها الله سوى الديناري، فنويات الذعر المتلاحقة منذ أن انشق الجبل قد كَوْنَتْ لديه رصيماً من صبر يُمكنه من أن يحتمل خوض الحروب التي نشبت بين بني الإنس والجن فتذرع بالصبر الذي تبناه مهلاييل مُعيناً له لدحر قوات الجن وإبليس إلى مثلث برمودا ومثلث التنين قبل بداية التكوين البشري.

ساورت الديناري الريبة والظنون بأن ما يحدث أمامه مجرد حلم سيفيق منه حتماً بعد انجلاء الليل الطويل الذي عرض له أكثر الأحلام فتناً بقلب بشري، حتى وإن كانت الأقدار قد تتبأت وأعدته ليشهد هذا اليوم العظيم. الدخان الذي كان ينبعث من الفجوات والشقوق الأرضية تسبب في ذوبان تلك الأحلام وسقوطها فيها فاكشف أن ما يراه كان

حقيقياً، وإن ساورته الظنون كَبَيِّ إِسْرَائِيلَ فِي سَفَرِ الْخُرُوجِ وَهُمْ يشهدون المعجزات ويعاينونها ولم يلبثوا مؤمنين بها حتى يكذبونها وينسفونها لاحقاً، ويحتاجون لمعجزة أخرى تثبت إيمانهم وإن استمروا في غيهم وريبتهم وهم يسرون في ألتيه وراء النبي موسى والرب فوق وادي الطور صابراً على عنتهم وصلافة إيمانهم. والديناري في تيه الوادي أسفل الجبل الغربي يُفْتَتِ الظنونَ ويمزجها بالرمال التي تبتلع خوفه وذعره ولم يستقر في وجدانه سوى يقين أيده الخليل إبراهيم حينما كسر الأصنام ووضع كبيرهم في مأزق التفسير حتى يوم الحريق الأعظم.

"الكون يُعاد تشكيله." هكذا تكونت لديه نُطْفُ الحروف والبشرُ يتعرضون للفناء ولم يقدر لسانه أن يحولها إلى مضغة كلامية. لكنّ الانهيارات الصخرية تجهضها على الرغم من تشكيلها في يقينه الذي توهج في داخله، فجعل كل الظنون تتبخر من يقينه لتمتزج وتتحالف مع الأدخنة لكي يُعاد تشكيل الكون من جديد، فيأتي نوح جديد يعتلي سفينة جديدة لتحمل بشرًا ليسوا من صلب آدم.

القليل من الأقدار يجهض الكثير من الأحلام.

"سيأتي رجلٌ من الدينارية يؤخر خروجَ بأجوجٍ ومأجوجٍ"

قالت شفيقة المريسية بعد أن جاءت متلكئة كعنزة مخضرمة فقدت صفارها في شعاب جبلية وظهرها مُنَحْن كحكيم ظلُّ يدُون حَكْمًا قالها الصالحون الأوائل طوال قرنين من الزمان وحينما فرغ من التدوين والتشذيب نهض فوجد ظهره قد تقوس متصلباً وعليه أن يرضى بوضعه الجديد، ثم جلست تحت قدمي الديناري وأردفت قائلة :

- بعد الخروج العظيم يغشاها طوفانٌ عظيم.

لم تكن حاضراً أو كنت ترهف السمع مثلي حينما ضحك الديناري ضحكة مدوية انطلقت من حنجرتة الصوفية أفزعت العصافير التي كانت تستعد للانطلاق للخروج من أعشاشها فوق الشجرتين اللتين تبسطان ظلالها على الفناء الخارجي للساحة في صباح أقسم أنه لن يُشرق إلا إذا طرد الغيوم المتلصصة، لكن العصافير استشعرت نذيراً ملقوماً بالفكاهة في ضحكة الديناري فكفت عن صخبها الصباحي، وعلى الرغم من أن الديناري نفسه كف عن الضحك واستسلم لنوبة صمت مبهم تغلفه خفقات خوف من رعب مشطور محمول على أطياف الدهشة إلا أن العصافير ظلت مخبوءة فوق فروع الشجرتين مستسلمة للبقاء وكأنها أجنة مكملة تستعد للخروج من أرحام كونية هائلة تتركن عند الجزء الشرقي من الكرة الأرضية يختلف طقسها تماماً عن طقس الكون فتقع حيرى بين قوة دفع الأرحام التي تريد تفريغ تلك الأجنة

لكي تستعد لتلقيحات أخرى وبين خشية تلك الأجنة من المجهول على الرغم من أنها تحمل مقومات الخروج إليه، وانتقلت حالة الخوف تلك التي تنتاب الأجنة إلى العصافير فظلت مكانها واجمةً ومن وجومها استجمع الديناري إرادته المؤجلة فقال وابسامةً واهنة تعجز عن الالتصاق بوجنتيه :

- الخروج والظوفان حدثان قديمان لم يبقَ منهما سوى سردٍ شفاهي.

- انتهى الخروج وتنتظر أرضها الطوفان.

- يا شفيقة، هل أتاك نياً لم يؤتَ لأحدٍ من العالمين؟

- مولانا الديناري، في حضرته تعلمتُ ومن علمه استقيت، وعرفانا مني لعلمه ولحضرته أتيتُ لأقول ما سمعت، وما أوتيت من أنباء الغيب.

- الأنبياء هم الذين تأتيهم تلك الأنبياء.

- طوفان عظيم يجتاح الدينارية.

كان الديناري يعلم تماماً أن المنجمين كاذبون حتى لو وافق كلامهم الصدق. لكن على الرغم من إيمانه الشديد الذي لا يتزعزع فإن ما تقوله شفيقة المريسية ربما يتحقق، وطالما أن الإنسان يخاف من الفبيبات فما الضرر إن عرّفها حتى ولو كانت تنجيماً ليتخذ حذرَه أو يغير مساره؟ ولماذا لا يتصافر علم التنجيم مع بقية العلوم من أجل معرفة الإنسان ورهايته؟ منذ عشر سنوات تبرأت شفيقة المريسية من أهل الدينارية بعد أن تناولوا عليها بسبب ما رآته في ليلة القدر.

وهل تُفتح طاقة ليلة القدر للمنجمين؟

هكذا كانت كل الألسنة تردد وكأنها آية قرآنية يقرؤها الناس كثيراً ولم

بنتهبوا إليها في كل مرة، ولمّا جاءت مناسبةٌ قويةٌ لقراءتها فحُرثت
عقولُ الناسِ البورِ فرددوها في كلِّ وقتٍ.

"الديناري والكاهن يواقيم الصموائيلي وكبير كهنة اليهود ريباش
يركضون في البرِّ القربي في كلِّ اتجاهٍ بلا هدفٍ أو مُنتهى"

تَعَثَّرَ كلُّ منهم ثلاثَ مراتٍ أثناءَ بحثه، وحينما كان أحدهم يتعثّر
كان المتقدم يقف ويرجع ليمد يده للمتأخر، ولمّا اشتد عليهم الحرُّ
وانطبقت السماءُ على الأرضِ برطوبتها التي تفوح من الأشجار القانطة
وأصبحت أُرديتهم ثقيلةً فخلعوها وكذلك خلعوا القبعات، وأصبح
نلاشهم بالرداء الأبيض الواقي السفلي القصير، وإذا كنتَ حاضرًا
وترهف سمعك وتبصر بعينيك ولم تُختفِ خوفًا وهلعًا لرأيتهم كالغُرباءِ
الذين تتعرف إليهم للمرة الأولى، ولو كنتَ شديد الذكاء في تلك الأثناء
لما استطعتَ تمييزهم وفرقتَ بينهم، ولربما ساورتك الظنون بأنهم
ثلاثةٌ من الملائكة هبطوا من السماء تتكروا في ملابسٍ بشريةٍ لينذروا
نجع الخواجات ليتطهروا من الدنس الذي هم فيه غارقون، ولمّا يسّوا
منهم قضاوا عليهم أجمعين وهم الآن ينتظرون أمرَ الله في أن يتحولوا
من الحالة البشرية إلى الحالة الملائكية ليضروا إلى الفضاء الرباني
هزبًا من الوادي المدنس!

لم تستطع شفيقة المريسة أن تحكي كل ما رأته، أو أنها لم تعرف كيف
نصف هؤلاء الرجال الذين تخلّوا عن ملابسهم التي تدل على هويتهم
الدنيوية مع أنها في عُرْفهم أو في عُرْف الآخرين تتجيهم من أهوال
الدنيا كما تتجيهم من أهوال يوم القيامة، لكنهم على الرغم من كل
ذلك تخلّوا عنها، ربما فطن كل منهم لأمر عودة البشر العائدين من
البعث ولجوئهم للساحة الدينارية أو للمعبد اليهودي أو للدير القبطي

ثم يكتشف كل منهم اختلاف ديانتهم فيضرون منه للأبد ويلجأ قانطاً للبودية أو للشيعوية وربما للبهائية.

لم تحك شفيقة المريسية أن الثلاثة هدهم التعب في نهاية اليوم الثالث فلأدوا بكهف قريب من تمثالي ممنون فوجدوا خبزاً جافاً تركه أهل كهف لم يبعثوا من نومهم أو ولي غير معروف أو نبي مثل عزير وتناولوه فشبموا ثم ناموا ولم يستيقظوا بعدها أبداً. خافت من أن يفتك بها الناس، لكن الشيخ عبد الخالق الربالي سمع منها ما قالته - والبليمي لم يزل رضيعاً يرضع من كائنات وهمية- وطار إلى الديفاري ليعيد له رؤية شفيقة التي أصبحت أضحوكة القرية بنجوعها.

تنتاب السحرة حالة إغماء بعد كل عملية سحر ضد البشر يقومون بها، تعبر عن تفرغ شحنات السحر، فيصاب الساحر بإغماء حتى يفوق منها فتكون شحنات جديدة قد ارتقت مفاصله ليقوم بعملية أخرى بعدها مباشرة؛ لأنه لو لم يُنم عليه فسوف تمر به لحظات إنسانية تجعله يراجع عملياته السابقة فينتقدها ويشعر عندئذ بضيق ونفور من ذاته، يتحول هذا النفور مع مرور الوقت إلى حالة اكتئاب نفسي شديد تنتابه ويمكن أن ينتحر بسببها، لذلك يقوم السحرة من أن لآخر بعمليات سحر عشوائية مجانية تخلص البشر من الآمهم وحينما يفرغ الساحر من القيام بها يشعر بعدها برضا نفسي يؤدي إلى نسيانه لكل العمليات القذرة التي قام بها، كالراقصة أو ممثلة الأفلام الإباحية التي تعرض جسدها أمام الكاميرات فيتحول جسدها إلى منظر ثلاثي الأبعاد فتفرق الأبصار في اللذة وتغمسها في الشهوة الجامحة الكامنة في جسد المتفرج وفي عقله، تلك الممثلة أو الراقصة تشعر بعد عدة أفلام بحالة بغض وكراهية لجسدها ولو عرضوا عليها الحرق في ذلك

الوقت لوافقَتْ حتى تتطهر، تلك الحالة لا يصلح معها الاغتسالُ أو الصلاة لكنها تعتنق الصمتَ والخلوةَ حتى تتطهر تمامًا. كذلك كانت شفيقة المريسية.

- باب الجان مفتوح لمن يَلجِه.

قال لها أبوها منذ عشرين عامًا وهي تضع يديها في دماء امرأة حائض لتُحَضِرَ لأبيها جانًا عصيًا يحتاج لخروجه من طفل صرَخَ عندُ المقابر لمتضادَّين : امرأة قبطية متزوجة تحيض قبل هلال محرم بثلاثة أيام، وفتاة مسلمة لم تغتسل من حيضها الأول. ثم صلت ركعتين لقضاء الحاجة، وبعدها قرأت سورة الجن سبع مرات ولما فرغت من الصلاة قالت :

- يصفديش، يقطلميديش.

تلقت صفةً شديدة على ظهرها، وخلال ثانية واحدة شعرت بخدر قوي يشل حركتها، ودخلت في حالة انهيار ذاتي لا تدرك ما يدور من حولها. ما بين الرؤية وانعدامها والسمع والخرس، مجرد هلام يتحرك هنا وهناك وكأنه يتراقص دون سيطرة، انفلات حركي وأصوات مشوشة متداخلة وكأنها معجونة بالهلام الذي تتداخل فيه الألوان وكأنه لوحة فنية كثيرة الألوان وقعت في بحيرة فتراقصت الصورة بالألوان التي ما لبثت أن عادت لحالتها السائلة، تعددت اللوحات الواقعة في الماء وارتفعت الأصوات المشوشة وتداخلت حتى تحوّلت لطنين، وعلى الرغم من اختلاف النغمات لكنها تكدست فصار طنينًا لا يحتمل.

وكما داهمتها حالة اللاوعي فقد فارقتها تدريجيًا كأنها كانت مصابة بحُمى شديدة فتغمض عينيها وتفتحهما وتحاول التوازن في وقفها

فما رأته كان كفيلاً بعودتها لحالة فقدان الاتزان للأبد ولكن خيوط وروائح البخور التي كانت تتساب من فوهة الإناء الفخاري قد أضفى على شخصيتها مهابةً فاستقت من الجو اتزاناً إضافياً، عشرات من الجن بأصنافهم وأوانهم اللامتناهية يحجلون أمامها وهم يمسون دفوقاً مثلثة الشكل، وعلى الرغم من أنها كانت تستبين من خلال وجوههم النارية الشفافة جدران البيت إلا أن الألوان المتغيرة كانت متداخلة فميونهم البيضاوية تتحول من اللون الفضي إلى الأحمر إلى الأزرق ثم تشتعل النار فتتحول إلى اللون البني الداكن. وكان هذا التحول يتم خلال ثلاث ثوان فقط، وتتحول الأذرع الخمسة إلى أرجل والأرجل الثمانية إلى أذرع والخصر إلى بطن كبيرة جداً، وتلد ثمانية أجنة جنية في الدقيقة، وتخرج تلك الأجنة من طقوس الخروج فتدخل في الجدران تستكين لبعض الوقت قبل ممارسة التلبس تسبقها طقوس خاصة.

أشجار جافة تدور حول نفسها، النار تشتعل فيها وتتطاير ألسنتها وتصير الأشجار رماداً مقلقلأ كأنما هناك يد خفية تعبت تحته، ما يلبث ذلك الرماد أن يتحول إلى كيانات جنية وكان تلك اليد تزق كل مرة يتقلقل فيها الرماد مقدار كل كيان جني واحد، يكتسي ذلك الكيان بلون الرماد قائماً لا يتحرك، وبعد دقيقة واحدة تدب الحركة في ذلك الكيان وتتساق أعضاؤه وتتبدل فتصير الساق رأساً وتتحول الرأس إلى ساق راقصة لا تبقى على حال واحدة.

مرات استثنائية تهب فيها ريح ثمودية لا تطول بني البشر ولكنها تسف معشر الجن المتحولين فتتجمد كل تلك الكيانات الراقصة إلى كتل ثابتة توقفها عن حركاتها واستساقاتها وتبدل أعضائها المستمر، ثم

دورانها في رقصات مولودية، وحينما تهدأ الريح تتفتت الكيانات فلم تعد تصلح بعد أن صفتها الريح فقوضت هيئتها، وتظل تلك الفتافيت الجنية راكدة فوق الأرض ولو وطأها إنسان في تلك اللحظة فإنها تلبسه ولا يستطيع أي ساحر أن يُخرجه منها حتى ولو جاء كبير سحرة فرعون من مقامه.

وهناك حالتان غير حالة تفتت الجن، حالة الجان الذي يدخل إلى دورة المياه فيبكي بعد أن يلحظ دونية بني الجن بالنسبة للبشر، فيلبس صاحب الحظ السيء، ولا يخرج منه إلا بعد محاولات يقوم بها ساحر عتيد تُساق إليه فنون السحر وتتجلى، وحالة الجان الراقص مستسخًا نفسه وبارًا بسلالته، ذلك الجان الذي يعوقه إنسان قانط من رحمة الله فيلبسه ويحول جسده إلى معمل استنساخ يقوم به بكل التجارب القريبة مثل تناول ساق عن الأخرى أو استبدالها أو جحوظ العينين وزرع قرنية غيرها أو التحدث دون حركة الشفتين، أو انتفاخ البطن أو سماع أصوات مُنقرّة يستمر صراخه أثناءها لفترات طويلة، أو فتى فقد عقله واعتق الناس شرود عقله فيقبلون يده (نجع المباديل ينعته بعض الناس بنجع الشيوخ)، ربما ترى هذا الرجل وقد أصبح بثلاث أذرع أو خمس أرجل أو ثلاثة عيون فلا يصيبك الذعر. الغريب أن هذا الجان لو خرج منه فيكون خروجه علامة من علامات يوم القيامة الصفري، وأخرجه ساحر شديد البأس كالسحرة الذين رأوا يأجوج ومأجوج قادمين خلال الأعوام القادمة، فلا يبقي أمام الرجل إلا وقت قصير جدًا قبل أن يموت، تلك الفترة القصيرة لا يقضيها في الراحة والاستجمام من خروج الجان الأحمر من جسده، ولكنه يقضيها في إجراء تحاليل وعمليات لأن كليتيه تدمرتا وكبدته قد تهتك وصار كقطعة

من صاحبه المتلاشي. قال لها وهو يحول أعضائه بفخر وكبرياء وصار
كبيراً على عرش الجان في أقل من ثانية واحدة :

-ماذا تريدان يا ابنة حواء ومعاصرة الديناري؟

وهنا عرفتُ أن أفراد الجن مختلفون في كل تفاصيل الجسد. حتى
في شكل العين، فالأول كانت عيناه بيضاويين. بينما كانت عينا
الثاني مثلثتين، والأول فمه مسدود على الرغم من أنني رأيت شفيتين
مرسومتين على وجهه، وهذا يفسر صوته الفحيجي المكتوم، لكنني منذ
خمس وثلاثين عاماً رأيت جاناً مسدود الفم يتكلم بطلاقة شديدة قبل
أن يدخل في جسد الممثلة كاميليا وهي تستقل طائرة نجمة الميريلاند
التي سقطت بعد إقلاعها بدقائق.

-اخرج يا ابن الأرض وساكنها. انفلت من أعضائه الصغيرة
التي دنستها.

راحت تضرب بعصا فوق ظهر الولد فيتألم ويتلوي وتنتقل بالعصا فوق
ظهره ثم صدره وأردفت قائلة :

-اخرج من أي مخرج، أو من المدخل الذي دخلت منه إن
شئت خروجاً، اخرج يا ابن الظلام وساكن الكهوف، اخرج فالولد
ملهوف لبشريته المعطلة، يتمنى لو تُشق أعضاؤه بالسيوف.

لم يرد الجنّي، لكنها سمعته يتألم ويصرخ كلما ضربت، وتوغل صوته
رجولة وخشونة كصوت يتردد صداه في مبنى تقف على شرفاته جنيات
مستكينة أصيبت بالفزع والهلع وتأهب للقفز إلى الأرض السابعة،
فسأل بصوت يشرف على الهزيمة :

- ماذا تريدان يا مجرمة البشر وجاسوسة الشياطين؟ كيف

يموت آدمٌ ويخرج من نسله عدوه للكائنات المُشرّفة مثلك؟

- أن يخرج أخوكم عضو المجلس الجنّي من جسد هذا الطفل المُشرف بإنسانيته.

قالت مستبشرةً بقولها وبأسها المجوسي، والجان يستنكر السؤال بسبب جهل السائل فيقول :

- كيف يخرج من الطفل الذي يحميه يا ابنة حواء؟

حوار تجريه شفيقة المريسية عند حافة الجن ومنتهاه ومع هذا تستنكر فتسأل :

- يحميه؟

- نعم، جسد الطفل يحميه من الطوفان يا ابنة حواء.

- الطوفان؟

كانت تلك هي المرة الأولى التي تُعرف شيئاً عن الطوفان في عهد الديناري الأول، لكنها لم تلبث أن صاحت في الجنّي بصوتٍ متحشرج :

- الطفل لا يحتمل أخاكم، العدل في مجلسكم الجنّي تنزيهاً وفخراً.

- ومجلسنا يقبل طلبكم.

وما إن دق رئيسُ مجلسِ الجان الذي يعقد جلسة الخروج تلبيةً لنداء إنسي الدفوف حتى صرخ الطفل المسجّي على الفراش صرخةً عالية نستطيع أن نوقف سربَ طيور النورس وهي متجهة نحو الشمال ترقص رقصات مولوية في طبقات الجو النقية، ثم تقياً الجان بعدها ما كان قائماً في أحشاء الصغير يذل طفولته ويعذبها، بعد أن تحدث بصوت

رجل عائد لتوّه من حرث حقله الذي لا يُرتجى منه ثمار ولكن مهده
لفصائل يأجوج التي بات أمر خروجها وشيكاً.

وغادر المجلس الجنّي في طاوور متتابع غير منتظم يحجلون ويضربون
الدفوف بأرجلهم وهي تتحول إلى أذرع بعد انتهاء مراسم خروج عضو
المجلس الذي سكنه عاماً وستة شهور إلى الأرض والجدران وهم يلغون
لغات مولوية حول ولي احتجّب بسبب كشف وشيك، وقبل أن يختفي
كبيرهم قال لشفيقة بتلعثم شديد أثناء تحوّل شفّيته الكبيرتين إلى
مخرج تفلت منه روائح كريهة كأنها غاز مثير للدموع ومثير للأعضاء
يُنشر في مظاهرة حاشدة ضد الجوع الإفريقي ونهب الثروات المنظم
والدولة العميقة، وأخرى تطالب بحقوق المثليين في نفس الشارع فتكاد
تنقطع من اتصالها :

-اتبعوا كبير مجلسكم يوم الطوفان الأكبر-

هناك عداًء سافر بين الشيطان وأدم منذ أن رفض أن يسجد له، هذا
العداء ورثه الشيطان لأبنائه عبر القرون، فكان كل شيطان يشمئز من
الإنسان ويضحك كثيراً حينما يُذنب، ويقول في نفسه: "أهذا الذي كنتُ
سأسجد له؟" وهناك عداًء تسبى بين الإنسان والجان، والعلاقة بينهما
مثل شخصين تجد أحدهما يناصب الآخر عداًء غير مبرر لأنه ليس
بينهما معرفة سابقة فينسب للآخر المرض النفسي أو تدني مستوى
عائلته. هكذا هي العلاقة بين الإنسان الذي يفقد صفته والجان الذي
يعدّل من خريطته الوراثية تلقائياً، برغم أن هناك علاقات استثنائية
يصادفها إنسان من بين خمسين مليون فرد يصادف فيها جناً عاقلاً لا
يناصبه العداًء وفي نفس الوقت يُشفق عليه لأنه محاط بكيانات الحقد
والكراهية، كيانات الشيطان وكيانات الجان وكيانات البيئات المنحطة

وأصحاب المهن الحقيرة والعرجية، هذا الجن يتعاطف معه ويتمنى أن يقدم له يد العون وربما يخرج عن مقام الجن فيُنْبَذَ مِنِّي، ظالمًا لنفسه فيكون من إخوة البشر حتى تنتهي صلاحية دنياهم.

كبير مقام الجن الذي قال لشفيقة المريسية : " اتبعوا كبير مجلسكم يوم الطوفان الأكبر. " خَرَجَ عن مقام الجن حينما دَبَّتْ في أوصاله قِيَمُ العطف نحو الطفل وشِعَرَ بالانتشاء الآدمي وهو ينصحها باتباع كبير المجلس الصوفي.

رأيتُ بنفسِي الطفلَ يمرح أمام بيته، والدماء تسري في شرايينه فتنتفخ أوداجُه كطفل إفريقي يعاني من مجاعة منذ أن وُلِدَ، وحينما انتقل إلى دولة أوروبية ذاق ما لم يذقه سلفُه الأفارقة منذ وصول جدِّهم حام بن نوح إليها، وأحمرت وجنتاه، وأمُّه تجري خلفه تلتمه طعامًا، فلا يعرف ألهب ثم يأكل، أم يأكل ثم يلعب، فذلك ما حُرِمَ منه يوم أن التبسَه الجن، وهناك في نفس الوقت يُعذب صاحبنا كبير مجلس الجن فوق الجبل الغربي على يسار الدينارية عذابًا لم يذقه بشرٌ أو شيطان، ظلت سرايا الجن تلعن مؤخرته بأسياخ فولاذية ملتبهة ويضربون رأسَه بمدقات فولاذية فيهرسون الكيان المُتحوّل تحتها.

وكما يستلذ الشيطانُ بعذابات البشر يتنعم البشر على رفات الجن ويستلذون بعذابها.

ويمسح صوت التشيللو الصوفي أصوات الجن المتحشجة المتناغمة مع صوت الدفوف وسكرات الوجد ليأتي بدلًا منها ابتهالات من الساحة الدينارية :

"سبحانَ الأول بلا بداية، سبحانَ الآخر بلا نهاية، سبحانَ مَنْ له في

كل سورة آية تدل على أنه واحد أحد فرد صمد دائم على الدوام.



على الرغم من أن زيارة جوليان صهوكيت حاخام معبد الياهو بالاسكندرية إلى دير الياهو بالدينارية كانت تعتبر سرية إلا أن الشرطة كانت تؤمنها تمامًا، يوم أن قتل مثلًا والداه في نجع الخواجات حينما فضحاه بعد أن رفض أن ينفق عليهما، وارتدى بعض العناصر زياً يهودياً في يوم الاحتفال بيوم الزينة الذي برع فيه النبي موسى وتقوَّق على سحرة فرعون، وقبل الاحتفال بيوم زار الحاخام جوليان صهوكيت المعبد وقال لكبير الكهنة ريباش وهو يرفع عصاه لتتحول إلى أفعى تسعى في مقام الكبار :

- بنى أجدادنا المعابد الفرعونية، الدينارية موطننا، وعاش وتعذب ومات فيها الكثيرون، وبنى هذا المعبد في البقعة التي كانت تضم أغلبية بني إسرائيل، ولن نهَاب اليوم فرعون أو ساحراً أو صوفياً. يرتبط وجود إنسان ما في مكان ما بالوجود الديني، حيث يجد حرية كاملة لممارسة طقوسه وشعائره، ويتق في أن رزقه الوفير يؤمنه له ذلك الكيان الديني الذي يعيش في كنفه، ولأن قرية الدينارية تحتضن ثلاثة كيانات دينية فتجد أن أعداداً كبيرة تدور في فلكها، ولو تم نقل تلك الكيانات لانتقل معها حتى ولو ذهبت إلى الصين، ويحب اليهود أن يسكنوا بجوار معابدهم فهي تحميهم من التبشير بدين آخر، أو الخروج عن دينهم والارتكان إلى جدران الشيوعية المهذمة.

- المعابد اليهودية تحمي الكيان اليهودي.

من مآثر الحاخام الأكبر عوفاديا يعقوب التي قالها في مؤتمر "معابد

اليهود تاريخ واستشراف" الذي عُقد في جنيف عام ١٩٧٥ تحت رعاية منظمة حماية الدين اليهودي، وتأتي هذه المقولة بعد الهجوم المتكرر الذي تعرّض له التكتل اليهودي في مناطق متفرقة من العالم بسبب سلفهم والذي بسببه لاذوا بالمعابد اليهودية فاحتّموا بها واحتمت بهم، على الرغم من أن مؤتمراتهم ومؤامراتهم تخرج منها.

إن كبير الكهنة ريباش يعرف تمامًا أن كل زيارة حاخامية تختلف عن سابقتها، وأن كلام الحاخام يمزج بين وقائع قديمة وأفكار هلامية، ربما يكون لديه مدلول ما يسمى له، ولم تكن فكرته الهلامية التي قالها هي زيارته السابقة منذ عامين إلا "مهلبية" موضوعة في طبق صغير مدافراحت تهتز وتهدد بالسقوط بمرورتها ورجرجتها لكنها بعد ذلك هولت إلى ماء نار التصق بنفس الإناء، وبالقدر الذي كان ريباش يُقدر به الحاخام لمرجعيته الدينية الخصبة التي يعود قدمها قرونًا طويلة أسست على المزامير والكتاب المقدس ومراجع ومجلدات ضخمة تناول التاريخ اليهودي والنفايسير الإسرائيلية للتلمود والتوراة، إلا أنه كان يمتعض بسبب نزواته وشطحاته الفكرية والفلسفية والسياسية التي ربما تقوض نسيجًا اجتماعيًا كاملاً، وعلى الرغم من ذلك فقد منح للفكرة لأنها كما يقول الحاخام مسبوقة وطبقتها بعض الجاليات اليهودية في كل أنحاء العالم.

وكما تستخدم الدول أجهزة مخابرات لحماية مصالحها الخارجية والداخلية، فإن الجاليات اليهودية تستخدم جماعات دينية مسلحة أهميتها.

"نكوين جماعات يهودية متحركة تستخدم كل الوسائل المتاحة من هلب نظام اجتماعي أو تفتيت ائتلاف قائم على أساس ديني أو

سياسي أو تفعيل لمذهب ديني خاقد لحماية الوجود والكيان اليهودي في الدينارية، تتبع حاخام الإسكندرية وتعمل وفق آليات وأنساق عالمية.

أمر حاخامي أرسله عوفاديا يعقوب إلى جوليان صهوكيت حينما وصلته تقارير بوجود صدامات بين الجماعات الدينية المتشددة في قرية الدينارية، وكلفه بتكوينها وتدريبها تدريباً عالياً، وشدد عليه بضرورة الاستجداد ببعض العناصر اليهودية المتحركة في جميع أنحاء العالم إذا استلزم الأمر، وتكليف ريباش بمتابعة التنفيذ مع حاخام الإسكندرية.

- هل رأى البشرُ قوماً ينفخون في النار حينما يكون الصيفُ قانظاً؟ الجماعات المنشقة عن الأديان الثلاثة تعتبر بؤراً متطرفة، فإما أن تعود إلى رشدها أو تُستتاب.

قال الديناري بعد أن اتكأ على الوسادة التي تقسم أريكة أندلسية فاخرة نصفين في غرفة كبير الكهنة ريباش التي تعتبر قطعة فنية، بينما جلس الكاهن على كرسي ضخم كأنه عرش أموي أندلسي مصنوع من خشب أبنوسي مزين بزخارف ورسومات رقيقة المستوى أرسله طارق بن زياد للخليفة الأموي وورثه ريباش، وثلاثة كراسٍ أخرى أقل حجماً وتحمل زخارف ورسومات تعبر عن الجو الشرقي المستوحى من المدرسة "أندلسية في أوجها، ونافذة تشرف على حديقة بها نباتُ النسرين وهو نباتٌ من جنس العُليق، وزهرة مثل الزهر الجبلي لها رائحة طيبة تبعث على السكون الصوفي، تلك الشجرة التي كلّم الله موسى عندها، ويجاورها نباتُ النعناع والياسمين والنرجس، وعلى الجدار المقابل لكرسي ريباش لوحة تعود للقرن الثالث عشر ميلادي رسمها فنانٌ

طلبني يهودي وُجد مقتولاً بعدها بعامين، تُصوّر خروج بني اسرائيل وخلفهم رمسيس الثاني يوشك أن يفتك بهم، وتجلت قدرة الفنان في رسم البورتريه فيمكنك أن تراه ثلاثي الأبعاد، وعلى الجدارين الآخرين مكتوبٌ عليهما الوصايا العشر بخط عبري دقيق مترجم أسفله باللفه العربية يبين روعة اللغة العبرية من خلال مترجمها.

"يُخرج الفكر المتشدد من الساحة ويُخرج من المعبد اليهودي المتطرفون، ومن الكنيسة جنود المسيح." يفكر الديناري متصلاً بفكر ريباش ولم يشأ أن ينطق كلاهما بما تُلحنه خلاياهما المستنسخة.

قال ريباش للديناري وهو يخرج من البحر في طليعة بني اسرائيل بمصر أطراف ردائه الكهنوتي بسبب لجج المياه التي خلفها انحسار البحر:

- كثرت الجماعات المتطرفة وزاد أتباعهم.

رد عليه الديناري وهو يرى انطباق البحر على رمسيس الثاني يدرأ بدرعه موجات متالية يدفعها ملك رسول:

- واجبنا أن نعيدهم إلى عبادة الأديان المعتدلة، وكما خرجوا منها يدخلون.

قال ريباش وهو يروغ من سطوة السامري القديمة:

- بصرنا بما لم يبصروا به.

الديناري وهو ينتشل ريباش من صورة السامري ويقفز بنفسه في بورتريه بني اسرائيل الذي رسمه الفنان الطليعي المقتول في بولندا:

- قبضنا قبضة من أثر الرسول، ولم تُسَوَّلَ لنا أنفسنا.

قال ريباش وهو يشير إلى تمثال هُبَل الذي يمر بجواره أبو لهب يطوف به :

- أخذ المسلمون صورة عن الإسلام من الأعلام الدينية فظلت عالقة في أذهانهم لا يتحركون خارجها، بينما صورة الأديان الأخرى متجددة ومتطورة.

بُهِتَ الديناري وصفق ذهنه ليصد فكرة مشوهة كادت أن تترجمها حنجرتُه لكلمات ناقصة وباهتة مثل : البُلَيْمي الذي يصارع الرمال بالقرب من المعبد اليهودي- تُنزل من قَدْرِهِ ومكانته، فاستقر في مكانه نبياً غير مرسل.

كان وجه ريباش بالنسبة للديناري صفحة بيضاء لم تُرَسَمَ عليها ملامح تُبين توجهه أو نية مبيته، جعلت الديناري يفقد الإيمان بالكشف النوارني بسبب عجزه عن قراءة ما هو مكتوب خلف تجاعيد كبير الكهنة ورقائقه الالكترونية التي تزيده هيبه ووقاراً.

الفصل السادس

بعد وصول الأمر الحاخامي سافرَ كبيرُ الكهنة ريباش إلى الإسكندرية، وقابل الحاخام جوليان صهوكيت في معبد الياهو ذات ليلة ممطرة بللت رداءه الكهنوتي لكنها لم تبلل توجسه الذي ظل ساخناً كأناء أطفئت النار من تحته ليس لسخونة الإناء التي تخف تدريجياً على مدى طويل، بل لسخونة محتواه الذي يحتفظ بحرارته مدةً أطول تعادل نصف فترة التسخين تماماً، ولما كانت الأوضاع في الدينارية تفوق قدرات ريباش الذي تعرّف عنه ميول الاندماج والانصهار في المجتمع الديناري القائم على التعددية الدينية فقد كان اللقاء يفوق تكهناته.

المعبد اليهودي في الإسكندرية يتلفح من الخارج برداء السكون الممزوج بهدي حاخامي يهودي فيضفي على المنطقة غيوماً دقيقة شاحبة بالكاد تسبح في الفضاء بلا هدف، فربما تصل إلى كوبا أو الصين تنصهر فوق الشيوعيين الذين يقفون الآن على قبر ماركس الذي مات قبل الطوفان القادم بسنوات طويلة ويهتنون من أجل الطبقة المتوسطة المتعلمة، وتتداح حتى تصل إلى معابد منسي ويعقوب ساسون وكاسترو ونزاح إسرائيل الإشكنازي الذين انضموا إلى اجتماع برأسه الحاخام فسبقت لهم نزل ومستقر اللقاء.

يفولون إن الذي هدى ماركس إلى معتقده صاحبُ مصنع بولندي يهودي افترف ذنباً كبيراً فتصحح حاخامٌ مجهول بأن يُضِلَّ مَنْ يُضِلُّ الآخرين، يعود نسب الحاخام جوليان صهوكيت إلى صاحب المصنع، مع هذا ظهر أحياناً لديه نزعات غريبة، كأن يساعد مسيحياً ليعتق الإسلام،

وبوذيًا يعتنق المسيحية، ولم يؤثر فيهم حتى يعتنقوا اليهودية التي لم تعد تحتاج لمعتنق جديد، المهم لديه أن يهدي كل صاحب معتقد معتقده الجديد حتى لو لم تكن اليهودية هي ذلك المعتقد، وإذا وجد من يسعى لاعتناق اليهودية فهو النصر بعينه، وكان يرى أن الحاخامات والكهان والأئمة لم تعد لديهم الكاريزما الكهنوتية التي كانت لدى السابقين الأوائل، هذه الكاريزما هي التي تجعل المبشر مُتبعًا والكاهن يسوعا والولي إمامًا، وكان صاحب الكاريزما يفضل مرة واحدة في كل عشر مرات، أما في الوقت الحالي فيفضل تسع مرات وربما عشرًا.

اكتشف صهوكيت أن المبشرين الجدد من المسلمين في الدينارية لا يفقهون الدين، وربما كان أحدهم أميًا لا يعرف كيف ينطق الشهادتين، لكنه استطاع أن يؤسلم امرأة أجنبية، هذا الفتى لم يدخل مسجدًا من قبل وهو ينتمي للقوائم البشرية التي يستخدمها اليهود لقتل المسلمين لأنهم مسلمون بالميلاد، ولا يهمهم أن ينتصر المسلمون، ما يهمهم هو الحصول على مال حتى ولو قتلوا عمر بن الخطاب، ومع هذا يستطيع أحدهم أن يؤسلم امرأة قضت سبعين عامًا من عمرها مسيحية لا يفوتها يوم أحد إلا ودخلت الكنسية لتقيم شعائر دينها وتحفظ ترانيم لا يحفظها قديس أردني قديم، وربما تبرعت ذات يوم لبناء كاتدرائية! امرأة ربّت أبناءها على المسيحية وربما خرج منهم راهب أو كاهن أو أسقف.

لكنها تتبع دين من لم يتبع دينه.

الجنس الذي يأتي في خريف العمر تكفل بالتبشير. وأخضع من خرج من مخرجها رجال دين، فصارت مسلمة، ويقف الفتى الذي تزوج من جدته يتباهى بنفسه تحت سفح الساحة الدينارية ويقول إنه أملك

زوجته، وينسى الناس جدته التي تتعرج على وجهها التجاعيد كطريق متعرج تحتله جذور أعواد قصب السكر وتتخلله حُفْر متباينة، ويتذكرون التبشير الذي قام به فيصير قديماً يمتطي جواداً ويمسك عضوه يتباهى به دون استخدام دهان تطويل ولم يُجر عمليات تعويضية لإمتاع امرأة سُدَّ مخرجها بفعل الأتربة والرمال التي تدفعها رياح الزمن، ولو مات بأي سبيل حتى ولو كان انتحاراً لأقاموا له ضريحاً تُزينه الحرائر الخضراء المرسوم عليها صورٌ سريالية تُعبّر عن قدرات خارقة قام بها الفتى وخدمات جليلة أداها للدين بشكل خاص وللبشرية بشكل عام وتُزخره آيات قرآنية تُبين مقام الصالحين والشهداء، هذا الضريح يقام بالقرب من غرفة الذكر في الساحة الدينارية عند مقامات الديناريين، يزوره المريدون والمقلدون والتائبون والتائبون، واللاتي يُردن الإنجاب، والمرضى النفسيون والمدرسون الأقباط المترمتون، والمدرسون المسلمون المصابون بحلطات دماغية، وكذلك الفتيان من الفقراء والمراكبية، والشواذ المثليون والذين يتعاطون العقاقير المخدرة، وأبناء الزناة المولودون في الشهر الخامس.

"كما يوجد في الأقصر ثلث آثار العالم فثلث سكانها يعيشون على غرق الورك."

قال العاخام جوليان صهوكيت وهو يقف عند مذبح الرب وهو يتابع حمامة حيرى لم تفر حينما وصل الكهّان، فظلت أثناء بحثها عن مخرج آمن تتخبط وتصدر صوتاً مزعجاً لكنها استقرت وطوّت أجنحة الرهبة حينما تكلم ثم أردف:

- أينما حل اليهود في بداية الأمر بمكان كانوا يُعتبرون أقلية، وينظر إليهم الآخرون بأنهم جرائمٌ نحتاج للإبادة، ولدينا في التاريخ

اليهودي الكثير من الحكايات المتشابهة على الرغم من محاولاتنا بالانصهار في المجتمعات والعيش في سلام، نعم، نحن شعبٌ يحب السلام، وصانعو السلام خرجوا من أصلاب الأسباط، لكن مَنْ هُمْ؟ مَنْ شاء أن يَعْرِفَ فليَعْرِفْ المشكلة الوحيدة التي تصادفنا هي أننا لا نَقْبَلُ التطرف، ولا نَقْبَلُ إهانةَ دين الآخر، وإذا حدث ووجدنا تطرفاً فلا بدّ أن نقابله بتطرفٍ أشد وأقسى. وكما تعلمون أن ريباش جاء من قرية الدينارية ليجدَ معنا حلاً في مسألة التطرف الديني التي استشرت هناك في البر الغربي، وقد وصلت اللجان التي كوَّنتها خلال اليومين السابقين إلى ضرورة قبول حل حوار الأديان الذي طرحه الديناري، وعلى أية حال كما تعرفون أننا معشر اليهود صادفنا في الكثير من المجتمعات الغربية والشرقية اضطهاداً وعجرفةً وتطرفاً، وعالجنا كل ذلك بحكمة وافتدار، ولنا في تاريخ الهند والصين وفيتنام وباكستان واليونان وفنلندا وأمريكا الجنوبية صولاتٌ وجولات وقصص تتناقلها الأجيال، وأنبئكم بأنني سوف أقوم بزيارة لمعبد الياهو بالدينارية الأسبوع المقبل للمتابعة الميدانية التي وجدتموها ضرورية في تقريركم الأخير.

ونحن على اتصالٍ دائمٍ بالحاخام الأكبر الذي يُنعم علينا بتعليماته الحكيمة، لا نخطو دون أن نحصل على تبريكاته وتعليماته الهارونية، فهو يُنعم علينا بما وجود به ذهنه وقريحته، فالكشف نوراً يأتيه من عند الأسباط"

ويعقوب جالسٌ أمام بيته يفزل قميصاً ليوسف الذي غرق في اليَم.

كان الحاخام جوليان صهوكيت يعرف تماماً أن معبد الياهو بالدينارية الذي يضم كبيرَ كهنته ورهبانه يقومون بالأداء الدبلوماسي الجيد

لاحتواء ما قد ينجم من أزمات، علي الرغم من انفلات بعضهم في عظائهم المتشددة للمُصلّين فيؤلّبون اليهود المسالمين ضد المسلمين، ويعرف أنه يقوم من آن لآخر بجولات تطبيعية وحوارات تلحن كتل تزييف الوعي والمشاهد الحضارية والتاريخية أكثر من أي دبلوماسي قدير، فالدبلوماسية - في نظره - ليست هي توفيق الأوضاع مع الآخر بل إدخاله في دوامات الوهم حتى يصير يقينا دون أن يدري، ويقوم بكل ذلك دون صحب أو أبواق إعلامية تردد خطله المستقبلية أو استراتيجيته المدعومة من المنظمات العالمية، ولم يكن يتردد في رثق ما قد يتمزق من أواصر بذل جهدا كبيرا في تليفيها. مثل المنزل الذي أقام فيه النبي يوسف بعد خروجه من السجن، والعائلة التي لم تخرج مع موسى يوم الخروج الأكبر وظلت في البر الغربي وتناسلت وذاب نسيجها مع المصريين سواءً أكانوا فراعنة أم أقباطا أم مسلمين جاءوا مع عمرو بن العاص أم "قبطي مسلم" تلك العائلات التي تنسب للأقباط والمسلمين معاً، وكذلك الوثيقة التي لم يشأ أن يُخرجها ولكنه لمح بوجودها تتناول نسب الديناري نفسه حينما قال إنه يعود لسبط لاوي!

"من يقوم بالأداء العاخامي بإخلاص فيحشر مع الخارجين مع موسى يوم الخروج الأكبر، ويُبعث يوم القيامة مع الأحيار"

هكذا كان العاخام جوليان صهوكيت يرسل رسائل قصيرة SMS للكهّان الذين يتبعون نطاقه العاخامي، ليذكّرهم بما بهم، ويقرأون ما بين السطور!

قرأ بعضهم ما بين السطور بينما تجاهلها ريباش لأن الدينارية ذات طبيعة خاصة، ومع ذلك فقد كانت تُفرض عليه قراءة ما بين السطور

وتفذيده رغماً عنه، فهو يصبح عندئذ مثل الابن الذي يحاول أن يسلك طريقاً صحيحاً ولكن إذا أجبره أبوه على طريق آخر فيتبعه فهو الذي يحمل وزره.

"من يسيطر على الديانات الثلاث يسيطر على العالم."

فكرة طرحها الحاخام نورس توبينا عقب الحرب العالمية الثانية. وتبنتها مجموعات متشددة من اليهود في أمريكا وكندا وأمريكا اللاتينية وشرق آسيا وأوروبا وأستراليا، هذا الفكر انتشر على مستوى فكر الأحرار ولم يصل إلى العامة من اليهود، لكنهم كانوا يطبقون تعليمات مستقاة من فقهه أو يقومون بتفسيرات تتفق والوضع الاجتماعي في المكان المستهدف، اعتبرت الحاخامات هذا الفكر دستوراً شفاهياً يهودياً عالمياً يطبقونه في كل مكان وفي كل الأزمان، وحينما جاء الحاخام جوليان صهوكيت وضَعَ في اعتباره تطبيقه في مصر.

"إما أن تسيطر وإما أن تُدمر."

بند تفسيره أضافه بعض الحاخامات لفكرة نورس توبينا والتي استقت منها بعض الجماعات الإرهابية مبدأ التفجير الانتحاري الذي يعث المتطوع الذي يتمنى حشره مع موسى وهارون وأوائل الخارجين من مصر يحاول تفجير مكان ما أو عدة أشخاص، وحينما يُكتشف أمره يفجر نفسه حتى لا يتعرض للتعذيب. استخدم جوليان صهوكيت بالاتفاق مع لويس ليمارجي الجزء الأول من البند حتى لا يضطر أن يضحى يهودي حينما استخدم بعض العناصر من الفتيان الخارجين عن نسق الإسلام.

"إشاعة الفتن"

«ندّ تفسيرى آخر قام به بعض اليهود في نجع الطوامية وبقية النجوع،
وانى ترحيباً من الجميع، فقد كانت الدينارية لا تنام دون أن تتناول
إشاعة على مذبح القرية، حتى المتعلمون والطبقات المثقفة نهلت من
الك النبع؟

«اعتلاء عرش الدينارية»

وهذا بند آخر على الرغم من صعوبته إلا أن جوليان صهوكيت سعى
«نسه لتحقيقه في ظل وجود معطيات ومؤثرات وأحداث تساعده في
«حقيق مأربه. وكان الكاهن شاؤول أشعيا الذراع اليمنى لكل من يحمل
«كراً يعضد من سلطوية اليهود في الدينارية.

«ال جوليان صهوكيت متقدماً ريباش وهما يتجولان في حديقة المعبد
«سرعون جاء بعد نزول الأديان وكفر بها جميعاً، يلقي بتعليماته لكبير
«هنته :

- الأفكار المتطرفة خرجت من رحم الساحة الدينارية،
«هناك تعلموا السمع والطاعة، وأن مناقشة الشيخ أمر ينهى عنه الرب،
«أن الصوفيين جميعاً خرجوا من عباءة الفكر المجوسى الشيعى الذى
«رض على قتل كل من لا يتبع مذهبهم.

«ذ ريباش وهو يرفع عينيه عن نبات الريحان مستعيداً من سطوتها :

- لكن كل ما نعرفه عن الصوفية أنها تربى المسلم على طاعة
«الله واجتباب نواهييه.

«ال الحاخام وقدماه تخطوان متباعدتين يعبر خلفاً موسى فيكون من
«ملايمة بني إسرائيل :

- إنهم يقولون للبعض أن قتل غير المسلم يعتبر من الطاعات الواجبة على المسلم، فكيف يطيع الله ذلك المسلم؟

صمتَ ريباش وكأنه يستحضر جاناً يستقر تحت جذور شجر المانجو لتلقيه رداً منطقيًا في عصرٍ غير منطقي :

- لكل فكرٍ ديني شطحاتٌ تؤدي إلى بناء فكرٍ متطرف.

قال الحَبْر العليم وهو يحضر بعينه باحثًا عن ديدان غريبة تحاول الولوج داخل المعبد لرؤيته :

- كل الفلسفات تؤدي إلى شطحاتٍ متطرفة، والأديان فلسفاتٍ صاحبها تنزيل.

على الرغم من أن فكرة تكوين تلك الجماعات قد انبثقت من فكر ديني محض إلا أنها واكبت بعض الأعمال الإجرامية التي قد تكون أعمالاً فردية تخص أعمال البلطجة مثل السرقة والسطو المسلح، ولا تُمَت للدين الإسلامي، فقامت بعمل حملات انتقامية مماثلة في الخفاء مثل القتل والحرق والتدمير وخطف الصغار واغراق النجوع بالمخدرات كالحشيش والبانجو.

- لديهم الشيخ حسن البنا، كان يعتق الفكر الصوفي وخرج من عباةته وكوّن جماعته ليحكم العالم بإرهابه، ومن بعده خرجت الجماعات التكفيرية والجهادية، كل هؤلاء خرجوا من ساحات الصوفية التي لا تقبل نقاشاً، في أواخر السبعينيات قامت جماعة جهادية بالقاء كُرّة نارٍ في المعبد اليهودي واحترقت ذراع أحد المُصلين. وقتل مساعد حاخام الإسكندرية وهو متجهٌ للدير في زيارة كهنوتية إشرافية، وفي بداية الثمانينيات في شهر يناير تم إطلاق النار على وفدٍ يتكون من

خمسة أفراد من بينهم عضو في مجلس الحاخامات وكانوا في زيارة المدير البحري بالبحر الغربي، ولا يجب أن ننسى مقتل أستاذ التاريخ اليهودي في معبد الكرنك والذي كان يعتزم إلقاء كلمة عن فرعون الخروج في الجامعة الأمريكية بالقاهرة في اليوم الثاني لزيارته، وفي التسعينيات من القرن الماضي واكب زيارة مجموعة سياحية يهودية اسلمهم الشيخ مقتل مجموعة أخرى خرجت من أحد مقابر وادي الملوك، وكانت تلك المجموعة أعضاء في الكنيست الإسرائيلي، واليهودي الذي جدوه مقتولاً عارياً في نجع الخواجات وقالوا إنه كان يمارس الشذوذ مع عصمت حفني عضو جمعية المثليين في الدينارية، والفتاة اليهودية التي ذبحها مجموعة من شباب يعيشون ما بين نجع الخواجات ونجع الطوامية بعد أن هتكوا عرضها واغتصبوها وألقوها في ماء النيل، بسبب أموالها.

"صَبَّ غَضَبِكَ عَلَى الْأَغْيَارِ غَيْرِ الْيَهُودِ، فَهَذِهِ مَنَاسِبَةٌ جَدًّا لِأَوْضَاعِنَا، لِأَنَّ أَعْدَاءَنَا يَحَاوِلُونَ الْقَضَاءَ عَلَيْنَا مِنْذُ خُرُوجِنَا مِنْ مِصْرَ وَحَتَّى الْيَوْمِ وَمِنْ دُونِ تَوْقِفِ."

رسالة جديدة أرسلها الحاخام الأكبر عوفاديا يعقوب وعممها على كل المعابد في مصر توجع الصراع بين فرعون وموسى وهو يلاحقه عند الساطيء الغربي من البحر.

الفصل السابع

بعد أن قتل قابيلُ هابيلَ وقف عند قدميه الباردين تنتابه هزاتٌ من مشاعرٍ مهزوزة كجسده الذي انتفض بعد أن لفظ هابيلُ أنفاسه الأخيرة، ثلاث ساعات من المشاعر المتناقضة التي تتراوح ما بين الذنب والتوبة، الجرم والاستغفار، الخير والشر، الإثم والعنفوان، الاستسلام والاستكانة، تلاشت كل تلك المشاعر المصحوبة بمعانٍ غريبة عليه، وركدت في يقينه الذي لم يتزعزع بأنه خلص البشرية من شر هابيل، وأنه بفعلته وإن كانت في بدء البشرية إلا أنها تُعتبر عنواناً لتقلب الخير على الشر.

زرع قابيل هذا المعنى في قلوب البشر وارتقى الخريطة الوراثية عبر الأجناس والسلالات والقوميات والديانات حتى وصل لأهل الدينارية على اختلاف دياناتهم، وصار القاتل بطلاً والمقتول مجرماً، تزيفت الأقوال وصارت حقيقةً مطلقةً وبهتت الوقائع. صار الأغنياء أولياء، والفقراء تبحت عن حقوقهم جمعيات حقوق الإنسان وثوراتٌ مجهزة، والطبقة الوسطى (قليلة الحيلة) ترقص على السلم (بين بين) فأبناؤها لم يصلوا إلى مستوى الأغنياء فيتنعمون في الدنيا ويقيمون شعائر دينهم كما يقول الكتاب، والفقراء ينتظرون الإعانات لملء بطونهم، فلم يلحق أصحاب الطبقة الوسطى الجنة التي وعد بها الأغنياء، ولم يلحقوا بالفقراء الذين ينتظرون الإعانات فرقع عنهم القلم.

احتدشت الدينارية بأقلياتٍ دينية ومذهبية وأقليات عرقية، احتسب

اليهود والأقباط أنفسهم أقليات دينية والشيعية أقلية مذهبية ولعب الأقباط المهجر ويهود أمريكا على وتر تشيللو وهمي فيعزفون أغنية الاضطهاد الديني، واحتسبت نفس النهج بعض الأقليات الاجتماعية وبعض العائلات التي لا يتزوج منها الآخرون واعتنقوا فكر التشرذم طالباً للنجاة من مخاطر الأغلبية، وعلموا أولادهم قيم التجمع عند المصائب والكروب والحروب، وكانوا يشنون من آن لآخر معارك ضد بعض العائلات لإثبات ذواتهم في الغابة الإنسانية، وعائلات أخرى تقوم بعمل تبادل مكاني غير مقصود في التجوع، وأخرى تقوم بهجرات داخلية طلباً للحماية التي توفرها عائلات أخرى، وفروع لعائلات من محافظات أخرى بدأت تكوّن ائتلافات مع عائلات أخرى لسد فجوة الكثرة المعتورة لديهم. وعائلات صغيرة اندمجت مع عائلات أخرى صغيرة عن طريق النسب وعن طريق التجارة وتبادل المصالح.

تلك التغيرات الاجتماعية كان لها عميق الأثر في زيادة قيم الترقب والنوجس الذي ما لبثت أن تحولت إلى بفض اجتماعي لم يستطع الدين أو السياسة علاجه، كما فشلا في حل المشكلات الدينية التي لم تعد مجرد صراع بين الأديان الثلاثة فحسب بل اتخذ منحى أخطر؛ إذ مرع هذا الصراع إلى صراع مذهبي ساهم مع الصراع الاجتماعي الذي خلقته الظروف والتحوّلات الاجتماعية إلى ساحة كبرى لنزاع إقليمي حاد.

وعلى الرغم من محاولات حثيثة قامت بها الحكومة لرأب تلك الصدعات إلا أنها فشلت وأوكلت للديناري مهمة الحكم الديني (المجلس العرفي بالإضافة إلى المجلس الصوفي) الذي وجدت فيه مورثاً عن فشل ذريع مرجعه الثورات والتوترات الناشئة عن بعض

القرارات غير المدروسة والخاصة بالغذاء وتوقف السياحة التي تعتبر مصدراً رئيسياً للدخل في القرية، وبعد أن قام بمقابلات عديدة مع كبار رجال الدين الأقباط واليهود توصل معهم إلى ضرورة فتح باب الحوار.

لكن كان طريق الحوار مليئاً بالأشواك التي زرَعها مفجرو الأزمات.

بدأ الديناري في رسم خطة تنمية كبيرة للنهوض بالدينارية اشترك فيها أساتذة في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وأساتذة في الهندسة المدنية والهندسة الوراثية، وعلماء دين من كل الأديان، وأساتذة في مقارنة الأديان، ورجال شرطة، وأساتذة قانون. اعتمدت الخطة على عمل تفريغ ذاتي وتهجير في النجوع واحلال وتبديل بين السكان. وقام المؤتمرون بعمل الخطة التي تقتضي بأن يتم تبديل منازل بعض العائلات وتهجير اليهود إلى نجع الطوامية، والأقباط إلى نجع النصاري، ووقف تصاريح الخطابة للأئمة الجدد الذين تأثرت أفكارهم بأفكار الجهاديين والجماعات المنسلخة عن الساحة الدينارية، وهدم كل الحسينيات الشيعية التي تشع منها روائح الكراهية واثارة الفتن المجوسية، والقبض على كل الجماعات اليهودية والقبطية والشيعية التي لجأت إلى الجبل الغربي تحتمي به وتقوم من خلاله بغارات على قرية الدينارية وتهديد أمنها، وإصدار أمر لعمل الخطبة داخل المسجد وتعجيمها في إطار قيم السلام والمحبة.

فشلت الخطة برمتها ورفضها الجميع فلم يوافق أحد على استبدال بيته مع يهودي أو قبطي، ولم يشأ اليهودي أن يتخلي عن بيته لمسلم أو قبطي، وربما كانت التوزيعات السكانية الحالية تعمل وفق خطط أخرى لحاخامات قداماء وينفذها رجال غير مرثيين يحتاجون لمجهز

خطا للأمام انخلع المساقان فوق بجدعه على الأرض، وكان الليل قد
محا عنه الرؤية ونادى بصوت خافت على الكاهنين فلم يسمعا وزحف
على صدره حتى وصل إلى الساحة بعد محاولات مضية.

أحلام العقلاء الليلية هي وقائع المجانين النهارية.

"هذا ملاذ الصالحين." نقشُ عثروا عليه فوق صخرة قيل إنها سقطت
من الساحة الدينارية الأولى بعد موت الولي الأول. رُجلها الأول عام
١٩٧٠، لكن كيف تسقط الصخرة في هذا الوقت ويصبح النقش ظاهراً
للعابرين؟ سؤال لم يجب عنه الديناري يومَ حضرة الخميس الأول من
شهر رمضان بعد أن تولّى أمر الساحة بعد وفاة أبيه الولي الثاني. كان
البكيمي حينئذ طفلاً في الخامسة من عمره يهرتل بذبذبات لم ترق
للكلام المهترئ أثناء الذكر، ويمشى بين الصفوف وما يزال الذاكرون
يهزون رؤوسهم يميناً ويساراً خلال الحضرة فيرفع يديه ويطيح
برؤوسهم راقصاً فتخلع أغطيئها ويظنون أن الكشف الرباني اعتراهم
وتعمق الذاكرون في ذكرهم حتى أطاح الذكر بعقولهم.

حينما اكتشف الديناري أن عصرِي جده وأبيه خلفاً عدداً كبيراً من
الذاكرين فاقدِي العقول وأن مؤخرَةَ الساحة لا تتسع لهم أفرغ نجعاً من
نجوع الدينارية أطلق عليه نجع المباديل بجوار نجع الخرس، يقوم على
خدمتهم نقباءً وخدمٌ من الساحة، لا يخرج هؤلاء الذاكرون المجانين
إلا في الموالد، فلا يستطيع الديناري أن يعرهم من عيدهم.

هربَ الكثيرون أو هربهم افتقارهم إلى الثبات والمنطق، واتخذوا
من مقامات الأولياء الصالحين في المحافظات مقاماً مثل مقام "أبو
الحجاج الأقسري" ومقام "عبد الرحيم القناوي" ومقام "أبو الحسن

الشاذلي" ومقام "الشيخ موسى"، ومن الموالد متسعاً وحضرة للذكر
منصلاً ووصلاً يتصلون بمن كان في حضرة الديناري أهلاً للوصل،
وكشف ربّاني يعترهم نور مبهر لا يحتمله الأعمى لكنهم لا يستطيعون
أن يميّطوا عنه اللثام. مَنْ يكشف عن كشف ربّاني يفقد عقله، فما
بالك بمجنون يأتيه الكشف"



أوكل الكاهن شاول أشعياً مهمة تكوين كيانات يهودية إلى لويس
ليمارجي لتعمل تحت إشرافه. بعيداً عن كبير الكهنة ريباش الذي كان
يرفض أن تكون الدينارية غابة يأكل فيها القوي الضعيف أو ديناً يهاجم
ديناً. وعلى الرغم من أن النظرية وضعها الحاخام الأكبر في إسرائيل
إلا أن تنفيذها تم وفق خطة وضعها لويس ليمارجي، وجد أنه من غير
الطبيعي أن تكون تلك الجماعات من عناصر يهودية خالصة، ولم
يكن وجوده في الدينارية طوال ثلاثين عاماً لم يفهم فيها الجغرافيا
البشرية للمنطقة عبثاً بل كان الدارس الواعي للمنطقة العربية من قبل
أن يشتري عزيز مصر "يوسف بن يعقوب"، وحينما اجتمع به شاول
نحت مجسم النبي يعقوب وهو يمسك قميص يوسف في الركن الأيمن
للفناء الكبير بمعبد الياهو. اتفقا على أن تكوين الجماعات لا بد أن
يكون من نسيج المجتمع المستهدف.

- لا بد أن يقتل المتطرف الديني متطرفاً اجتماعياً من دينه.

- وإذا رَفَضَ؟

..... -

نكفل المنهج بالرد على لويس ليمارجي الذي عرضه عليه الكاهن

خلال أسبوعين جمَعَ لويس ليمارجي مائة شاب من تلك العائلات المسلمة في الدينارية والتي لا تؤدي طقوسها وربما تخطيء في نطق الشهادتين وفي نفس الوقت لا تنتظر ليلة القدر ليتغير حالها، فلجأ البعض منهم إلى الزواج من أجنبيات تعدّين الثمانين من أعمارهن فحرتوا أرحامهن المسرطنة وعاشوا في قصور لم تظهر في أحلامهم من قبل أو حتى أحلام المباديل، وآخرون مثليون تزوجوا من رجال أجنب رفعا مستواهم المعيشي إلى أعلى الدرجات وغسلوا أموال اللواط بتجارة المواد الغذائية وأفران الخبز الحُر وشراء أراضي الإصلاح الزراعي، وآخرون سلخوا بيع المخدرات والعقاقير المخدرة والمنشطات الجنسية مثل كمال الواطي الذي كان يتاجر في كل شيء حتى زوجته، وآخرون يعيشون بين هؤلاء وأولئك، وهم الذين استهدفهم ليمارجي لضرب وخطف وتدمير وحرق ممتلكات المسلمين، وكانت المهمة بالنسبة لهم "سبوية" يؤدونها في مقابل مادي مُغر، مثل القبائل low ranking people التي جاءت مع الفتح الإسلامي إلى مصر وكانت تقوم بأعمال التجسس ضد جيوشها، وإذا انتصر الفاتحون كانوا أول الراقصين المهللين. وبعضهم أبناء الزناة الذين تزوج أبائهم أمهاتهم بعد أن انتفخت بطونهن فأنجبن هؤلاء بعد خمسة أشهر ورغم أن الألسنة لعقت مخارج تلك النساء إلا أنهم صاروا بعد ذلك من الأتقياء، وبعضهم أبناء النساء اللاتي حلّمن بممارسة الجنس مع رجل أجنبي حتى ولو كان يتناول المنشطات الجنسية لكنه رجل يهتك جدران أرحامهن فيشعرن باللذة فتتهتز أفخاذهن هزاً وترجرج أنداؤهن، فتلك هي متعة الجنس، وحينما تموت إحداهن تذهب النساء لزيارة قبرها، فتلك هي أميمة النقاش التي ماتت على فراش اللذة

والمتعة، وتتمنى نصره عبد الله ونورا منصور أن تكون نهايتهما مثلها، وتحلم بتلك الليلة التي قضتها أميمة في مرتع الجنس حتى ولو كانت نهايتها الموت بين فخذَي أجنبي لم يمارس طقوسه الدينية منذ أن كان في العشرين وأن كان يهودياً، وفي طليعة أبناء الزناة عبد الله منصور، ورضوان مصطفى، ومنصور فوزي، وشادي حسانين، وحساني عصمت، وسعيد القواد، ومصطفى قرني، وسيد كوكي.

- نعم، الحب يبشر بما لم يبشر له المبشرون الأوائل.

قال الحاخام جوليان صهوكيت ذات مرة في معبد الياهو بالاسكندرية وهو يجتمع بكهنة المعابد التابعة له يعيط اللثام لأول مرة عن فكر ملسفي جديد يتبناه الأقطاب من اليهود، فهم لا يعترفون بالركود الكهنوتي، دائماً يفكرون ويجددون، ويعرفون معطيات المجتمع الذي يعيشون فيه، فما كان محرماً في المجتمع في عصر سابق، يصبح حلالاً في عصر تال. وما كان عيباً بصير عين العقل، وكما أن الجنس يبشر في الدينارية فالحب يبشر في الإنسانية كلها لأنها لغة عالمية رنمها البوذيون والبهاثيون، ومن لا يعترف بالحب فالشيوعية أولي به وهدفن في مقابر جماعية بعد مذابح همجية تقوم بها جماعات الخمير الأحمر المتطرفة التي تبحث عن الله في دماء الضحايا.

أمافا ليمارجي ربة الحب، هكذا سماها جوليان صهوكيت حينما بافرت أمها ليليان حايم مع أبيها لويس ليمارجي قبل مولدها بشهر واحد، بعد استدعائهما لحضور مراسم إحياء ذكرى النبي عزير الإسكندرية في الفترة التي حدث فيها أنقطاع كهنوتي بين الحاخام موليان صهوكيت وكبير الكهنة ريباش بسبب "فلسفة المكان" التي اختلفا عليها في المرة الأخيرة.

قال ريباش وهو يجادل حاخامه العنيد :

- ما يمكن تطبيقه في الإسكندرية لا يمكن تطبيقه في
الدينارية.

رَدَّ عليه وكأنه يعلمه أسس دينه المَبني على الخروج :

- اليهودية تُلين كل المجتمعات.

قال ريباش متلفحاً برداء السياسة الجغرافية :

- الدينارية لها طابع خاص.

قال الحبر اليهودي بلسان أفلاطون وجمهوريةته :

- اليهودية فكر إنساني شامل.

بُعِثَ بداخل ريباش رفات الشهداء الأوائل :

- إذا فعلنا ذلك فسوف نضربها في مَقْتَل.

الحاخام يراجع كبير الكهنة لعله يتذكر :

- إذا، ما فائدة وجودك رئيساً للكهنة لمعبد النبي الياهو؟

قال الفيلسوف الذي تبنى الفلسفة اليهودية بعد بلوغه أُرذل العُمُر :

- الفلسفة تموت إذا أنكرها المستهَدَفون من انتشارها في موطنهم.

كانت تلك هي أسس فلسفة المكان التي تَجَادَل فيها الحاخام وكبير
كهنته كثيراً، والتي حدثَ بعدها انقطاع كهنوتي استمر ثلاثة شهور.
أصبح فيها لويس ليمارجي كاهن الحاخام الافتراضي الذي يقوم بنشر
أفكار الحاخام في المجتمع اليهودي بالدينارية على الرغم من وجود

الكاهن شاؤول أشعيا الذي تفرغ لبناء سدود جديدة في العلاقات، وكما كان لويس ليمارجي كاهناً افتراضياً في الدينارية كان خبراً افتراضياً حينما خطط من قبل لخروج مومياة رمسيس الثاني من مصر للقاء العاхам الأكبر وموشي ديان في المعبد الافتراضي الذي أعد لاستقباله.

على الرغم من أن كل مواطني الدينارية مصريون إلا أنهم يعيشون في مكان استثنائي يقترب من أن يكون افتراضياً، فكل فئة تتعنى أن تكون هي صاحبة المكان، وأن تموت الأخرى جملة واحدة، وظلت لإرخ لوجودها في الدينارية وتطيل الزمن للوراء حتى تكتسب شرعية مكانية، وتُسفه من وجود الفئتين الآخرين وتسبغ وجودهما بصيغة الحديثة المستحدثة التي تتهجد التاريخ، فالأقباط يعتبرون أنفسهم هم أصحاب المكان ويشهد هيرودوت بنفسه على ذلك، ويعتبرون المسلمين غزاة جاءوا فاغتصبوا أرضهم وصاروا هم الأغلبية والآخرين الأقلية، وعلى الرغم من وجود أقلية ترفع من قدر وجودهم مثل اليهود إلا أن أمر الخلاص من طائفتين أصبح أصعب من التخلص من طائفة واحدة، وصار أمر التطبيع أمراً لا يجب إغفاله، ومهما ظهر على وجه الأقباط التسامح بوجه يسوع أو قبول الآخر إلا أنهم يكونون هم صدورهم ما حدث لهم وينتظرون مجيء المسيح ليخلصهم من الغزاة حتى ولو بعد الألفية العاشرة، والمسلمون يعتبرون أنفسهم، بفتح عمرو بن العاص، أصحاب المكان لأنهم خلصوا الأقباط من ظلم البيزنطيين، فهم المخلصون وبالتالي يعتبرون أصحاب المكان، وأما اليهود فهم بلا جدال أصحاب المكان تاريخياً، وربما كانوا أقدم من نوح نفسه، فعاشوا في الدينارية قبل ظهور المسيح في فلسطين، وبالتالي

فوجودهم فيها ضارباً في القدم، وظهرت في الفترة الأخيرة مقولات تُعَمَّب للكهنة القدماء مثل "السابقون هم الأفاضل" و"اللاحقون هم الأفاضل" و"رفات اليهود أقدم من رفات هايبيل" و"أقباط الدينارية أثرياء الكون" و"أقباط الدينارية يرفضون الغزاة"، و"المهد القديم يسبق الجديد"، مقولات قالها كهنة في صوامعهم واعتقدتها طوائف تكتوي بناها حتى يوم القيامة.

الفصل الثامن

قطارٌ ضخْمٌ يأتي مسرعًا مستبدًا بطلعته، يمزق مدى البصر المنكبوتي وصحائف الصمت الفولاذية، ويفجّر الشظايا الصوتية التي تأتي من كل اتجاه في نفس وقت قدومه. فيدخل في جبهته من للال الشقوق الأفقية التي تُثبت في أحضانها شعيرات دقيقة تعنون وجهه. يدهس القطارُ البشريين الحمراء المتشابكة والتي تصل ما بين مركز البصر وعينه والخلايا المخية فيصاب بالعمى، وقبل أن يصل إلى الجسر العصبي الذي يضم حزمة عريضة من الألياف العصبية البيضاء يُسمى الجسم الثفني، ليعبرَ محطًا النصّ القذالي الذي يضم مراكز الشم والسمع والتي تتصل بالمراكز المخية، فتخبو كل ماسة تدريجيًا وراء الأخرى تبعًا.

هذا هو البليمي شاخصٌ ببيصره في البيت، والشيخ الربالي وأمه ينتظران عودته من رحلة الغياب الذهنية التي يقوم بها كل أسبوعين مهمتك متصوفًا مع ذاته ويقيم حضرة مولوية تحضرها كل الكائنات ما عدا البشر.

كان أول فص يدهسه القطارُ النصّ الجبهي المسئول عن الحركات الإرادية وبعض مراكز الذاكرة والنطق. فلم يكن غريبًا أو مستهجنًا أن تكون حركات أطرافه في هذا الصباح غير منضبطة، أو تعاني من اهتراء بنسبة ثلاثين في المائة، هذه النسبة يمكن السيطرة عليها ونقل تدريجيًا. أن يشير إلى الزاوية اليسرى للنافذة بسبابة يده اليمنى، وترفع كلما حاول تصويبها إلى الأسفل، لم تفلح يده اليسرى في ضبط

الرافعة الآلية التي ترتكز على عظام كوعه. كان السبب في فشل يده اليسرى في ضبط اليمنى أنها بدأت تشعر بليونته وبرودة تسريان فيها. وكانت هذه الليونة سريعة جداً وربما كانت أسرع من القطار نفسه. على الرغم من استسلام أطرافه للاستلقاء بجانبه فقد كان يشعر بها تماماً، ويدرك أن أطرافه تحتفظ بطاقة كامنة، لكنها ليست كافية لتحركها قليلاً. كان مطمئناً بأنها متصلة به.

ولم يفقدها.

ربما كانت مسألة النطق تتصف بالغموض بعض الشيء: لأنه كان قليل الكلام بشكل عام، فالعَوْر الذي يُصيب مخارج الحروف وسوء ترتيب الكلمات أو منطقية العبارات والجُمْل لم يكن ذا شأن كبير. على الرغم من ذلك تحدث في هذه اللحظة كأنما لم يسكت أبداً، راحت شفته تشكّلان كلمات قديمة ممزوجة برائحة فمه الترابية، وتقذف بعبارات سليمة وأخرى مشوهة تماماً، بالإضافة إلى الحروف المبتورة والتي لم تتشكل معاً لتكون كلمات مهدمة أو عبارات مشطورة، أو لأنها خرجت رغماً عن ذاكرته. لكن من يسمع هذه الحروف في هذه اللحظة يدرك أن الذاكرة مفقودة، وإلا ما كانت تخرج حروف بعينها وتكرر نفسها، وكأن بقية الحروف قد احترقت في الذاكرة أو بذلت الحنجرة جهداً كبيراً في إخراجها ففشلت، وخرجت بدلاً منها بعض الحروف المتحركة السهلة. هذه الحروف الساكنة السهلة لم تكن هي الوحيدة في التكرار فحرف مثل "خ خ خ" و"ف ف ف" يتكرران في الثانية الواحدة عشرات المرات.

"كتن جرخا هبر. "ميا ينغطي طبيان. " داربن ميا ءشعا."

قال الصموثيلي العارف بالرب وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة قبل أن ينقلوا رفاته إلى وادي النطرون في عربة نقل الموتى :

- الحال يشبه الحال.

مرجع هذا الصراع رفض الكاهن القبطي لأي محاولات لضرب المسيح الاجتماعي في الدينارية من منطلق أن أهل الدينارية شعب واحد، ورد على ايميلات كثيرة أرسلها له جوليان صهوكيت ملقومة بضرورة التكاثر لضرب المسلمين، بأن الأقباط والمسلمين أخوة، وأن المسيح أوصاهم بحسن معاملتهم حينما يبعث نبيهم، ولما وجد أن الحاخام اليهودي مصر على غيه رفض الرد عليه وتركه في التيه خلف موسى.



لو عثرت أميمة النقاش على كاهن لذهبت له واعترفت بجسدها الذي يستشيط شبقاً، تشعر كما يشعر المدمن بتتميل يسري في ذراعه وكتفيه ويمتد ليصل إلى رقبته ففنتقه فجسده كله، ثم تتفاقم الحالة فتشعر بديدان تسري داخل وركبتها فتحكم ضمهما معاً، وتمد يديها لنهديها فتعصرهما، يحدث كل ذلك وهي ترفع ركبتيها إلى مستوى رأسها، ثم تتمدد فتبدأ في التقلب يميناً ويساراً وعلى بطنها، ثم ترفع إحدى ساقيها إلى بطنها وهي مستلقية على بطنها.

- سمعت بموت المرأة المسلمة، ولو عرفت حالتها لذهبت

إليها ووعظتها بالتمسك بقيم دينها.

قال الكاهن يواقيم الصموثيلي للراهب ليشع منقريوس الذي امتعض فتقلبت حدقتاه في لوحة المشاء الأخير ضيقاً من كلام الكاهن، فقال حتى يريح نزعاته ونزعات الحواريين :

- مشكلتهم أنهم لا يعترفون بالكهنوت، لذلك تكثر فيهم الضلالات.

- أعوذ بالله من شيطانك.

- فضائحهم تظهر على الملأ نظرًا لعدم وجود كاهن أو راهبٍ معظمهم.

- الأئمة يخطبون في المساجد كل يوم الجمعة وهناك دروسٌ هي القنوات الفضائية.

- الإنسان يحتاج لكاهنٍ أو راهبٍ قريبٍ منه ينصحه ويوجهه.

أصبحت مسألة الزواج من عجائزٍ أجنبياتٍ مهنةً يمتنها الفقراء الذين لا يجدون عملاً، فيكون الفتى هو بوابة الرزق التي دعت له أمه بأن تفتح أمامه، فتغير حالهم تمامًا، وشيدت المجائر قصورًا فخمةً على الشاطئ الغربي من نهر النيل في نجع الخواجات ونجع الطويرات لأزواجهن المعدمين، فأصبحت تلك المنطقة ذات طابع خاص، ألحق بها مبانٍ أخرى خاصةً بالشواذ، وأصبح من الطبيعي أيضًا أن ترى الفتى يتأبط ذراع رجلٍ أجنبي بعد أن تقلبًا على فراشٍ واحد وذائق منه اللذة المثلية، وعلى الرغم من أنك في كثير من الأحوال لا تعرف أيهما الموجب والسالب ويخيل للكثيرين أن المصري دائمًا يكون الموجب، إلا أن هناك حالات كثيرة يكون فيها سالبًا مثل حالة عصمت حفني، لكنها ارسيت تلك هي المسألة، في بداية الأمر كانت مخزية، وكان أهل الفتى يناطعونه حينما يبدأ علاقة مع حبيبٍ أجنبي، لكن في الآونة الأخيرة أصبح الموضوع عاديًا، بل يحظى الفتى باحترام الجميع وربما يتسبب في تعطيل زواج أحد الأشخاص حينما يتقدم لزواج إحدى قريباته لأنه

لا يراه مناسباً.

وعلى الرغم من انتشار الإيدز في نجع الخواجات ونجع الطويرات إلا أن الأمر لا يتوقف، لأن الإيدز إذا كان مصدر رعب للكثيرين حينما اكتُشف لأنه يؤدي إلى الموت، وصاحبه يجد صوراً من صور النفور يبدئها نحوه الآخرون وكان أهله يشعرون بالخزي والعار وربما يُتبد، وحينما تأتية المنية لا يقومون بدفنه ولكن يُدفن في مقابر الغرباء، إلا أن شهرة الإيدز قلت، وفقد مكونات الفزع والرعب التي كان يجلس على عرش الأمراض بسببها، وتخلّى عن عرشه وتصارعت عليه أمراض أخرى أكثر فتكاً منه مثل السرطان بجميع فروعها، وفيروس سبي والفضل الكلوي والتهاب الشعب الهوائية المزمن، ربما كانت تلك الأمراض سبباً في إقبال الفتیان في نجع الخواجات والطويرات على الزواج من الأجنبية واللواط المثلي، فحتى لو أفضى إلى الإيدز فلا عجب فهناك أسباب أخرى للموت أكثر فتكاً غير تلك الأمراض مثل الموت برصاصة لا يُعرف مصدرها من عدو أو من صديق، أو الموت في مقابر جماعية تنفذه بعض الجماعات الدينية!

الفصل التاسع

طلت مسألة الوجود هي أحد المحركات والمؤثرات التي توظف الفن المدفونة في مقابر الدينارية، وصارت كثعابين دخلت جحورها دون أن تصدر فحيحاً أو تنفث سماً، وحينما يعث خادم الرفاعي في الجحور، ومد أن يقيم حضرة فردية تفح وتبخ سماً وتخرج للأرض متسعاً لرحفها المقدس، ومن يوقف زحفها إن استطالت وهصرت الأعناق بعنفوانها؟ يقول أولياء الدينارية مقولة ثابتة نقلها الديناري عن أبيه ونقلها أبوه من جده :

"الديناريون مصريون ولو كره الكارهون"

وسؤال استنكاري يرفع من قدر الأولياء :

"الدين يلم الشمل أم يفرق؟"

لكن ظلت تلك المقولات كالمسكن الذي ما إن يتلاشى مفعوله حتى تعود الآلام المبرحة تنهش في الجسد وتتهكك، وسمع الديناري ابنه منتصم يقول بعد عودته :

- يحتاج أهل الدينارية للاستنساخ، بعدها تتلاشى مشكلات الدين. على الرغم من أنه فهم معنى الاستنساخ تماماً لكنه لم يعرف الطريقة التي تتم بها تلك العملية الكونية التي يقوم بها البشر من أجل بشر آخرين.

- وهل فشل الدين والسياسة في حل مشكلات البشرية؟

سأل الديناري وهو يحدّق في ابنه الذي لا يعرفه ولم يكن ينتظر منه إجابة، لكنه باعته بإجابة ليست متوقعة :

- قد تمتزج السياسة بالدين، وقد يمتزج الدين بالسياسة
فتفضل الحلول.

قال الديناري وكأنه مريدٌ يسأل شيخه في الحضرة التي تأجلت عدد
مراتٍ لمرض الشيخ وهو يخرج جناح الاستصغار من عباءة الهيبة :

- تقصد أن الدين والسياسة فشلا في حل مشكلات البشرية؟
قال معتصم الديناري خلال فيمتو ثانية كعالمٍ ينتظر العالمُ بحته
الجديد :

- الدين والسياسة حلانٍ تقليديانٍ قد يصيبان وقد يفشلان.
الاستنساخ هو النبي الجديد الذي تعول عليه البشرية.

قال الديناري وهو يستعيد مكانته في صدر الساحة ويتقدم الحضرة :
- الاستنساخ رفضته كل الأديان.

أجابته معتصم وهو يهز رأسه يمينا ويسارا طربا ووجدا.

- لو نجح الاستنساخ سوف يسحب من تحت الأديان والسياسة البساط.
أردف معتصم الديناري بعد أن غرق أبوه في دوامة الخلوة :

- وترفضه بعض الدول لأنه سوف يسحب البساط من تحتها أيضا.

"الأفكارُ الكبرى يفسدها الأغبياء" قالها أحدُ علماء الاستنساخ
العائد من أمريكا إلى وطنه في إفريقيا لما رفضوا تطبيقات نظريته
لإيقاظ الإنسان الكامن في الأفارقة عن طريق الاستنساخات الذهنية.

مال الديناري وابنه يميلان يميناً ويساراً في حضرة دينارية محدودة .
حضرها بشر افتراضيون يؤيدون ما يقوله معتصم ويرفعون أصواتهم
بارباً ووجدوا حينما يتكلم وكأنه جاء في هذا الوقت ليزيح أباه الديناري
عن عرشه الذي ترُبِع عليه لسنوات، عرش تدين له كل الأديان وترفع له
هبة الطاعة والولاء، عرش يقود كل الكهّان في مجتمع محدود، مجتمع
سارِب في عمق التاريخ. عرش تتكون من أجله ائتلافات، وتتشرذم
بسببه المذاهب، عرش يوحد الأديان.

أد معتصم الديناري من أمريكا بعد أن برع في علم الاستنساخ،
مرخ لعودته الديناري وتباهى به، وحضر معه كل حلقات الذكر. قيل
أنه زار المعبد اليهودي كما زار دير القديس بطرس، وذاعت إشاعات
من الدينارية أن معتصم الديناري جاء ليستنسخ اليهود والنصارى
لديسروا مسلمين، ورفض الكاهن ليشع منقريوس مقابله وكذلك
الكاهن ريباش.

- نزل يسوع من السماء وقال لي لا معتصم اليوم في دير بطرس.
على الرغم من أن كلام الكاهن ليشع منقريوس مُصدق فإن الرهبان
من الدير تمنوا لو أن معتصم يُصر على زيارته ويشرح لهم فلسفة
الاستنساخ حتى ولو كان استنساخهم يقودهم إلى الإسلام وبعدها
منارون المسيحية بعقلهم. لذلك انتشرت إشاعات بين الرهبان
وسلت إلى عدد غير محدود من الأقباط في الدينارية تقول :

"نزل يسوع ليُبشر بالاستنساخ، فهو المسيح الجديد"

إن إشاعة أخرى انتشرت بين عدد محدود تقول :

"الاستنساخ هو يأجوج ومأجوج، ومن يتبعهم يصبح من الخاسرين."

أصابت تلك الإشاعات مجتمعَ الدينارية في مقتل، وأثرتُ بشكل كبير في دخول ثمايين الفتنة إلى جحورها، ولو قصد الكهان أو السياسيون وأد تلك الفتنة بالإشاعات لَمَا نَجَعُوا.

"الاستنساخ يتبعه الانشطارُ الذري وهو الاسمُ العلمي لياجوج وماجوج."

إشاعةٌ أخرى دارت في فلك نخبةٍ محدودة لكنها لم ترقَ للانتشار الواسع.

بينما انتشرت بين المعلمين إشاعاتٌ أخرى أكثرُ فتكًا، فذاعت إشاعةٌ مصدرها نساء :

"سيتحول كل الرجال إلى نساء حتى تستريح البشرية من الحروب وويلاتها ، لأن الرجال هُم مُشعلوها"

الغريبُ أن إشاعةً أخرى قد تبناها عددٌ كبير من الناس وأسقطتهم في بركة الحيرة :

"سيستنسخ الديناري نفسه مرتين ويصبح لكل دين ديناري، ويضع ثلاثيو الديناري عهدًا واحدًا تسير عليه كل الأديان، وتظل الأديانُ تمارس شعائرها داخل الساحات والأديرة والمعابد، ويتعامل الديناري الجديد بمنطق أصحاب الدين الواحد، ويجلس على عرش الدينارية ثلاثيو الديناري الذين لا تستطيع أن تُفرقَ بينهم، وإذا حدث- وهذا مستبعدٌ تمامًا- أيُّ خلاف فاللجوءُ إلى ثلاثيي الدينارية من أسهل الأمور وهناك يُحل الخلافُ بشكلٍ ديمقراطي سريع يُرضي جميع الأطراف."

منها نَمَى إلى عِلْم لويس ليمارجي موضوعُ استتساخ الديناري لنفسه
قال لبعض اليهود الحاضرين في بيته لمناقشة الأمر :

- وهل الديمقراطية تحتاج لمن يستسخ نفسه حتى تنجح؟

أجاب معتصم الذي لم يسمعه وهو يطرح السؤال مؤكداً :

- الديمقراطية تفشل دائماً بسبب اختلاف اللغة واللون
والدين والعرق والقومية.

أما الوحيد الذي سمع السؤال والجواب، وكنت أتمنى أن يعرف السائلُ
اجابةً المجيب وأن يعرف المجيبُ سؤالَ السائل، لكن عدم المعرفة
أدى أحياناً لسوء المنقلب، لكن يظل السائل لا يعرف الإجابة التي
أجاب عنها مَنْ لم يسمع السؤال.

وبان الديناري يعرف فلسفة الاختلاف المبنية على الدين، فهي
أخطر من اختلاف القوميات والأعراق والمذاهب على المجتمعات،
وكمنُ خطورتها في أنها سريعة الانتشار، وإذا كان أصحاب القوميات
والأعراق قد يركنون إلى السلام حينما يحدث توترٌ لكنهم ينزعون إلى
منح القبور إذا تعلق الأمرُ بدينهم.

- كيف نحل المشكلات القائمة على اختلاف الأديان بالدين؟

..قال سألته أحد الصحفيين للديناري في الاحتفال الذي أقامته الساحةُ
الدينارية بمناسبة موقعة بدر، حضره كبيرُ كهنة اليهود ريباش والكاهن
رواهيم الصموائيلي وعددٌ كبير من المريدين وبعض من رجال الدين
المسيحي واليهودي، ساعتها بُهتَ الديناري ولم يُجب وحدثَ لفظٌ كبير
ودمدماتٌ ومط شفاه واهتزازٌ حواجب، وقال البعض إن الصحفي

مدسوسٌ وجاء لهشعلُ فتنةٍ جديدة، وتناولَ بعضُ المذيعين الموضوع في القنوات الفضائية، وكتبت الصحفُ والمواقع الإلكترونية عن أزمة الدين التي تعيشها الدينارية ومشكلاته.

زاد عددُ الدعاة في القنوات التلفزيونية وكفرَ بعضهم أئمةَ السلف وقتدُ آراءهم، وحاولَ أن يأتي بتفسير جديد يختلف عن تفسيراتهم، ويحاول أن يبدو كمنقذ أو معالج جديد لمشكلات الدين التي تفاقت، وتناول موضوع المشكلات القائمة على اختلاف الأديان بالدين، وحاولَ أن يبسط الأمرَ ولَفَّ ودارَ حوله ولم يُجب عن السؤال الذي فشل في إجابته الديناري بنفسه، لكن الديناري قال للشيخ عبد الخالق الربالي ذات مرة بعد تلك الأزمة :

- كثرةُ المفسرين والدعاة تزيد من الفتن.

وحينما سأله بعد ظهور طوائفٍ شيعية في الدينارية تحاول التقرب من الصوفيين في حُب آل البيت قال للشيخ الربالي :

- مجرمونٌ ومُرتشونٌ وزناةٌ تائبون رفضوا السنةَ واعتنقوا الشيعيةَ لضرب الأديان وتفتيتها أرسلتهم آياتُ الله الإيرانية، الدينارية تقف على شفا جرف هار من النار بسبب الأديان الثلاثة، فما بالك لو أصبحت عشرين فتنةً فالنار تفتح أبوابها لأصحابها قبل يوم القيامة بعدة قرون.



ظل أمرُ الاستنساخ في طي الكتمان بعد وصول معتصم الديناري، وكان السببُ الرئيسي في ذلك هو اختفاء معتصم تمامًا، وظن البعض أنه عادَ إلى أمريكا لأنه لم يجد فرصة عملٍ في الدينارية أو في مصر.

وقال آخرون إنه يلاحق أخاه عاصم لأنه افتتن بأهافا.

"الساحة الدينارية تفتتن باليهودية"

"الديناري خان عهد الدينارية وعشق أهافا"

"الفتاة اليهودية تهز عرش الديناري"

"اليهود ينتظرون لحظة الجلوس على عرش الدينارية"

"الأقباط يؤيدون تولي اليهود أمر الدينارية"

"معتصم الديناري يبحث عن فتاة يهودية يهرب معها"

مع الديناري كل ذلك، واستعاد من الشيطان وأصبح يختلي بنفسه
نورا، وأصيب بحالة اكتئاب شديدة لم تستطع الحاضرة أن تخرجه
منها، فهو اقترب كثيرا من اليهود، فالأول نسبه إلى سبط لاوي، والآن
ينزوج ابنه عاصم من أهافا اليهودية، أبناء سام، سمعها كثيرا ولم
ان يتمكن أن تربطه علاقة باليهود سوى قضية حوار الأديان، ربما
ذات تلك الأسباب في إنجاح الندوات التحضيرية لحوار الأديان، ثم
ماح المؤتمر من بعد ذلك على حد قول الإعلاميين.

الندعى الحاخام جوليان صهوكيت أهافا وأباها بعد أن مر على لقائه
أبوها ثلاثة وعشرون عاماً، والذي كان قبل مولدها بشهر واحد، ويعلم
أما قصة الحب التي رسمت معالمها حكايات الدينارية وشهدت
مسؤولها معابد الأقصر والكرنك والدير البحري ستكون المبشر
الذي يد لليهودية، فالديناري على الرغم من نسبه - في ظنهم - الذي
هو إلى سبط لاوي إلا أنه مسلم ويجلس على عرش الدينارية بمجلسيه
الأرمني والصوفي فلن يتخلى عن دينه، وإذا حدث مثلما حدث مع جده

في خمسينيات القرن الماضي حينما زاره حاخامٌ يهودي يعيش في العراق وقال له وهو يضرب جدرانَ مَبْكَاهِ براحتَيْهِ :

- أنت يهودي ونَسَبُكَ يعود لسبط لاوي.

أَمْسَكَ الديناري (الجَد) بفأسٍ وراح يهدم مَبْكَى الحاخامِ وقال له منفعلًا :

- أنا مسلمٌ ونَسَبِي يعود إلى عبد الله المكي وكاميليا.

يهودي، مسلم، يهودي، مسلم...

صارَ كلُّ منهما يردد كلمته مُصِرًّا وباكياً ولم ينته أيُّ منهما إلى نتيجة مُرضية للطرفين، وظلت القضية معلقةً وانتقل ذلك المعتقد الأصولي لذي كلِّ منهما وتناقلت الأجيالُ صراعًا محمومًا يدور حول عناصره حتى اليوم.

أَحَبَّ عاصم الديناري أهافا ليمارجي وعلق العُشاقُ صورَهما على الجدران، وصارت كل فتاة تَمْنَى حبيبًا لها حتى ولو كان من دين آخر، وراح كل عاشق يلاحق حبيبته بكلمات عاصم التي حضرها في قلبه قبل أن يحضرها على جدران معبد الكرنك :

عاشقٌ يتبوأ عرشَ الحُب،

يختلجُ صدره بالآهات،

وينطقُ قلبه بوجدٍ ونفحات،

أن تمنحي عاشقًا قلبًا وحبًّا،

فالحياةُ قصيرةٌ أقدمها وجدًا،

لهيكل هناك متسع لا نهائي،

لكشف نوراني يكتب قصصًا.

بالقدر الذي أذابت قصة حُب أهافا وعاصم كتل الفتنة التي أفضت مضاجع أهل الدينارية، إلا أنها زادت من حدة التوتر لدى الآخرين. فقد كان الأقباط ينظرون إليها: "ائتلاف اليهود مع المسلمين يقضي على الأقباط" لذا كان البالغون يتمنون أن تفشل تلك القصة، بينما كان الشباب يشعرون بالسعادة ويتمنون أن تزيد قصص الحُب في الدينارية، بينما قال معتصم عنها وهو يركب سفينة الخيرة:

- الحُب في الدينارية سلاح ذو حدين.

لكنه بالقدر الذي كان معتصم مهتمًا بقضية الاستساح كان رافضًا القصة خشية أن تشمل نظريته التي جاء من أجلها من أمريكا، لذلك حاول البعد عن المؤثرات والقضايا المطروحة في القرية حتى يقوم بأبحاثه التمهيدية قدر الإمكان، فطلب من أبيه أن يعتكف في نجع الخرس، ووافق رئيس المجلس العرفي حتى يتفرغ لقضية عاصم وأهافا.

الفصل العاشر

تنتابُ الشياطين فتراتٍ من فقدان الاتزان واللاوعي، وحينما تدهمنا نصيح كجهازٍ يعمل ببطارية وحينما تقمّد طاقتها يتوقف الجهاز، إنها حالة استثنائية تفقد معها كل مقومات الصلابة والعنفوان. وتسوقنا دواماتٌ هوائية شديدة فتندفع أمامها كطيورٍ ذُبِحَتْ وقُطِعَتْ ونفث فيها ملاكٌ ذو بأسٍ فظلّت مدفوعة بقوة نفخٍ شديدة، وحينما انتهت المهمة وجدت تلك الطيور بعد إعادة نشذها عمياء.

وهناك وقفنا مكدسين في فضاءٍ هوائي لا نرى فيه أية كائنات، وإنما فضاءٌ يقود لفضاءٍ آخر، تلك الفضاءات المتتالية كأنها خطوطٌ بيضاء، دائريةٌ تدور حول نفسها تزيغ معها الأبصارُ، رُحنا نتخبط في بعضنا البعض على الرغم من الفضاء اللانهائي الذي سَبَحنا فيه، وشعرنا برجرجاتٍ داخلية تمزقت فيه الأغشية الداخلية المتصلة بالأغشية الخارجية وكدنا نفقتُ لكنّ أمرًا شيطانيًا جاء من حيث لا ندري وأعاد تشكيل أجسادنا، وعادَ إلينا الوعي شيئًا فشيئًا وتملكتنا زمام السيطرة على حركاتنا الشيطانية.



حينما يَخْتلي الراهبُ ليشع منقريوس وبالميلاد أمجد ظريف بنفسه في القلاي (مساكن الرهبان) تنتابُه هزةٌ على إثرها تنبث قطراتٌ عَرِقَ على جبينه وتحت أذنيه، ويحرك ساقيه بصورة لا إرادية، وبمجرد أن ينتبه يحرث تلك القطراتِ براحته ويمسك ركبته المقلقلة، إنها قطراتٌ

١٠٠ رِقِ المسبوقه بهزة ناتجة عن ذكرى يحاول محوها بالعمل في
 ١٠١ بر حتى الإنهاك ويشغل فكره بقضايا الأقباط وغيرهم، بل يسوقه
 ١٠٢ لتغراق بالعمل السياسي الكوني للوقوف على وضع المسيحيين في
 ١٠٣ أنحاء الأرض، ورغم كل هذا تخرج من ثايات الذاكرة الضبابية
 ١٠٤ أرى يوم التحاليل الطبية التي أجراها لموافقة الكنيسة على الزواج.
 ١٠٥ هو وخطيبته المحتملة في ردهة المعمل ينتظران، ولما جاء دوره
 ١٠٦ وحيداً وقبل أن يلج من الباب نظر إليها وكأنهم سوف يأخذونه
 ١٠٧ مكان بعيد يختبرون قدراته عملياً مع امرأة أنهكت مدخلها بقاء
 ١٠٨ امرأة ولو فشل في موافقتها فسوف تبصق عليه ويُعاد تقييمها عندئذ
 ١٠٩ المرأة تخدم البشرية بدلاً من الصاق تهمة الدعارة بها. هناك
 ١١٠ الطبيب جالساً ينظر إليه ويستقبله بعينين غير مباليين رغم أن
 ١١١ طارات أمجد ظريف كانت تستعته على بعث جو من الطمأنينة لكن
 ١١٢ لا مداد التي تأتيه لعمل التحاليل استنفذت كل المعاني التي يمكن
 ١١٣ تعب عنها العيون، فصار مثل عشاوي الشانق الأكبر لا يهتز له
 ١١٤ س أو ترتعد لديه الفرائص حينما يحرك ذراع الشنق الحديدي
 ١١٥ وراء فيسارع عزرائيل الرابض في الفضاء بقبض روحه فيتدلى من
 ١١٦ الحمل ميتاً، كذلك طبيب التحاليل، أمر أمجد ظريف أن يتعري تماماً،
 ١١٧ ات الخمس دقائق التي استغرقها في التعري أطول فترة في تاريخ
 ١١٨ بشر، فتازعته خاطرتان إحداهما أكثر حرجاً من الأخرى، أولاهما
 ١١٩ أن يتعري أمام رجل غريب ويرى مصادر رجولته وعفته، فذلك ما
 ١٢٠ لم يسمح به أبواه حينما وصل إلى الخامسة من عمره، هذه المصادر
 ١٢١ أمرها طوال سبعة وعشرين عاماً كامنة ومستكنة، والآن يميظ عنها
 ١٢٢ اللثام، وثانيهما: ذلك الاكتشاف الذي لا يقل أهمية عن اكتشاف قارة

أو كوكب، اكتشاف ذكوري يحدد مصيره يكتشفه له الآخرون. مثل
الاكتشاف العذري للعروس الذي يقوم به العريس ويعلن عنه إرضاء
لنفسه ولأبويها، وعلى الرغم من أنه كان يرى في نفسه دلائل وشواهد
تختلف تماماً عن دلائل وشواهد البالغين، إلا أنه كان ينتظر المعجز
التي بشر بها يسوع الصابرين.

أمسك به الطبيب فكان كالسمكة الميتة التي تقلب فيها فترة طويلاً
لترى كم من الوقت وهي على هذا الحال. العروق ساكنة لا تُضخ فيها
الدماء، وطلب منه أن يدغده ويُداعبه ويشغل الماكينة يدويًا، لكن
عطبًا قديمًا اعتور الماكينة البشرية فلم يعد يرتجى منها تصليحًا أو
علاجًا، وهطلت دموعه تجرفها أحلامه المجهضة ودوافعه المعبأة
بالنشاط لأن يعيش حياة مليئة بالحُب والعمل، استنزل الخبر أطباء
المنى التي كانت تقف على حاجبيه ودهسها تحت أرجل المسترجلين
العروس المحتملة تنتظر في الخارج وهو يلملم أوراق رجولته التي
أسقطها الطبيب الخريفي، ولم يجد أن يلبس ملابس، فالخروم
عاريًا والعودة إلى البيت كذلك لن يؤثرًا في البشر فهو ليس رجلًا، ولن
يخدش حياة امرأة مارة في الطريق لأن أداة الخدش معطلة، انسلخت
عنه العروس المحتملة واتخذت من الفراق سبيلًا لتبحث عن صاحب
أداة غير معطلة، وفي النهاية تقلب عليه دنار الإنسان الذي لا يجب أن
يراه آخر عاريًا.

سنتان فاصلتان حوَّلتاه من رجل أسقط رجولته أو أسقطت رغماً عنه
إلى راهب معبأ بعبوات من الكهنوت المقدس الذي يعوضه عن عبوات
الرجولة الجوفاء.



٤٠. عودتنا بخمس سنوات عَرَفْنَا أَنَّ الشَّيْطَانَ الْأَعْظَمَ يَفْعَلُ مَعَنَا ذَلِكَ
٤١. مَا يَقُومُ بِعَمَلٍ عَظِيمٍ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ لَا يُسَمِّحُ لِأَبْنَائِهِ بِالِاشْتِرَاكِ
٤٢. وَيَتَوَلَّى بِنَفْسِهِ الْوَسْوَسةَ وَضَلَالَةَ الْبَشَرِ، وَقِيلَ لَنَا حِينئِذٍ إِنَّ خَلَايَانَا
٤٣. الشَّيْطَانِيَّةَ تَتَجَدَّدُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهَا، وَإِنَّ هَذَا الْمَكَانَ يَقَعُ بَيْنَ كَوْكَبِ
٤٤. الْمَارِدِ وَكَوْكَبِ زُحَلٍ، وَبَعْدَ مَرُورِ خَمْسِينَ عَامًا عَلَى آخِرِ تَجَدُّدِ الْخَلَايَا
٤٥. بِمَعْنَى آخِرِ اسْتِنْسَاخِ شَيْطَانِي عُدْنَا، لَكِنَّا لَمْ نَعْرِفْ مَا فَعَلَهُ أَبُونَا
٤٦. الشَّيْطَانُ فِي غِيَابِنَا.

٤٧. حَدِيثُنَا حَدِيثَ الْإِشَارَاتِ وَالْأَفْعَالِ، فَحِينَمَا كَانَ أَحَدُ الشَّيْطَانِينَ
٤٨. إِذِي تَعْلِيمَاتٍ بِحَرَقِ مَسْجِدٍ أَوْ مَعْبَدٍ فَيَقُومُ بِنَفْثِ النَّارِ مِنْ فَمِهِ فَتَتَكَالَبُ
٤٩. دُرَّةُ الشَّيْطَانِينَ فَتُنْهَى عَلَيْهِ، أَوْ يُضْرَبُ سِرَادِقًا لِلْمَصَالِحَةِ بِعَجْرٍ كَبِيرٍ
٥٠. وَاللَّيْلَةَ بَقِيَّةُ الْأَحْجَارِ فَيُرْجَمُ الْحَاضِرُونَ فَتُكْرَسُ الْفِتْنَةُ وَيَطُولُ أَمْدُهَا
٥١. وَتَبْدَأُ التَّسْلُسُ الشَّارِي لِأَجْيَالٍ وَرَاءَ أَجْيَالٍ.

٥٢. ثَلَاثَةُ آلَافِ عَامٍ تَقْرِيبًا وَأَنَا مُتَكِيٌّ عَلَى صَخْرَةٍ سُودَاءَ فِي الْبَرِّ
الشَّرْقِيِّ. قَالَ كَبِيرُ كَهْنَةِ آمُونِ بَيْنُودَجِيمِ الثَّانِي وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّهِ
٥٣. فِي غُرْفَةِ الْفَذُورِ بِمَعْبَدِ آمُونِ بِالْكَرْنَكِ :

٥٤. سِبَاتِي قَوْمٌ بَيْضٌ يَخْتَلِفُ لَوْنُهُمْ عَنِ لَوْنِ أَهْلِ مِصْرَ يَعْتَبِقُونَ دِينًا
٥٥. بَدَأَ. غَيْرِ آمُونِ، دِينًا مِيتَافِيزِيْقِيًّا يَحْمَلُهُ رَضِيْعٌ وَلِدَتُهُ أُمُّ عِذْرَاءَ،
٥٦. وَدُونَ الْعَالَمِ وَيَعْتَلِي أَحَدُهُمْ عَرْشَ الدِّيْنَارِيَّةِ.

٥٧. بِمِثْلِ الْكَاهِنِ كَلَامِهِ وَلَمْ يَفْهَمِ الْحَاضِرُونَ مَفْرَازَهُ، وَكُنْتُ حِينئِذٍ مُتَكِنًا
٥٨. عَلَى عَمُودِ ضَخْمٍ، وَبَعْدَ مَرُورِ الْأَزْمَنَةِ سَوْفَ يَعْثُرُونَ عَلَى كَنْوَزِنَا وَيَبْنُونَ
٥٩. أَمْجَارَ مَعَابِدِنَا قِصُورًا فَخْمَةً فِي الْبَرِّ الشَّرْقِيِّ، وَتَحَقَّقَ مَا قَالَهُ الْكَاهِنُ
٦٠. الْأَعْظَمُ وَعَثَرَ الْأَقْبَابُ عَلَى تِلْكَ الْكَنْوَزِ وَبَنَوْا قِصُورًا فَارِهَةً بِأَحْجَارِ

المعابد، وأقاموا متاجرَ للمجوهرات في كل القرى المحيطة وامتحنوا كل المهن المعاونة.



بعد أن غادرَ الأسقفُ ميخائيل المحرقي ديرَ القديس بطرس بعد حديثٍ ملتهبٍ دارَ بينه وبين الكاهن يواقيم الصموثيلي قال لمساعدِه الراهبِ طانيوس المدامودي وهو يعيل إليه في السيارة متجهين إلى نجع حمادي :

- تتبأً كبيرُ كهنةِ آمون بينودجيم الثاني لنا بعرش الدينارية. من سعادته جف لسانُ المساعدِ فلم ينطق، فأردفَ الأسقفُ قائلاً :
- لكن الكاهن يواقيم يصرُ أن العرشَ ليس من نصيبنا كما قال مولانا القديس بطرس.

حاولَ الكاهنُ يواقيم الصموثيلي قبل مغادرةِ الأسقفِ عائداً أن يخفض من صوته في حضورِ الأسقفِ لكن الفبرةَ علتَ رغماً عنه سائلاً :
- سيدي الأسقفُ، أيهما نصدقُ مولانا القديس بطرس، أم الكاهنُ بينودجيم الثاني؟

بُهِتَ الأسقفُ فلم يجد ما يقوله فاستطردَّ الكاهنُ قائلاً :
- نبوءاتُ كهَّانِ الفراعين فُجرت الكثيرَ من حركات التمرد والثورات.

كان لدى الكاهن يقينٌ لا يتزعزع بأن الثورات على الرغم من أهدافها المشروعة إلا أنها تجرُّ الويلات للشعوب، ولا تقل فظاعةً عن الحروب، ويرى أن الثورات تشبه اقتحامَ سجنٍ من السجون به أبرياء لا يستحقون

ساعة وراء أسوارها، لكنها في نفس الوقت تحتشد بالصوص
ثة والزناة والمحتالين، وحينما يحدث الاقتحام يخرج كل هؤلاء
شمس الحرية، ويقوم كل منهم بما كان يقوم به من قبل، وحكى
قف أنه رأى في المنام عدداً كبيراً من البشر وجوههم مشوهة
ين دخاناً أرجوانياً من نفورهم ومن أنوفهم، يركضون من تجاوبف
الأرض، ويطيحون بكل من يقف أمامهم بأسلحة قديمة، وتتحول
هم إلى فكاك حيوانية تقضم رؤوس المارة، وكلما يتقاطر القتلى
منهم ثلثه يبكون لموتهم ويحملونهم إلى مقابر بعيدة ويدفنونهم
ين لهم أضرحة، لكن الباقين يستمرون في طريقهم.

الكاهن يواقيم الصموثيلي وهو يسبح في يقين كهنوتي لا يرى معه
مو خارج الدير :

- يُعتبر مفجرو الثورات رُسلَ ياجوج وماجوج.

عليه الأسقف بعد أن وقف لينظر إلى العصافير الصاخبة فوق
جرة قائلاً :

- لكن رياح التغيير تطيح بالأخضر واليابس.

يسوعُ بردٍ كهنوتي لكاهنه المسكين :

شعوبٌ وحدها ضحية الثورات، والسياسيون يلبسون أفتنة النجاة.

الرغم من وجود خلاف فكري ومنهجي بين الأسقف والكاهن
طرق معالجة الأزمات التي كانت تنشأ بين الأقباط وبين المسلمين
احية وبين الأقباط واليهود من ناحية أخرى إلا أنهما كانا يلتزمان
ورة النقاش والاحتكام إلى تعاليم يسوع وحوارييه والقديسين من

بعدهم، لكن كانت تتبقى أمورٌ صغيرة مثل كوب شرباً منه هُما الاثنان، ويظل فيه قدرٌ ضئيلٌ به عكار يبدو غير ذي أهمية قد يتسبب في مرض للآخرين، أو يكون شائبة يمكن أن تتحول لحيوان مفترس يقضي على كل من يقف أمامه.



كان الديناري مشدوهاً بجمال أهافا، وظل طوال ليالٍ طويلة يفكر في جمالها غير العادي، وهناً ابنه عاصم وكأنه كان فاقداً الوعي. ولم يستعد وعيه مستعيذاً إلا حينما طلب منه أن يتقدم لخطبتها، وكما كان الديناري مفتوناً بأهافا، ظل مفتوناً بالمفاجأة التي فجرها في وجهه ابنه عاصم، كرجلٍ رغب امرأة جميلة ولماً جلس منها مجلس الدخول دار في نفسه صراعاً شديداً، هل يمسك عليه شهوته في ذلك الوقت فتفوت عليه فرصة استمتاع لا تتكرر، فالدنيا لا تعطي فرصاً كثيرة في الآونة الأخيرة نظراً لزيادة عدد السكان، ويتعلق الكثيرون بفرص أضعافاً آخرون حسبوا أن الفرص تتوالى والذكي من يختار من بينها؟ أم يدخل فيها وإذا كان ولوجها ذنباً فالتوبة مفتوح بابها على مصراعيه؟

في أرض الفتن والقلاقل يتزوج عاصم الديناري أهافا ليمارجي؟ سؤال ملفوف في ورق سوليفان ذي ألوان باهتة يسأله كل واحد لنفسه من أهل الدينارية، وربما يجيب عليه كل واحد حسب فلسفته وفتاعاته، وربما لا يفكر في الإجابة من منطلق العاشقين أو من منطلق مصلحة القرية، وربما يرفض تلك العلاقة حاقدٌ ويحيلها إلى نذر جديدة تُحقق بالقرية، ولو كان مكانه لأصبحت العلاقة بينهما هي المسيح الجديد الذي يعم السلام بنزوله، وظل الكاهن ليشع منقربوس ورهبانة الراهضين الذين

بستطيعوا أن يفرضوا رأيهم، على الرغم من وشاياتهم التي انتشرت ،
الأقباط ونقلها بعضهم إلى المسلمين والمسيحيين، وكنتيجة لكل
، الظروف والإشاعات والآراء المتداخلة فشلت خطوبة عاصم
بناري وأهافا ليمارجي، وظلت مسألة العاشقين معلقة كامرأة لم
لقها زوجها لتتزوج من آخر، لكنها ظلت على ذمته وتلال من الحزن
ل محل جبال العشق، وكما قرب الحب قلوبهما بأعدت بينهما أودية
:بان.

الفصل الحادي عشر

حسين الربالي، البلم، كما يسميه الكبار خصوصاً الديناري، والبلمبي كما يسميه الصغار لكنهم يلاحقونه بالطوب حتى يتوجع ولا يتركونه إلا حينما تبرزغ الدماء من رأسه، ولم يكن ينقذه منهم إلا أمه التي تراقبه حتى يصل إلى المكان الذي يقصده، وعلى الرغم من ذلك فقد كان الكبار يحسبونه شيخاً يتبركون به، وحينما يحل ببيت فهو وليّ تفتح له أغذية الأواني ويأكل منها ما يشاء فهو رسول ليلة القدر يجلب الخير، لذلك فقد كان الشيخ الربالي لا يقلق عليه فقد جعلت له بيوت القرية سكناً وملاًداً.

للشيخ الربالي الذي كان ينتظر ولداً جاء البلمبي بعد أربع بنات، لكنه جاء من زوجة أخرى اسمها فاطمة الهيش، انتخبها كبار رجال عائلته من بين عدة نساء فهي لا تعجب إلا الذكور، ومات زوجها أبو المجد أبو صفا غريقاً بعد أن ترك خلفه عدد أصابع اليد الواحدة أولاداً، وجاء البلمبي ليدخل العدد إلى اليد الأخرى، ويوم مولده كان مشهوداً، فقد جاءت محضية المديحية (الولادة) لتستقبله بعدما توجعت أمه يومين متتاليين، تقف النساء بجوار فراش المتوجمة، ومحضية تلتصص خلال مخرج المرأة وهي توسع ما بين وركيها، الأم تصرخ دافئة والجنين محشور تحاول محضية تخليصه من براثن مخرجها، صرخة قوية استهضت بداخلها قوة جبارة ساعدتها على الدفع والإخراج فظهرت بؤرة سوداء زادت من توجع المرأة، وحينما تبدت البؤرة كاملة جفلت محضية ومالت للوراء شاهقة، فإذا بالبؤرة تكون قاعداً

امثلت ذي ضلعين طويلين تتعلق بهما أذنان كبيرتان تملوهما شعيرات
 .نباعدة لزجة، ثم يضيّق المثلث مرةً أخرى ليظهر مثلثٌ آخر ولكنه
 أسفراً نسبياً بعد أنف دقيقة تحتها شفتان صغيرتان كأنهما طرفاً منقارٍ
 مصفورٍ مولودٍ لا يقوى على التقام ذرات طعام من منقار أمه، وينتهي
 سلماً المثلث بقاعدة أخرى. هذان المثلثان مشبوكان ومضمغان بسائل
 أسفراً لزج يكوّنان رأس الجنين، وحينما انتهت محضية من تخلص
 .أسه من مخرج المرأة الذي كاد ينقبض على رقبته سارعت بسحبه
 وانشاله من بركة الماء اللزج الذي صاحب الخروج.

انت محضية أول من يرى هذا الكائن خلال عملية الخروج، وحينما
 انفضت على يديها ومخرج المرأة ما زال مفتوحاً يطرد عوائل الجنين
 رحيله السري، تأملته وحاولت أن تستدر من داخلها شفقة أو عطفاً أو
 منواً. لكن خيول الدهشة طردت كل تلك المعاني، ولو أنها لم تكن هي
 المستقبل والقابلة والداية لكذبت كل من جاء يخبرها بأمر المولود
 الوحشي.

انت المسافة بين كهف الإخراج الجنيني وملتقى بصر الأم والنساء
 الواقفات بجوارها طويلة جداً على الرغم من قصرها، فالأم التي
 .ألمت وكابدت آلام الولادة وتمخضت تنظر من عل لتري ثمرة اللقاءات
 المنيفة مع زوجها وآلام المخاض. ومن حق النساء اللاتي وقفن وأعن
 الأم على اجتياز مراحل المخاض أن يبصرن بأعينهن ما أنجبته الأم
 المسبورة.

انت محضية تشفق عليهن فتلكأت في إخراجه من الكهف الوسيط،
 .حجج بتنظيفه من السوائل اللزجة وتقص السرة وتبعد عنه عوالقه
 الحيوانية. وتلفه في ملاء صغيرة كانوا يعدونها له. وخلال فترة

الانتظار تلك تخيلت الأم شكل المولود: هل يشبه أباه عبد الوارث عسر، حينئذٍ شعرت بالرضا والامتنان فليته يشبه أباه، أو ليشبهها هي في امتلاء الوجه والجسم، أو حتى في البياض، وربما جاء مزيجًا من الاثنين فعندئذ شعرت بالزهو لأن المولود سيأخذ منهما، هما الاثنان معًا.

اكتسب الشيخ عبد الخالق الربالي قدرًا من حُب الناس بسبب قُربه من الديناري الشيخ الأعظم، ولأنه كان مُحبًا للخير وفعلًا له نال تقدير الجميع، لكن القدر الأكبر لعب الناس للشيخ الربالي كان مرجعه أنه يشبه عبد الوارث عسر الذي ما إن يُطل عليك في الشائسة تتعاطف معه وتصدقّه قبل أن يتكلم، وتتمنى لو أنه يكون أباك في الحقيقة، وكذلك كان الشيخ الذي كان مُصدقًا وحنونًا، لكنه كان يختلف عن عبد الوارث عسر في قوته وعنفوانه، فالممثل حينما تراه تشعر بأنه مولودٌ بالشكل الذي تراه به، وأنه بعد أن ينتهي الفيلم الذي تشاهده سيموت بسبب تقدمه في السن، وحينما تراه في فيلم آخر تراه بنفس الهزال والمرض الذي سيقضي حتمًا عليه يومًا ما وتُشعر بأن كل الناس معمرُونَ في الأرض، لكن الشيخ عبد الخالق الربالي على الرغم من تطابق الشبه بينه وبين الممثل الهزيل، فهو قوي ومتين وتراه دائمًا مستيقظًا، والوحيد الذي لا يغيب في حضرة الذكر. وكان يقوم بالقطع إذا كان الوصل مستمرًا.

لم يأخذ الجنين ملامح عبد الوارث عسر أو حتى بعضًا من ملامح الأم التي تكبدت آلامًا شديدة أثناء المخاض، ولم يكن يشبه أقرباءهم، أو حتى الديناري كما توقعت كل نساء القرية، أو حتى أدنى طفل في الأقصر كلها وليس في قرية الدينارية، ولمأراه معتصم الديناري ذات

مرة حينما جاء إلى القرية في أجازة قال إنه يمثل مرحلةً فاصلةً في
التشوّه الجنيني الذي يؤصل لنظرية أن البشر يحتاجون بعد التشوهات
التي تظهر كثيرًا في المواليد إلى تعديل في الخريطة الوراثية يعقبها
مدخل استنساخي لا يُغيّر من الخريطة فحسب بل يغيّر من التشوّه
الاجتماعي والفكري الذي انتاب البشرية في الآونة الأخيرة.

ملهّر الجنينُ معمولاً على يد محضية المديحية فتراجعت النساء بعد
أن صرخن صرخات لا تقل حدةً وهلعاً عن صرخات أمه أثناء الولادة،
فأنهن رأين جنينةً صغيرةً تتضخم في الحال وتقص عليهن، تبتتها
شهقة طويلة ممزوجة بالخوف والفرح من الأم، ونظرت إلى الأسفل
في موضع مخرّجها وكأنها تستنكر أن يكون قد نزل منها، لكن محضية
أومات لها مؤكدة أنه ابنها الذي خرج توأماً من احشائها ليؤكد أن الجينات
علم رباني لن يصل إليه الإنسان حتى تقوم القيامة.



"الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله..."

بقوم الفكر الصوفي على أربعة أركان: الزهد، والمعرفة، والمحبة،
والولاية، والوقت منسوج بالمعرفة، والزهد تسقيه الولاية من كئوس
المحبة. نعلم أن الله بيده القبض فنبتهل إليه أن يعمّ علينا بالبسط،
وكما بيده الفناء والبقاء فندعوه إن كان في بقائنا خير فيكون القرب
منه والتقرب إليه. وإن كان الفناء خيرًا فندعوه أن يحسن خواتيمنا،
وإذا قدر لنا المحو فبيده الثبات بيدل الحال بقدرته، وقد وهبنا الله
مواهب كثيرة، أسبغ على بعضها صبغة الرؤية المجردة. وأخرى فتح لها
أبواب الكشف والتجلي، وللصوفيين منازل أخرى كالمكاشفة والمشاهدة

التي سبق أن تحدّثنا عنها من قبل، فلا مفر من الله إلا إليه، وهو بيده الملكوتُ وكل شيء، ندعوه أن يلّم شملنا وأن يعمنا بالسلام، وأن يرسل إلينا كل من اهتدى وأن يبعد عنا كل من ضل، المهتدون هم أباؤنا، والضالون هم أعداؤنا.

كانت آذان كهّان اليهود في معبد الياهو تتسمع الخطبة وكان بعضهم يكتبون خلفه، وفي البداية كانت ملامحهم تميل إلى الرضا بما يقوله، وحينما وصل إلى عبارة "الضالون هم أعداؤنا" تبدلت الملامح فصارت مفضّنة يلاحقها الطمي الذي تبصقه العجلة الحربية التي يمتطيها الفرعون، وراحوا يفسرون العبارة في ظل سياق الخطبة وفي ظل العلاقة المتبادلة، ويتكهنون بمقصده منها، وعلى الجانب الآخر كان رهبان دير القديس بطرس يفسرونها حسب سياق الأحداث التي مرّت أخيراً بعد أن كانوا يجلسون فوق البرج يتسمعون.

جلس الديناري ليفصل ما بين خطبتي الجمعة التي قُتل فيها متى الضبعاوي في الدير، ولما فرغ المصلّون من دعاء التوبة العسري قام مرة أخرى فقال :

"الإسلام دينٌ ودولة، والقرآن دستورٌ صالحٌ لكل العصور، وإذا اتبعناه واتبعنا سنة نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام نجّانا الله من فتنة المسيح الدجال. اللهم اهد المؤمنين والمؤمنات، اللهم ارفع مَنّتك وغضبك عنا، واحم حوزة الدين، اللهم اجعل قريتنا مرفأ سلام وقربنا إلى ما فيه طاعتك، اللهم اهد قومنا ببركة نبيك إبراهيم ودينه الحنيف.

وأقم الصلاة"



١٠٠ قول بعض الأساطير القبطية القديمة في الحقبه التي كان يتعرض
 ١٠١ لها أقباط مصر للأضطهاد من قبل الرومان إنهم سيركبون مع
 ١٠٢ هيس شاب يشبه مار جرجس نذّر نفسه لتلك القضية فامتطى جوادًا
 ١٠٣ بيت المقدس ووصل إلى مصر في أسبوع واحد، وساعدهم على
 ١٠٤ نوب سفينة كبيرة، ورسّت السفينة فوق ربوة من نض الأرض، وتبدل
 ١٠٥ الرشر وقابلوا عبّادًا آخرين يدينون بدين آخر استقبلوهم وبنوا لهم
 ١٠٦ منزل وشاركوهم في الأعمال لكن اعتنق الجميع دينًا واحدًا.

١٠٧ إن الأسقف ميخائيل المحرّفي قام بتحريف تلك الأسطورة وبعث
 ١٠٨ هبانًا من المطرانية إلى الأديرة التي تتبعه لإضافة عبارة "المسيحية
 ١٠٩ لا من دين واحد" لكن كانت الأسطورة قد تسربت إلى المسلمين
 ١١٠ واليهود في الدينارية، بعدها بخمس سنوات قال الكاهن يواقيم
 ١١١ الصموثيلي في الاحتفال بيوم الرسولين بطرس وبولس وكان الأسقف
 ١١٢ ماضراً:

١١٣ - الأساطير كالنقش على الحجر لا تمحوها الأنامل التي
 ١١٤ مشتها أو الرياح العاتية.

١١٥ ..اعتها لم يفهم الأسقف ما قصده الكاهن إلا أن النظرة الأخيرة التي
 ١١٦ واجبت كلمة "العاتية" حرّكت مجاهل الفيظ لدى الأسقف. لدرجة أنه
 ١١٧ ١٦٠٠ في إبعاده عن الدير بأي سبيل حتى ولو أرسله إلى المطرانية،
 ١١٨ ١٩٠٠ ادت خطته تنجح صبيحة يوم ١٢ سبتمبر عيد قطع رأس يوحنا
 ١١٩ المعمدان، فقد أقتع خادمه أن يضيف مخدرًا في زيت الخروج الذي
 ١٢٠ يخلطه للكاهن كل صباح في إفطاره، وحينما ذهب الخادم إلى الكاهن
 ١٢١ معه خاشعًا أمام صورة القديس بطرس يناجيه :

١٢٢ - مولانا، شعرتُ بروحك توقظني وتلطّف في حثي على القيام

إلى يسوع، ولما وقفتُ في حضرته سمعتُ نداءً خفياً:

"يواقيم، يواقيم، يواقيم"

فهمتُ أن الملائكة تُبارك حضورِي إليه، لكن النداء استمر وبحثتُ
عن الصوت في المجسمات وفي الصور...

قاطعه الخادمُ وهو مائلٌ للأمام يستدرُّ الخشوعَ كمُذنبٍ تراكمت الأدلةُ
والشواهدُ على ارتكابه للجريمة، ولما فشل في تفتيدها وإنكارها حاول
تلفيقَ الخنوع على وجهه لعله ينجيه من ذنبه:

- أبت، أعددتُ لك الإفطار.

نظرَ الكاهنُ وقد اتسعت حدقاته غضباً وحنقاً فتراجَعَ الخادمُ يندحر
مدفوعاً للوراء بقوة خفية، وقد كان قد تجرأ دون وعي ودخل إلى
مختلى القديس بطرس دون أن يطرق الباب، وكان هذا الخطأ الذي
ارتكبه السبب الأول في أن يرفض الكاهن تناولَ طعام الإفطار، ولما
يتمس الخادمُ النحيل الذي طلب منه الأسقف ضرورةً استدعاء الكاهن
ليتناول معه الإفطار بعد أن مزج المخدرَ في زيت الخروع، غادرَ وأثناء
خروجه دخل الديناري خلف الراهب الذي يتولى الإعدادَ لمراسم
الاحتفال بيوم يوحنا المعمدان، وبعده بربع ساعة جاء ريباش، وهذا
هو السبب الثاني.

- لم يَقم بين المولودين من النساء أعظمُ من يوحنا
المعمدان...

بدأ الكاهن يواقيم في إلقاء خُطبته في حضور الأسقف والديناري
والكاهن ريباش والمُصلين، وبيّن لهم عظمة يوحنا المعمدان الذي كان

معد التائبين في نهر الأردن، وابتسامة رائقة يستمد النهر منها عذوبته
 التي ترتسم على وجهه، وعلى الرغم من أن محور الخطبة كان مكثفاً
 وبناملاً لإظهار مناقب الرسول إلا أنها فتحت لهم بئراً عذبة يشرب
 منها الجميع ويتطهر بها الجناة ويعمد بها التائبون، فتجاوز الجميع
 محصور يوحنا المعمدان، أو يحيى بن زكريا كما قال الديناري فيما
 بعد وقص لهم الحكاية وفق الروايات الإسلامية، وتحدث الكهنة في
 احتلى القديس بطرس بعد انتهاء مراسم عيد قطع رأس الرسول فقال
 ريباش :

- تفاسير الأنبياء منجاة، وتفاسير الكهنة مهلكة.

سجك الكاهن يواقيم والديناري ضحكاً لا يتسق مع ملامحهما المزينة
 بمطرات من الندى الصوفي، بينما ابتلع الأسقف حنقه القبطي ونظر
 مدة إلى الكاهن يواقيم، وكانت النظرات المتبادلة بين الكاهن
 والأسقف محرّضاً لانتهاج الحوار الذي اجهضته كلمة ريباش في المهد،
 ثم أن الثالوث يضم كل منهم في نفسه متاهات وصحاري يسلكها
 الأمايد للوصول إلى حقيقة الله فيظل تائهاً يقلب وجهه في السماء دون
 روى، وتتعاقب عليه صور الجفاف والنماء فلا يحسبها علامات تدل
 على وجود الله، مع أن تعاقب الليل والنهار والشمس والقمر هو يظنها
 من بديهيات الحياة التي يولد معها، تماماً مثلما يولد الإنسان في بيت
 ابن بديانة معينة فهو لا يسأل نفسه بعد ذلك عن حقيقة اعتناقه لهذا
 الدين بالفطرة، بل يستقر في يقينه أن هذا الدين هو ميراث أبويه
 وأجداده ولا يجب أن يتخلى عنه، وإذا ناظره من يدين بدين آخر فإنه
 يرشد له كل موثيق اعتناقه لدينه الفائر في أعماق سلساله، وإذا طلب
 منه أن يتخلى عن دينه تماماً ويدرس جميع الأديان جملة واحدة فإنه

سوف يعتنق نفس الدين الذي كان بالنسبة له بمثابة عضو حيوي في جسده لا يجوز استئصاله أو حتى زراعته أو استنساخه.

بعد عيد قطع رأس يوحنا المعمدان بأسبوع وجدَّ الرهبانُ خادمَ الكاهن يواقيم غارقاً في بئر الشهداء ووجدوا ورقةً مكتوبةً في غرفته يقول فيها :

"يا رب اقبل توبتي فأنا في حق الكاهن أخطأتُ، ولن أنتظر حتى أعترف له أو لأحد الرهبان، فربما لن يقبلوا اعترافي، بل اعترفُ إليك مباشرةً بذنبي فاقبله بحق يسوع، يا أمَّ يسوع يا عذراء اشهدي بذنبي، وأما الكاهن فهو طيب القلب سوف يغفر لي أن دسستُ له المخدرَ في زيت الخروج بسبب نفسي الأثارة بالسوء ولم يحثني على ذلك إلا الشيطان."

- كلما يذنبُ البشر يتهمون ذريتي بأثامهم وكأنهم مُسيرون.

قال شيطانٌ مرید سمعَ اعترافَ الخادم وجاء فأراً ليقول ذلك، لكنني لم أعلق على كلامه، ولم أنظرَ إليه حتى غادرَ غاضباً واتهامَ خفي يخرج مع نفاثاته النارية!

الفصل الثاني عشر

دانت السماءُ قد تخلّصت لتوها من كُتْلِ غائمة تُلطّخُ صفحتها الزرقاء بعد أن سلطت عليها ريحاً لم ترحمُ تلكؤهاً وتكاسلها فوق سماء الدينارية، خرّجَ كبيرُ الكهنة ريباش من معبد الياهو متجهاً إلى الساحة الدينارية، وسلكَ المدقَّ المباشر وأفكاره تتفادى أحجاراً غيرَ مرئية، ثم تتفادى اصطدامها بأفكار الآخرين، ورغم أن الشمسَ صرخت وقد وجدت متسعاً لا نهائياً في الكون لترسل أشعتها دون حواجزَ غائمة أو أمطار تلطف من حديثها، إلا أنها لم تؤثر في قرار ريباش الذي كاد أن يصل إلى بوابة الساحة، وقبل أن يدخل نظراً وراءه فوق المنحدر الشديد الذي يوقف انحذاره معبد الياهو من ناحية ودير القديس بطرس من ناحية أخرى، فلمح الكاهنَ يواقيم الصموائيلي يجد صعوبة في الصعود أو خيلاً إليه كذلك، لكنه كان من الواضح أنه يعاني من شيء ما فقد كان يباعد في صعوده ما بين قدميه، وتذكر المرة الأخيرة التي رآه فيها كان الشحوبُ يلون وجهه ولم يكن يقوى على رفع جفنيه، "كما تزيد الكهولة الكاهنَ فطنةً وحكمةً فإنها تزيد في وهنه." قال كبير كهنة الياهو في سره وهو يدخل الساحة بعد أن تأكد أن الكاهنَ يواقيم قد اقترب كثيراً منها.

هبل أن تتوه عينا ريباش في أصوات العصافير التي احتشدت فوق الشجرتين ترحبان به كان الشيخ عبد الخالق الربالي يستقبله مرحباً وبقوده إلى غرفة الديناري، ولم يكده يخرج منها حتى رأي الكاهنَ يواقيم يدخل فرحّب به وقاده هو الآخر إلى غرفة الاجتماع التعضيري الأول لحوار الأديان.

كان ثلاثيو الكهنوت في البداية ينتظرون الخضر ولي الصالحين ليبدأ الحوار، وعلى الرغم من تألفهم ولقاءاتهم التي تكررت كثيراً فقد كانوا يشعرون بمسؤولية جسيمة ملقاة على عاتقهم، فهم يصوغون في هذا الاجتماع العناصر والترتيبات التي يجب توفرها من أجل نجاح حوار الأديان، وربما كانت تدور في مخيلة كل منهم أفكار قابلة للتنفيذ وأخري تتعرض للفشل وغيرها تقابل بالرفض، والرافضون يصنعون برفضهم جدراناً يصعب هدمها، ويخشى كل منهم أن يجور الآخرون عليه، أو أن يستقر الحوار فيما بعد على إقصاء أحدهم على حساب الآخرين، ولم يعرف أحدهم كيف بدأ الحديث ومن بدأه؟ وإذا عاد الزمن للورا قليلاً لشعر بنفس الورطة، ولما كان الإيمان يسيطر عليهم فقد كانوا على يقين من أن الله سوف يحيطهم بمنايته، وكما بدأوا الحوار دون أن يظهر لهم الخضر فلم ينتظروه حتى يطرحوا الأفكار التي أعدها مسبقاً.

سجادة حمراء تركية عريضة مزخرفة بعدة ألوان إلا أن اللون الأحمر يطفى على بقية الألوان بعرض الغرفة، يستعرض نجوم الأديان أنفسهم دون جماهير، وثلاثة كراسي أنوسية موضوع علي جوانبها وظهرها مساندة إسفنجية مغطاة بقماش تركواز أعدت لهذا اللقاء، ونافتان مفتوحتان على الفناء الأمامي للساحة تظهر منها البوابة الكبيرة ومن خلالها يصفر الكون ويختزل في منحدر صغير ينتهي بمينيين خلفهما تظهر مروج خضراء تتخللها موجات مستمرة من سراب غريب يوحى بالوحشة والتوحد، والمصافير التي لم تخرج للبحث عن رزقها ظلت تعزف خلف عازف التشيللو الخفي الذي كان يرتل بألته طوال اللقاء الكهنوتي في صباح يسبق كسوف الشمس الذي يحدث كل ثلاثمائة عام.

- لا يستحق المسلمون أن يتبوأوا عرش الدينارية.

- ومن يتبوأ العرش؟

- الأقباط، فهو عرشهم القديم.

- وهل نسيت اليهود؟

- اليهود ليس لهم حق في الدينارية.

- وجودهم فيها أقدم من وجودنا.

أول مرة يدور حوار بين الكاهن ليشع منقريوس والراهب أبانوب الأنطوني بعد أن اتخذت علاقتهما مساراً جديداً، حاول الراهب أبانوب الأنطوني قبول الكاهن الجديد فكان ملتزماً بواجباته بينما تقرب منه الكاهن لأن الرهبان هم مساعده ولا بد أن يكسب ثقتهم، وحينما باتي رئيس جديد تُنسى كل ذنوبه، نسي الرهبان المؤامرات التي كان يهيكها، وتناسوا مقتل متى الضباوي إلا حينما كان صُنه يُخرج بالليل ويقف عند شجرة الطلح ثم يذهب إلى بئر القديسين يفتسل ويتطهر ويُصلي صلاة المسلمين تحت مجسم يسوع، كان صن متى يخرج كل يوم جمعة نفس اليوم الذي قتل فيه، وكان يقوم في ليلة الجمعة بقرع مرس الدير فيستيقظ الجميع ليستعدوا لتفتح أحد الأقباط ثم يكتشف الجميع أن الجرس قرع دون أن يقترب منه أحد وأذان خفي يتناهي لأسماعهم.

من الكاهن ليشع منقريوس أن صن متى سوف ينقطع عن تهديده مهازاً وإيقاظه من نومه حينما يصبح كاهناً، لكنه كان أكثر مكرماً ونداعاً فكم من مرة عطله عن أداء واجبه الكهنوتي، وأصابه بالتلعثم

في عظامه، ويقلب له صفحات الكتاب المقدس أثناء الصلوات، وكان يتجسد شيطاناً راكداً في مجسم عملاق في صدر الفناء الرئيسي.

- قاتلي.

-.....

- معذبي وقاتلي.

-.....

- معذبي وقاتلي

يرفض الغطاءً بقدميه كطفل تراكمت أنفاسه الساخنة تحت الغطاء. أثناء نومه فقلتُ نسبة الأوكسجين فشعر بالاختناق، رفض الغطاءً بحثاً عن مخرج ليتنفس أثناء استغراقه في النوم، ويرفع ذراعيه يذودُ بهما عن نفسه ويصد هجوماً غير مرئي ورأسه تميل يميناً ويساراً ويهدر بكلمات غير مفهومة، يرفع ساقيه حتى جذعه ثم يبسطهما كأنما سيطرُ عليه رجلٌ واقف عندهما، ثم أمسك برقبته يحاول الإفلات من يدين عفيتين ولما فشل صرخ ولما صرخ اسيقظ، وما زال يرفض بقدميه ويمسك برقبته محاولاً الإفلات من ذلك الذي قبضَ عليها.

قضى الكاهنُ ليشح منقريوس لياليَ طويلةً يصارع الصن الذي يحاربه ككثيرين من الكهنة الذين تصادموا مع أرواح قتلاهم، منهم من تقلب عليها بالكتاب المقدس وآخرون قضت عليهم الصنانة، وآخرون دخلوا في دوامات نفسية أنستهم ذكر يسوع، وتذكر ذات ليلة وهو يتدفى، بالنار حديثه مع المنتيح الكاهن يواقيم الصموثيلي وهو يحنه على الموافقة على قتل متى الضبعواوي لكنه وجد رفضاً قاطعاً :

الكاهن يواقيم على السؤال التقليدي وهو يمسح عينيه بالنظر الى
اجسام اليسوعي الذي أحنى رأسه وكأنه يوافق على كلامه :

- عَلَّمْنَا الْمَسِيحُ التَّسَامُحَ، وَنَحْنُ عَنْ طَرِيقِهِ لَنْ نَحِيدَ.

قال الراهب ليشع منقريوس الذي يعطي ظَهْرَهُ للمجسم. لكنه يقف
في مواجهة تمثال العذراء التي تنظر باستحياء وتخشى أن تتسمع
اهوارهما :

- لَكِنَّهُ لَمْ يَعْلَمْنَا الْخُرُوجَ عَلَيْهِ.

يتمنخج الكاهن ثقافته وخبرته في الحوار حينما يتكلم مع الراهب
اربع منقريوس الثائر :

- فِي كِتَابِ الْمُسْلِمِينَ الْمَقْدِسِ آيَةٌ تَقُولُ "مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ
وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ."

يراول الراهب أن يضع ميثاقاً للدير بدلاً من الميثاق القديم فيقول :

- لَوْ أَفْلَتْنَا الْحَبْلَ سَوْفَ يَكْفُرُ الْكَثِيرُونَ.

رمطع الكاهن يواقيم لسان الجدل بكلام الرب الحاد والقاطع :

- الدِّينُ لَهُ رَبٌّ يَحْمِيهِ.

أدرك الراهب ليشع حينئذ، الذي لم يمض على فرار الأسقف بتعيينه
أسبوعان، أن الحديث مع الكاهن غير مُجْدٍ، وطالما أن الأسقف هو
الذي أصدر قراراً بقتله فليس من داع للحديث مع الكاهن.

ملفت في رأس الكاهن يواقيم طيوراً فكرية قادمة من بيت المقدس
ومطت عند جبهته فنزلت مختزلة في تممة قريبة من حد الهمس :

"الرهبنة فتحة كريمة لامرئ طاف بحدائق الدين والتزم بظلال
التنزيل"

جاء دور مهندس الخروج لويس ليمارجي الرجل الذي أخرج فرعون
موسى من مصر، وأدخّر دورَه حتى آخر لحظة وترك الأمور تسير
في أعنتها، وكما خرج فرعون يخرج عاصم الديناري وأهافا ولن
يُخرج معهما بنو إسرائيل حينئذ لأنهم سيكونون في انتظارهما عند
الشاطيء الآخر من البحر في أمريكا، كان الديناري متعنتاً يفرض
وصايته العرفية والصوفية معاً على ابنه ويعوق مسألة زواجه من أهافا
ومعتنقاً بفكر جامد لا يقبل مسألة امتزاج الجينات الوراثية حتى تتعدل
الخريطة من خلال التزاوج بين الديانات المختلفة.

قال الديناري لعاصم الذي كان يتيه في مستويات الساحة الثلاث ولا
يستطيع الخروج كأمير قديم خرج عن طاعة الملك :

- عاصم، أنت حفيد الدينارية ووريثها، فإن خرجت عنها وقع
منك مفتاح العرش، وإذا تزوجت من أهافا اليهودية فلن تفقد العرش
فحسب بل تخرج عن الدين.

قال عاصم الذي يحاول أن يسترد عرشاً مزعوماً ضاع منه :

- الدينارية عرش الأولياء وأنا من أجل أهافا أتنازل عنه.

قال الديناري وهو يحاول أن ينقذ ابنه من العيب بالنار :

- أنت عضو في الدينارية ووليها القادم وإذا خرجت لحق بنا

العار.

أهاب عاصم وهو يتغلى عن مقام الأولياء :

- أنا لستُ ولياً وكفيني أن أكون ولياً على قلب أهافا.

يومٌ كثيفٌ مكدسة لا نهائية تعبرُ صفحةَ السماء وتنتاب نسيجها
سفنًا ووهناً تظهر من خلاله الشمسُ أو زُرقة السماء ولكن تتساب من
انها كتل فسفورية هائلة تظن بعدها أن السماء ابتليت بتلك الفيوم
وان تفارقها. هكذا كان حال عاصم، وكلما كان الديناري يظن أن ابنه
...يهتدي يجادل والفيوم لا تفارق عقله أو عينيه.

انتهى لويس ليمارجي من إنهاء أوراق عاصم وأهافا في السفارة
الأمريكية بعد أن وصلت لهما دعوة من جامعة الينوي لدراسة العلاقات
الدولية، فحصلوا على تأشيرة زيارة بخمس سنوات وتذاكر السفر،
...بشيء لديهما وقت الخروج وكيفيته.

اليوم الذي سبق عشية "دورة أبو الحجاج" ذهبوا إلى الساحة يلبسون
الحرير الأخضر والعمائم البيضاء والأعلام البيضاء فوق جياد
...بضاء، وشهرون سيوفاً حادة تتألق أشعة الشمس على أنصالها،
...رض خلفهم الأطفال الحفاة يمعنون في مشاهدة كل مراسم المولد
الرئيسية والثانوية وهم يصعدون إلى الساحة وأرجل الجياد تمزف على
التراب سيمفونية المولد فيتطاير للخلف متصاعداً، وهناك وقف نقيب
الساحة بعد أن أعطى إشارة بمساعدة المباديل للخروج لحضور "دورة
أبو الحجاج" مع خدام المولد، ولما فتح لهم باب المستوى الأوسط
...الذي يفصل ما بين الساحة الوسطى والساحة الأمامية خرج خمسون
...حلاً وشاباً وطفلاً كموج كان محتجزاً خلف سد وتحاول مياهه
الزاهر من أعلاه فلا تقدرُ وحينما فتحت لها عينٌ تدفقت بقوة وكأنها

تخشى أن يُقفل السد مرةً أخرى ففتحت لنفسها مَجْرى لا يقف في سبيله أعتى العتاة، وكذلك خرج المباديل بجلاليتهم المخططة التي يُعرفون بها وأحذيةً من نوع "الكوتشي" يهرولون ويصطدم بعضهم في بعض وتنفسوا خارج الساحة هواءً آخر خلف أبناء الزناة الذين استخدمهم لويس ليمارجي لتهريب عاصم من الساحة مع المباديل الذين يلوحون بأيديهم وتتحرك وجوههم في كل اتجاه دون سيطرة ويمزقون جلاليتهم وهم يهبطون من المنحدر كسيور جارفة جاءت من أعلى الجبل فلم توقفها أحجاراً أو نتوءات، ومن بينهم كان عاصم يهدر بكلمات غير مفهومة ويلوح بيديه ويمزق جلبابَه منذ أن خرج من باب المستوى الأوسط في الساحة.

خرج عاصم من الساحة مبدولاً يرغي ويزبدُ وكلمات ممزقة يخرجها لسانه عشية "بورة أبو الحجاج" بعد أن كان يخرج منها فوق حصان أشهب وهو يرتدي جلباباً أبيض مزهواً بنفسه ويتمنى كل شاب لو كان اسمه عاصم الديناري، وهو اليوم يتخلى عن كل ذلك ويخرج مبدولاً ليهرب مع أهافا إلى أمريكا.



حينما تولى الكاهن ليشع منقريوس ديرَ القديس بطرس بعد تنيح الكاهن المقدس يواقيم الصموائيلي أقامَ له الأسقف الذي أتى متعجلاً بعد حضوره تجلي السيدة العذراء عند جبل الطير، قداماً حضره ريباش وبعض من رجال الدولة.

بدأ القُدَّاسُ بترانيمٍ صدح بها الرهبانُ وهم يرتدون أرديةً بيضاء، ويضع كل منهم حول رقبته صليباً خشبياً يتدلى من سلسلة معدنية، ثم طافوا بمذبح الرب، ويحمل الأسقف الذي يقف أمام المجمعم اليسوعي

١٠٠ يتصاعد منه البخور الذي ينتج أدخنة أرجوانية تتلوى في الهواء
١٠١ تنفرد فتمضي الخصلات في طريقها حتى تتلاشي كأنها كهنة خرجوا
١٠٢ من مقام يسوع للتبشير، وحينما ابتعدوا تفرقت بهم السبل ومضى كل
١٠٣ راهب في طريقه يبذل كل ما في وسعه لإنهاء رسالته، وحينما انتهى
١٠٤ الرهبان من الدوران اصطفوا خلف الأسقف الذي ناول إناء البخور
١٠٥ من يقف خلفه، وتقدم الراهب ليشع منقريوس يتجمل برداء الكاهن
١٠٦ سلمه الكتاب المقدس ومفتاح بيت القربان، وصفق الحاضرون له
١٠٧ وهو يحني رأسه للأسقف الذي ناوله القربان ثم قبل يده، وتقدم إلى
المنصة قائلاً :

- أبانا الذي في السماء أشهد بأنني ارتقيت بفضلك حتى
١٠٨ وصلت قمة كهنوتية ترضاها، أجدد عهدي وتكريسي ليسوع وأدعوه
١٠٩ بإذهلني من خلال التحديق بقلب الفادي ناصع البياض حتى أعيش
١١٠ المحبة التي تصل إلى كمالها في بذل الذات الكامل للأب والأخوة.

١١١ من الديناري في يوم تنصيب الكاهن ليشع منقريوس قبل أن يرفض
١١٢ حضور التنصيب حزناً على تنيح الكاهن يواقيم الصموائيلي في غرفته
١١٣ وجمال من الحزن تقترب من الجبل الغربي فتضيق أنفاسه، كانت
١١٤ المصافير فوق الشجرتين تنوح على موت الكاهن الذي زار الساحة
١١٥ نهراً وكان يقف في الأسفل يأنس بأصواتها ودمخها الذي يمنح
١١٦ الإنسان روحاً جديدة للمثابرة، جاء شبح أبيض محفوف بنور يتقد على
١١٧ وابنه فيقترب ماراً في الهواء حتى وصل أمام الديناري وقال له :

- حملت على كاهلك الكثير فلا تقتر عزيمة.

- القضية كبيرة وتوء بحملها الجبال.

- لكل عصر رجال وأنت رجل هذا العصر.
- تقدّست روحك يا يواقيم.

اختفى يواقيم بل انطفأ النور الكهنوتي فجأة وكأنه جاء ليبلغ رسالة ما للديناري وتركه دون أن يُقضى له بكلمته الأخيرة التي كان يوشك أن يقولها هي مؤتمر حوار الأديان :

- لولا وجود الكاهن يواقيم الصموائيلي لَمَا كانت هناك صوفية مسيحية.

وتغيّرت تلك الجملة حينما تَنبَّح الكاهنُ إلى :

- بموت الكاهن يواقيم الصموائيلي انطفأ نورُ الصوفية المسيحية.

الفصل الثالث عشر

"المنقش في أمور الدنيا يورثُ الخلاف."

بدأ من مبادئ الصوفية اعتنقه الديناري (الجَد) و(الأب)،
البنارية الأولى والثانية، وسارت الدينارية على هذا النسق تفزله
الاتباع، أولياء وتابعون، ومن خرج عليه خرج على وليه، ومن خرج
على وليه تلقفته مصائب الدنيا مثل كمال الواطي، ويُعلق يوم القيامة
من أذنيه التي لم يسمع بها، ومن رجم هذا المبدأ انشق المنشقون،
المتطرفون. ولو وجد المنشق من يناقشه لما سلك طريق
السلام، لكن حينما تولّى الديناري نسخ تلك الفكرة بمبدأ جديد يجبهه:
"المنقش في أمور الدنيا يؤسس للاتفاق."

الديناري مجددًا دينيًا وسياسيًا، اعتنق الفكر الصوفي وجدده
السياسة ومشي فيها، وكما أن في الدين طرقًا وعرة،
السياسة لها مخالف تهش بها كل من كان بلا أنياب يصد وبعض
الدين والسياسة عينان في وجه واحد يصعب أن ترى إحداهما
الأخرى.



ذكرًا هبط النبي عزير لزيارة العاخم جوليان صهوكيت ذات
اممطرة ثقب فيها قاع السماء فتزلت زخات متوالية فاغتسلت
الزوارع ومعبد الياهو احتفالاً بدخول النبي عزير، انحنى العاخم
واستعا وتذللًا للنبي، ويداه مسدولتان بجانبه كساحر عتيد يصلو

ويجول بسحره وفنونه، وحينما جاء الساحر الأكبر خمد سحره وجفد منابع فنونه ووقف ويداه خائرتان لا تملكان من أمرهما شيئاً، واما في الاحترام تراجع خطوتين وتدرجياً فتح عينيه فوجد النبي يعسا، عصاه شامخاً وهو ينظر إلى المعبد كأنه لم يره منذ مئات السنين. كانت نظراته كطفل بريء جاءوا به من أحضان أمه قسراً ليعيش فيه فبدأ ينظر إليه نظرات جوفاء تبحث عن الأمان والسلام.

قال الحاخام للنبي الذي بهت بسبب الترحيب الغريب :

- زارنا النبي موسى.

لم يفهم النبي الإطراء الديوي الذي تعود عليه الحاخام، وإنما نظر باستغراب كئام استيقظ من نومه لتوه فقال الرسول :

"استيقظ النبي يعقوب"

ولم يفهم الحاخام أن الإطراء الذي قصد به إعلاء من قدر النبي عزير بأن شبهه بالنبي موسى قد أدخله في دوامة استغراب ليس وقتها مناسباً، لكن النبي يعرف أن البشر بعد موته الثانية تغيروا كثيراً وأصبحوا يتحدثون لغواً ولفظاً، وأثر هذا اللفظ في سوء الفهم الذي قطع أواصر الإنسانية، وبأدر النبي برسالته التي جاء من أجلها :

"أوصيك بعرض الدينارية."

ثم اختفى.

أرسل الحاخام جوليان صهوكيت رسالة للحبر الأعظم يبشره بمجيء النبي عزير له، وحرّف العبارة وحولها إلى "تولّ عرش الدينارية"، واه تكن تلك الرسالة هي الأولى التي تتضمن تحريفاً وربما تشويهاً بعد اللسان عن التفوه به، لكن المهم أن الحبر فرح كثيراً بتلك البشارة

هناها عليها وطلب منه العمل حتى يصل إلى هدفه.

كانت كل الظروف تقف ضد هذه البشارة، وعلى الرغم من فشل كل المحاولات لقتل الديناري الذي لم يؤهل ولدته لخلافته، إلا أن مسألة إراحة الديناري عن العرش والجلوس مكانه كان حلمًا يؤرقه كثيرًا، وكان يدرك أن العرش سوف يأتيه حتمًا، سواءً بمؤامرة أم عن طريق الظروف، ولو قويت شوكة اليهود في الدينارية سيطلب منه أهلها أن يولي أمرهم، وكانت إحدى هذه الظروف والتي كانت بمثابة رسول من أسل بني إسرائيل يبشرون بدنو اعتلائه للعرش، زواج عاصم الديناري من أهافا ليمارجي.

بما كان أمر توليه العرش يؤرق لويس ليمارجي مهندس الخروج في تلك الأزمنة. وكان حافزًا لأن يخطط لسفر عاصم وأهافا في الطائرة المتجهة إلى نيويورك عن طريق لندن بعد ليلة خروج عاصم من الساحة بصحبة المباديل ملبيًا نداء أبناء الزناة عشية "الدورة"، وكان لديه فلسفة خاصة بكل ظرف يتولاه، تلك الفلسفة تابعة من قناعات حسب كلها في مجرى واحد وهو مصلحة اليهودية، (قلت في نفسي إن ليمارجي يمكن أن يزوج أهافا بشيطانٍ تائبٍ مثلي إذا كان ذلك في مصلحة اليهود)



"يا سيدنا أتم علينا نعمة رؤيتك يوم الحشر، وابسط لنا بما رضيت بسائط مغفرتك، وهيبء لنا مقاصد تفتح أبواب رحمتك، يا سيدنا هم ذا نزلت إلى السماء تسمع غوثنا، فقرب لنا كلما رضيت ما تصبغ بابه أقدارنا، يا مولانا، بحق حبيبك سيد الخلق قربنا إلى معارجك، هم ذا من ولي وصلك بالشوق وبعزائم فتحك، وفتحت له بسورة الفتح

فتعًا مبيئًا...."

كان الذاكرون يرددون خلف الديناري وبسبب هز الرأس يمينًا ويسارًا كانوا يهملون الحرف الأخير من كل كلمة لكن المعنى يظل كما هو مفهوماً، وقد تعود كل من يحضر الحاضرة مُحِبًّا أو تابعًا فَهَمَّ الكلمة وهي ناقصة الحرف الأخير، كانت الحاضرة مستمرة منذ العاشرة فتسحب خلفها الساعات كاللبلاب الذي يتلوى نابئًا وملفوفًا حول أعواد واقفة، لكن الذاكرين لم يكونوا واقفين بل جالسين تتلوى أجسادهم ذكراً ووجدًا والوعي مفقودٌ تمامًا كأنهم مخدرون حتى الديناري وخلفه الشيخ الربالي يعالجان طرائق الكشف التي فتحت أمامهم، والبليمي يميل يمينًا ويسارًا وكلما يشتد به الوجد يرتمي على الأرض ويتلوى، كدجاجة مذبوحة ويخبط بيديه الأرض ويمزق جلبابه ويجثم على ركبتيه ويطيح بأغطية رؤوس الذاكرين.

لم يقترب منه أحدٌ بل استمر كل منهم في وجده الذي لم يرجع منه بدعة، وبدأ البليمي يزبد وتخرج منه كلمات ناقصة لا تمت للحاضرة :
- يسو المسي، يسو المسي، يسو المسي، أبان، ثالو مقد.

كان كيسوع جاء في حضرة النبي موسى وطفق يبشر بدعوته دون أن يهاب الداعي أو الذين يدعوهم وهم مشغولون بالترتيبات السرية التي سبقت يوم الخروج الأعظم، ولم تكن آذانهم تحتل سماع دعوة أخرى، حتى ولو كان يسوع هو الداعي.

الديناري ومن حوله الذاكرون يعودون شيئًا فشيئًا من غيبوبة الوجد، وكان كل واحد من الذاكرين يعود للوعي حسب انفلات انتباهه عن خبط الوجد الذي يربطهم ببعض التوحد الدائم تحت لواء الديناري وترديد

الامات الذُكر بصوت واحد، وكان كمال الواطي هو أول العائدين،
 «هنما عادَ بوعيه سمع ما قاله البليمي وظن أنه ما يزال غائبًا عن
 اوعى فنظرَ متمعنًا وسلكَ بإصبعيه أذنيه، وحينما عادَ الآخرون كان
 ٥٠. توقف عن الكلام المبعثر الذي شارك به في الحضرة وكان كائنات
 وهمة كُملت فاه.



ان لويس ليمارجي مثل غيره من اليهود المتشددين يعتقدون اليهودية
 من قناعة شديدة، قناعة فطرية لا يغيرها فكرٌ أو تقدم علمي أو
 مبررات اجتماعية، قناعة لم تتأسس على إيمان قوي بدينه وبنبيه
 الرئيسي أو الأنبياء التابعين فحسب بل تأسست على كراهية الأديان
 الأخرى ومعنتقيها، لذا فقد كان يهوديًا حقًا كما قال التلمود، وامتزجت
 وطرية الفكر لديه باكتساب مقومات أخرى لهذه القناعة التي تمنح
 اليهودي مناعة قوية لا يبرحها حتى ولو عذّبوه أو حرّقوه، وكان ليمارجي
 اس ككل اليهود يعتبر أن حياته عبارة عن مجموعة من القناعات
 والأهداف ويظل حتى الرمق الأخير يسعى لتحقيقها، ويبدل كل ما
 من وسعه من أجل هدف حتى ولو كان صغيرًا، لكنه كان يُنظر ويخلق
 الظروف التي يستتبت فيها تلك القناعات والأهداف، والأكثر من ذلك
 ان يبشر بهذا الفكر في محيطه وفي محيط كبير جدًا لا يعرف مداه
 يهودي بسيط أو خبر متزمت.

وعلى الرغم من أنه فقدَ أبويه إلا أنه كان يعتبر الكهنة والحاخامات
 امويًا عن فقدانهما، وكان يقضي وقتًا طويلًا معهم، ولم يكن
 يدخل على ليليان بالفراغ من وقته فكان يستمع إليها، ويداعبها ولا
 يترك شهوتها معلقة أو untouched بل كان يُنزلها من عليائها

ويَهْضُرُها ويسقيها حتى تشعر بالارتواء والامتلاء، وعلى الرغم من أنه كان يمسافر كثيرًا لحضور المؤتمرات الخاصة بالآثار الى إنجلترا وفرنسا وأمريكا والمراق، ومؤتمرات سرية لليهود خارج مصر وداخلها إلا أنها كانت تصوم عن شهوتها فلم تكن تسمح لها بأن تتقلب عليها، وكانت تعتبر لويس رَجُلٌ مشاعرها ومُحَفِّزُها ومثير شهوتها، وإذا جلس منها المجلس الزوجي تحول إلى بطل بورنو وهب نفسه لأداء جنسي عال يتفرج عليه كل المحرومين، ويعمل قائدُ فرقة الإطفاء على استخدام كل السُّبُل لإطفاء نار زوجته بنفسه حتى ولو ظلَّ قبلها مستيقظًا أسبوعًا، وتلك هي إحدى فتاعاته التي استمر على تغليبها على راحته، وعلى الرغم من الطاقة الفكرية والجسدية التي يقوم بها إلا أن عنفوانه أثناء الإطفاء يعادل عنفوانَ سائح يتفرغ لزوجته في فندق خمس نجوم، وإذا حضرها أعطاهما كل الأحاسيس والعواطف المترجمة إلى لغة جنسية عالية تدغدغ حواسها، ونسي كل ما كان يؤرقه من قضايا الآثار أو قضايا التهويد التي وهب نفسه لها.

كانت اليهودية وليليان محظوظتين بكاهن خلف موسى بعدة قرون فأمسك عصاه فعبّر خلفه يهود الدينارية بحرًا متلاطمة أمواجه، لكنه نجح في الخروج بهم دون أن يتبعهم فرعون، ورجل لا يستخدم المنشطات الجنسية ويؤدي أداء يحسده عليه كل ممثلي البورنو ليخطب فوق منبر المعبد من أجل قضايا المرأة :

- المرأة هدفٌ سام لا بد أن تناضل للوصول إليه، وإذا وصلت إليه حوله إلى رسالة ترتبط بوجودك وكيانك.

ظلت أهافا بعد رفض الديناري لخطبتها من عاصم محبوسة في استراحة أبيها التي تطل نافذتها على الطريق الجبلي الصاعد إلى

الساحة الدينارية. ذلك الطريق الذي كانت تنتظر فيه عاصم أثناء
، روله للقائها، فيتلقفه حضنها وفرحة عارمة تجتاحها، فردوس جديد
، نبت أشجاره وخمائله وعشبه فوق الطريق النازل ويمتد حتى يصل إلى
، نهر النيل، وتتألق فيه بركة بمياهها الصافية وأشجار المانجو التي يمد
، لاهما يديه ليقطف ثمارها ليطمم حبيبه، وعسل مصفى يلقه عاصم
، فتمتصه أهافا بشفثتها فيسيل منها رضاب أحلى من العسل، ويندفعان
، منفوانهما إلى معبد الدير البحري لتشهد أروقته وأفتيته فصلاً جديداً
، من الأحضان التي تطرب لها القلوب، وتشهد الرمال الراكدة منذ آلاف
، السنين قصة الحب الجميلة التي استقبلتها الدينارية بفرحة وانتهت
، بجدران مكي ينتحب عندها العاشقون، ويصفق عندها الحاقدون
، فرحاً وغبطة ليفيم اليأس على وجه أهافا ويحتاج لرياح شديدة لتزيحه
، عن ذات وجه المرأتين واليورترية.

الفصل الرابع عشر

وكانها تُتَاجِجِي جَدُّهَا لاوي وهو يحتضر، نَاجَتْ أَهَافَا عَاصِمَ بَعْدَ أَنْ قَطَعَ الطَّرِيقَ الوَاصِلَ بَيْنَ الاستِراحةِ وَبَيْنَ السَّاحَةِ فَوَضَعَتْ حَبِيئَهُمَا عَلَى المَحَكِ :

"حبيبي عاصم وأمير حبي..."

كيف السبيلُ للقائك؟ وطريقك جبلي قصير يفصل بيننا كطريق سِنَاءَ الطويل الذي أدخل أجدادنا في تيه ليس له منتهى، كيف يفرق الولي صاحب الولاية وصاحب العُرف بينَ المحبين وهو يديرُ حضرةً لجمع المحبين والمریدين، ألا يمتبِرُ حِينًا حَبًّا صُوفِيًّا، التَقَى قَلْبَانَا وَاشْتَلَفَا، أليست تلك هي الصوفية؟ أن يلتقي المحبون وتتسع الأرض لتبارك حبهما، كيف يفصل مَنْ كان يبغِي الوصلَ وهو يقطع كل أوامرِ الوصل؟ سيظل قلبي باحثًا عنك وسوف أصوم الدهر في انتظارك. ولو كان الهجرُ من نصيبنا فالموتُ هو الوصل بيننا يوحدنا في قبر نعشٍ واحدٍ، وتحملنا الأعناقُ لرقادِ أبدي نستيقظ بعده في الفردوس ننعَم بحبِ أَعْدَمِهِ الصُوفِيِّ الأَكْبَرِ.

نحن في نار الوجد نتلظى وأبوك في نعيم الوجد يتنعم، خَلَقْنَا اللّهُ مِنْ نَظْفَتَيْنِ مَخْتَلِفَتَيْنِ، لَكِنْ فَرْدُوسًا وَاحِدًا سَيَجْمَعُنَا، أَجْرَاسُ مَعْبَدِنَا تَعَانِقُ مَآذِنَ الدِينَارِيَةِ فَيَتَوَحَّدُ الفِداءُ الرَبَانِي، فهو الواحد بقدرته يوحد الأفئدة، وكل جولبيت تنعم بلقاء روميو وقد تصارخت من أجلها القبائل.

والحب رسولٌ تنتظر نزوله يهدينا لطريق آخر."

حزنٌ تراكم على حزن فصار حرنًا صخريًا اكتسى بلون الصخور الجبلية، واكتسى وجهها بغلالة رقيقة تفلت معها مشاعرٌ اكتنزتها، موعها الصافية، وعلى الرغم من ذلك فقد أشرفت على عينيها فطوف من صفحات قصتهما، فتجلت أمامها وكأنها في حضرة ذكر نهم وجدًا مع الذاكرين، فجاءها كشفٌ نوراني، علاقة حب إنسانية لا يفرقها اختلاف الأديان، علاقة حب كالتي عاشها آدمٌ مع حواء حينما غاب عنها خمس دقائق ليجمع لها الحطب كي تتدفأ به من ندة البرد فشعرت بلهفة شديدة لرؤيته وهو عائد، تلك اللهفة والشوق، رجمها البشر لمعنى سأم وسموه الحب وأما ربُّ الحب، الحب يفعل المعجزات، ولما فشل الدين والسياسة في ترميم العلاقات البشرية من الدينارية فحبهما كفيل بالقيام بهذا الدور، والاستنساخ بجلالة قدره لا يستطيع أن يفعل ما يقوم به الحب، فالحب ينمو في القلوب، والاستنساخ في الأعضاء، وتتغير الأعضاء ولا تتغير القلوب.



اليوم الذي اختفى فيه معتصم الديناري حدث فيه تناوشات بين بعض العائلات التي بدأت تخطط لاستراتيجية جديدة لها بأن تشتري أرضًا جديدة لتبني بيوتًا ليزيد عددها، واصطدمت تلك الاستراتيجية بأهداف مؤجلة لعائلات أخرى فنشأت الصراعات وتحولت المشادات الكلامية إلى طعن في الشرف وتدني الأصل أو غرابته، ما لبثت أن نوئت البنادق زمام المواجهة فوق القتلى والمصابين، وحدثت نداهع ولزم اليهود والنصارى بيوتهم حتى لا تطولهم نار النزاع.

في ذلك اليوم اختفى معتصم وظن الجميع أنه قُتل في المعركة، وبحث عنه الجميع، وطالت الشكوك دير القديس بطرس ومعبد الياهو، وعلى الرغم من المتطوعين الذين اقتحموا الدير والمعبد إلا أن معتصم كان في مكان خفي وكان الأرض ابتلعتة، واحتسبه الديناري مفقوداً، وأقيمت حضرة استثنائية في اليوم التالي للدعاء له، وأذان المؤذن يلتحم مع أجراس المعبد اليهودي والدير القبطي فيتوحد النداء ويبدو أن الدعاء كان مستجاباً فقد وجد الديناري معتصم بين يديه بعد الفجر مباشرة :

- كنت في نجع الخرسة

أجاب بعد أن رأي السؤال بين شفتي أبيه لكن لم يكتمل نموه.

- لماذا لم تبلغني؟

سؤال مهدت له الإجابة الأولى فلقحته فجاء مكتملاً :

- أبلغتك بأنني سوف أقوم ببحثي في نجع الخرسة.

وضع معتصم النقاط فوق الحروف وطلب منه أن يظل بحثه سرّياً، وإذا أراد أن يزوره فنجع الخرسة له متكى ومقام.

ظل نجع الخرسة أمراً محيراً للشياطين والجن، فلم يكن مسموحاً لهم بولوجه حتى ولو استعانوا بسحالي الأرض كلها وثمانينها، هناك مسافة مائة متر تعتبر مجالاً محايداً للترقب والمراقبة بين كل نجع، ذات يوم قررت أن أطيّر على بعد تلك المسافة، وكانت الأسوار مرتفعة جداً، وموهبة التحليق منزوعة من الشياطين في تلك المنطقة المحظورة فوقفت وتناولت سيقاني فلم ارتفع قدر نصف السور، لكنني رأيت

أموراً عجيبة تحدث بأن يخرج عددٌ محدود من سكانه ويذهبون إلى
الحيانة، فظننتُ أنهم يزورون ميماً لديهم، لكن تكررت تلك الزيارات
، وصلت إلى خمسين زيارة، ولم أشأ أن أترك نقطة المراقبة وأذهب
، انهم لرؤية ما يحدث، وحينما استخدمتُ قوةَ الإبصار والتمدد
الحسدي وجدتُ أنهما خاضعتان للموهبة البشرية، بمعنى أنني صرتُ
إنساناً يراقب دون أن تكون لديه قدراتٌ يسبر بها أنوار نجع الخرس.

أبتُ طيورَ اللقلق البيضاء تحلق فوق نجع الخرس كأنها مبعوثَةٌ لمهمة
، ندسة فانتبهتُ واعتدلتُ بعد أن كنتُ متكئاً كرَّجُلٍ لم يجد بُدأ من
الانتظار فأتكأ ولسان حاله يقول : " حينما أرى نهايةَ هذا الأمر " ،
والدهشتي وقعَ سرب اللقلق تبعاً كأنه كان يتخذ مساراً جويًا واحدًا.
، عند نقطة ما بوغتُ بفجوةٍ سحيقة في الفضاء فسقط تبعاً فيها، أو
، طائر مشدود في السماء للأمام بخيطٍ يمسكه شيطانٌ وبعد مسافة ما
شده للأسفل مرةً واحدة.

إن السكون هو الذي يعتلي عرش نجع الخرس، وكَم أرهاق الجنُّ السمعَ
بند الجدران فلم يسمعوا إلا صمتاً يعزف على تشيللو منزوع الأوتار
مكان لحنًا يوحى بفراغ مغموس في صمتٍ تؤججه همساتٌ منزوعٌ عنها
الحروف فصارت كدفقاتٍ ونبضاتٍ منفلتةٍ لكائن غريب وقع من الفضاء
حينما لم يجد الكوكبَ الذي وُلد فيه، وكَم طاف الشياطين حتى وجدوا
مدخلًا أو مخرجًا، لكنَّ ذا القرنين أوصد كل أبوابه وجدرانه بحديدٍ
فولاذي بعد أن فرغ من مهمة حبس يأجوج ومأجوج.

أنشأ نجع الخرس الديناري (الجَد) بعد أن رأى رؤيةً ناصعة كروية
هلال رمضان، طائر نوراني جاء سريعًا وهو يقلب وجهه في السماء
فصفعه بجناحيه ودخل في وجهه :

"انتهينا من الحضرة ثم صلينا الفجر، وملت برأسي في غرفتي واجتاحني نورٌ شديد انفلت من طاقة عالية ففتحت عيني فلم أتبين الشمع الأبيض الذي تدفق حزمًا وراح يتشكل بأشكال مختلفة، مرد أشكال دائرية وأخرى أشكال مستطيلة وثالثة أشكال هرمية، فوجدت رجلًا يرتدي جلبابًا أبيض ويضع حول رقبته شاشًا أبيض انزلق من فوق شعره الأسود الأملس الذي تتخلله خصلات فسفورية تزيد من وجهه بهاءً وتألُقًا، وترتسم على وجهه أماراتُ الملك والولاية والطمأنينة القريبة من اللون الأرجواني الممزوج باللون النضي اللامع الذي يتحول حينما يتكلم إلى لون ذهبي صافٍ، تقترب ملامح وجهه من ملامح عمر بن عبد العزيز والظاهر بيبرس معًا، وجلس أمامي وقلت له وشعرتُ، بتتميل شديد في قدمي وأنا أتعجب من جمال وجهه :

- مَنْ أَنْتَ يَا مولانا؟

قال وهو يهدم بابتسامته جبال الدهشة التي نبتت على وجهي :
" ألا تعرفني؟"

أجبتُه بعد أن توقف عقلي عن التفكير في حضرته :

- الوجه مضيء كقمرٍ جديد لم يبخل علينا بكل ضوءه.

شيخٌ وليّ من زمن بعيد يمنحنا زيارةً حصريةً فهل نحن خاثيون؟ قال وهو يصنع ابتسامة صوفية عصرية بالدماء التي نضجت شرابين وجهه
" حرير كلامك يوفر مشروع كلامي."

- شرفتُ بزيارتكم يا مولانا، والساحة لكم متكني فأمركم ناه.

علينا.

اهربَ الشيخ الولي مني ورائحة أندلسية تفوح منه فتعبق الدينارية،
 اهي صباح اليوم التالي قال كل من استيقظ في تلك الفترة إنهم شموا
 انحة جميلة ليس لها مثل ظلت حتى اشتعلت فتنة جديدة) وقال
 بموت تشيللو جديد صنعه ملحن متخصص في الآلات الوترية بعد
 ان أضاف لأوتاره ميزة جديدة قوامها الرقة والمذوبة في قاعة كبيرة
 الأوبرا يحضرها متذوقون من كل القارات يعزف على أوتاره التي
 جمع بين أصالة الماضي وعذوبته وتقنيات الحاضر وفلسفته فيسكر
 المتفرجون :

"أنا محيي الدين بن عربي."

هفت كالذي لسعته عقرب، ولملمت أردية الدهشة من تحتي وقلت
 :، نضرعاً :

- هل أجلس في حضرة مولاي ابن عربي؟

أشار بيديه لأجلس، لكنني لأول مرة لا أطيع شيخي، فنظر نظرة الولي
 لامريد فجلست أو أجلست، وأمنت النظر إلى وجهه الجميل وأرسم
 بذاكرتي كل تفاصيل وجهه وأملأ رثتي برائحته الصوفية، وقال :

"اجمع الخرس من الدينارية وأنشيء لهم نجما يؤتى ذكراً."

لم أكد أستوعب حتى كان ابن عربي يتلاشى من أمامي كلما جاء نور
 الحبراح يحل محله، نور يتلاشى بسبب نور ينبج، يتلاشى نور يختصني
 ، الله ليأتي نور اختص به الله كل البشرية."

مات الديناري (الجَد) بعد أن أشرف على بناء بيوتهم وسوقهم
 ، وخصص لهم أرضاً وتجارةً وصناعةً وأماكن ترفيهية وملاعب، ولم
 يكن به مسجدٌ أو معبدٌ أو دير، لأنهم لا يؤدون طقوساً دينية، نجح

علماني محض، وحولها أقام سورًا عاليًا لا تطاوله الزرافات، وتحترق فوقه الطائرات.

أتيتكم بمعلومات عن نجع الخرّس لكنني لا أعرف متى الآن مغزى إقامته أو إنشائه، ولا أعرف لماذا كان الخرّس علمانيين؟ على أية حال كما يقول البشر: إن غدًا لناظره قريب.

كانت تتاب كمال الواطي نوبات عصبية شديدة أثناء العضة يتمرغ فيها ولا يستطيع أن يخمد فورانها أحدًا، ويرغي ويزبد وينطق بكلمات مهترئة لا يظهر فيها سوى اسم زوجته أميمة النقاش، وكان في بعض الأحيان يسرد حكايتها "حكاية تبادل الزوجات" مع صديقه الأجنبي أثناء العضة فكان يقطعها بل ينسفها نسفًا، وكان الذاكرون يتوقفون ويبدأون العضة من الأول، وعلى الرغم من أن جميعهم يعانون من مشكلات تؤرقهم ويأتون للعضة لنسيانها إلا أن كمال الواطي لم ينس ما حدث لزوجته ويتمنى في قرارة ذاته أن يحدث ما حدث لها لنساء العالمين، وكان يتلذذ بكل مصيبة تلم بالآخرين، وفي العضة الأخيرة التي كان فيها أول العائدين من خيط الوجد سمع البليمي وأكمل الحرف الأخير وقال بشفتيه وخنجر غير مرئي يطعنه به الشيخ عبد الخالق الربالي وحينما يقع يفسل يديه في بركة اندماء التي يخوض فيها الذاكرون:

- يسوع المسيح، يسوع المسيح، يسوع المسيح، أبانا، ثالوث مقدس

أهافا تقف أمام عاصم الديناري وهي ترتدي بلوزة صفراء شفافة.

١٠٠٠. صدرٌ عاجي منحوتٌ بدقة متناهية يعلن عن نفسه أسفلها، تفوح
 ١٠٠١. أنوثة طاغية يستسلم من أجلها قادة تبثوا قضايا استعمارية
 ١٠٠٢. الشيطانية، صدرٌ يبدو كثمرتين نبتتا في شجرة منتصبه واكتسبتا
 ١٠٠٣. الانتصاب فانتصبتا حتى يعرف العالم بأسره قضيته، نهدان
 ١٠٠٤. وهان نهود نساء العالم اهتزازاً وتألُقاً، رخويان مترجرجان أملسان
 ١٠٠٥. هسبتين مرتفعتين تراهما وأنت في الجانب الآخر من العالم، تلبس
 ١٠٠٦. ملوناً حريراً يربت على فخذيها وساقيهما فيزيدهما طلاوة، جاءت
 ١٠٠٧. مسارجها بحبه فقد كانت كلماته تطفر من شفثيه في اللقاء السابق،
 ١٠٠٨. من امرأة على الرغم من أن جميع البشر يتمنون أن يقولوا لها نفس
 ١٠٠٩. الكلام وهي تضع ساقاً فوق ساق، إلا أنها كانت تنتظر أن تسمعه من
 ١٠١٠. باسم الذي قيّد فؤادها منذ أن شعرت ببلوغها، كانت الطفولة بوابة
 ١٠١١. من خلالها الحب عند المراهقة حيث النضج الجسدي والعقلي
 ١٠١٢. لهما أيّداً ذلك الحب وباركاه، أمّا عن كبير الكهنة ريباش فقد باركه
 ١٠١٣. لو أقام مراسمه في معبد الياهو، بينما سعى الكاهن شؤول
 ١٠١٤. لتمهيد الطريق أمامه، وهل تتجح العلاقة والديناري يرفضها؟

الفصل الخامس عشر

قَرَأَ الكَاهِنُ يواقيم الصموائيلي في كتاب أَلْفِه أحدُ القديسين الذي كانوا يعيشون في وادي النطرون اسمُه الأُسْقَف صاروفيم النطروني "يأتي كسوفُ الشمس كل ثلاثمائة عام تسبقه فتنةٌ شديدةُ تعم البلاد، تتنافر فيها المذاهب والرهبان، ويقبض على زمام الأمور كاهنٌ أنرا، الربُّ ليمسكُ الدفَّة، ويشارك في لقاء الأئمة، ويدخله يسوع في ملكه، الأبدى جزاءً بما قدَّمه."

وعلى الرغم من أنه قَرَأَ هذا الكتابَ الذي سَمَّاه القديس صاروفيم النطروني "فتة الكسوف للكاهن الملهوف" أكثرَ من مرةٍ إلا أنه لم يبدِ يتخيل أنه سوف يشارك في لقاء الأئمة خصوصاً بعد أن أكد له الرائدُ ليشع منقريوس قبل خروجه من الدير في صباح يوم حار جداً أن البلادَ ستشهدُ غداً "كسوفاً جزئياً للشمس يحدث كل ثلاثمائة عام" ساعتها وقف عند شجرة الطلح وعَرَفَ أنه هو الكاهنُ المقصودُ من فتنة الكسوف الذي ذَكَره القديس النطروني، بكى وبكت معه الشجرة، وأحنَّت له فروعها تطوِّقه وتربت عليه، فتأجى الربُّ عندها قائلاً :

"أبت، كتبتُ عليَّ أن أكون الكاهنَ الذي ذَكَره القديس النطروني ربُّ أعني على شكرك ما استطعت، ربُّ إني أستعين بك وأستعيزُ، الشيطان، ولتُجري على لساني كلمات حق قلتها في الملكوت الأعلى."

كرسي يجلس عليه الديناري في مواجهة النافذتين والكرسيين الآخر، اللذين يجلسان عليهما، الكاهن يواقيم الصموائيلي على يسار الديناري وكبير كهنة اليهود ريباش على يمينه، فوق الجدار الذي يجلس أمامه.

الديناري صورتان إحداهما لجده والأخرى لأبيه.

لما رأى الديناري أهافا لأول مرة بعد أن تجرأت وصعدت إلى
أحده، في الوقت الذي يخشى أبوها أن ينظر إلى المدق الواصل
بها، لتقابله بهت. وكان يوسف تراوده زليخة بجمالها فقط، فنسي
أمرأتين وبيروتريه، تستحق أن تراود عن نفسها، وتفسح لها الأمم
الأوراق والقوميات مكاناً لتبشّر ما جاءت تبشّر به، ويستحق الديناري
تراود عن نفسه بل يهدم الساحة بمستوياتها الثلاث ليعقد قرانه
منطقة كوينز بنيويورك بين أحبائها اليهود، اللوبي السياسي الذي
أمر مجلس الأمن والرئيس الأمريكي بأمره، ولكن أيقّد قميصه من
أمام من دبر؟

الديناري يقترب من زليخة ويمزق بلوزتها الحريرية فيكشف له صدر
وهما لورين فيرضع منه طفل إفريقي سرقت حكومة دولته الأرز واللبن
الدهني الذي أرسلته أمريكا ذات الكونجرس ومجلس الشيوخ ذوقرون
المائة لتقييم قاعدة عسكرية، ولتسمح للمبشرين الجدد بدخول البلاد
المائة المواطنين دينياً، الديناري يحتضن صدر صوفيا لورين وقد
أمر في مخيلته أن أمه لم تكن بهذا الحنان، شعر بأن افتقار الرجل
الديناري في صفره يمكن أن يحوله حينما يكبر لصوفي يتبعه المريدون
من طرف يلاحقه الأمنيون، وأن أهل الدينارية كلهم يفتقرون للحنان
الديناري أمهاتهم كُن يعانين من فقر شديد يفوق الفقر الإفريقي، وهو ما
أمر فتياته يبشرون في أرض العجائز.

الأمم كله مبني على أخطاء البشر، الصوفية ترتب تلك الأخطاء

وتتقد هؤلاء المخطئين وتجمع ما بعثره البشر، الصوفية ليس مرتعاً للمتطرفين بل هي مستشفى للأمراض النفسية والمصيبة يستنشق المريدون هواءً معجوناً برائحة الخلاص والإخلاص. لئلا هل جميع المریدین مَرَضَى؟ وإذا لم يكونوا مَرَضَى فلمَ لجأوا إلى الصوفية واعتنقوها؟ قال شيخ صوفي تخلص عن طريقته لأنه رأى أن كل الصوفيين مروا بظروف قاسية في حياتهم فلاذوا بالساحات. ولم يجد إجابة شافية عن سؤاله : هل كان مشايخ الطرق الصوفية مَرَضَى نفسيين؟ وهل تعالج الصوفية أولئك المَرَضَى؟ عند الدينار وُضِعَ هؤلاء المَرَضَى في قسم خاص في المستوى الثالث للساحة، فأين هؤلاء المَرَضَى؟

ربما بدأت حواس البليمي تستجيب شيئاً فشيئاً لإداركه، والشبه الربالي في الساحة الدينارية يستنطق أطفالاً مبتدئين يحفظهم جرح عم. فتح البليمي فمه بصعوبة شديدة لأن اللعاب الذي ظل مكدساً منذ ليلة أمس كان صمغياً، فتسبب في ثقل اللسان، وبطن جدران الخدين الداخليين بمادة أشد التصاقاً من الفراء. فراح يحرك فكاه بصعوبة وكأنه يقوم بتليينها فوجد صعوبة شديدة بسبب كمية البلغم الذي تكون لديه، فمئل له عائقاً آخر.

هذه الليلة اقترضت الطول والسكون من ليال قديمة. كانت السخوة المتصاعدة من أنفاسه بركانية تنتظر لحظة المغاض لتنفجر بعنقها ولاقاتها. ليس هناك شك بأن هناك صراعاً قد نشب بين السكون الذي جيء به ليحف الليلة بغطائه وبين غطيطه المكتوم الذي سمعته بعد الكلاب الضالة التي تخشى أن تدخل المدن للفوز بقطع لحم أو عظام.

روانية. تباعدت آذانها الميكروفونية لتُقَرَّب الصوتَ الذي يتصاعد
 من الثقوب ضجيج الشوارع الضيقة، فيتحد مع لهاثها المتواصل،
 يربض عند حدود القرى تتخين الفرصة للهروب من جيوب الفقر.
 سمعت هذه الكلاب غطيته المنقوع بالبلغم المكدر. حيوانات
 نذرة سمعت هذا الصوت الضفصعي الذي اخترق كل هذه الجدران
 المحيطة به وأيضاً جدران المنازل المجاورة، وأصوات القنوات
 الفضائية التي تظل حتى الصباح، الفنائية منها وقنوات الأفلام
 والمسلسلات، وقنوات المصارعة وضجيج الطائرات والديابات
 والصراعات الإقليمية والحدودية والعرقية والمصرية والمذهبية
 من قنوات الأخبار، حتى القنوات الكرتونية التي تتصارع فيها الصور
 التي تعكس البطولة الأمريكية والبطولات الصينية واليابانية الجديدة
 ومؤثرات صوتية ومرئية ضخمة ثلاثية الأبعاد، كل هذا الزخم الفضائي
 وما يمثله من عبء سيمنع وصول صوت غطيته المحموم للحيوانات
 الرابضة في القرى المجاورة، وحتى التي أفلتت من سطوتها وظنت أنها
 هربت بلجوئها إلى شوارع المدينة الخاوية حتى من عظام امتصها
 السائلون والفقراء وكذلك الذين امتهنوها في السنوات الأخيرة فقط.

هذه المرة كان الصباح بالنسبة له نقطة متناهية في الصفر، لا يراها
 إل البشر، يراها العميان الذين أوتوا بصيرة شفاقة يبصرون بها في
 الظلام الدائم، وبديلاً عن بصر مفقود أو مؤجل. يراها "المباديل"
 واضحة تماماً، لكنهم يحسبونها مصباحاً يتدلى من السماء بخيوط
 ألفة الطول، يتأرجح فوق رؤوسهم فيتهللون طرباً وفرحاً، وحينماً
 يمدد نور هذا المصباح في حجم بقعة ضوئية شنت طريقها بين أوراق
 الشجر وارتمت فوق أوراق جافة ميتة تحتاج لمن يدهسها فتكون تراباً

لا ينتظر حسابًا، هذه النقطة المضيئة لم تتسع رقعتها بل ثبتت على حالتها، مما تسبب في تيبس عظامه. بخلت هذه النقطة المضيئة أن تمدّه بطاقة كيميائية هذا اليوم كي يرفع نفسه من فوق الفراش. ظل على هذا الحال ينتظر أن تدخل الشمس من النافذة وترضه. ظن أن الليل يخدعه فأرسل له نقطة مضيئة تتجسس عليه وتمعن في إطاها تقويم العجز عنده.

غلالة رقيقة جدًا تتلون بعمدة ألوان، وربما كانت رقعتها نابعة من جودتها في إخفاء ما خلفها، وربما أظهرت شيئًا مختلفًا، كأنها زجاج رفيع لا يكاد يبين لكنه يتمتع بسطوة الإذاعة والقطع، والإظهار والإخفاء، الدمج والتطويل، الإيجاز والترثرة، التلوين وتفصيل الأبيض والأسود. تلك الغلالة لا يراها العاقل أو حتى المجنون، لكنها في نفس الوقت أعدت للمجنون وتنتظر العاقل إذا لم يجد في الحياة سبيلاً سوى الجنون.

الغلالة الرقيقة تتحكم في الرؤية والسكون، والانفعال والثورة، والتمرد، فهي تخص المجنون، فهي تظهر له ما قد يجعله منفعلاً، وحينما ينتهي بثها يهدأ تماماً، وكان الشياطين يخيلون المريض أحياناً خلف تلك الغلالة فينفل ويرغي ويزبد ويكسر ويهشم ما أمامه؛ لأنه يرى أعداء يحاولون الفتك به، كل حالات الثورة والتمرد مرجعها التبدي للمبدول بالصورة الشيطانية التي يحتفظ بها كل إنسان في مخيلته، والهدوء مرجعه الاختفاء عنه فلا يرى شيئاً محدداً.

البُكيمي لا يراك على بعد خمسة أمتار أو عشرة، وإنما يراك إذا اقتربت منه نصف متر؛ لأن الغلالة تبعد عنه بمقدار خمسين سنتيمتراً، وإذا ابتعدت أكثر من متر فهي هلام ككل الهلام الذي يحيط به. تتنابه

من حين لآخر حالات من التقوقع الشديد الذي يؤدي إلى الوفاة إذا
 لم تساعده الظروف أو بعض الناس للخروج من تلك الحالة، وربما
 أن لديه رصيده من الإرادة الجينية ترفعه من البئر الذي ينزلق فيه
 ،درجياً مثلما كان على وشك الفرق في بئر الشهداء بدير القديس
 ،طرس وأنقذه منها في الثانية الأخيرة الكاهن يواقيم الصموثيلي
 ،على الرغم من أن المسلمين كانوا على وشك أن يفتكوا به ظناً منهم
 ،أنه يقوم بتنصيره إلا أن البليمي أوضح براءته بكلماته المبتورة، وعلى
 الرغم من كل المحاولات التي بذلها الشيخ عبد الخالق الربالي لعلاجه
 إلا أنه كان كمرريض بمرض مزمن لن تُجدي معه كل العقاقير ويحار
 ،مه الأطباء، ورغم كل المؤشرات التي تبين اقتراب ماعته إلا أن العمر
 ،امتد به.



إن مقتل متى الضباوي يوافق يوم الجمعة، وسكون يركض في كل
 اتجاه كإسعاف تابع للصليب الأحمر ينطلق سريعاً لإنقاذ مريض لكنه
 لم يستدل عليه، وكانت أصوات قراء القرآن ترتيلاً وتجويداً تتردد في
 الوادي وتناهي إلى أسمع الكاهن الذي كان يقبع في مختلى القديس
 ،طرس، وينشغل الرهبان في أعمال الزراعة في الحديقة الخلفية،
 ،إن متى ممدداً على أريكة خشبية ليس تحتها مرتبة، ليس بينه وبين
 الحشب حجاب، وحبال شديدة توثق يديه وقدميه، موضوع فوق صدره
 ،سبان خشبية ومعدنية وكتاب مقدس صغير يتوسطها، عيناه زائفتان
 ،مدفتاه تبحثان عن قبلة يرضاها. وشفثاه جافتان ومعدة خاوية تظهر
 ،أبها أنفاسه اللاهثة بُنصت لصوت القرآن في بحار القبط ويقبع
 ،أخل غواصة زجاجية هيئة تحاول أسماك القرش والحيتان المفترسة

كسرها والتهامه، وسكون طيفي شديد يُنصت للتلاوات المختلفة التي تصدر من كل اتجاه، يتسرب ذلك السكون للدير فيمتزج بسكونه القبطي فتنتاب متى رهبة على الرغم من الطمأنينة التي كانت تلتبسه أتاه الأمر ليلة أمس حينما اتصل به الأسقف على تليفونه المحمول قبل أن يدخل إلى مختلى القديس بطرس لأول مرة يتعرف عليه، ترد طويلاً وهو يدخل لمنتهاه فوقف عند الباب متردداً ما بين المثل بين يديه ليبوح بذنب يوشك على اقترافه ويلجأ بعدها لاعتراف طويل وعميق عند يسوع أو الانتظار قليلاً حتى يصل به الكهنوت درجة تلبه بالقديس مقالاً ومقاماً، لكنه سمع القديس الناجي من أفعال تابعه يناديه وامتلئ بين يديه خاضعاً وخاشعاً، شعر بأن لقاء القديس أصعب من لقاء يسوع، فيسوع قطعت أسس المحبة التي نادى بها كل القيود بينه وبين أبنائه.

شعر بأن القديس بطرس ساكن وملامحه جامدة لا يقبل الأعداء، وجسده يملأ البورتريه كبطل سينمائي شهير تشعر بقشعريرة تنابك حينما تملأ صورته شاشة السينما بزووم تقني عال، شعر بأن القديس يسمعه بل يرهف سمعه، قال الراهب ليشع وهو يرفع أكف الضراعة :

- يا أبت، أنعم عليّ يسوع بالرهبانية في دير قداسك، فطلبتُ تكريماً لمحبتته ومحبتك ومحبة أبنائك، وبموجبات رحمته هيأتُ روحي لخدمه الأبناء، ووهبتُ نفسي لفعل كهنوتي جديد متعمق في ذاته، وذاته تتجسد في ذوات المخلصين من أبنائه، وقلبي هدمتُ فعلاً مقدساً ترضى عنه ويرضى عنه يسوع.

كانت مكالمة الأسقف ميخائيل المحرقي تتكون من عبارة واحدة

منضبة تحمل تخطيطاً مسبقاً بُني على فكرة يهودية وأمر بالخبز الإيجاز
واجب التنفيذ، بعدها دخل الراهب ليشع مختلى القديس بطرس،
معها ثم نجاه ومن بعد المناجاة سينفذ أمر الأسقف.
ثم بما قُدِّرَ أن تقوم به.

هب الكاهن يواقيم الصموثيلي ليلة الجمعة لمتى الضبعاوي يسأله
إلا أخيراً حتى يبيريء ذمته عند يسوع فهو متعاطف معه، وهو الذي
علمهم يوفرون له سبل العودة إلى دينه، واشترك معهم في وعظه والتي
هي أحسن، على الرغم من أنه كان يرفض توثيقه بالحبال، لكنه كان
أمر الأسقف حتى لا يهرب أو لا يهرب.

افترّب منه وهو ينظر إلى جسد نحيل رفض أن يتناول طعاماً إلا الماء،
بحاول أن يوقظه من غيبوبته التي نتجت عن صوم لم يفرضه دين،
سوم احتجاجي عن فعل لا يمت للأديان، وسأله قائلاً :

- لِمَ كُفِرْتَ؟

- نَمَّ أَكْفَرُ، إِلَهُكُمْ وَالْهَنَا وَاحِدٌ.

..إلّ واحد وإجابة واحدة محددة لم يستطع الكاهن أن ينظر إليه،
لكن ذهب ليُنَاجِي القديس بطرس الذي ينتظره كل ليلة يراجعهُ إن
أخطأ ويعدد له عبارات الثناء إن أصاب، في مختلاه.

وفى الراهب ليشع منقريوس أثناء الأذان الأول للجمعة ينظر لمتى
الضبعاوي وقال له أمراً واحداً لم ينتظر أن يجيبه عليه :

- عُدْ إِلَى ثَوَابِكِ وَالِي دِينِكَ.

كان الوقت بين الأمر وعدم التنفيذ قصيراً جداً لا يحتمل أن يفكر فيه

المذنبُ في التراجع عن قرار اتخذه خشيةً أن يتعرض لتكيل محتمل أعدهُ صاحبُ الأمر مسبقاً قبل أن يستمع إلى توبة أو يقوم بأستتابته قسراً، ولم يكن لدى الراهب نيةً لاستغلال هذا الوقت سواء لصالح المذنب الضحية أو لصالح دير مدفون فيه قديسون ورهبان أفتوا جُل أعمارهم لخدمة الرب وأبنائه، كان الوقتُ القصير بمثابة شحذ القوى لتنفيذ أمر الأسقف، وليس لمنح المذنب الضحية الفرصة الأخيرة للتوبة أو الاستتابة، وحينما حَقَّق الكاهن يواقيم الصموائيلي بعدها بيومين في عدم استغلال الوقت الأخير لصالح المذنب الضحية قال الراهب ليشع منقريوس :

- منحته وقتاً طويلاً يعود معه فرعون من عند الشاطيء قبل أن يخوض في لُجج البحر خلف موسى، وكما أراد الراهب ليشع أن يطيل ذلك الوقت في إجابته فقد قصَّره الكاهن في سؤاله التالي :

- وهل عَرَفَ أنها فرصته الأخيرة؟

في قضايا القتل تكثر الأكاذيبُ فهي المنجاةُ من العقوبات، وكانت أكاذيبُ الراهب تُظهر على جبينه كطير حائر بين الطيران من شجرة توشك أن تقع بسبب عاصفة هوجاء وشجرة ثابتة لكنها عالية جداً، تعمقت لدى الراهب ليشع أسسُ الكراهية للأخر فكيف يرحم من لاد بدين الآخر؟ البتر والاجتثاث حتى ولو كانت النهاية حتمية، قطع رأس الحية قبل أن تلد أفاعي ينتشرون في القرية وتستنسخ الأفاعي نفسها تلقائياً لتقضي على كل الأقباط.

فقبضَ على رقبته بمنفوان شاب متهور قضى عمره في تعلم فنون الخنق والشنق، وقوة راهب قبطي جاء من عصر الآباء المبشرين

الأوائل ليدافع عن دينه، قوتان كفيلتان بقتل المسيح الدجال بمنفوانه
 التاريخي المخيف إذا جاء بمفرده يحث الرهبان في دير القديس
 بطرس أن يتبعوه، قوتان شديدتان ورقية نحيلة لشاب صام عن الطعام
 طويلاً ينتظر غوثاً فيزيقياً أو ميتافيزيقياً فماذا ينتظر عزرائيل؟ هل
 ينظر مقاومة من شاب فقد مقومات الحياة بعد احتجاز طويل رأى
 فيه تهديداً جسدياً ومعنوياً؟ شاب صام بقناعاته ومعتقده الجديد فإمّا
 حمة كان ينتظرها أو موتاً هو أقرب ليقابل وجه عزيز مقتدر ليحاسب
 أحد الدينين. لم ينتظر عزرائيل كثيراً فحينما قبض الراهب ليشرح
 لبطرس على رهبة متى لفظ أنفاسه جملة واحدة وكأنها كانت تنتظر
 أيضاً لم يكن بمقدور يسوع أن يمنعه، وظل الراهب قابضاً عليها
 متى بعد موته بخمس دقائق وهو يظن أنه يُجهز عليه تماماً.

انابت الراهب بعد قتل متى الضبعاوي بشهرين حالة من التردد
 والخيرة، فحدثته نفسه أنه وهو قابض على رقبتة أنها كانت باردة
 تماماً، وظن أنه فارق الحياة قبل أن يخنقه فتهللت أساريره، لكنه
 دكر حينما كانت يدها تقتربان من رقبتة أنه نظر في عينيه وتحركت
 أهدابهما مرة واحدة، وكأنه يعطيه إشارة البدء، ظلت تلك النظرة
 تطارده في نومه وكانت تتمسخ نفسها تكراراً فتلتبس عيون الآخرين،
 ورات مرة رأى الراهب أبانوب الأنطوني جائماً في مختلى القديس
 بطرس يناجيه فقال له مستكراً وجوده :

- ماذا تفعل هنا يا متى؟

وقال ذات مرة أثناء الاحتفال بذكرى القديس بطرس وهو يستشهد
 الراهب أبانوب الأنطوني محتمياً برأيه :

- وكان في مَعبة القديس بطرس في مختلاه الراهب مَتَّى الأنطوني...
القاتل المحكوم عليه بالإعدام يشعر بالندم، ويبحث عن كلمات ينوء
بها خلال مشاعرٍ وأحاسيسٍ جياشةٍ تصبغها بصبغة لها تأثيرٌ عميق.
لكن القاتل الحُر الطليق لا يشعر بالندم، بل يشعر برضا نفسي شديداً
لأنه خلّص البشرية من المقتول، بل ينتظر جرأاً ذلك جائزةً وتكريماً
من الآخرين، وكذلك انتظر الراهب ليثع منقريوس تكريماً - ليس من
الراهب يواقيم الصموائيلي الساخط على فعله والذي انتظر طويلاً
حتى يأتيه تائباً، لكن قلبه كان متحجراً - هناك في الأبرشية في نجع
حمادي، ونجوم من الفخر والكبرياء تسطع على كتفيه.

الفصل السادس عشر

ماى الرغم من أن الديناري شاهدَ قنوات فضائية كثيرة ورأى ممثلات
وانقات الجَمال، لكن جَمال أهافا يخطف الألباب، لأول مرة يخفق
مأدّه، ويحسد ولده عاصم :

- نحن لجأنا للصوفية لنرى جَمالاً لم نره هي زوجاتنا
الإفريقيات، فهوَضتنا الصوفيةُ فرأينا جَمالاً أندلسياً وكشفاً بمددِ
هارونِي يفوق كل جَمال.

ان الديناري يقول للمقرئين وخصوصاً الشيخ عبد الخالق الربالي
على الرغم من الجدبة الصوفية التي كانت ترسم على وجه الديناري
الا أن الضحكات كانت تعتبه في الجلسات الخاصة، وحينما رأى أهافا
منى لوصام عن الصوفية وتزوج أهافا :

- الصوفيةُ وأهافا صورتانِ ناصعتانِ للجَمال، أن تتصوف أو
ان تراودَ أهافا عن نفسها.

قال الديناري لنفسه وهو يبشُرُها بافتتانه بأهافا، ولم يشأ أن يبوح
بها للشيخ عبد الخالق الربالي، "هل يُضحّي المرءُ بالصوفية من أجل
صوفية أخرى؟" "صوفيتانِ في الدينارية؟" نفسه تسأله وتخرج به من
مقام الكشف إلى مقام التيه، بعد الوصول إلى النبع الأبدى يتيه المرءُ
ثبني إسرائيل؟

خرج الديناري مع موسى من مصرَ وعادَ في اليوم التالي بعد أن تطهر
من رجس أهافا.

- أهلا بك في الساحة يا أهافا.

رأت أهافا حينما دخلت الساحة غلالةً من ضوء تُسلط على الشجر ثم
فترى العصافير تصدح فرحةً برؤيتها والبليمي محبوباً في ذاته
منذ يومين، وهذا الديناري يُفتن بها. كانت أهافا تعرف أن الجمال
خيرٌ سفير للفلسفات والبعثات الدبلوماسية، فالجمال ينقل الرساله
الفلسفية العُصبة التي لا يستطيع ديكرت أو حتى القطب الأعظم
أرسطو أن ينقلها للبشر، وأفضل من عجل السامري يغوي الخارجرين
من البحر، الديناري وافق على كل البنود التي لم تقلها أهافا، فالجمال
لا ينطق إلا بالحق، والقبح لا ينطق إلا بالضلال، وأهافا دخلت ساحة
الدينارية ودخلت قلب كبيرها، وكان عاصم كطفل تُجاب كل مطالبه
ويعتني به الآخرون ويسمع منهم كلمات المديح والثناء ويتمنون أن
يحملوه على أعناقهم لأنه يمشي بجوار فتاة فائقة الجمال.

ليس من العقل أن يتكلم وهو بين القطبين الأعظم، قطب الصوفيه
وكبيرها وقطب الجمال وربته، كان يدرك أن صراعاً تشتد فصوله بين
القطبين يدور وهو يجلس فوق الكرسي الثالث في غرفة التصوف، كشافان
يتجلى نورهما أمامه، نور قَمري ساطع يربت على العُصاة المارقين
فيتوبون ويذكرون الله في حضرة يقودها عبد الله بن الزبير، يحضرها
عبد الله بن صفوان، يتيهون في الذكر وسجا جيد تركية تُقرش أمامهم،
وحور عين يُظفن عند الأفق، وما بين الحور العين الواقفات عند الأفق
وبين الساحة الدينارية التي يقيم فيها ابن الزبير وابن صفوان يقف،
الحجاج بن يوسف الثقفي يمتطى جواداً أعور يشبه مأجوج الذي لم
يُخرج بعد، ويُشهر سيفه الذي يعكس النور الذي تجلى في الحضرة
منتظراً ليحصد رأسيهما حتى يرضى عنه الخليفة، ونور آخر يسطع

أفق بعيد كأنه يَسْمَع من إسبانيا بالقرب من مضيق جبل طارق
مع المسافات ويبهر بضوئه وتألّقه كل مَنْ يعيش في الدينارية وكل
وقع في هوى أهافا.



ماء دور الكاهن يواقيم الصموائيلي ليتكلم عند الديناري في ساحته،
بهر كهنة اليهود ريباش ينصت في اليوم الذي استلم لويس ليمارجي
الالة من الحاخام الأكبر عوفاديا يعقوب، واستغنى وجه يواقيم عن
الحوب الذي غام على وجهه، وامتشقت الحمرة وجنتيه وكأنه عريس
من السماء، وعيناه تبحثان في السقف عن طاقة يصعد منها للملكوت
العالى، وكان طوال حديثه مثل القديس بطرس يتكلم وهو ينظر إلى
السماء.

- جاء يسوع بالمسيحية من أجل المحبة والسلام، والتزم
الديسون الأوائل ومن جاء بعدهم بتعاليمه ولقنوها لأبنائه، أما ما
صدر عن بعض الكهنة على مر التاريخ فأسميه انحرافاً تسبب بشكل
أو بآخر في فتن لم يؤدها إلا السميع القدير، وكذلك الحال بالنسبة
للإسلام الذي يدعو للسلام والمعاملة الحسنى والمعاني الجميلة إلا
أن بعض الأئمة انحرفوا أيضاً عما جاء به النبي الخاتم وعن الصحابة
الأخيار والسلف الصالح، وبالمثل صدر عن حاخامات اليهود ما يوجب
المن حتى تقوم القيامة، وقلت من قبل في لقاءات منفردة أن انحراف
الخطابة يزرع الفتنة في القلوب، والمتقون يحصدونها، وربما أجد أن
هذا الانحراف له عدة أسباب لا بد أن يعالجها كل منا حسب ظروفه،
هناك انحراف ناتج عن فتاعات مشوهة وقراءات ناقصة لبعض
السابقين الذين لم تعد أفكارهم صالحة في هذا العصر، وربما جاء

هذا الانحراف نتيجة لمنهج تعليمي خاطيء، أو ظروف خاصة مر بها صاحب الخطاب، ومن يتصدى للخطاب الديني فلا بد أن يسلك منهجاً جديداً يراعي فيه الأنا والأنا والآخَر في ميزان الدين.

جلس الكاهن يواقيم الصعواثيلي لاهناً وكأنه كان يخطب في الحوارين بعد رفع المسيح وهم يتحاورون فيما رأوه وفيما سوف يفعلونه. كان الديناري طوال حديث الكاهن منتبهاً وبهز رأسه طرباً، وتأكد لديه أن الكاهن مثقف وواع ولم يخيب ظنه، بينما كان الكاهن ريباش يستمع دون أن تبدو علامات استحسان أو دهشة ولو نظرت في عينيه أثناء حديث الكاهن لظننت أنه فارق الحياة منذ مائة عام فقد كانت عيناه شاخصتين.

دبت الحياة في كبير الكهنة ريباش الذي أماته الله مائة عام أثناء حديث الكاهن يواقيم، وإذا كنت موجوداً لاكتشفت أن هناك فرقا كبيرا بين ريباش المستمع وريباش المتحدث، فريباش المستمع لم يتحرك خصوصاً عندما اقتربت منه أكثر ووجدت ناموسة. أعرفها تماماً لتاريخها القذر في حومها، تطوف حول أذنيه وتدخل وتخرج وتعيد الكرة، لكنه لم يتأثر بها، قال الكاهن شاؤول أشعيا عنه ذات مرة للراهب ليشع منقريوس حينما تقابلا عند معبد حتشبسوت يتلحفاً بغياب القمر: "الكاهن ريباش يحسن الاستماع، لذا فهو يحسن الحديث"، حتى أن الديناري نفسه قال عنه: "لو كنا نستمع كما يستمع ريباش لما حدثت فتن." أما ريباش المتحدث فهو يعبر بعينه وحاجبيه ويديه كشاعر يجذبك بتعبيراته قبل كلماته حتى إذا أخطأ في عبارة أو جملة فإنك سوف تفقر له لأنه عبّر عنها بوجهه وبكل جوارحه.



- أئمة الحاضر يعرفون الماضي، لكن أئمة الماضي لا يعرفون الحاضر، قرأنا ما قاله السلف عن الأديان فمنهم من كان مُنصفًا ومنهم من كان جائرًا، أن نتبع من كان منصفًا فهو خيرٌ لنا، لكن أن نتبع من كان جائرًا فهو الظلمُ بعينه، الجائر لا يعرف سُبُكنا لأنه لا يمش بيننا، لا بُدَّ أن يكون لكل عصر خطابٌ ديني يليق به.

سدى صوت يقتحم أذن الديناري وهو جالس بعد أن صلى صلاة العشاء ، مصافيرٌ منهكةٌ ما تزال ساهرةً تراجع أمورَ يومها الفائت الذي لم يأت بخيرٍ ووفيرٍ، وتُخطط ليوم غدٍ، صوت الصدى وصوت العصافير ، كلاً جوفّة صوفية تردد كلماتٍ جوفاءً :

- لم يحل الدين ولا السياسة مشكلات الإنسانية.

أماتٌ صادمةٌ قالها معتصم الديناري لأبيه بدعوه لاعتناق قضية العلم التي جاء من أجلها، فَحَثَّهُ على تحجيم فتاعته فقال :

- الدين يحل مشكلات كل المجتمعات، ربما تفشل السياسة لكن الدين يحتاج لمن يتبعه، وإذا اتبعت الدين صلحت دنياك.

- ما يحدث في الدينارية يؤكد كلامي.

- وإذا كان الدين والسياسة فشلا في حل مشكلات المجتمع فما الذي يحلها؟

- العلم.

سراعٌ فكري جديد دخل فيه الأب والابن كرسّ لمسألة صراع الأجيال الفكري، وإذا كان الديناري قد جدّد في الفكر الصوفي، فلماذا يستنكر على ابنه الذي يتسلح بالعلم أن يأتي في هذا التوقيت ويهدم

الساحة الدينارية القائمة على فكر صوفي بَحَث، إذا جاء العلم تتَحَت كل المعانى والقيم الدينية، هل هذا ما يريده معتصم؟ ماذا إذا كان الاستساخ يرفضه الدينُ بتاتا؟ أو على الأقل يحتاج وقتاً ليناقشه حتى يعتمده ويُعمِّده؟ وإن كان الدين قد رَفَضَ من قبل زُرَاعَةَ الأعضاء من باب أن المتبرِّع ليس من حقه التنازل عن عضو منحه الله له، إلا أن الدين وافق بعد ذلك وأباحها حينما وجدوا أن زُرَاعَةَ الأعضاء تطيل من عمر المريض، وربما تُصَحِّح من حياته الممتلئة، وظهَرَ بعدها علماء دين يقولون إن كانت عمليات زُرَاعَةَ الأعضاء ناجحةً بنسبة كبيرة فإن الله كَتَبَهَا وَعَلِمَهَا، وكذلك الاستساخ يحتاج لمن يجربه، وإذا نجحت التجربة فإن الله كتبها وكانت على علمه.

قال الديناري وفكره الصوفي يتقاطر منه كطلاء غير متقن ضربته الشمس فسقط كدموع ملونة ذرقتها عيون تمثال عصري :

- الاستساخُ يأجوجُ مارقٌ عن فصيله جاء قبل مواعده لينكر الأديانَ ويكفر بالسياسة ليُغيِّر الخريطةَ البشرية من خلال تجارب قام بها علماء لم يمارسوا طقوسهم الدينية منذ أن التحقوا بالمعامل. ويمزجون سوائل الرفض بمواد كافرة.

كما أخرج لويس ليمارجي رمسيس الثاني وهو مُسَجَّى في تابوته منذ آلاف انسنين أهافا ليمارجي وعاصم الديناري لدراسة الماجستير في جامعة الينوي بأمريكا في العلاقات الدولية، خَرَجَا ذات ليلة بعد أن ضرب موسى بعصاه وركبا الطائرة ولم يتبعهما فرعون الذي غرق لأنه مسجَّى في تابوته القديم والديناري في حضرته يعرِّض الناس على

الاستيقاظ من غفوات الحضرة ونوبات الكشف التي تتناوبهم ويفيقهم
،نما يصفق بيديه، فالحضرة حضورٌ وليست غياباً، والذكرُ بعقل لا
،رع إلى الشرود.

ارك كبير الكهنة ريباش بتعليمات من الحاخام الأكبر خطبةً
اهيدوشين) أهافا من عاصم والتي تمت في معبد الياهو بالدينارية
م.م.ل مفادرتها بست ساعات، وفي المعبد اليهودي بولاية الينوى
الولايات المتحدة الأمريكية أتموا مراسم الزواج (نيسوثين) وهناك
مال لها عاصم بالعبرية التي علمتها له أهافا في معبد الأقصر قبل
ان يرتشفا من كأس من نبيذ ورش الحاضرون عليهم العطور كما
مال الحاخام موسى بن ميمون في "كتاب التثنية" باب النساء شرائع
الزواج :

- أنت مقدسة لي بهذه القطعة المعدنية حسب شرائع
وتعليمات موسى وشعب إسرائيل.

وقبل انتهائهما من مراسم النيسوثين قالوا بصوت واحد مفعم بالحب :
- إن نسينك يا أورشليم، فلتنس يعني مهارتها، ليلتصق
اساني بحنكي إن لم أذكرك ولم أفضلك على ذروة أفراحي.

مراغ شديد مصبوغ بلون غيوم باكية تؤخرها خصلات شمسية بعثها
شفق راحل، شعر به كل أهل الدينارية حينما سافر عاصم وأهافا في
منتصف الليل والبليمي يتسمع عند نافذة قارون، وكان حبهما قطعة
موسيقية يؤلفها ملحن يعزف على آلة التشيللو تظهر فيه نغماته وتعلو
على بقية الآلات، كان المازف يختبئ خلف شجرة سرو عتيقة حولها
أعشاب خضراء، ويعزف على استحياء بالتشيللو خشية أن يفتضح أمره

ويقول عنه الناس إنه يعزف للعاشقين فتلاحقه لعنات يهودية وقبطية
ومسلمة، وينتظره جان صيني هارب من مصنع ألعاب أطفال مقام
تحت السلم في بكين فيعرض عليه أن يعزف بتشيللو صيني تفوح منه
رائحة أحذية بلاستيك رخيصة ورديفة، وبمعجزة موسيقية يهرب منه
فيجد صحراء شاسعة لبصره تقرد اتساعاً لكن يضيق به الأفق، ويبتعد
قليلاً فيتوه في السراب الصحراوي ويخفت صوت العازف مع أن أهافا
وعاصم كانا يأتسان بعزفه ويسري في جسدهما دفء غريب.

قبل خروجه من الدينارية مع أهافا ظل عاصم معتقلاً في ساحة جدّه،
وعين له أبوه نقيباً خاصاً يقضي له طلباته، ورسم في مخيلته علم
جدران الساحة صورة أهافا تؤنسه في وحدته، ولم يكن اتصاله بروحها
سوى شهقات الذاكرين في المستوى الثالث للساحة. كانت أهافا
تركض أمامه طفلة بريئة تصدح ضحكاتُها خلال جدران الساحة.
وتكبر فتنتقل من باب إلى باب ومن مستوى إلى مستوى وتصير
ضحكات مرهقة يعتنق جمالها المريدون، حضرة شيخها ونقيبها
ومريدها عاصم الديناري، طرحه وجدّ وشوق جارف وتمنى لو كان مع
بني إسرائيل وخرج من مصر معهم، لكن كان لويس ليمارجي يعزف
على أوتار حبهما، وكان مستعداً أن يطرح نفسه تحت قدمي الديناري
ويبكي عند جدران الساحة ليوافق على خطبة ابنته لابنه، وكان مستعداً
أن يتخلى عن دينه ودين قومه وينذ فكرة الخروج من أجلها، بل ينكر
الخروج بكل أنواعه حتى ولو كان هجرة، ومستعد أن ينكر الهولوكست،
حتى تنعم أهافا بحياة تليق بها.

وفي الخروج عشر فوائد، كما قال حكيم قديم من بني إسرائيل عاشر
في القرن الثاني من خروج موسى، ألف كتابين عن خروج بني إسرائيل

الأول بعنوان "الخروج نعمة وليس ابتلاء" والآخر بعنوان "موسى يضرب
مهناه حُلمَ المصريين" اعتبر اليهود هذين الكتابين من أمهات الكتب
لديهم، وسرد قصصًا بطولية حدثت أثناء الخروج، وجعله فلسفةً
خاصة بهم يتبعها كل من ضاقت به أرض الآخرين، وشدد هذا الحبر
على ضرورة كلمة "خروج" وليس "هجرة" فالهجرة لا يُرتجى منها
، جوعٌ بينما يُنتظر أن يكون بعد الخروج عودة.

الفصل السابع عشر

ظل الديناري شهرًا يعاني من خروج ابنه عليه ومن أرضه ونبذ أوامره
خرج عاصم على شيخه، وهل يجرؤ المریدُ على الخروج على الوليِّ
الدنيا ترجع للوراء، اقتربت الساعة، وظهرت علاماتها الصغرى
وكلف الشيخ عبد الخالق الربالي بتولي أمر الساحة، ونزل لأول مرة
عن عرشه، بعد أن رآه هيئنا في الرؤيا، يهتز كلما هبت ريح، ثم حملته
فصائل من الجن وصار على الماء، يعاني من وحدة قاتلة لم يمر بها
منذ أن ماتت زوجته هند الشنتوري حينما كان عاصم في العاشرة من
عمره، خرج عاصم من الدينارية إلى أمريكا، ودخل معتصم إلى نجم
الخرس، موطن الغرابة والأسرار الذي نسج من أجله أهل الديناربه
حكايات كثيرة مثل حكاية "إن هؤلاء الخرس أول من يتبعون بأجوج
وماجوج حينما ينسلون في كل واد، وقال آخرون إن الخرس كائنات
فضائية جاءت لحماية الساحة الدينارية وكانهم حرس سرّي، وسع
بعض الحاضرين الشيخ عبد الخالق الربالي يقول ذات مرة إن الخرس
حرس الدينارية الصوفي، كالخرس الجمهوري، ودل البعض على تلك
الحكاية بأن اليهود حاولوا ذات مرة خطف الديناري في ليلة شتوية وقيل
أن يصلوا صاعدين خلال المدق الرملي إلى بوابة الساحة حاصرهم
الخرس وأعادوهم إلى نجوعهم بعد أن ألهبوا مؤخراتهم ضربًا وحرقًا،
تلك الحكاية تجد من يصدقها وتجد من يكذبها ككل الحكايات، وجاء
التصديق ليكرس لقوة اليهود وإثبات وجودهم وكيانهم، بينما ذهب
التكذيب بمنحني آخر يقلل من قيمة اليهود كأقلية تحاول أن تكون
(لوبي) على حساب بقية الأديان، وفي نفس الوقت يرفع من سلطه

الديناري السياسية التي حاول اليهود تحجيمها ووضعها في إطار الدين فقط، إلا أن الديناري لم يكتسب الصبغة السياسية من السلطة الحاكمة فقط لكي يدير شؤون القرية بفلسفة صوفية تمتزج بها مصطلحات سياسية لتكتسب شرعية سياسية، لكنه اكتسبها من أبيه الذي علمه أن الدين يؤسس لمجتمع شامل، في الوقت الذي يستطيع المجتمع بمثقفيه أن يحجم من الانفلات الديني والتشردم المذهبي.

الحكاية التي تجد تصديقاً من كل الفئات أنهم يحرسون الدينارية، لكن هل هم بشرٌ أرضيون أم بشرٌ من كوكبٍ آخر؟ لا يهم، المهم أنهم يحرسونها. وكان الناس يخيفون الأطفال بالآخرس الذي يقضم شفاه الأطفال الذين لا ينامون مبكراً أو الذين لا يفلسون أفواههم بعد الطعام، وأحياناً بفريق الخرسة الذي يهجم على الأطفال الذين يلعبون "الغماية" حتى وقت متأخر فيعتدون عليهم وينتهكون براءتهم، وعلى الرغم من كل الحكايات ظلت الحقيقة منسوجة بأقطان الغيب فكانت تسمح بحكايات جديدة وتفاصيل حصرية كل يوم تصنعها ماكينة تعمل بالسنة بشرية تحاول فك شفرة الغيب بحكايات تزيد من غموضه.



جلس ريباش وهو في حضرة الديناري في حضور الكاهن يواقيم الصمواثيلي كصخرة صفحتها رياحٌ شديدة أيقظت معها أتربةً ورمالا، وضربتها في كل نوبة بلا هوادة، ولما شعرت الريحُ بذنبها لملمت موجاتها الشديدة وارتفعت بها لجيوب السماء، وظلت الصخرة كما هي بلامحها كما لو لم تمسها ريح، وعلى الرغم من أن عينيه لم تدورا في محجريهما إلا أنه كان يرى انعكاس ما يقوله في عيني الديناري وعيني الكاهن يواقيم، كانت عيناه تريان عشرة أفراد يقضون أمامه

دون أن يتحركا، لأنه كان ينظر إلى المُصلِّين في المعبد دون أن يحرك مقلتيه، وتدريبنا على فتح مجال الرؤية ليرى العابثين الجالسين في الدكة الأخيرة، ذات مرّة كان يخاطب بعض المُصلِّين الجالسين في الدكة الأولى في أقصى اليمين، ورأى شاباً يجلس في الدكة الأخيرة في أقصى الشمال يتعرّش بامرأة تجلس بالقرب منه، وعلى الرغم من أنها كانت تعلن عن رفضها ببعدها عنه إلا أنه كان يقترب أكثر ويعصر بيديه ذراعيها البضيين، ولما حاصرها ضربَ يده في صدرها عابثاً وماجناً يوم السبت المقدس، وشعر بأن المرأة استراحت لعبث الشاب واستلذت به فتجلت اللذة والمتعة في عينيها، كان كبير الكهنة ريباش في نفس الوقت يخاطب امرأة ترفض أن تمتثل لزوجها في الفراش لأنه لا يستخدم اللين والمداعبة معها، فوجد الكاهن نفسه أمام تقيضين السماح بالمداعبة وفي نفس الوقت منعها، تسهيلها للحلال ومنعها في الحرام فقال وهو يوجه بصره للجميع بنظرات زائفة :

- المرأة تحتاج للمداعبة واللين في الفراش لأنها مخلوق حساس، والخشونة تظفيء الأحاسيس لديها، وإذا رغبتها فلتكن عجينة طرية في يدك تشكلها كيفما تشاء، ولا تكن عجينة حرام تفتصبها من أحضان أخيك فتلتهب يداك في النار، المرأة عجينة حلال لك وحرام على غيرك.

اتكأت المرأة الجالسة في الصف الأول وكأنها استردت إنسانيتها من زوجها الغائب، وكذلك اتكأت المرأة الأخرى الجالسة في الصفوف الأخيرة تسترد إنسانيتها من الشاب الحاضر بجوارها، مرت الحُمرّة في وجنتي الأولى فعادت إليها عافيتها المسلوبة، وامتنع وجه الأخرى بصفرة شديدة كأنها رُجمت بحجارة حتى ماتت بسبب إثم اقترفته.

،بما تضاءلَ الفتى وتمنى لو كان قَطًا خبيثًا يتحسس سيقانَ النساءِ
وينظر إلى ملابسهن الداخلية تحت المقاعد فلا يراه الكاهن وتهطل
حيواناته حتى تبلل سرواله فتهدأ شهوته، وقام السامري من قبره
المجهول يصنع تمثالاً عاريًا للفتى في المعبد لصنيعه، وجاء النبي
موسى فلم ينسفه في اليم ولم يحطم رأس الفتى، وهدأت عينا الكاهن
وحيثما انتهت العظة وخرج المُصلِّون ذهب إلى المؤخرة وحمل بقية
التمثال العاري الذي نسي النبي موسى أن ينسفه في اليم وألقاه في
النمامة خلف المعبد لتنتهي عبادة الأوثان وجسد المرأة المستباح في
عهد ليس قديمًا جدًا.

"كلُّ شيخٍ حرٌّ بحضرته"

ندمَ الديناري رئيسُ المجلس الصوفي وفي نفس الوقت رئيس المجلس
العُرَفي الذي يحكم به القرية، وظل وقتًا طويلًا يستدر الندمَ بعد
وفاة أبيه حينما تناول عليه مقترحًا أن يفيق الذاكرين حينما يفيبون
عن الوعي طالبين المدد، انقضى نورٌ مقدس في الحضرة واستفاق
الثلون من ثمالتهم الصوفية، وحجّر كبير وقع على رأس الشيخ الكبير
والنقيب، وابنه لا يجد مفرًا غير الجلوس بين يدي الشيخ الغاضب،
ولم يشأ الهروب حتى لا يخرج عن طاعته، أن تُفضبَ الشيخَ فهذا
جرمٌ يستوجب التوبة وعدم التكرار، لكن أن تفر بفعلتك فالفضبُ
من نصيبك حتى ولو اختبأت خلف سور الصين العظيم، هكذا تقول
الصوفية الأولى، والديناري مشدودٌ بالشيخ وبأبوته فإن فر من الشيخ
فبالي أين سيفر من الأب؟ الشيخ والأب كيانان مجدولان في عنفوانٍ
واحد، فذلك هو ميراث الصوفية، ظل الأب مجدولاً في كيان كبير

الدينارية، وورث الديناري تلك المتواليّة الصوفية مثله مثل كل أبناء
شيوخ الطرق الصوفية.

لكن عاصم ومعتصم على الرغم من أن الناس في الدينارية يقبلون
أيديهما إلا أنهما لم ينصهرا في الصوفية تمامًا، بل اتبعا الأب الذي
تجرّد من أجلهما من تبعية أبيه الشيخ الأكبر، فمنذ طفولتهما كانا
يمارسان طقوس الصوفية المجردة عن الوجد والكشف، لكن عقليهما
مشدوان للانسلاخ فكانا يشعران بالملل والضيق وهما يحضران حضرة
الذكر، يسبقها تمللٌ وضحكٌ على العتمايلين وفي بعض الأحيان كانا
يُصدران صوتَ نشازٍ يتكدر بشأنه الذاكرون، وقبل ذلك كانا يقومان
بأفعال شيطانية مع الجالسين، فمرةً يربطون جلباب أحدهم في
جلباب الجالس بجواره، ولم يكن يلاحظهما إلا الديناري الولي الذي
كان يحدق فيهما بنظرة تأديب، وفي بعض الأحيان يوجّه لهما كلامًا
من خلال فقرة الوعظ التي تسبق الحضرة، وككل الأطفال ينسون
الوعظ ولا ينسون الضرب، فعينما كانت تنتهي الحضرة وقد فخخها
بوعظ مستر ولا يتبمون فكان يبرحهم ضربًا في غرفته، وحينما كبرا
ووصلوا إلى مرحلة المراهقة اتخذوا مسألة الساحة نوعًا من الواجهة
الاجتماعية فيركبان الجياد في الموالد وتوجه لهما الدعوات في
الفنادق لحضور احتفالات خاصة، ويسافران نيابةً عن أبيهما لحضور
موالد في محافظات أخرى، كما توجه إليهما دعوات لحضور حفلات
الديانتين الأخيرتين.

مضى وقتٌ طويل منذ أن رأوا صفوفًا طويلة تخرج من نجع الخرس
يسيرون بانتظام وكان قائدًا وهميًا هناك يقودهم نحو اتجاه معين.
كانت آخر مرة رأوا هؤلاء الخرس حينما مات الديناري (الأب)

وحملوا جثمانه وخرجوا به من الساحة ليصلي عليه الناس في مسجد الدينارية بجوار الساحة، وحينما فرغوا من الصلاة كان عليهم أن يحملوه ويسيروا به في النجوع، ثم عادوا به إلى ضريحه ليدفن بجوار الديناري (الجَد)، والمرة التي سبقتها خرجوا أيضا لعمل جثمان الديناري (الجَد).

- لماذا خرجوا تلك المرة؟ جثمان من سيحملون؟

دارت تلك التساؤلات على ألسنة الناس في كل نجوع الدينارية وسُحِبَ من التوتر والقلق تحوم فوق الرؤوس تواكبها نزعات من رهبة وتوجس تناب الجميع، فالخرس لهم طلعة مخيفة لأنهم يختلفون عن بقية الناس وكأنهم جاءوا من كوكب آخر على الرغم من وجوههم التي تشبه وجوه الآخرين، ولولا معرفة الناس بهم لقالوا إنهم هبطوا بسفينة فضائية.

لكن هناك سمات مشتركة بينهم تحدث من يقول إنهم كائنات فضائية، فالطول واحد متناسق، وهم حليقو الرأس، وحواجب كثيفة كقرد عجوز تكاثف حاجباه حتى اهترأت بعض الشعيرات عن مقامها فنزلت على العين متهدلة، وشفاه غليظة مثل أفارقة عانوا من الجفاف وانتظروا أياماً حتى تهطل الأمطار، وحينما نزلت زخاته راحوا يلعبون بشفاهم القطرات وراحت تنتفخ حتى تعلق أكبر قدر منها، وأنف كبير ينتهي بفتحتين واسعتين يشم رائحة الدود الأحمر الذي يحفر الأرض ليخبيء ضحاياه من النمل الصغير، ويدان طويلتان يصل طولهما إلى مستوى الركبة، يلبسون أفرولات داكنة، عيونهم لا تنظر إلا إلى الأمام.

ساروا في كل نجوع القرية، ووقف الناس على الجانبين يتفرجون عليهم

وكانهم يؤدون مارشاً عسكرياً بعد انتصارهم على أقليات تحاول إثبات ذاتها بالسرقة وقتل الآخرين، وتحاول النساء التحدث إليهم، منهن من تقول وهي تُرضع ابنها وهي واقفة :

- عاوزين نجرب واحد.

ترد عليها أخرى بضحكة غنج فاترة :

- خليهم اتنين.

وأخرى :

- خليهم ثلاثة.

ورابعة :

- عاوزينهم كلهم .

وخامسة :

- يبجوا يحلوا محل رجالتنا، ورجالتنا يروحوا نجع الخرسي.

قالت واحدة لم تر النساء وجهها في خضم الزحام والتدافع لرؤية فصائل الخرسي السائرة في نجوع الدينارية :

- الواحد فيهم أقوى من صاحب أميمة.

يحاول بعض الأطفال التحدث معهم وطلب النقود لأنهم يعتبرونهم غرباء، والغرباء دائماً يمنحون نقوداً لهم، ومضى بعض الأطفال في إلقاء نكات جنسية وآخرون يرمونهم بالطوب والحجارة فتقع عليهم فلا تؤثر فيهم، ولما كان الناس يميلون إلى تصديق الأكاذيب والخرافات عن تصديقهم للحقائق فقد وصفهم بعض الرجال بالمعجز الجنسي

وعدم مقدرتهم على مواجهة النساء، ولهذا السبب فهُم يمشون بلا
نساء، وآخرين يصفونهم بالرهبان في نجع الخرّس في صومعة لا
يعبدون الله بل يعبدون رباً جديداً لم يَسمع عنه بقية البشر بعد.
ظلت المسيرةُ حتى بعد الظهيرة بقليل وعادَ الخرّس إلى ثكناتهم،
وحاول بعض الأطقال الدخولَ خلفهم لكن كان هناك بعض الحراس
يصدونهم، وأغلقوا البوابات العملاقةَ خلفهم، وكانت حول النجع
أسوارٌ عالية لا يصل إليها الإسكندر الأكبر.

الفصل الثامن عشر

ثلاثيو الكهنة جالسون في الساحة الدينارية، والشياطين يطبّرون خارجها متفرجين لم يشتروا تذاكرَ لمبارة مصارعة حرة في صالة مغطاة، ولم يسمح لهم بالدخول مجاناً ويشعرون بتوتر شديد لأنهم لا يعرفون ما يدور بالداخل وعلى الرغم من أنهم سيعرفون النتيجة لكنهم لن يعمموها أو يشاركوا في صنعها، أمّا أنا فاستطعتُ أن أدخل خلال سحلية بعد صلاة الفجر مباشرة وبعد أن خلد الديناري للنوم، بعدها قرأ نقيبُ الحضرة آيات من القرآن الكريم لم تستطع بعدها الزواحفُ الدخولُ، فوقفتِ الشياطين في الخارج منزوعة السلطة.

وقف الديناري يتحدث والكاهنان ينظران إليه كأنهما وزيران عبّاسيان يرهقان السمع لخليفة جديد قام ليخطب فيهما :

- عمّت الفتنة الدينارية بعد أن كنا نعيش في سلام، خرج من بين ظهورنا أئمة الفتن، وانحرف الخطابُ الديني فذلت الألسنة وقتل المجرمون الأبرياء، زادت الفجوات بين الأجيال وتفاقم الصراع بينها على الرغم من أننا شددنا على ضرورة تواصل الأجيال في الساحة، وسمحنا - بقصد أو دون قصد - للمرضى العقلين والنفسيين بتولي الخطابة. سوف نُولي اهتماماً لكل تلك المحاور لمناقشتها في حوار الأديان....

تحدّث الديناري طويلاً وسردَ تاريخَ عائلته الطويل وإنجازاتها والسلبيات التي وقعت فيها، وشكر الكاهنين على تلبية ندائه بعد أن

١٠٠. تلقت الأمور، وعمت الفوضى في القرية بكل نجوعها، وذكرهم
أبهم يحتاجون لخطاب ديني معتدل، خطاب جديد. بحث على احترام
الآخر وقبوله، وألا تصدر عن مسجد أو دير أو معبد عبارات تُسفه أو
تُمل من قدر أحد الأديان، وأنه سوف يقوم بدعوة أساتذة جامعات
هي مقارنة الأديان وأساتذة متخصصين في وضع المناهج التعليمية
احضور المؤتمر، وفي ختام كلمته قال والحمرة تقيم في حدتيه كقائد
سهر أسبوعاً يخطط جيداً لمعركة نتیجتها في علم الغيب الذي حاول
أن يستحضره لكنه فشل :

- المذاهب الدينية الشاذة يصدقها المجانين، ويتبعها أرازل
القوم.



قال كبير الكهنة ريباش لشاؤول أشعيا وهو يحاول إقناعه بحوار الأديان
بعد رفضه التام وكأنه طفل صغير يذيب له قرص دواء في عصير يحبه:

- السياسة هي الدين الجديد الذي تنتظره الدينارية.
- بعض الشعوب تُحكّم دينها في خلافاتها مع ديانات الأقليات.
- هذا أمر طبيعي.
- ليس طبيعياً، فكل من يدينون بدين يظنون أنهم سيحكمون
العالم.

- العالم تحكمه اعتبارات أخرى.
- الاعتبارات الأخرى هي السياسة.

- وهل تحل السياسة مشكلةً الخلافات الدينية والمذهبية؟
- الدين يحل مشكلات العصر، والسياسة تحل الخلافات الدينية.
- كان الأنبياء يحلون مشكلات العصر والخلافات الدينية بالدين.
- الأنبياء سياسيون بطبيعتهم.
- لكننا لسنا أنبياء.
- لذلك قُلت لك السياسية هي الدين الجديد الذي يحكم العالم.

كان شاؤول أشعيا يعتقد فكرَ الحاخامات القدماء وهو "الدين اليهودي هو رأس الأديان" ومزج الهلاخاه بالقبلاه، أي التقاء الشريعة اليهودية بالصوفية اليهودية، لذلك فقد كان يرفض أن يكون انيهود في الديناربه أقلية، وكان يتعامل مع الجميع كأن الديناري اعتنق اليهودية، ووجد أن السياسة لم تكن ديناً جديداً فحسب بل كانت نبياً جديداً لبني إسرائيل. وتعامل مع الجميع بهذا المنطلق، ولذلك زار دير القديس بطرس ذات ليلة يغطي رأسه بغطاء كهنوتي يهودي قبل إعفاء كبير الكهنة ريباش من منصبه بأربعة شهور، ولما دخل الدير وقف عند شجرة الطلح التي كان يقف عندها هارون قبل أن يأتي إليه موسى يبشره بإرساله معه لضرعون، ونظر إلى الشجرة كما نظر إليها هارون، لكن موسى لم ينظر إليها بل لم يلتفت إليها أصلاً، وقرأ شاؤول ذات مرة في التراث اليهودي أن شجرة الطلح تمنح الإنسان الحكمة بوقوفه تحتها، وتعلم من الحاخام الأكبر عوفاديا يعقوب الذي قال له وهو يحتضر ببيته

الذي يُطَلِّع على شارع النبي هارون بتل أبيب :

- لم يكن نبياً موسى نبياً فحسب، بل كان سياسياً فذاً، ربما علم السياسة من هارون الذي كان أفصح منه لساناً، وربما تعلم من هارون نفسه قبل أن يلتقيه هادياً ونذيراً، فكُن سياسياً قبل أن تكون مُبشراً دينياً.

اذلك حينما حدثه ريباش عن السياسة في الدين اقتنع سريعاً وحاول أن يبدو كالسلف من بني إسرائيل وهُم يحاورون موسى بشأن البقرة، ولما ناجى شاؤول أشعيا شجرة الطلح دخل خلف الراهب أبانوب الأنطوني يقوده إلى قاعة العشاء الأخير التي كان ينتظره فيها الكاهن يواقيم الصموائيلي.

كان شاؤول أشعيا مثل حكماء بني إسرائيل يعرفون العالمَ لكنهم لا يعرفون دينهم وهُم يتحدثون إلى النبي موسى، فجلس أمام الكاهن يواقيم الصموائيلي ندأ لند على الرغم من أن ريباش كان يحله ويقدر عمله وتدبّنه وسماحته، لكن شاؤول أشعيا بدأ في تلك الفترة يُنظر للدين الجديد في دير القديس بطرس.

- وجود المسيحية في الدينارية مرهونٌ بقوة اليهودية.

ابتنم الكاهن يواقيم الصموائيلي وهو يمسخ براحته وجهه اليسوعي الذي ترتقيه الابتسامة والتسامح كضوء قمري يفاحيء الظلام بعد معاناته مع سُحْب ظلت تحجبه وتمرقله لساعات، ثم هز رأسه، وأردف شاؤول يستقي ثباته وعنفوانه من ابتسامة الكاهن الحكيم :

- العهد الجديد يكمل العهد القديم، اليهود هم أجداد المسيحيين.

عادت السحبُ تغطي وجه القمر من جديد، واختفت الابتسامةُ بسبب
جبال الفيوم الزاحفة فامتقعَ وجهُ الكاهن وصار كزيت يfli وُضِعَ به
قدرٌ من الثوم بعد أن تم قلبُه ليكون عقارًا لجروح مزمنة أصابت قدمًا
كاد الأطباء يبترونها لولا الزيت المزجج بالثوم (الكرفة) ، وبان كوجه
قديس قبطي يعذبه الرومانُ لأنه لم يتخل عن مذهبه، وقال وحاجباه
مرفوعان كأنهما يَحملانِ غضبًا تنزَّلَ فجأة وخشي أن يسودَّ وجهه
فأبعده بحاجبيه :

- مَنْ أنت حتى تحدّثني هكذا؟

قال شاؤول وهو يرفع حاجبيه النيرونيين قبل أن يرتفع أنفه :

- أنا شاؤول أشعيا .

ابتسامةٌ شرقية مغموسة بخبث ليس من طبيعه كادت تلو على وجه
يواقيم لكنه بحكمته أذابها في تجاعيده :

- هل جئتَ لتحدث معي مرسلًا من قِبَل كبير الكهنة ريباش
سفيرًا؟ أم أرسلك شيطانٌ جديد يبني قصصَ قميصِ يوسفَ وليس
تمزيقه؟

جاء الوقت الذي يعلن فيه شاؤول أشعيا عن استقلاله الكهنوتي عن
ريباش وعن الشيطان الذي يستشيرُه، لكنه لم يستقل عن المعبد فأعلن
قائلًا :

- لم يرسلني كاهنٌ أو شيطان .

فهمَ الكاهن يواقيم أن الكاهنَ شاؤول يفتقر إلى المنطق الكهنوتي
الذي يربط الدياناتِ فسارَعَ بالسؤال :

- هل أُصِبتْ بلوثةٍ عقليةٍ؟

ابن الكاهن اليهودي عن منطلقه وسلامة عقله فقال :

- لم أُجِنُّ.

ابن الكاهن يواقيم الصموثيلي من الدينارية إلى بيت المقدس وبني مدارًا عاليًا فقال :

- إذا، المسيحية لا تنتظر يهودًا جديدًا.

احتزَل الكاهن اليهودي كلَّ الفلسفات الشرقية والغربية وخرج لقوم النبي زكريا قبل أن تبشره الملائكة وهو قائم في المحراب يُصلي :

- جئت لكي تتحالف المسيحية مع اليهودية ضد الإسلام.

- وهل نحن في حرب؟

- نَعَمْ.

- كيف؟

- كثرت الجماعات الإسلامية الدينية المتطرفة وراحت تضرب المسيحيين واليهود.

- أنت قلت جماعات إسلامية متطرفة.

- نَعَمْ، لذلك استوجب محاربة المسلمين.

- وما ذنب المسلمين؟

- هم آباء وأمّهات وأبناء هؤلاء الجماعات.

- لا تُخلط الأمور.

- كيف؟

- لوجاء ابنك وقتلَ أو زنا، هل نحاسبك أنت وأمه وإخوته علم،

جرمه؟

- بالطبع لا.

- إذا، لماذا تريد محاسبة المسلمين؟

- لأنهم يعتنقون الفكر الإسلامي المتطرف والفكر المجوس.

القائم على الإرهاب.

- الإسلام دين سماحة وسلام.

- والجماعات الإسلامية المتطرفة؟

- متطرفة.

احتسبَ شاؤول أشعيا أن موقف الكاهن يواقيم الصموائيلي سلب، لا يقدم ولا يؤخر بالنسبة للأقباط في الدينارية، وأن سكوته علم، التجاوزات التي قامت بها تلك الجماعات الإسلامية المتطرفة بما فيهم البؤر الشيعية التي انتشرت أخيراً كسرطان لا يُصيب بروسيا أو رثة فحسب بل ينتشر في الجسد كله حتى يصل إلى العظام وينتهي بالمخ، يُفسر على أنه خوف، أو أنه ارتد عن دينه ويخفي أمره، لكن تلك الهواجس اللزجة ما لبثت أن تبددت حينما زار الديناري المعبد اليهودي للمرة الثالثة في يوم الاحتفال بذكرى قيامة النبي عزير وشهر بعق الوادي الأيمن من الشجرة حينما كلم الله موسى. قال وهو يتكلم على عصاه كموسى داخل جوف المعبد :

- سيدنا عزير عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

امح كبير الكهنة ريباش الذي استقبله بحفاوة بالغة يقف خلفه
اول اشعيا الذي يهاب الديناري، لكن ابتسامة الولي شجعته للتقدم
.. سافحته، وحينما جلسا اتخذ من ركن بعيد يستمع إلى حوارهما.
ام يشأ أن يتكلم أو يعلن رأيه على الملأ، لأنه لن يتكلم بلسان الدين
.. سيترك بلسان السيامة.

- الدينارية وطنٌ للجميع.

- نَعَمْ، وطنٌ للجميع.

.. الكاهن شاوول اشعيا أنه يجلس أمام التلفزيون الذي يذيع أغنيات
.. فناء تمتدح الرئيس لكنه لا يشعر بها، فتذكر المصريين وهم يعلنون
ابدهم للفرعون بأغنيات وأناشيد حينما جاء النبي موسى وعرض
.. انه أن يتبعه.

.. ال الديناري وهو يميظ اللثام عن سبب زيارته الحقيقي وبدا تأثره
.. على وجهه :

- حوادث السرقة كثرت في السنوات الأخيرة بسبب تراخي
الشرطة.

- نَعَمْ، وحوادث القتل والحرق والنهب.

- الشرطة لا تقوم بواجبها.

حاول شاوول اشعيا أن ينطق وحذف كلامه في نهاية الأمر، لكنه على
أية حال قاله لنفسه :

- بل أنت السبب، الصوفية هي السبب، المجتمع هو السبب.

وكان الديناري سمعَ مناجاةَ شاول أشعيا مع نفسه فقال هو يبتسم له
بيِّن له الكُشفَ الرباني :

- يقولون إن الصوفيةَ هي السبب، وآخرون يقولون إن الساحة
الدينارية هي السبب، لكنني أؤكد أنني بريءٌ أنا والساحة مما يفعلون.
لقد ربَّينا أتباعنا على السماحة والسلام، وحوَّلتُ الفكر الصوفي من
الاتباع والتقليد إلى النقاش والتفنيد، وإن خرج من ظهرنا جاحدٌ أو
ناكر أو متطرف فقد اتبع سبيلَ الشيطان وكان له ولياً، نحن لا نحرِّض
على العنف والقتل بل نُحثُّ على اللين والهدوء واعتدالِ الفتوى.

الفصل التاسع عشر

مل الكاهن يواقيم الصموائيلي إلى مُختلى القديس بطرس فجثًا على
أهنته يجهش بالبكاء فينتفض جسده ويهتز من شدة النحيب، كطفل
راح يشكو لأمه معاناته وآلامه ويتمنى لو تضمه إلى صدرها وتهمس في
أذنه مداعبةً فيهدأ، لكن يواقيم ظل في أرض العبكي يبكي لساعات
من خرج القديس بطرس من صورته ومال إليه وهو يربت على كتفه
الذي دنا به حتى كاد يقبل قدمي القديس الذي رفض ورفعته إليه وقال له
بعصوت يسوعي رقيق قفز من صليبه حديثاً تتسمع معه الطيور العابرة
هوف الدير إلى شونة الحجاجية في البَر الشرقي :

- ما بيكيك أيها الكاهن المقدس؟

رد الكاهن وهو يحاول أن يطيل كلامه مع القديس الذي ينزع نفسه
..ريباً من مجال الرؤية الحقيقية إلى مجال الرؤية الافتراضية في
أوحته الشهيرة فيعبيء الهواء بدوامات صوفية قديمة تغوي بالتقوى
والورع وتعود بالموعود بها إلى فترة تولي هؤلاء القديسين أمر الدعوة
والتبشير في صدر المسيحية بعد رفع المسيح.

- حال الدينارية قبل التثيح وبعده.

رد القديس وكأنه يضع قرصاً تجريبياً مهدئاً في صوتِه لينقل إلى
الكاهن الذي هدأ عندما سمعه:

- ما فعلته للأقباط ولغير الأقباط سوف يجازيك عليه الرب
مزاءً القديسين والشهداء.

استطرد الكاهن صمًا طارئًا يلفه بصمت الحكمة حتى يترك فرسه
 للقديس ليقول كل ما لديه، لكن القديس استنبط من صمت الكاهن
 صمًا آخر يفوقه سكونًا وسلامًا فغشيتهما رحمة تسلسل معها القديس
 عائداً إلى مرقده الافتراضي في الصورة، ولأول مرة يرى الكاهن
 القديس وهو يعود من ملتقاه حاملاً مفتاح الملكوت، ورداؤه يداعب
 الأرض فتتعلق به ذرات تراب لتبارك به، وجثا على ركبته يحاول أن
 يمسك بردائه المقدس الذي ظنه قريباً جداً منه لكنه كان بعيداً عنه
 كسفينتين تسيران في اتجاهين مختلفين، إحداهما يقودها تيار الماء
 الشديد والأخرى تدفعها ريح معاكسة شديدة، ولما رغبت إحداهما
 أن تلوذ بالأخرى طلباً للنجاة من كرب سوف يحقق بها، وكانت تظن أن
 الأخرى قريبة لأنها مرت بها منذ قليل، ابتعدت الأخرى تماماً لا تدفعها
 الريح فحسب، بل كانت تدفعها أمواج مرثية وغير مرثية، وكذلك عاد
 القديس إلى صورته بعد أن دفعته أياد غير مرثية وترك الكاهن يحاول
 أن يستوعب تلك اللحظات التي أمضاها في حضرته، وعلى الرغم من
 عدم اكتمالها لكنها جاءت في وقت عصيب توترت فيه علاقة الأقباط
 مع المسلمين ومع اليهود، وقت فُترت فيه علاقته مع الأسقف الذي
 يعلوه مقاماً وقداسة.

قال الكاهن لنفسه وهو يصنع بداخله تلال الطمانينة والمكون :

- رهينة فتح كريم لامريء طاف بحدائق الدين والتزم بظلال

التزليل.



جاءت رسالة من العاخام الأكبر إلى كبير الكهنة ريباش دعا فيها الرب
 أن ينتقم من العرب ويبيد ذريتهم ويسحقهم ويخضعهم ويمحوهم عز

به البسيطة. وكان ريباش قد استيقظَ لتوه من نوم عميق بعد أن
أهسى ليلةً طويلة في الاستماع لشكوى بعض اليهود جاءوا ليستنجدوا
من بعض فلاحي الطوامية الذين سطوا على أرض يهودَ عادوا إلى
إسرائيل. ووعدهم بأن يذهب إلى الديناري لينقل إليه شكواهم.

يا رب، هل كُتِبَ علينا أن نعيش في صراعات دائمة مع الآخرين؟
أنت تعلم أنني أتمنى أن يعيش الجميع في سلام. نَعَمْ أنا يهودي
أسمي لديانتي، لكنني في نفس الوقت مصري وأنتمي لبلدي الذي
أعيش فيه، إنه الظلم بعينه أن يعيش المرء في مكان لا يعيش فيه بنو
رأسته، نحن نمارس طقوسنا في قلق وتوتر، ونخاف على أنفسنا من
طرف الآخرين.

ثم تأت رسالة الحاخام الأكبر لتهديء من حالة كبير الكهنة ريباش،
التي جاءت لتسعلها في هذا الوقت الذي كان الديناري يتلظى بافتتانه
بأهافا.

أزاعته نفسه فتلقفته طيور الحيرة :

- يعيش حاخامات بني صهيون في إسرائيل خلف جدران
مازلة ويحثون اليهود الذين يعيشون مع بقية الشعوب المنصهرين
فيهم على قتالهم، لو كان الحاخام بجلالة قدره يعيش هنا لما قال
هذا الكلام، فالمتطرفون كالنار تغذيها بالوقود فتطول ألسنتها، وهو
في أرض الميعاد يُنظر لأقوام في أرض ترفض النظريات في ظل وجود
معطيات دينية واجتماعية وتغييرات سريعة مختلفة.

وكان كلام الحاخام كالوقود الأوجي في يهود الطوامية يسري فلا
يذر لساناً دون أن يردده، فقامت مجموعة بحرق أراضي بعض الأثرياء

من مسلمي الطوامية، وكانت بضع ساعات فصلت ما بين الحريق الذي استمر ثلاث ساعات حتى إطفائه وبين معركة كبيرة نشبت بين مسلمي الطوامية والأقباط في مولد مارِ جرجس قتل فيها عشرة من المسلمين وخمسة عشر من الأقباط.

ظن مسلمو الطوامية أن الأقباط هم الذين حرقوا الأرض؛ لأن بعض البلطجية من المسلمين أصابوا بعض الأقباط الذين كانوا يشتررون حلوى مولد "أبو الحجاج" الذي سبق مولد مارِ جرجس بأسبوع واحد. فظنوا أن الأقباط انتقموا لمصائبهم.

قال الكاهن يواقيم الصموثيلي لأهل المصايين وهو يخفف بحدوته الهامس من حدة انفعالهم:

- المصابون في الموالد كالمصابين في الحروب.

- لكن الإصابة مقصودة يا أبانا، والمسلمون هم...

قال أحدهم وحدة الشر مرسومة على وجهه، لكن ما إن فرغ من كلامه حتى قال الكاهن:

- المسيحية لا تعاقب مجتمعا بسبب تطرف أفراد.

لم يخرج الكيان القبطي الفاضب من دير القديس بطرس إلا بصعبه حَمَام سلام يرفرف على الدير وكأنه كان في انتظارهم فوق البرج. والكاهن يقف عند شجرة الطلح يدعو جهازا لهم بالعودة سالمين مستمعيناً ييسوع القائم في الملكوت.

كانت تفوح من شجرة الطلح رائحة جميلة تخرج من لحائها تبعق من حولها كلما طاف بها الكاهن وكأنها تطمئنه وتمده بالهدوء والسكينة.

دعو المعجسَمَ اليسوعي القابع في الفناء الرئيسي ليبارك الكاهن
الواعي للسلام، ثم احتضنَ الشجرةَ التي هدأت حينما ربت عليها
امتزجَ معها فصارًا كيانًا واحدًا.

إن الموروثَ الديني الطويل والإرثَ السياسي المديد بين المسلمين
واليهود في الدينارية يفصل بينهما بحرٌ واسع يفرق كل مَنْ يحاول
الوصولَ إلى الشاطئِ الآخر من الجانبين، أو كرجُلٍ سَكَنَهُ جانٌّ مارد
هو يركض في الصحراء يحاول أن يسلم رسالةً تحتوي على معانٍ
مبهلة ولما رأى الجان الذي كان يرقد قانطًا بنيدًا عن ظل صخرة
كبيرة خرج من ورائها لصوص، عرقته وسَكَنَهُ ليستقي منه الطموحُ
وقوة الإرادة التي كانت تشرق على وجهه وهو يتقصد عرقًا. لكن
"الوطن واحد يعيش فيه المسلمون واليهودُ والأقباطُ"، هكذا كان يقول
لنفسه، وكان حاله مثل امرأة تريد الطلاقَ من زوجها لتحرر من قيود
العيش معه وفي نفس الوقت تريد البقاءَ في بيتها لتربية أولادها على
الرغم من النفور والبغض الذي يكلل علاقتهما المحكوم عليها بالفشل.
لذلك يعتبر شاؤول أشعيا أولَ مَنْ بارك علاقةَ أهافا ليمارجي وعاصم
الديناري العاطفية، وسمعَ امرأةَ تهمس في أذنِ ابنتها التي تجلس
بجوارها في يوم السبت بالمعبد :

- أمامك شبابٌ متفتح، اختاري لكِ واحدًا حتى ولو كان
مسلمًا، هل أنتِ أقلُّ من أهافا؟

كانت حاسة السمع لدى شاؤول أشعيا قويةً ومتجددة، فكان يسمع كل
ما يهمس به المُصلِّون، في الوقت الذي كان يتلو الترانيمَ والصاجاتُ

من خلفه تُضفي عليها جواً من الأسطورية، الترانيم محفوظة وينطتها اللسان دون تركيز لكن السمع يحتاج لتركيز يلتقط كل ما تعشد ، صدور الحاضرين، لكن مسألة تحليل كل ما يسمعه يحتاج لتفكير عميق وربط بين الأحداث وهو مستلق بالليل وعصا موسى بجواره فقد سحرها.

علاقة حب جميلة تباركها كل الأشياء في القرية : أشجاراً ورمال، أحجاراً وهضاب، جبل، نهر النيل، شياطين وكل معشر الجن، ويرفضها كل البشر، مسلمون ومسيحيون ويهود، حب نبت في أرض لا تزورها الخصوبة. لكن ثماره كانت أحلى الثمار، على الرغم من ذلك نبت هذا الحب تحت وطأة الخلافات الدينية والمذهبية التي يصفها البعض بأنها علامات الساعة الصغرى، وكان القدر قد وضع بين الشوا، المبعثر مساحة صغيرة يضع فيها العابر قدمه لينتقل إلى أرض يعمها سلام وأمان، بينما وصف المسلمون هذا الحب بأنه نهاية العالم.

لكن هذا الحب نبت ونمى في أروقة الجامعة الأمريكية في العام الثاني، وكان امتداداً لإرهاصات قديمة في مدرسة السلام المشتركة للغات، وكما قال خبير يهودي كان حاضراً مع العاخم الأكبر حينما ناقش مسألة أهافا وعاصم قبل خروجهما من الدينارية بعامين :

-إنه من يقرأ التوراة بدون المشنا والجمارة فليس له إله.

كالخنافس تخرج الأفكار القديمة من جحورها حينما تجد الطريق مُعبداً لها فتتحسس بأرجلها النخيلة الأرض في كل الاتجاهات، ولما كانت الأرض ممهدة والعقول مهينة تبث فيها كأنها محطات إذاعة تقوم ببث أخبارها وبرامجها للأماكن التي تقع في نطاقها، كان الكامن

:الأول أشعيا كخنفساء ظلت تخرج من جحرها مرات ومرات لتلقي
أنباء لكنها لم تجد من يسمعها أو يسمح لها لتقولها، لكن جاء وقت
ملت أمامه المساحات، وتولي بنفسه أمر الموجات الإذاعية ليبيت فيها
ما يشاء، وأتاح له غياب كبير الكهنة ريباش في زيارته لمعبد الياهو
الإسكندرية الفرصة ليلتقي بالكاهن ليشع منقربوس بعد تتيح الكاهن
بواقيم الصموائيلي بثلاثة شهور.

وعلى الرغم من أن إرهاباتها الفكرية قد تحولت إلى نظريات
،أنها بعض المتطرفين من اليهود والأقباط وطبقوها عملياً في نجوع
الدينارية إلا أن نظرية الانتلاف القبطي اليهودي التي وضعها في دير
الغديس بطرس شهدت الدينارية نتائجها طوال خمس سنوات.

النفس البشرية بحرٌ واسع تستقر مياهه فتنوء بأشعة الشمس في
وقت الظهيرة فتخرج فقاعات كأنها داملٌ تطفح على جسد إنسان
لا يشعر بالأم، لكن جسده يحمل مرضاً خفياً، وصارت تتكاثر وتموت
فإنها كائناتٌ تثبت في الماء ولما تكبر وتعلن عن كينونتها وتحقق
أحلامها في الوجود تموت فجأةً وتخرج غيرها لتحقيق أحلام أخرى،
هكذا كان الكاهن ليشع منقربوس يجلس في غرفته وحيداً يحمل في
وجدانه أحلاماً كثيرة يبغى تحقيقها، بل يراها أمامه يضيئها المصباح
الفسفوري الذي يعلو مجسم يسوعي ملون أهداه له نحات يهودي يعيش
في نجع الطوامية، وكان يستغرق في النظر إلى أحلام اليقظة المجسمة
أمامه، وحينما يأتي راهبٌ آخر على حين غرة يطفئها فيصرخ ليشع ولا
يهدأ سريعاً، وكان كل يوم تولد لديه أحلامٌ أخرى غير سابقتها أو تكون
أكثر تطوراً، وربما أقرب إلى التحقق من المجهضة القريبة من الخيال،
لكنه لم يمر عليه يومٌ دون أن تتكاثر لديه تلك الأحلام اليأجوجية.

الفصل العشرون

ربما كانت المرة الثالثة التي يدخل فيها الكاهن اليهودي شاول أشعيا دير القديس بطرس، ووقف عند شجرة الطلح كثيره من الرهبان، ولم يشعر مثلهم بخدر في رأسه فيستقي منها نسائم السلام والمحبة. بل كانت شجرة كثيرها من الأشجار التي نمت في هذا المكان الصحراوي بلا فائدة، فهي لا تمد من يقف تحتها بظل لأن فروعها متباعدة وأوراقها غير عريضة، وسفّه فكرة أن قديمين وأولياء وقفوا تحنها وتعموا بظلها الظليل، ظل الكاهن اليهودي واقفاً يتمن في النظر إليها دون اقتناع بأهميتها مثل شيوعي يحثه المبشرون على اعتناق أحد الأديان لكنه يصبر على إنكاره وكفره بما وراء الطبيعة، حتى ناداه الكاهن ليشع منقريوس لزيارة ضريح الكاهن يواقيم الصموانيلي الذي يبعد عن بئر القديسين بعشرة أمتار، ولدهشته رأى شجيرة طلع نمت بجوار الضريح، ورفعا يديهما للدعاء للكاهن المتبجح وكل منهما يحرك شفثيه، اضطررت للاقتراب أكثر وأكثر حتى أسمع ما يقولان

" القديسون والأبرار لا يصلحون لإدارة شؤون الأقباط. إنهم يحتاجون لكاهن سياسي يهديهم ويحميهم، في ظل وجود انفلات أمني ودولة مترنحة، بل يحتاجون لقائد سياسي خرج من عباءة الكهنوت، لكنك يا قداسة الكاهن الراقد في الملكوت الأعلى عند يسمع بارتدائك لثوب الكاهن الطيب لم تكن صالحاً للأقباط."

اضطررت لتكبير همس الكاهن ليشع منقريوس الذي كان يتحول في بعض الكلمات إلى تمتات ربما لا يسمعها صاحبها، وخصوصاً عندما

وال "في ظل وجود انفلات أمني ودولة مترنحة" ، لكنني في نفس الوقت
استطرتُ إلى كتم صوت الكاهن شأؤول أشعيا حتى لا تتلفه موجات
إاعية خارج أسوارِ الدير :

"الرحمة تنزل من الربِّ عليك أيها الكاهن الضعيف، توليتَ الدير
سعتُ بسببك شوكة الأقباط وربما كُسرَتْ، لا تنفع قيم الرحمة
والسلام في مجتمع تنفلت فيه الأفكارُ والمذاهبُ والجماعات الدينية
المتشددة، لم تَع يوماً أن الأقباط أصحابَ البلد أصبحوا أقلية كغيرهم
من الأقليات، وبفكرك الراكد أصبحوا أقليةً ضعيفة، رفعَ الأقباطُ في
عمالك رايات الاستسلام، وسوف ينزلونها ويرفعون بدلا منها أناجيل
العزة والكرامة بعد تتيحك، ارقد في سلام في أرضِ الفتنِ والأحقاد،
مر بما تُنبأ يوماً بما تحقق من بعدك."

نراجعتُ خطوتين للوراء خلال نباتِ الصبَّار المتشعب حينما فرغ
القطبان الدينيان من همسهما الكهنوتي عند ضريح القديس يواقيم
الصموثيلي الذي اصطفَّ حوله رهبانٌ غير مرثيين من كل العصور
بكون ويهيلون الترابَ على رؤوسهم، ويقف على بعد منهم بطريرك
عريب يخشى أن يقترب منهم، رفضَ كلاهما أن يُنعتاه بالقديس.
لكنني رددتُ الصفةَ التي طرحها عليه الأقباط الأوفياء عند ضريحه
الذي نقشَ عليه :

"سعدتُ روحُ القديس يواقيم الصموثيلي للملكوتِ الأعلى"

"حينئذٍ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوتِ أبيهم في السموات مع
القديسين"

القديس يواقيم الصموثيلي (١٩٢٥-٢٠١٥)

-الصوفية هي كهنوتُ المسلمين-

مفجّر الأزمات شاؤول أشعيا يختفى كثيراً فينساها الناس، وحينما يظاها، يفجّر قنبلة في الأفق الراكد فيحسبه الآخرون موجوداً يخطط لأزمة جديدة يفرح بها المحرضون، ويأسف لانتشارها المعتدلون، وكاء الأزمة الجديدة التي ابتكرها أو لقنأها له شيطانٌ يئس من انقلا بشرى يقوض الدينارية : كهنوت المسلمين!

كانت الأزمة مثل خببر بالخط العريض يتصدر الصفحة الأولى في صحيفة يومية ذائعة الصيت يتناول قضية تخص شخصاً مشهوراً. ولما تظهر براءته بعد معاناة ومحاضر شرطية وتحقيقات نيابة وجلسات قضائية تُشر براءته في صفحة داخلية لا يلحظها القارئ حتى ولو كان صاحب الخبر نفسه.

وعلى الرغم من أن شاؤول أشعيا صاغها من قبل بطريقة أخرى، استخدمها فقهاء اليهود في مبادئهم المتجددة التي تحمي حوزة الدين فقد قال حينئذ :

- الصوفية تربّي الإرهاب.

وقالها حاخام آخر بطريقة أخرى

- الصوفية تستنسخ الإرهابيين.

متلفحاً برداء يوسف قام الشيخ عبد الخالق الربالي بعدها بجولان تصحيحية لكل المساجد في الدينارية لإظهار صورة الصوفية الحقيقية التي يحاول المفرضون تشويهها، وطالب جميع المسلمين أن يكونوا خير سفراء للإسلام مع أصحاب الكتاب فيتمسكون بقيمه واجتناب نواهيه، وقام بجولات دبلوماسية لدير القديس بطرس ومعبا الياهو، لكن الزيارتين الأخيرتين هويلتا باللامبالاة، وتعرض بسببهما

١٠٠٠ راج بالغ فقد فهم البعض الزيارة بأن الشيخ الربالي يطلب تبرعات
١٠٠١ حاجة، وكُلَّ الإشاعات التي يتفوه بها الناس انتشرت وتسببت في
١٠٠٢ إرب بعض المعاني والقيم التي كان الشيخ الربالي ينادي بها، لكن
١٠٠٣ يناري طلب منه ضبط النفس والتحلي بالصبر؛ فهو يعرف كسياسي
١٠٠٤ صاحب المصلحة في إصدار جديد لتلك الإشاعات، وأن مواجهة الفكر
المكر خيرٌ سبيلٌ لدرءِ خطرهما.

١٠٠٥ إن الشيخ الربالي يستهل كلامه بمقدمة منهجية يستقيها من لسان
١٠٠٦ عمر بن عبد العزيز :

"الإسلامُ خلاصةُ الفكرِ الديني الخصب والنقي، وبلغَ الإنسانُ في
١٠٠٧ إنفاقه للدين قمةَ التسامح وأعلى مراتب السلام، ومَن سَلَكَ طريقاً
١٠٠٨ حرقاً فالدينُ منه برّاء، والصوفيةُ منهجٌ يسلكه مُحبو النورِ الرباني،
١٠٠٩ ونحن ننبذ التطرفَ سواءً أكان فكرياً أم منهجياً."

١٠١٠ بعدها عَرَفَ الديناري أن السُّبُلَ إلى دير القديس بطرس قد قُفِلت
١٠١١ أمامه وأمامَ المسلمين، فقد وَضَعَ الكاهن ليشع منقريوس متاريسَ
١٠١٢ أمام كل الحلول الحوارية مع الدير، واستطاعَ أن يقوِّع الأقباطَ بصورة
١٠١٣ لا تستطيع اللجان التي شكلها الديناري لتذيب تلك القواقع الدينية،
١٠١٤ وضربَ معبد الياهو مثلاً غير مسبوق في السلبية، فقد جرد الكاهن
١٠١٥ ساؤول أشعيا كبير الكهنة ريباش من صلاحياته والتي بدأها باتصاله
١٠١٦ مع حاخام الإسكندرية ولويس ليمارجي والقيام بعمليات إرهابية في
١٠١٧ الدينارية ورسم خططٍ تؤثر بشكل كبير في علاقة اليهود مع المسلمين
١٠١٨ ومع الأقباط.

-كيف تتصل بحاخام الإسكندرية دون علمي؟

-هناك متطلبات يحتاجها اليهود لا تحتاج لموافقة الكهنة.

-كيف تجرؤ على كلامي بهذا الأسلوب؟

-بيدو أن عقلك خرف.

نظرَ ريباش المُجرّد من الكهنوت الذي يسري في دمائه منذ أن أمّا،
الله النبي عَزِير، نظرةً حادّةً فردت التجاعيد الملتفة حول عينيه كأنها
حقن بوتوكس فصارت عيناه صافيتين، وحينما حاول أن ينادي عاز
سكرتيره جاء راهبان من الخلف وأوثقاه وأدخلاه صومعته التي تم
بجوار غرفة النبي الياهو.

ظلّ ريباش محبوباً في الغرفة دون أن يعرف الديناري، ومعبد الياهو
يُدارُ بمجلس كهنوتي تشكّل بعد القبض على كبير كهنته، وقامَ رئيس
المجلس الكهنوتي شاؤول أشعيا بإعادة ترتيب المعبد من الداخل
وأصدر قراراتٍ جديدةً تعتبر منهجاً جديداً يسير عليه الكهنوتيون
وحينما فرغ من إعادة الهيكلة دخل صومعة ريباش الذي نزعوا عنه
رداء كبير الكهنة وغطاء الرأس، فوجد بشعره وجلبابه التحتي القصير
كمسجون انفرادي لم يجد إلا العبث بشعره والتقلب على أريكة خشبية
مجردة من الفرش.

دخّل رئيس المجلس الكهنوتي المنتخب على كبير الكهنة المعزول
فوجدّه في الركن يدفن رأسه بين ركبتيه، وأقران ضخمة تتلمذوا
بفوهاتها ليخرج منها لهيبٌ يُلقي فيه النازيون اليهود كأرغفة خبز
اختمرت منذ مئات السنين، فقال له :

- أهملت واجبات دينك فنزعنا عنك كهنتك، اليهودية طريفة
من اتبع الهدى، ومن ضل عنها فلن ينظر إليه أنبياء بني إسرائيل يوم

أوراقه تجف أوراقها وتحنى فروعها، وأخرى تتسامق حتى تبلغ
أماها فتشعر الأولى بالعجز، وقف رئيس المجلس الكهنوتي شامئاً
بمر بعينه في كبرياء المعزول فتَهطل نظراته فيتوقع في ركنه
بمر عزيز المعبد صدره منتشياً وهو يفادر الصومعة الانفرادية التي
س فيها ريباش.



إن بحث معتصم الديناري يتمحور في زرع خلية حية عادية في بويضة
مرغ منها الكرموسوم، فتصبح قابلة للتكاثر عن طريق الانقسام،
وحمل صفات وراثية جديدة ثم تزرع في الرحم، فيأتي جنين مستنسخ
من صاحب الخلية الجديدة، وبلغ به الطموح أنه فكر في تطبيق زرع
الخلية في جثمان شخص ميت، وكان التركيز على الموتى أو
الذين دخلوا في غيبوبة طويلة، وحينما عاد معتصم من أمريكا شرح
لأبيه الفكرة، وأكد له أنهم طبقوها في المعامل وبعض الدول في شرق
أوروبا، لكن الديناري صرخ في وجهه ونفته بالكفر، بل ظل عدة شهور
لا يتحدث معه على الرغم من أنه كان يطمئن عليه كل يوم.

- تحتاج البشرية لخريطة جينية جديدة تُبعث فيها روح
الإنسانية التي نزعَتْ منها عبر العصور.

قال معتصم في رسالة مقتضبة أرسلها للديناري مع الشيخ عبد الخالق
الربالي الذي قابلته أمام نجع الخرس في ليلة الاحتفال السري للأقباط
بالعشاء الأخير.

بدها بشهر ذهب الديناري لزيارة الكاهن يواقيم الصموثيلي في دير

القديس بطرس وسأله عن الاستسناخ، وأجابهُ الكاهن بما يعرفهُ من معلومات في قضية الاستسناخ، وأنهم استنسخوا نعمة أسموها دولاب ولم ينكر أن علماء الدين حرّموا الاستسناخ إلا في الظروف العلاجيّة. لم يكتفِ الديناري بالمعلومات التي أمده بها الكاهن، بل دخل إلى المواقع الإلكترونيّة وقرأ عن الاستسناخ وفهم مغزاه وآليته وتحدّث مع الشيخ عبد الخالق الربالي عنه وبسطه له.

- كُفّر وضلال.

قال الشيخ عبد الخالق الربالي وكأنه يقف وراء النبي إبراهيم قال أن يكسر الأصنام، ولمّا وجد الديناري لا يستجيب لرّدّه كرر نفسه الكلمتين، ولكن بنبرة مشددة، إلا أن الديناري كان غارقاً في دوامه التفكير فقد كان يتحدّث عن الاستسناخ مع أحد الأشخاص وهو سارح بفكره في بركة أخرى.

يحفظ الديناري القرآن الكريم، وحينما يتكلم يأتي بآية تعضد كلامه، وكان يجلس على كرسيه في صدر الساحة يفكر ويتدبر في الآيات كثيراً، ومن القصص التي كانت تستهويه قصة قوم عاد وثمود وقصه لوط، ويتعجب من قدرة الله حينما خسف بتلك الأقوام وجاء بغيرها، وحينما تحدّث معه ابنه معتصم كان يردد دائماً الآية التي جاء ذكرها في سورة إبراهيم :

"إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ."

الفصل الحادي والعشرون

كان أثر بناء الأقباط في منطقة وسط الأقصر، وكانت تتميز بقربها من معبد الأقصر ونهر النيل، وبقصورها الفخمة المبنية على طرزٍ معمارية رومانية، ذات غرفات واسعة وأبواب عالية، وسكن بعضهم من الدينارية بسبب ارتباط أعمالهم هناك مثل ورش المشغولات الذهبية والمحلات التابعة لها، ومصانع دباغ الجلود ومصانع الجبنة المقرمشات، وكان الفقراء منهم يعيشون في "أبو الجود" والمنشية، والموامية والسواقي، وعددٌ كبير جدًا في نجع النصارى في قرية الدينارية بالقرب الغربي على الرغم من وجود بعض العائلات المنقولة من بقية المحافظات في بقية النجوع، كل هؤلاء يعيشون في أعشاش من البوص وأعواد السسبان، ثم قاموا بعد ذلك بطلاء الأعشاش بالطين حتى تمنع دخول العقارب والثعابين والطيريات، وتطورت شيئًا فشيئًا فحلت مكانها "الجواليس" وهي عبارة عن قوالب طينية كبيرة متباينة الأحجام ممزوجة بروت الحيوانات، وبعد سنوات طويلة استبدل البنائون "الجواليس" بطوب لبن متناسق الأحجام مصبوب في قوالب خشبية جاهزة ويسقف بجريد النخل، وبعد ذلك كانوا يطلون الجدران بالجير الأبيض ليعكس أشعة الشمس لتخفف درجة الحرارة، ولما كانت البيوت المبنية بالطوب اللبن هينة لا تصمد أمام نكبات الزمن بدأوا بحرق الطوب اللبن فصار طوبًا أحمر صلدًا يبنون به عدة أدوار عليا فهل أن يظهر البناء الخرساني في السنوات الأخيرة، وتجمعت أعداد كثيرة منهم في السواقي حينما جاءهم نداء الأنبا لإقامة مجتمع منطلق يفتح في أضيقت الحدود.

في صباح يوم اعتلت فيه الفيوم سقف الدينارية وأبت أن تبارحها حين
 ولو جاءت رياح سموم من قِبَل شياطين الصحراء الغربية المصلوبه.
 استيقظ الجميع على فجيعه كبيرة حينما وجدوا عائلة قبطية بأطفالها
 مقتولة في نجح التفاريع، وعلى الرغم من أن الشبهات حامت حول
 جماعة إسلامية بعينها كونها نقيب منشق عن الساحة الدينارية.
 اسمها "جماعة الفتح الصوفي"، لكن أكد الجميع - وأولهم عاتاه
 مسلمة مجاورة كانت قد فقدت عائلها الوحيد، وكان القبطي هو الذي
 كان ينفق عليها - أن العائلة القبطية معالمة ولم يسمعها أحد تتحدث
 في مسألة الدين أو تشتم معتنقيه، ولم يكن لها عداوات من أي نوع.
 وظلت الشرطة تبحث عن الفاعل لمدة أسبوعين وقيدت النيابة القضية
 في نهاية الأمر ضد مجهول، لكن بعض الإشاعات الضعيفة التي لم
 تجد سنداً أو ألسنة تقويها وتدعمها قد نسجت خيوطاً حول جماعه
 يهودية تدعى "الخروج العظيم" استنكرت أن ينفق قبطي على عائلة
 مسلمة، فقامت بنحرهم وهم يتناولون العشاء، وغيوم متشرذمة تسمى
 حثيثاً للتكتل في سماء الدينارية المظلمة التي غاب عنها القمر، وهي
 نفس الخيوط التي نسجها الراهبان حول الكاهن يواقيم الصموائيلي
 حينما قالاً إنه يسطو على أموال النذور، وعلى الرغم من أن الديناري
 الذي ربط بين الحداثين وكانهما كانا كشمًا لا يؤتى لأحد من البشر،
 فقد أرجع حادث النحر القبطي إلى أن خلافاً قديماً بين القتل وعائلته
 وبين قبطي آخر بعثت دوافعه القديمة من جديد فظل يتربص به حتى
 وافته الفرصة عند انقطاع الكهرباء الذي استمر ساعتين، وظلت تلك
 الإشاعات تنتقل ويزيد عليها البعض وينقص من غموضها آخرون
 لكشف إحدى الروايات على حساب الأخرى.

أما مسألة أموال النذور التي ظلت إشاعة مقدسة لأنها طالت القطب المسيحي الأكبر في الدينارية، ودارت فصولها في أروقة الدير في شتاء هسير لم يلبث إلا شهرين حينما أرسل الصيف موجات حارة منتدبة من مناخات حارة أخرى يعاني سكانها من صعوبة في التنفس، قصرت المصل البارد ومنعت الخنافس متسعا لتخرج من الجحور لتنشرها من النجوع المترعة بالأحقاد، وعلى الرغم من فداحتها عند تفشيها إلا أنها ظلت محمية بكيان الكاهن المعروف والذي كان يحظى بحب المسلمين قبل الأقباط لورعه وحبه للخير، لدرجة أن المسلمين كانوا يحفظون أقواله الماثورة مثل "المسلمون بالنسبة للأقباط مثل الجار الجنب الذي وصى عليه نبي الإسلام" ومقولته التي يستشهد بها بعض الأئمة المعتدلين "إذا استمرت الفتنة بين المسلمين والمسيحيين سوف تقوم القيامة".

لكن الديناري أذاع للمسلمين سرا لا يعرفه الراهبان اللذان ظلّا حتى قبيل تنيخ الكاهن بأسبوع يجهلانه.

قال الديناري وهو يُفشي سرا يصعب أن يُفشيّه صاحبه لينجّي نفسه من اتهام باطل يمكن أن يخلع عنه رداء الكهنوت وينبذّه في العراء حتى رموت كمداً :

- كان الكاهن يواقيم الصموائيلي ينفق على خمسين عائلة

مسلمة.



استوطن اليهود نجع الطوامية بقرية الدينارية في ثلاثينيات القرن الماضي، وكانت أهم المهن التي عملوا بها التنقيب عن الآثار مع

البعثات الأثرية وصناعة وتقليد التماثيل، وعمل آخرون في صناعة الأخشاب فانبثقت منها صناعة المراكب الشراعية وصناعة الأشرعة. وبنوا ترسانة في البر الشرقي قبالة معبد الكرنك، وعمل آخرون في صناعة الخزن الحديدية والدواليب الخاصة بالملابس، في البدايه كان اليهود يحذرون المسلمين الذين كانوا يحاولون إشعال النار في النسيج الوطني للقرية بنجوعها على الرغم من المحاولة الحثيثة التي قام بها هؤلاء اليهود في ارتداء الجلابية المحلية "الكستور المخطط" في الشتاء والمُلفحة السوداء، وارتداء الجلابية القطنية الخفيفة المُخططة في الصيف، وتناولهم الأطعمة والحلويات التي تُعد في المولد النبوي ومولد "أبو الحجاج" وشهر رمضان مثل الكنافه والزلابيه والقطائف، لدرجة أن صار اليهود بائعين لتلك المأكولات وبرعوا فيها وكانهم مسلمون من المهد، وبذل المسلمون جهداً كبيراً في قبول اندماجهم معهم، ومع هذا ورثوا الكراهية فعندما كان اليهودي يسير في الشارع يسلك اتجاهًا غير الذي سلكه المسلم، أو يتظاهر بعدم رؤيته بأن يرسم على وجهه التيه أو البلاهة أو التحديق في نقطة ما في الطريق، وغيروا مواعيد أعمالهم الحرفية، وكانوا يقيمون احتفالاتهم الدينية والاجتماعية في العراء خلف معبد حتشبسوت مثل الزقاف أو إقامة سرادق عزاء أو الاحتفال بالأعياد بصناعة الحلويات، وعلى الرغم من مرور ثمانين عاماً من الانزواء والانطواء بين الفرقتين لكن عاملاً جديداً طرأ فقد ظهرَ جيل جديد.

- لَكُمْ دِينَكُمْ وَلِي دِينِ -

كان المسلمون واليهود يرددون تلك الآية حينما كان ينشب حوارٌ حاد أو مشكلةٌ تطرأ بين الطرفين.

، على الرغم من أن اليهود اشتروا أراضي ومنازل والنجع باسم
 الطوامية ما يزال، إلا أن البعض كانوا يسمونه نجع اليهود على الرغم
 . أنهم حافظوا على نظام المباني التي تكاد قريبة جداً والشوارع
 المسبقة والشرفات الخشبية ذات اللون الأخضر، واشترت كل عائلة بقرة
 ، بها كل صباح أمام المنزل وتظل حتى يخيم الليل، وكان لون بشرة
 اليهود قريباً جداً من لون بشرة أهل الطوامية، وفي السنوات الأخيرة
 . نأت صراعات كثيرة بسبب الجيرة ومشكلات الأطفال ونزاعات على
 الأرض. لكن كبار النجع على الرغم من صعوبة تلك النزاعات، كانوا
 مدونونها، وكانت تحدث سرقات كثيرة في النجع لكن لم يكن أحد يبلغ
 . بها نظراً لوجود طرف ثالث يمكن أن يكون هو الفاعل، وأخذ الكثيرون
 . من أهل النجع الطريقة الدينارية عن الديناري ونقبائه، واكتسب النجع
 مسحة صوفية وكتب الكثيرون أسماء أهل البيت على منازلهم، وشعر
 اليهود بالمسحة الصوفية فكتب البعض منهم أسماء مثل "هارون شقيق
 الرسول"، و"موسى كليم الله"، و"أبو حصيرة ولي الله"، وبين هؤلاء
 أولئك تقرب الشيعة من الصوفيين وحُب آل البيت والأولياء واليهود.



ظل المجتمع القبلي يسود الأقصر شرقاً وغرباً ولمّا جاء الفتح
 الإسلامي إلى مصر لم يمكث فيها سوى العربية الذين كانوا يقودون
 عربات تجرها الحمير تحمل المؤن والأطعمة والعجائز والمرضى
 بأمراض مزمنة والناجين من الطاعون وكذلك العبيد الذين كانوا
 يركضون خلف العربات وكانت مهمتهم لتحصر في إقامة الخيام
 والقيام بأعمال السقاية والتنظيف والتلصص والتجسس للأخريين
 وللأعداء، عاش هؤلاء المسلمون فيما بعد خارج المدينة حول

المصارف وعلى ضفاف الترع وفوق التلال والهضاب وتحت
الجبال، وظلوا يقومون بنفس أعمالهم طوال جيلين كاملين، ثم
الجيل الثالث بدأوا يتمردون على المهنة وابتكروا مهناً أخرى مثل تربية
المواشي وأعمال الجزارة وقص شعر الحمير، وأنخرط عدد كبير من
الزراعة والتجارة، وعمل آخرون مع بعض الأقباط وانصهروا معهم
بعد ثلاثة أجيال، وبدأوا يبنون بيوتاً قريبة من بيوت الأقباط وتشبهها
لكن لم يرسموا الصليب على أبوابها، وكانوا يشاركونهم أفراحهم
وأحزانهم، وتزوج الكثيرون منهم من قبطيات تحولن إلى الإسلام
سراً، ولما انتشرت قضية تأسلم القبطيات بدأ الأقباط في التدهور
شيئاً فشيئاً نظراً للخزي والعار بسبب تخلي بناتهم عن دينهم ودين
أجدادهم والانضمام لدين الفزاة، وعلى الرغم من نداءات الكهنة
والقساوسة والرهبان بضرورة السيطرة على البنات حينما يصلن إلى
سن الزواج، فكانوا يسارعون بتزويجهن في سن صغيرة جداً، إلا أن
قضية تحول القبطيات إلى الإسلام استمرت كأنها آلة نسيج متطورة
لا يسيطر عليها النساج الذي ظل يتعامل معها بفكر قديم، ولم يوقفها
أو يقللها بعض الشيء إلا نصائح الأساقفة بتكوين مجتمعات منفصلة لا
تتصل بالمجتمع الإسلامي إلا في أضييق الحدود.

بدأت صيحات الكراهية والمقت تملو في تلك النجوع، فحملت الأجيال
الجديدة مزايمير التوجس والاضطراب والعقد، وحينما كان يحدث
خلاف أو نزاع حتى ولو كان مصدره الأطفال فلم يكونوا يتورعون عن
صَب جام غضبهم، وطفرت برك الانتقام بين الأقباط والمسلمين وعاء
جوانبها تأججت نيران الفتنة أعواماً وخبت أعواماً أخرى، ووصلت إلى
أقصى درجاتها في عصر السادات فحُرقت منازل ومتاجر الكثيرين

١٠٠٠ أعداد كبيرة كبارًا وصغارًا، وبعدها زادت هجرة الأقباط إلى
بكا.

١٠٠٠٠ أقباط المهجر يكوّنون جماعاتٍ ضغط في أمريكا للمطالبة
بـ ١٠٠٠٠٠٠ أقباط الدينارية الذين يتعرضون للاضطهاد، ونفخوا في النار
بأجبت بؤر الفتنة التي كانت نائمة، وفي نفس الوقت كانت أعداد
١٠٠٠٠٠ هاجرين من قرية الدينارية تزيد ومنهم من يهجر أرضه فيستولى
بها لصوص الأراضي وخصوصًا في نجع النصارى ونجع الطوامية
١٠٠٠٠٠٠ شهد تجريفًا في عدد الأقباط وأراضيهم.

١٠٠٠٠٠ نتيجة للكيانات التي تكونت في الدينارية حدوث جرائم قتل
١٠٠٠٠٠٠٠ لم تستدل الشرطة على الفاعل فيها، وتسربت آية من التلمود
من اليهود حتى وصلت للأقباط والمسلمين فزرعت أشواك الخوف
والرهبة بين الناس :

"ومن يسفك دم غير يهودي فإنما يقدم قربانًا للرب"



استيقظ نجع الطوامية في يوم السبت الذي وافق ذكرى وصول موسى
إلى مصر لمقابلة الفرعون على جريمة قتل مروعته، وقبل مرض نيليان
حاييم بحمى كادت تؤدي بحياتها، كان البليمي يطوف بالوادي في
الصباح كعادته وهو يهرول في خط سيره المعتاد، وقبل أن يخطو بعيدًا
عن نافذة قارون برجله وهي تهتريء وتخطيء باعتدالها فتعرقل في
جثة وانكفا عليها فتتلخ وجهه بالدماء التي تجلطت على وجهه ورهفته،
ظل عشر دقائق محددًا في وجه الميت الشاخص ببصره، وحسبه على
فهد الحياة فضحك وراح يهذي بكلام منفلت، لكنه وجد الميت ما يزال

شاخصًا، ولمَّا استند على صدره حتى ينهض اكتشف برودة العنق،
التي تضع فاصلاً بين الميت والحي، مثلما شِعْرَ قابيل بعد أن قتل هابلاً،
أن الجسد لم يصبح صالحاً للحياة بعد أن سرت فيه البرودة، وعاء
الرغم من أنه جلس بجواره ثلاث ساعات قبل أن يأتيه الطير بهاء،
الدفن إلا أنه شعر بحزن ما يفتابه، ربما كانت المرة الأولى التي يشهدها،
فيها إنسانٌ يحزن ما وقد كان عبارة عن ضيق في التنفس لا تفلح
نسماتٌ ريعية ورغبة شديدة في البكاء والصراخ.

الأحياءُ يَبْكُون على الموتى لكنهم لا يَقْبَلُونَ وجودهم في محيطهم
حينما تبرد أجسادهم فيتعجلون دفنهم، اكتشف البُلَيْمي بما تبقى لديه
من حس أن الميت لن يعود للحياة، لكنه لم يستوعب ولا يستطيع أن يبرأ
ما اكتشفه.

قَبْل أن يصل البُلَيْمي إلى الساحة كانت القرية قد عرفت أن خَطْباً ما
قد حدث. وتمجَّل البعض ورسموا خيوطاً وهميةً وأضاف البعض لها
وغيرَ آخرون في الأحداث: قُتِلَ فيها عشرون بعد أن كان عدد القتلى
أكثرَ من خمسة، وفي نَجْعٍ آخرٍ وصل عدد القتلى إلى ثلاثين، وفي نَجْعِ
الطوامية قُتِلَ أربعون من المُصلِّين في دير القديس بطرس يومَ صِيَامِ
العذراء، بينما وصل قتلى مسجدِ الدينارية إلى خمسين يومَ الاحتفال
بليلة الإسراء والمعراج.

قَيَّدتْ حوادث القتل في الدينارية ضد مجهول مثل الأطفال المولودين
حديثاً مجهولي النسب الذين كانوا يجدونهم مُلقين عند الساحة أو عند
الدير أو المعبد، وشياطين حديثو الميلاد يَسْعُونَ حثيثاً لاستقطابهم
حينما ييلفون الحُلْمَ.

الفصل الثاني والعشرون

كتب الراهب ليشع منقريوس ذات مرة في مدونة "ملكوت المسيح" مالمًا بعنوان "مستقبل المسيحية في الشرق الأوسط"، ليلة قنوط الشيخ الربالي بسبب حالة ابنه البكمي، وشدّد فيه على ضرورة حماية الأقليات المسيحية وطالب بتدخل دولي لمناقشة مطالبهم، وعلى الرغم من التفاعل السريع مع كاتب المقال والذي ظهر في صورة ملامات إعجاب وتعليقات مؤيدة ومساندة من قِبَل مسيحيين يعيشون من الخارج إلا أن الكاهن يواقيم الصموائيلي عنّفه وهو يقف تحت المجسم اليسوعي الرئيسي فقال له :

- هل جُنِنْتَ يا ليشع؟ أم أنت من الضالين؟

أجاب ليشع محاولاً الاتزان في وقفته لينفي عن نفسه الاتهام بالجنون :

- لِمَ يا أبت؟

قال يواقيم متنزهًا عن فعل قام به صبي غير مسؤول :

- ما كتبتّه على مدونتك سيفتح علينا أبواب جهنم.

الاتزان في الوقوف ينتج حكمة تُخرج من أفواه القديسين :

- هذا واجبنا تجاه ديننا يا أبت.

الناظر ينبه المدرّس الذي خرج بفلسفته عن المنهج ففرق تلاميذه:

- واجبك أن تتنبّه لشؤون الدير الذي وهبت نفسك له، ولشؤون

الأقباط.

المُبشر يوقع الكاهنَ في منازل المنكرين :

- إذا مَنْ يتكلم عن المسيحية ومستقبلها؟

الكاهن الخبير بشؤون دينه يفند حجج مُشعلي الحرائق :

- مشكلتنا هي أننا نتحدث فيما لا يخصنا، هناك صحفيون

ورجال إعلام مسيحيون يتكلمون في هذا الموضوع، هل ترضى أن يتكلم

أحد في شؤون الكهنوت؟

الأعداء تسبق تبريرات الكهنوت :

- لكنني لم أرتكب جُرمًا أستحق التائب من أجله.

تطهير الراهب من دنس الضلال واجبٌ يقوم به الكاهن :

- أما تزال مُصرًا على غيبك يا ليشع.

صمت الراهب وكان الكاهن ألقمه كُرّة من نار احترق بها لسانه ثم

نزلت في أمعائه ومزقتها، فنظر كالأبله للكاهن لدرجة أنها أثرت على

سمعه فلم يسمع ما قاله له، وفي اليوم التالي سأل الراهب أبانوب

الأنطوني الذي كان يقف خلف مجسم العذراء في الممر الذي يُفضي

إلى بئر الشهداء يتسمع :

- ماذا قال الكاهن يا أبانوب؟

قال الراهب أبانوب الأنطوني وكأنه يقرأ من ذاكرته التي لم تلحق بها

كرة النار التي ابتلعها الراهب ليشع منقريوس :

- هل جُننت يا ليشع؟ أم أنت من الضالين؟

صرخ ليشع في وجه أبانوب قائلاً :

- أنا لا أطلب منك تلاوة الحديث كله، بل أطلب منك أن تعيدَ

أمره؟

أمسكَ أبانوب بالصليب الذي يتدلي من رقبته وكأنه يستعين به لترديد الجملة الأخيرة للكاهن فقال :

- قال : رجال الدين غير المسؤولين، والأبواق الإعلامية

المنفلتة المبنية على مصانع كبريت شديد الاشتعال يُشعلون الفتن،
والربُّ منهم بريء.

منى الراهب ليشع لو كانت كرة النار ما تزال في أمعائه، أو أنها قفزت من فمه وألهمت جوفَ أبانوب الذي رأى في عينيه صورةً ممت قديم بكنه له حينما وقع أثناء ترانيم مراسم نصف إكليل لعروسيين من جمع النصرارى، يومها ضحك ليشع ونسي الوقار الكهنوتي المفروض عليهم وغطت الصاجات على ضحكاته، حينئذ نظر الكاهن يواقيم الصموثيلي وهو يمسك إناء البخور إلى الراهب الواقع تحت قدميه، والراهب الذي لم يستطع أن يتخلص من شيطان ضحكه المتواصل والذي يقف على يساره، نظرة أعانت الراهب على الوقوف سريعاً - كأنها رافعة - والتخلص من قش الحرج. كما أنها كُمت فم الضاحك كأنها قرصة أب لابنه ضحك أثناء الصلاة.

كانت العلاقة بين الراهب ليشع منقريوس والراهب أبانوب الأنطوني بنخذ منحني واحداً الصعود والثبات، أو المثابرة والركود، قابيل وهابيل، وكانا كناجيين من سفينة غارقة يحاول أحدهما العثور عن زورق نجاة، وينتظر الآخر أن يمشر عليه المنقذون، أو كمجندين في الجيش يتبعان التعليمات، أحدهما يحاول حثيثاً أن يكون في الصفوف الأولى دائماً، والآخر لا يهमे وجوده في أي صف، ومثل طالب ثانوية

عامة ذهبَ إلى الكلية التي يحبها، والآخر ذهبَ إليها لأن مجموعها يوافق الحد الأدنى للقبول فيها، وعلى الرغم من ذلك كان أبانوب تتناهِه الرغبة لتقليد ليشع فقد كان ينجِز الكثير من الأعمال خصوصاً أمام الكاهن، لكنه حينما كان يخلدُ إلى فراشه كان يشعر بعدم جدوى ما زارَ عن واجبه، بينما كان ليشع منقربوسَ ذا هدفٍ يسعى لتحقيقه، هذه أسمى يشاركه الكثيرون فيه، وهدف شخصي نابع من ذاته ومخلوق لتحقيقه، الهدف الأسمى أن يصل بعمله وتدينه لأعلى المراتب لدى يسوع، والهدف الشخصي أن يتبوأ أعلى مكانة في الكهنوت المسيحي

- كما أن هناك بشرًا لا يحتملون الظلم، فإن هناك بشرًا لا يطيقون العيش بدون الظلم.

هكذا كان يقول الأسقف ميخائيل المحرقي على الراهب أبانوب الأنطوني الذي كان يسكت إذا تعرّض للظلم من قبل ليشع الطموح والذي بلغ طموحه أعلى الدرجات أو من الكاهن يواقيم نفعه، وحينها نمت إلى علم الأسقف صنوف الظلم طلب منه أن يتدخل لحمايته إلا أنه كان يتمسك بقيم التسامح التي وصى بها يسوع.

كان الراهب أبانوب يغيّب كثيرًا عن إقامة الشعائر، والسبب حرمانه من المشاركة في عيد الشعانين.

- أما تزالُ مصرًا على غيِّك يا ليشع؟

هكذا أجاب الراهب أبانوب الأنطوني عن سؤال الراهب ليشع ليقطع كهنوتًا مضى به أطول المسافات حتى يصل إلى صومعة بلا دير يتألم فيها عابدًا متعبدًا دون أن يرى فيها بشرًا أو نفرًا من الجن، صومعه

لراهب واحد لا يرغب في رؤية رهبان لا يفهمون الكهنوت، ويديرون الدير بمفهوم دنيوي بحث، كان في ظنه أن على الراهب الذي يبني الثرهبين أن يُقَدِّمَ ذاكرته تمامًا حتى يدخل الدير بدون أن يفكر فيها أو يفكر في شؤون الرهبنة بمنطق الدنيا، الرهبنة فتَحُّ لأشخاص اختارهم الربُّ لخدمته فلا بد أن يكونوا جديرين بالاختيار.

للكهنوت فلسفة عميقة تحتاج لمن يسبر أغوارها.



اختصَّ البليمي قَبْلَ ندوة حوار الأديان بيومين، وكان اختفاؤه يدعو للقلق والريبة فهو يستيقظ في الفجر ويستخرج الضوء الباهت القابع خلف الأفق زفراته التي تشل الحنجرة في تحويلها إلى كلام مفهوم، يخرج كما هو دقات زفير مندفعة ومتتالية إلا أن كل دفقة تُعبر عن حالة شعورية محددة، ويخرج من منزله الذي يبعد مائة وخمسين مترًا عن الساحة، فيمر بدير القديس بطرس ويدور حول ثلاثة أضلاع منه ليسلك الطريق الرملي الذي يقوده إلى الجدار الغربي للمعبد اليهودي ومن عند شرفة قارون التي يحصل من خلالها الفقراء على نصيبهم الأسبوعي يصعد المدق الرملي كأنه يصعد جبلًا بصورة رأسية، لكنه قَبْلَ أن يصل إلى شرفة قارون اختفى، وعلى الرغم من أنه يقوم بخط السير هذا كل يوم كمجمل يدور في ساقية لا يتوقف حتى ولو شعر بالإنهاك والتعب، لكن في هذا الصباح كان سببًا في تأخير طلوع الشمس؛ فتحالفت الغيومُ الراكدة فوق قمة الجبل مع المخاوف التي تصاعدت في الأسابيع الأخيرة.

لا أحد يعرف كيف بدأت تلك المخاوف، ولا كيف تصاعدت ألسنتها،

وزَكِبَ الجَمِيعُ مَوجِبَها وَجَدَفُوا بِكُلِّ قُوَّةٍ فَقالَ رَجُلٌ قَطَعَتِ ساقَهُ فِي شِجارٍ مَعَ يَهُودِيٍّ مَتحالِفٍ مَعَ شِيعِيٍّ بِسَببِ قِيراطِ أَرْضِ خَلْفِهِ قِبطِيٍّ بَعْدَ أنْ هاجَرَ بِمائِلَتِهِ إِلى أَمريكا :

- خَطَفَهُ اليَهُودُ الأَنجاسَ.

رَدَّ عَلَيهِ آخِرُ كَأَنَّهُ يَمُنحُهُ ساقًا تَعويضِيَّةً كالتِي حَصَلَ عَلَيها قائِدُ الجِناحِ الأيْمَنِ فِي جيشِ هولاكو قَبْلَ أنْ يَموتَ غرقًا فِي نَهرِ الفِراتِ قُبيلَ سَقوطِ الخِلافةِ العِباسِيَّةِ بِأسبوعَيْنِ:

- اليَهُودُ يَفعلونَ كُلَّ شِئٍ.

رَدَّ عَلَيهِ بَعْدَ أنْ امْتطى الساقَ التَجرِيبِيَّةَ.

- البُلَيمِيُّ مَسَلِمٌ وَسِيبقى مَسَلِمًا.

أجابَ مانِحُ الساقِ وَهُوَ يَحاوِلُ أنْ يَستَردَّها مِنه فَيَعُودُ أَعرجَ.

- المِباديلُ لَيسَ لَهم دِينُ.

فَضَّلَ صاحِبُ الساقِ المِبتورَةِ وَالذي اسْتَردَّتْ مِنه ساقٌ تَعويضِيَّةٌ لَم يَفْرَحْ بِالمَشيِّ بِها بَعْدَ، أنْ يَبقى بِعاهتِهِ بَدَلًا مِن أنْ يَكُونَ البُلَيمِيُّ بلا دِينٍ فَأَغْمَضَ عَينِيهِ وَاخْتَفَى بِأَنَّ الأَصنامَ التَعويضِيَّةَ.

كَثُرَتِ المَقاماتُ الشِيعِيَّةُ وَالحِسينِيَّاتُ فِي النَجعِ، وَتَفَرَّعَتِ عَنِ المِوالِدِ الرِئِيسِيَّةِ مِوالِدُ فِرْعَبيَّةٍ، فَأقامَ الشِيعَةُ مِولِدًا مِصْفَرًا لِلإمامِ الحُسينِ تَقامُ فِيهِ السَرادِقاتُ وَحَلِقاتُ الذِكرِ وَبِصَدحِ فِيها المَنشِدونَ الشِمْبيونَ، وَتَقامُ فِي الساحاتِ المِراجِيعُ وَ"الطَلطِيطِحاتُ" وَ"الوِلائِمُ" هِنا وَهَناكَ، وَيزِيدُ عِدَدُ المِباديلِ فَيَترنَحونَ فِي الأَزقةِ وَالطَرِقاتِ بِهَيَمونَ عَلى وَجوهِهِم وَبِهذونَ بِكلامِ مِبتورِ غَيرِ مَفهومٍ، وَيطارِدُهُم الأَطفالُ

ويضربونهم بالطوب والحجارة، واعتُبر ذلك من شمائر تلك الموالد
فتكرر تلك المطاردات حول الصواري المقامة في الساحات الشعبية
الواسعة، وإذا لم يجدوا في أحد الأعوام هؤلاء المباديل يؤدي البعض
دور المباديل الذين يطاردهم الأطفال الذين انتهوا لتوهم من ركوب
المراجيح لتكتمل مراسم المولد.

كان اليهود في نجع الطوامية أول من يزور الكيان الشيعي في الدينارية
فيحملون لهم هدايا تتكون من حلويات وتمائيل من جياذ ومجسمات
حسينية وصور للأئمة الاثني عشر، ويشاركونهم في البكاء والنحيب.

كان الديناري يرسل نقيباً ينوب عنه في الاحتفال بمولد "أبو الحجاج"
فيشارك في الطقوس بدءاً من إرسال مجموعة من الطريقة الدينارية
بنصبون فيها مخيماً كبيراً بجوار مسجد "أحمد النجم" فيذكرون
طوال أيام المولد وينشد فيها الشيخ "أمين الدشناوي"، ومجموعة
أخرى تقوم بصناعة تمثال حلوي للديناري يركب حصاناً ويشهر سيفاً
ويباع الآلاف من هذا التمثال، وتوزع أدعية للديناري مكتوبة على التقويم
الهجري والميلادي. وفي اليوم الأخير يقوم النقيب الذي يرتدى جلباباً
أبيض تحت عباءة بنية وشاشاً أبيض حول رأسه وملفحة بنية يخفي
بها وجهه، باعتلاء جواد أبيض ويمسك سيفاً دينارياً، وتقف الجموع
حول الطرقات والأزقة يتفرجون على نقيب الديناري وهو يتبختر
بجواده متقدماً "الدورة" وخلفه مندوبون عن بقية الطرق الصوفية
يعتلون عربات كارو وعربات حنطور، وآخرون يركبون عربات نصف
نقل تحمل أضرحة وهمية مكسوة بأقمشة حريرية خضراء مزخرفة
ومزركشة، ويقف حولها بعض العراة الذين يرسمون على أجسادهم
وشوم علامة الموت ويشهرون سيوفاً وسنجا وسكاكين يطوِّحون بها في

كل الاتجاهات، وبعضهم من ينفخ غازاً في عصا اللهب التي يمسك بها فتأجج السنة النار في الهواء فهصرخ الواقفون على جانبي الطريق. وبعضهم من يمسك بسماعة مكبر الصوت ويصرخ بالأغنيات الشعبية وخلفه تلو السماعات العملاقة بصوت مفرن شعبي، وكان في بعض الأحيان يتقدم النقيب جوادان لونهما أبيض. يعتليهما معصم وعاصم الديناري وهما يرتديان جلبابين لونهما أبيض أيضاً، ويحمل كل منهما سيفاً يمينه ويمسك بالسرج بيده اليسرى.

كأن القدر يرسم لهما خريطة جينية متفردة استقاها كل منهما من النبي نوح الذي خرج من صلبه الملايين من الخرائط الجينية المختلفة، وحينما يكون أحدهما في الدينارية يكون الآخر خارجها. على الرغم من أنهما تقابلا في القاهرة كثيراً، ونظراً لسفر أحدهما فلم يشعر الناس بغياب الآخر نظراً للشبه الشديد على الرغم من فارق السنوات الثلاث. والطول يبدو واحداً، لكن هناك شَبهاً غريباً بينهما في ظل وجود قاسم مشترك وهو ملامح الديناري، يختلف عاصم عن معصم في الرقبة؛ فعاصم يميل لليسار برقبته وهو يسير في الطريق مثل الأقباط، بينما تعدل رقبة معصم كأنه يبببرس يخطط لمعركة يكون فيها المنتصر، لون الشعر أسود فاحم مستمرمل كلون شعر كبير حينما خلع البوريه بعد أن تولّى أمر الحملة الفرنسية بعد سفر نابليون إلى فرنسا، الطول طول الديناري، وكذلك الكبرياء الذي يرتسم على وجه الديناري وهو يتجه لمناسبة من المناسبات الدينية لدى بقية الأديان مثل كبرياء أحمد عرابي وهو يتفاوض بعد هوجته.

كانت علاقة معصم وعاصم بأبيهما كأنهما حواريان لا يفارقان المسيح طالما هو مستيقظ، وحينما ينام ينزعان إلى لون من ألوان

الرفيه واللهو بعيداً عن حضرته. ولكن حينما يدخل الديناري المسجد
مسلاة الفجر لا يجدهما منتظرين وحينما يسلم يرى في وجهيهما
انار السجود وكأنهما كانا متهجدين طوال الليل، كان يرى فيهما أمهما
الراحلة بأنوثتها التي لا تدخرها طالما لم يتوضأ فتمنعه كل فتون
المرأة في الإغراء من زليخة حتي مارلين مونرو، وإذا توضأت للصلاة
أم تفرغت لشؤون البيت أو الساحة فهي انديرا غاندي.

الفصل الثالث والعشرون

كانت العلاقة بين المسلمين والأقباط واليهود في الدينارية تتأرجح، صعوداً وهبوطاً، فكانت تتصف أحياناً بالقوية حينما كانت المصالحة تزيد وتتشابك فلا يستطيع نابليون أن يقطعها، وبعض الأحيان كان الفتور ينشب فيها لأن العلاقة منذ البداية مبنية على خداع دقيق غير مرئي يحتاج لمكبر ميكروسكوبي ليكتشف الفيروسات والميكروبات، الشيعة التي تتخر في جدران تلك العلاقة، وكان موضوع الدين ينفج الكثير من القضايا التي يمكن تلاشيها، وهي أحياناً أخرى كانت تتصد بالتوازن نظراً لظهور أجيال جديدة كرست لضرورة نعيان الموروث الديني الملقوم بنزعات الانتقام ومحاولة التطبيع السياسي الذي تبنته إحدى القوى اليهودية والاندماج في المجتمعات وتحقيق النص السياسي المنصهر في طرائق اجتماعية لتصبح بديلاً عن التوقيتات التي وضعت لذلك، وتكريس فكرة "الدينارية رحم" يحمل كل الأجنة التي قالها الديناري في الندوة التمهيدية لمؤتمر حوار الأديان لمناقشة الخلافات القديمة ومحاولة بناء مجتمع جديد قائم على قبول الآخر لكن كادت الندوة أن تفشل فشلاً ذريعاً بسبب النعرة الدينية التي كان المتحدثون يترنمون بها، وعلى الرغم من ذلك فقد قال الدينار: للكاهن يواقيم الصموثيلي بعدها بأسبوع حينما ذهب ليزوره يوم عيد الفطاس.

- ستظل الندوة نبتة جديدة في أرض الدينارية الخصبة، ومؤكد أنها يوماً ستثمر.

كان الديناري يجلس على كرسي منخفض خلف النار المشتعلة، وأسنتها الحمراء والوردية فتعكس دُفقًا أرجوانيًا يتعرب إلى جسده المرتعش من شدة البرد، وألوان الطعام المختلفة حول البئر، بدءًا من شرة ديوك رومي تثن من الشواء وعشر دجاجات تنتفخ بالأرز تحتمي بإطار الإناء الفخاري الكبير، وأفخاذ اللحم الضأن النائمة على صواني الأرز تنتظر من يربت عليها في هذا الجو الشتوي القارس في نهاية شهر يناير ليلة عيد الفطاس، والكاهن يواقيم الصموائيلي ينزل في ماء البئر البارد وهو يقول وجسده النحيل يرتعد:

- الأقباط في الدينارية يرحبون بالحوار، لكن أقباط المهجر هم الراضون.

لم يسمع الكاهن ردًا من الديناري لأنه غطس كأنه يونس ضاق بالحياة وشورها فتزل في البئر ليبعث عن الخلاص اليسوعي في بطن الحوت، وخرجت فقاعات من مختلف الأحجام لتعلن أن الماء البئري يحتضن الكاهن المعمدان، يسوع الصغير بجسده الشمعي الأبيض يمسك به برحنا المعمدان مترفقًا في عيد الدنح وضوء القمر يحنو عليه بشعاع العذراء مترفقًا به، وتراجع ظلال الأشجار التي تطل على ضفاف نهر الأردن، تحاول أن تدفئه حينما يخرج، يغطس به يوحنا المعمدان ويصدر صوت عميق قائلاً: "هذا هو ابني الحبيب، فله أسمعوا."

ظلت الفقاعات تتناوب الصعود على السطح تحاول ملامسة جسد الكاهن الذي تجسد فيه يسوع، أو تلتصق بشعر ظهره عدة ثوان قبل أن تنخثر في الماء، والديناري يبحث عنه في اللجج المتداحة نحو جدران البئر المشبية الطحلبية، والرهبان من حول البئر يقفون متضرعين خاشعين يحملون المناشف القطنية التي تتكاثر عليها صور الصليبان

ويسوع الصغير، وأسفلها ملابس الكاهن يحاولون الثبات في شدة البرد وهكوبهم ترنو إلى النار التي تذيب بألسنتها المتراقصة الفضاء البارد ودهون الديوك والدجاج.

جاء نهر النيل واختتمت البئر، والديناري جالس أمام اللسان النيلي الذي يشبه لسان الصن العملاق الذي كان يخيف الناس في قرية الدينارية بالليل حينما كان يفر القمر بضوئه هلعاً، وكان الناس يقولون إن الديناري (الجَد) قضى عليه حينما قرأ سورة يس في الحضرة فصرخ صرخة شديدة توجه بعدها لنهر النيل وغرق فيه، لكن لسانه التصق بالجرف الذي ينحدر فوقه فسقط في الماء. إذا وقفت فوق اللسان لانتابك الخوف والرعبة وتراجعت حتى لو كنت عيسى الفواص، لأن نسيج اللسان ليس ترايباً أو مائياً وإنما نسيج رملي مطاطي مترهل وعلى الرغم من ذلك فهو متين.

ألقي الديناري بجسده في النيل وسبح حتى وصل إلى المنتصف. وحينما حاول العودة فإذا بقوة غير مرئية تشبث به كأن ركب المعدة الذين غرقوا منذ ثلاث سنوات ينتظرون من ينتشلهم وينقذهم بوجوههم المشوهة وسواعدهم وأرجلهم الرخوة التي قضمتها الأسماك، وظل أكثر من ساعة يحاول الخروج من دوامة الغرقى. وقرأ دعاء يونس فخرج من الدوامة وبعد أن خرج إلى البر يلتقط أنفاسه ظهر جسد الكاهن من البئر بعد أن ظل ساعتين كاملتين، فخرج هو الآخر وكلاهما يلتقط أنفاسه، تكاثر الرهبان حول الكاهن بعد أن مدوا إليه أيديهم وقاموا بلفه بالمناشف، وأبسوه رداءه، وهم يرددون ترانيم الغطاس، عيد الظهور الإلهي.

بجوار النار التي ترتعش من شدة البرد وضعت المائدة أمام الديناري

اهن بعد حادث تفجير مسجد سُني قام به بعض الشيعة الذين
 يا نَجَع الطوامية منذ عامين، وتناول الديناري وياقيم الطعام
 ااحتفلان بانتهاء مراسم الغطاس المقدس وصوت الرهبان - وهم
 سون كصوت حراس النجاشي، حينما هاجر المسلمون إلى الحبشة
 ون به، فأعد لهم وليمة فاخرة وعلى خلفيتها قرأوا آيات من سورة
 م - وهم يترنمون بصوت خافت ترانيم الدنح فأضفت على الوليمة
 نة وسكونا، بينما كان الكاهن يواقيم يدفن أصابعه البيضاء في
 اء الديوك ويدغدغ قطع اللحم، والديناري يشاركه الطعن والفتك،
 ل رفيع غير مرئي يربطهما كأنه خيط سري يربط توأما، وحينما
 من الرحم ظلا مربوطين به، والراهب ليشع منقريوس ينقره
 اته الخبيثة كغراب أصيب بياس شديد وهو ينتظر طعاما ربانيا،
 وجد طائرا من الطيور الجارحة ظل في مكانه دون حراك خشية
 نقض عليه فلم يجد بدا سوى أن ينقر بنظراته هذا الطائر وإن
 ، تلك النظرات أضعف الإيمان.

علم جميع الصالحين ماتت زوجة الديناري منذ سبع سنوات بعد
 ل لويس ليمارجي من ندوة بناء مستوطنات جديدة في القدس
 بية، ورفض الديناري بعدها أن يتزوج على الرغم من قوته الجسدية
 لم تختلف عن قوة الكهان والرهبان الذين يهبون أنفسهم للخدمة
 نوتية وهم في مقتبل العمر، وقيل إنه كان يحب زوجته كثيرا ولا
 ل أن يواقع امرأة أخرى، وقال أحد النصارى القارئيين في مقارنة
 ان إن صلاح الديناري مرهون برهنته، وأن رهنته كانت منقوصة
 يد زوجته، وكان الأسقف ميخائيل المحرقي لا يعترف برجل الدين
 لم الذي يتزوج كثيرا، وربما ترهلت لديه تلك الفكرة حينما عرف

أنه رفضَ الزواجَ بأخرى تبتأت بها شفيقة المريسية التي رأت فيها فتى قبطيًّا مسلم ينكل به، ظلت نبوءة شفيقة المريسية قائمةً عدة سنوات حتى عرفوا أن الديناري قد نضبَ معيُن الرجولة لديه بعد التحاليل التي أجراها للتأكد من قدرته على الزواج. وخصوصًا حينما اقترب من مشارف الستين من عمره، أمَّا اليهود فقد تَمَنَّوا أن يتزوج بمفريية جاءت لتزور مقام الديناري (الجَد) الذي رأى محيي الدين بن عربي في نومه، وتحدثت معه عن الشيخ الأكبر وكاد يفتتن بها لولا أن شَمَّ في كلامها رائحة اليهودية، حدث كل ذلك حينما شاهد في قناة CNN وهو نفس اليوم الذي كان معتصم الديناري يُنهي إجراءات تعاقد مع الجامعة بعد خمس سنوات في البحث العملي لرسالة الدكتوراة فرأى مجموعة من الطلاب يرفعون لافتات بالعربية وبالإنجليزية وبوسترات تحمل صورَ الديناري :

"الديناري طاغية الدينارية"

"انقذوا الدينارية من الفتنة الدينية"

"يا أقباطَ الدينارية بلد الحريات تنتظركم"

"أيها العالم المتحرر، حرروا أقباطَ الدينارية."

."Save Dinarya"

"Dinary is the tyrant of Dinarya"

Unlock dinarya from religious leader"

"Dinary

الفصل الرابع والعشرون

قبل حوار الأديان بمسبعة أشهر والكاهن يواقيم الصموثيلي يُعيد نصحيح أفكار الرهبان المأخوذة عن فكر أساقفة لم يعد يصلح للدير، كان لويس ليمارجي متوجهاً للدير البحري لمتابعة أعمال التنقيب في موقع أثري جديد، تمتد غالباً تلك الأعمال حتى الليل نحت أضواء الكشافات، هناك طريقان للوصول إلى مكان الموقع، طريق ترابي ممهد مختصر يمتد من منزله الذي يبعد خمس دقائق مروراً بالمعبد اليهودي ويسير بمحاذاة سفح الجبل فيصل إلى هناك بعد نصف ساعة، وطريق آخر يمر أمام المعبد اليهودي في طريق ترابي ممهد ليكون أمام دير القديس بطرس فيسلك المدق الثعباني المحاط بالصخور المسنونة الذي يصل إلى الساحة الدينارية ثم يخرج عنه ليهادن الصخور السوداء والرمادية المزمجرة الراكدة فوق المنحدر، ثم يسير في طريق آخر ملتو فيرتد عائداً إلى أسفل سفح الجبل من الناحية الأخرى، وهو الطريق الآخر الوحيد للوصول إلى هناك. (بعدها بعامين تم اكتشاف مقبرة نضرتاري أمام العالم وفتح طريق يمر من وراء المعبد اليهودي فيتجه مباشرة أمام دير القديس بطرس ثم يسلك اليمين أسفل الساحة الدينارية فيكون الطريق محاطاً بجدارين صخريين، فجرت هيئة الآثار أحشاء الكتلة الجبلية لتعبد طريقاً يصل إلى المقبرة وكان موسى ضرب عصاه فوق الهضبة فتفتت مكوناتها الرملية والترابية الوسطى، فبقيت الكتلتان الصخريتان على الجانبين) وقبل أن يصل ليمارجي إلى بداية المدق الثعباني وهو

يخشى أن ترتطم قدماه بالصخور فأمعن البصر أسفل قدميه، رأى البليمي نازلاً في بداية المدق وهو يطوح بيديه يميناً ويساراً وكأنه يدعو الله جهازاً، وكائنات غير مرئية تعبت في جسده فيتراقص بانفلات وبحركات غير منتظمة كأن دودة سامة دخلت في جسده وراحت تسري تحت جلده فتلوى وهو يتكلم بلغة غير مفهومة :

"طوفانووو، بنوووو آدمممم، غارقووووووو."

لم يلق ليمارجي بالألماً بقوله البليمي، في نفس الوقت الذي كان الشيخ الربالي يصحح لقارئ القرآن في الساحة أحكام التلاوة، واستمر في طريقه لولا أنه سمع صرخة طويلة واكبت وقوع البليمي من فوق المدق الثعباني متدحرجاً ومنكفئاً على وجهه عدة مرات تتبعه متدحرجة صخور صغيرة وتصاعدت أتربة هائجة حمراء، كان ليمارجي أثناء التدحرج واقفاً وقدمه اليمنى متقدمة عن اليسرى في موضع السير صعوداً، بعدها بثلاثة أيام حينما كان جالساً في غرفة نومه مستلقياً وليليان تصنع الزلاية في أول يوم لشهر رمضان شعرَ بارتطام البليمي متدحرجاً مدفوعاً بقوة غير مرئية بقدمه اليمنى، تمنى لو لم يرفع قدمه حتى يوقف عملية التدحرج المميتة، ولم يرفعها خشية أن يرتطم المتدحرج منفلاً بقدمه فيصاب بإصابات خطيرة؛ لأنه في تلك اللحظة منزوع عنه الاتزان والمنطق، ليس بسبب التدحرج من مرتفع فحسب ولكن لأنه يقتصر إلى الاتزان والمنطق وهو جالس في مكانه، فما بالك بمتدحرج منفلت من الأعلى كان قبلها يهرتل ويهدرب صارخاً؟! شعرَ ببعض الضيق الذي ينتاب المرء الذي اتخذ قراراً وشعرَ بعدها بتردد قاتل يتمنى لو يعود به الزمن إلى الوراء ليغير من قراره، ظلت الحيرة تراوغه لثانية واحدة، وجثة ضخمة مقذوفة من مرتفع عالٍ تمر

بجواره فوق مكان القَدَمِ المرفوعة قَبْلَ ثانية واحدة فقط جعلته يقذف
نفسه يسارًا لِيَتَقَي الصخورَ والحَصواتُ العَمياءُ الصارخة المنفلتة
ملفه تلاحقه، وتَنفُ من الغبار المتصاعد تخلف غيومًا أرجوانيةً
تأخذ موضعًا استثنائيًا في الفضاء بعد الغيوم الكسولة التي انداحت
بشق الأنف حتى تطلع الشمس على مكونات الأرض قَبْلَ حوار الأديان
منضفي على السقوط مزاجًا من الأسطورية.

- لِيَتَكَ أَمَسَكَتَ بِهِ.

قالت ليليان وهي تضع أمامه طبقَ الزلابية المحلاة بالسيرب.

- لا أعرف، هي البداية شعرتُ بقدمي ثابتةً وكان قَوَى خفيةً
متشبثة بها، وبين الخوف والحيرة والاضطراب عزمت فانتشلتها.

هي نفس الحالة التي انتابت ناعوم سيجالو آخرَ مَنْ كان يعبر
الطريقَ الذي مهَّدته عصا موسى في البحر يومَ خروج بني إسرائيل
وهو ينظر خلفه فيرى جبالَ الماء ترتفع عاليًا فيقف فوقها رمسيس
الثاني مترنحًا بدرعه وقد غاصت عربته الحربية في الماء وشرب
الجوادان الأشهبان اللذان كانا يَجْرَانِها نصف ماء البحر، وقتها
تدحرج الفرعون فوق المنحدر المائي الأيمن الذي صنع المنحدرَ
الأيسر فطبقًا على الفرعون فارتفع مرةً أخرى بقوة ذاتية للنجاة من
الغرق، ومسحت الأمواج المتلاطمة حالةَ الطفيان التي كانت مرسومةً
على سحنته واستبدلتها بحالة من الهلع والاضطراب، انتابت ناعوم
سيجالو الحيرة، إنقاذ الفرعون الذي مَدَّ يده يستجد به أم يتبع النبي
الذي أنقذهم من عذاب مبين؟ تذكر ناعوم سيجالو في اليوم الثالث
بعد عبور البحر وهو جالمٌ حينما طفت جثة الفرعون وهو يرفع يده
ليتقى ضرباتِ الموج العنيفة وراجعَ مع نفسه الحيرة، وعند أسفل

المدق الثعباني راجع ليمارجي الحيرة وترك البكيمي غارقاً في دمانه ومضى في طريقه وكأنه شيء لم يتدحرج من الأعلى يراه الآن أمامه متكوراً من شدة الألم أو يعاني من كسر في العمود الفقري، وكُرات الزلاية التي تلتصق باللون الفسفوري في يديه قبل أن تعبر من منحدر عال فتستقر في معدته كما استقر البكيمي أسفل نافذة قارون بالمعبد اليهودي وصوت خفي يرتل من مزامير التلمود لم يسمعه البكيمي الغارق في دمانه الفاقد للنطق والسمع يقول :

- اليهود بشر لهم إنسانيتهم، أما الشعوب الأخيرة فهي عبارة عن حيوانات."



كان الديناري يحتفظ بوثيقتين مهمتين جداً في غرفة الديناري (الجَد)، الأولى كتبها عمرو بن العاص للبابا بنيامين بطريرك النصارى الذي فر من اضطهاد الرومان بعد أن قابل رهبان وادي النطرون يوم الأربعاء، والرياح الشديدة في هذا الموسم الربيعي لم تكن حينئذ تهادن البشر :

"الموضع الذي فيه بنيامين بطريرك النصارى القبط لهم العهد والسلامة والأمان من الله، فليحضر آمناً مطمئناً ويدبر حال بيئته وسياسة طائفته"

أما الوثيقة الثانية التي كتبها الأمير عبد الله المكي بعد أن تزوج ابنة الشماس يوحنا يقول فيها :

"تلاخَمَ العربُ والقبطُ وصاروا قوماً، وبزواجي من كاميليا ابنة الشماس يوحنا صرنا عائلةً مصريةً واحدة."

ان الكهنة الذين عاصروا الفتح الإسلامي يخشون من وثيقة الأمير
 بالله الثانية على الرغم من أن كاميليا بعد زواجها بثلاثة أعوام
 أنتهم بأن الأمير لم يقصد شيئاً بعينه، إلا أن نزعات التوجس
 والملق ارتفعت لديهم أشرعتها وفجرت بداخلهم كوامن ظلت راکدة
 وصول الغزاة حينما تحولت عشر عائلات في ذلك الوقت إلى
 الإسلام، ومنذ ذلك الحين أصبحت الكوامن رايات يرفعها الكهنة
 أما سمعوا بأسلمة قبطي، وتحولت فرق التبشير في ذلك الوقت إلى
 سرية تقوم بالتلصص على العلاقات بين الأقباط والمسلمين،
 ومومون بإبعاد القبطي عن المكان إذا شموا رائحة الاستقطاب التي
 يهبها المسلمون، أو يقومون بقتله إذا سبق السيف العذل.

وهكذا ظلت تلك الوثيقة مصدر قلق رهبان دير القديس بطرس، لذلك
 بدأ الأقباط في ذلك الوقت بعملية تسجيل النسب القبطي، وكان كل
 حمل يحمل في جيبه صورة من نسبه الذي قد يصل إلى يسوع، وكان
 الكهنة يعطون أوامر للمُصلين بحفظ الأنساب وتحفيظها لأبنائهم عن
 ماهر قلب.

حينما تولى الكاهن يواقيم الصموثيلي الدير حاول تخفيف حدة
 الهلع الذي أصاب الأقباط بسبب تفسير الكهنة السابقين للوثيقة في
 الوقت الذي كان فيه الديناري يُفعل المدد الجديد في الحضرة، فقال
 الأسقف وهو يغمض عينيه احتراماً وتوقيراً :

- الأمير لا يقصد التحول عن الدين، أيها الأسقف المبجل.

قال الأسقف وهو يهرب عينيه من مقلتيه استكازاً :

- ماذا يقصد إذن أيها الكاهن المحترم؟

أجاب الكاهن بصوت يسوعي خفيض تنزلت فيه قيم الرحمة :

- يقصد أبناء الوطن الواحد.

يفر يسوع من الجدل البيزنطي فتعلو قيم السفسطة ليقول الأسد،
مصلوبًا :

- بل يقصد أبناء الدين الواحد.

قال الكاهن الذي يعتنق صوفية الحلاج محاولاً أن يشق رداء الفلسفة،
عن الجسد الكهنوتي بسؤال باهت :

- كيف تفسر الوثيقة بهذا التفسير؟

الأسقف يصير على اختزال قيم السفسطة بسؤال آخر :

- ولمَ تفسره أنت بهذا التفسير؟

لم يجد الكاهن رداً فنزع عن نفسه وشاح الفلسفة وتلفح برداء الصمت،
الكهنوتي فقال في نفسه :

- يختصر السابقون كلامهم فيوقعوننا في دوامات التفسير .

هكذا ظل الكهان طول تلك السنوات يفسرون كلام الأمير عبد الله
المكي كل حسب فهمه، ويتأرجح الناس حسب تفسير كل كاهن،
وبالتالي تتشكل العلاقة بين المسلمين والمسيحيين حسب فهم الكاهن
للوثيقة، كفهم الداعية المسلم الجديد للدين الذي تبناه قناة فضائه
يمتلكها رجل أعمال فاسد فيشكل الوعي الديني لجيل كامل سواء أكان
مُصيباً أم مُخطئاً، فالكاهن الذي سبق الكاهن يواقيم في دير القديس
بطرس كان يرى أن الأمير عبد الله يقصد التحول التدريجي للأقباط،

١٠٠ كاهنٌ في قريةٍ أخرى تشتد فيها الفتن بأن المسيح سوف ينزل
١٠١ كل من يدين بدين آخر غير المسيحية، وقال كاهنٌ يحضر
١٠٢ في مختلاه إن القيامة سوف تقوم وقبل أن يبعث الناس سوف
١٠٣ الدين دين آدم، وسوف يأتي يسوع من السماء فوق طائر عملاق
١٠٤ فوق قرية الدينارية ويحث الناس على اتباع دين النبي الخاتم
١٠٥ وساعتها كثرت الأحلام والكوايس التي تصور الأقباط وهم
١٠٦ جون من قرية الدينارية بعد اضطهاد وظلم وخلفهم المسلمون.
١٠٧ منح نهر النيل ويصير طريقاً لهم إلى البر الشرقي للسواقي أرض
١٠٨ رماد وملاذ القبط، وحينما يخرج آخر قبلي وهو أعرج يستعين
١٠٩ إلى تمويضية مصنوعة من أحجار الجبل الغربي فينفتح النهر ويفرق
١١٠ مسلمون خلفهم.

١١١ ربما جاء الكاهن بواقيم الصموثيلي من زيارة للأسقفية في نجع
١١٢ وادي وجد خلافاً شديداً احتدم بين الرهبان، وعرف أن أصواتهم
١١٣ بان على صوت يسوع، وجدهم ينتظرونه عند الردهة الرئيسية
١١٤ أن فرغ من مناجاة شجرة الطلح بعد عودته من غيابه، وحينما
١١٥ أي رؤوسهم منكممة حدق فيهم طويلاً وأشار بسبابته للراهب ليشع
١١٦ منريوس يأذن له بالكلام، فقال وهو يحاول أن ينظر نظرة تكميلية
١١٧ طرته الأخيرة قبل وصول الكاهن، فكانت نظرته تدل على اشتداد
١١٨ الحلاف لكن دون أن يجدوا له حلاً.

١١٩ ال راهب ليشع منقريوس وهو يتحسس بنظرته وجه الراهب الأصفر:
١٢٠ - الراهب بيشوي والراهب أبانوب ينويان المشاركة في حوار
١٢١ الأديان.

- وما المشكلة؟

- المشكلة أنهما يريدان المشاركة بحلول غير تقليدية.

صمت الكاهن وكأنه يستشعر نذيراً في الكلام القادم، وأوماً للراهب ليشع بالاستطراد.

قال ليشع منقريوس وهو يقذف الراهبين الواقفين ورأساهما منكسًا، كأعلام دول هُزمت في حربٍ عالمية انتصرت فيها الدولُ المستبدة - يريدان طرحَ فكرةٍ أن يخرج الأقباط من الدينارية إلى السواقي.

هبط قلبُ الكاهن الذي قفز حتى وصل إلى حنجرتَه فمنع عنه الهواء، فقال ليقطع ألسنةَ الريبة والفتنة :

- الدينارية موطن الأقباط ولن يبرحوها حتى تقوم القيامة.

ابتسم الراهبُ ليشع منقريوس وامتقع وجه الراهبين بيشوي وأبانور، باللون الأصفر، فصعد كلامُ الكاهن لسانَيْهِما بسلاسلٍ من حديد. يمنعهما من مشاركة الرأي حتى يحين فجرٌ جديد.

الفصل الخامس والعشرون

كانت شفيقة المريسية في السبعينيات من القرن العشرين في
إمامسة والخمسين من عمرها، الابنة الوحيدة لمحسوب الجانبي
«مهدة المطعني، اللذين ظللا بلا إنجاب ست سنوات جرباً فيها كل
«مل الجن والشياطين والأطباء لبحث رحم تفيده المطعني على إنبات
«البرغ محسوب الجانبي من صلبه كل يوم محملاً بقراءات واضحة
«مامضة، قرآنية أو جنية لكن كانت الأرض خراباً والبذور شيطانية،
«الملا على هذا الحال حتى كانت الأرض ذات يوم خصبة فتلقفت
«البذرة التي لم يقربها الشيطان، فجاءت شفيقة فاكتملت ثلاثيو المسحر
«الذي كان قريباً من ثلاثي السحر الذين كانوا يقطنون بجوار النبي نوح،
«كانت شفيقة المريسية الوحيدة في إرثها الروحي الذي لم يشهد خط
«الصعيد مثيلاً له من قوص حتى الحكروب بأسوان، فقد كان أبواها
«فطيين روحيين فذيين، ورثت أمها فنون السحر والتي تعتبر مكملة لعمل
«محسوب الجانبي القائم على تحضير الأرواح، واعتبر اليهود شفيقة
«مفيراً لحاخامات يهود يبشرون بصهيونية جديدة تحمي الأقليات في
«مميع أنحاء العالم، وكانوا يشاركونها عمليات تُسمى "السحر على
«مد" فكانوا يجهزون لعمليات سحر في المناطق التي تعج بالأديان
«مقومون بالاتصال بفصائلهم من الجن عن طريق وسيط بحجم
«شفيقة المريسية لتعميق ثلاثة التيارات اليهودية التسلية والإثنية
«والدبلوماسية الاستعمارية، لكن ظلت تلك العمليات في طي الكتمان.

نشأت شفيقة في منزل تتصاعد منه الأبخرة التي تصارع غيوماً

استثنائية فُرت من السماء، وتساهم إلى حد كبير في بناء كتل الغيوم التي تتداح كل يوم فوق القرية، وأصوات صرخات عالية ومكتومة تعبر منه، كان كلامها كعازف التشيللو في فرقة أم كلثوم يشارك في الإيقاع العام للأغنية ولا يمكن أن تميز نغمة آتة إلا في لحظات نادرة، فكانت شفيقة المريسية عازفة تشيللو مشاركة في كل ما يقال في القرية، والتميز ما تقوله أثناء العزف الجماعي لكن في فترة من الفترات تصد كل الآلات ويظهر صوت التشيللو بنغمته المهدرجة المنبثقة من أعماق الروح المترقصة فوق مروج خضراء، وتستمتع به لمجرد لحظة قصيرة جداً، ساعتها تدرك أنها تعرّف طوال الوقت وتشارك في الإيقاع العام



كهنة الأقباط وحدهم يعرفون أن أصل الديناري يعود إلى الأمير عبد الله المكي وكاميليا على الرغم من الأخبار التي تناقلت بعد رؤية قديمه، حكمتها جدة شفيقة المريسية قبل موتها بشهر واحد :

" رأيتُ مسجداً وديراً متجاورين ومتلاحمين لدرجة أن الجدار الذي يفصلهما تلاشى وحينما ارتفع أذانُ العشاء من فوق المئذنة العالیه ودقت أجراسُ الدير من فوق البرج وارتفعت الترانيم صليّ المسلمين والمسيحيون صلاةً واحدة."

ظن بعض الأقباط في قرية الدينارية أنهم سوف يتعرضون لتحويل قسري إلى الإسلام، فمنهم من آمن في الاننياس في بيته عدة أسابيع حتى يحل عليهم الفرج من عند يسوع، أو يرسل لهم طيوراً خرافية تحملهم إلى أرض جديدة يحكمهم فيها القديسون، ومنهم من غرق في التفتة في العهدين القديم والجديد، ومنهم من سافر إلى محافظة آخر،

أثر بها عدد الأقباط، وهناك عملٌ بنفس المهنة أو غيرها إيماناً في
الخصي، والبعض منهم سارعَ في الهجرة إلى أمريكا، ومنهم من خضع
لهجير ذاتي هو وعائلته، نتيجةً لذلك فَمَسَّرَ الكاهنُ يواقيم الصموائيلي
الملك الرؤيةَ القديمة التي تناقلتها الدينارية في صلاة عيد القيامة
المجيد حينما صرخ قبطي يشارف السبعين بانحناءته القبطية التي
مهز الكثير من أقباط الدينارية المخضرمين أثناء الترانيم قائلاً :

- أبونا المقدس، كيف نُصَلِّي نحن والمسلمون هؤلاء صلاةً

واحدة؟

وقفت الترانيمُ وتوقفَ الرهبانُ عن طَرَق الصاجات كأن طيورًا كانت
تهلق في السماء بسلام حتى ضرب الرعد الصاخب الكونَ فهبطت
الطيور تحتمى ببعض الأشجار العارية فتوجعت هلعاً وتمنت أن يتوقف،
حينما توقف أوجعها السكون المفاجيء، وظلَّ الرهبان والمُصلون
مندهبين من السكون المفاجيء ومن السؤال الملغوف في برديات
الرعد.

إهتسامةٌ صغيرة جاهدت لاعتلاء وجنتي الكاهن يواقيم لكن الجدية
احتلتها فقال مطمئناً :

- الأحلام والرؤى أوهامٌ نفع فيها لتغير واقعاً لا نرضى عنه.

- لكننا لا نتمنى تغيير واقعنا.

- ربما تتمنون أن تعيشوا في الدينارية بدون اليهود أو
المسلمين.

- ليتنا نعيش في مجتمع قبطي بدون بقية الأديان.

- ولكن الدين الواحد مقسّمٌ إلى عدة طوائف، فربما تتمنى أن تعيش

مع طائفتك في مكانٍ غير بقية الطوائف؟

- يسمع منك يسوع.

- خُلق الكونُ على التعدد في الديانات واللغات والأجناس والقوميات.

- نطلب ذلك لأننا نرغب الميشَ في سلام.

- يمكنك تحقيق السلام مع الجميع.

- ما قولك يا أبتِ في الرؤية؟

- تلك الرؤية يفسرها حدثٌ قديم وهو زواج الأمير عبد الله المكي من كاميليا ابنة الشمس يوحنا، فقد كان الزواج مباحاً بين المسلمين والأقباط بعد غزو عمرو بن العاص لمصر، ولا يعني ما فهمه الناس.

كان كلامُ الكاهن يواقيم مقتضياً، وكان سبباً في اختلاف التفسيرات كما قال الديناري له حينما تقابلا أمامَ الدير بعد صلاة عيد الأضحى الماضي :

- السبب الوحيد في التطرف هو اختلاف التأويل والتفسيرات.



اليوم هو يوم الاحراك، ظلُّ البليمي على هذه الحال أكثر من ثلاث ساعات، وكأن ملك الموت كبل ساقيه ويديه، تمهيداً لسحب روحه تدريجياً، لكنه مع هذا ظل متيقظاً. اكتشفَ أن هذا اليوم يبخل عليه بالعمون. لكن النقطة المضيئة التي ما تزال كما هي دون زيادة أو نقصان تضيء بثبات ليس كونياً، وعلى الرغم من أنها كانت تحمل في

مها رسالة موهوتة أرسلتها ذكرياته ذات السعة المحددة الغامضة
 أنها ألقمته شذرات كهربائية من لحظات ماضية فبدأ يتحرك،
 هزمت مُقلتاه في أنحاء الغرفة. لم تكن درجَاتُ قيامه متصاعدة،
 كانت متأرجحةً مثل جهاز قياس نبض قلب مريض ينأزغ اللحظات
 الأخيرة في حياته وينتظر أهله الذين ظلوا أياماً ينتظرون توقف هذا
 الجهاز حتى تستريح أفئدتهم ويتمنى الأطباء أن يتسبب هذا التآرجح
 في توقف النبض تماماً أو على الأقل يتسبب في هبوط شديد في ضغط
 الدم فيموت.

على الرغم من أمنيات الموت التي فاحت من قلوب الآخرين لكنه بدأ
 يحرك وفي نفس الوقت تتسع النقطة المضيئة فتصير بركة كبيرة
 من الضوء تأخذ بيده. كان قيامه من النوم يعتبر ميلاداً جديداً،
 بداؤه كالجنين الذي يخرج للنور لأول مرة فيصرخ صرخات رفيعة
 النغمات لا يعرف لماذا يصرخ ولماذا يتوقف، لا يرى ولا يدرك من
 موله. كل الحواس متشابكة بعالم آخر، عالمٌ يحتوي على صور ملونة
 بألوان أخرى تختلف عن الألوان الدنيوية وربما به مياه لها لون آخر،
 وتراب أخضر وأعشاب حمراء وكائنات أخرى غير البشر لا يشعرون
 بمذاب التضحيات أو عذاب الهجر. ما يزال مقرضاً ومتعدداً مع كيانه
 وصراخه.

وعلى الرغم من هذا الوضع الجنيني والصرخات المبهمة فقد كان
 يشعر بتغيير شديد. هذه العظام تتحرك بليونية ومرونة حتى وإن كانت
 لا إرادية، لكنها تحررت من حالة التيبس تلك. شعور غريب تسرب إليه
 بعد توقف صراخاته الجنينية. تغير لون الصمت ولمعته، بإمكانه الآن
 أن يحرك فكاه ولسانه وشفثيه. بمقدوره أن يتكلم، أن يبوح بكل شيء.

المرّة الأولى التي يحرك فيها ذراعيه، ثم ساقيه. كان الوقوفُ عليها، أمرًا يسيرًا، تفتحت لديه حاسة السمع فسمع أيضًا حركاته. أخيرًا ارتفع عن مقامه القديم، وصار شخصًا يمتلك ذاته، وحريةً التي لا يفهمها بمنطق العقلاء بل هي حرية قائمة على الانفلات والتبشير عن نفسه بلغة لا يفهمها البشر، لغة لا تقيد بكلمات خاصة أو عبارات محددة، بل لغة تعبّر عن كيان منفلت يعيش في عالم منفلت، لماذا يطلب البشر من بعض الناس الالتزامَ بمعايير الأخلاق والتربية وهم عنها بعيدون؟

العبدول أو المجنون انتهت علاقته بالدنيا منذ أن فقد عقله؛ فهو لن يستعيد منطقَه المفقودَ مهما كان العلاج؛ لأنه يعاني من انفلات في خلايا المخ لمدة أسباب منها الوراثي أو العطب الطاريء أو الخلل الناتج عن حادث أو بسبب ضغط دم أو مرض آخر يؤثر على المخ. والثابت لديّ أن البُلّيمي كان مرضه وراثيًا، فقد كان جدّه الرابع مجنونًا يعوم في نهر النيل بشكل متواصل لمدة خمس ساعات، وكان يركض بسرعة رهيبه بجوار قطار بضائع، ولديه قدرة على الصراخ بشكل متواصل لمدة تزيد على ست ساعات، وشخص الأطباء المرض بمتلازمة تريشر كولينز الوراثة التي تؤدي إلى اضطراب في نمو العظام وعضلات الوجه، ويصيب هذا المرض الأشخاص الذين لديهم تاريخ عائلي نتيجة طفرات جديدة في الجينات، وتقترب المتلازمة من شكل البُلّيمي كثيرًا فعظام وجهه غير نامية، وتوجه العينان إلى الأسفل، ولديه جنك مشقوق ورموش متفرقة وفقدان السمع جزئي بسبب عيوب في الأذن الوسطى، بالإضافة إلى الشكل الذي رآته محضية المديحية أثناء ولادته فظنته كائنًا حيوانيًا، ويعاني من أخطاء مهولة في النطق

.. بسبب عيوب خلقية في لسان المزمار والقناة الصوتية ينتج عن خروج
.. روف احتكاكية بلعومية، وأكد الأطباء أن هذا المرض ينتقل بين
الأجيال كالساقية التي تفرغ دلائها تباعاً في عدة أجيال وينجو منها
جهل واحد.

وطالما أن جيء ذكر مرض البليمي فلا بد أن أبوح بما يحدث له حينما
يمشي :

الطرقات والأماكن محفوظة عنده من خلال إحصاره وليس عقله، ولو
همت بتحريك شيء ما تعود أن يراه في مكان بعينه لأشار إليه في مكانه
الجديد، ويعرف الناس أيضاً من خلال إحصاره ونبرات كلامهم، فهو
تعود أن يرى أباه الشيخ عبد الخالق الربالي بعينه وبأذنيه، حفظ
نبرات الود والأبوة ويضحك كثيراً حينما يرى الممثل عبد الوارث عسر
في التلفزيون فيظنه أباه ويشير إليه ويحرك قدميه فرحلاً وغبطة ظناً
منه أنه أبوه، ومن خلال هاتين الحاستين يعرف أيضاً أمه، وكذلك
الديناري وبعض أقاربه، وعرف أيضاً الأشرار من خلال نظراتهم
غير البرئية ونبراتهم الملوثة بالشتائم، وحينما يعبر عن خوفه أو
فلقه منهم تنفلت لديه الحواس فيخرج الكلام مجهضاً ويتقاطر لعابه
بسبب انفلات لسانه وتحرك يده في كل اتجاه، ويركض وهو لا يعرف
إلى أين يركض، يهرب من الأشرار إلى اللامكان، وهو دائماً يبحث
عن اللامكان الذي حتماً لا يوجد فيه الأشرار. ولا يبحث حينئذ عن
الطيبين لأنهم يقيناً سيكونون مع الأشرار فاللامكان هو السكون الذي
يبحث عنه دائماً ولا يوجد فيه بشر.

ولأن الشيخ الربالي أبوه فقد كان الناس يحسبونه شيخاً ويقبلون يده

تبركاً، ولماً وقع من المنحدر الشديد زاره الكثيرون من الناس في
الدينارية بما فيهم اليهود والأقباط، وقالت شفيقة القبطية وهي تحذو
فيه إن الشياطين نعتت معه أثناء تطوافه بالقرية، فمرة تحركه نحو
المعبد اليهودي، ومرة تحركه نحو دير القديس بطرس، وأنها هي
المسؤولة عن حركات يديه واهتراء لفته واهتزازه أثناء سيره، لكن لى
ينسى الفلاحون الذين كانوا يحرقون حقولهم في شهر الربيع حينما
كانت الريح تتلاعب بالأشجار ويقصب السكر فيتطوح وجداً وسكراً
وتتأهى إلى أسماعهم صوت أذان صلاة الظهر ناقصاً قبل الوقت
بساعتين، تحديداً في العاشرة صباحاً، وترنعت رقابهم محاولين
معرفة مصدر الأذان حتى صرخ أحدهم قائلاً :

- الأذان يصدر عن دير القديس بطرس.

بُهِتَ الصارخُ والمستمعون، وفي نفس الوقت أُصِيبَ الكاهن نيشع
منقريوس والرهبان بذعر أُصِيبَ به المصريون حينما كان يأتيهم
محتل، وكان المسلمين احتلوا الديرَ وأعلنوا من البرج انضمام الدير
لهم، ومط الكهنوتيون رقابهم فرأوا البليمي يقف فوق البرج والمطرقة
الكروية الحديدية تطوحها الريح الربيعية لكنها تعجز عن الوصول
لجوانب الناقوس النحاسي، يؤذن للظهر قبل أن يحين بصوت منفلت
بعبارات ينقصها الحرف الأخير.

لم يستطع الرهبان المتحمسون لإنزاله إقتاعه سواء بالتوقف عن
إكمال الأذان أو تخليه عن موقعه الذي يمرضه للخطر، ولماً ظن أنه
أذن للظهر والمصلون جاءوا للصلاة في دير القديس بطرس كَفَّ عن
الترديد المتتالي والتقط أنفاسه ونزل، وحينما رأى اختلاط المسلمين
مع الأقباط أسفل البرج فر هارباً نحو اللامكان.

الفصل السادس والعشرون

كان يوم السبت الذي سبق الندوة التحضيرية الثانية لحوار الأديان التي كان الديناري يعتزم إقامتها في الساحة بأسبوع غائماً، ولم تأت بهج حتى تدفع تلك الغيوم بعيداً فظلت السماء ملبدة بها، وأنذرت بأن شيئاً غامضاً على وشك الحدوث.

قال شاؤول أشعيا لبعض اليهود :

- لا أريد أن استمع شكوى، بل أريد سماعً مكيدة.
- لو لم نكن يهوداً لظننا أن مسلمي الطوامية يهود.
- كيف؟
- إنهم يتصيفون بالمكر والخداع.
- وأين مكركم يا سبط لاوي؟
- علمناهم المكر ثم سبقونا إلى الأبواب.

كان شاؤول أشعيا هو الترس الذي تعمل عليه الآلة اليهودية في قرية الدينارية، أو النبي الجديد ولولاه لتحول اليهود فيها إلى الإسلام أو حتى المسيحية، والمحاولات التي قام بها الراهب ليشع منقريوس دون علم الكاهن يواقيم الصموائيلي لتنصيب يهود الدينارية كان لها تأثير قوي. ولم يكن الراهب ليشع ليعمل دون دعم معنوي أو مادي لإغراء هؤلاء المستهدفين خصوصاً في مواجهة الكاهن انذي كان يقف ضد الحملات التبشيرية في الدينارية التي وضع لها الأسقف ميخائيل

المحرقى خريطةً تبشيرية تبدأ باليهود وتنتهي بالمسلمين، وأهمها الكاهن عمداً أو دون عمدٍ ووضعها في غرفة النذور.

لكن يبدو أن الراهب ليشح منقريوس كان متأثراً بما حدث لَمَثَر الضبعاوي أو كان مدفوعاً بباقة الحوافز التي وَعَدَ بها القديسون الأوائل لمن يبشّر بالمسيحية، وباقة أخرى لمن يُنصرهم وهذا جزاء القديسين، تلك الخريطة التي رسمها الأسقف كانت تستهدف في المقام الأول يهود الطوامية الذين انخرطوا في الحياة مع المسلمين ونسوا أو تناسوا شعائر دينهم. وفي المقام الثاني شباب المسلمين الفقراء الذين لم يجدوا عملاً فحرقوا مداخل وأرحام الأجنبيات المجائز لملء بطونهم ويطون عائلاتهم ولتفريغ شهواتهم المتأججة. وفي المقام الثالث تستهدف جميع الفقراء في قرية الدينارية.

في كل الأديان تجد صنفاً من الناس لا يقيمون شعائر دينهم، ويمشون وكأنهم يدينون بدين الإنسانية البدائية المنفلتة، ولكن لو أنك أسأت عن طريق الخطأ إلى دينهم الافتراضي لوجدتهم كالسباع يتخطفونك ويحاولون الفتك بك، ولو جاء أحدهم الموت فتجدهم حزانى ليس لموت أحدهم ولكن لشعورهم بدنوا آجالهم والموت كأس يذوقه الجميع، هكذا يقولون عند فراش الاحتضار، ولو اقتربت من أحدهم لنجحت في نصحه بالعودة لإقامة شعائر دينه، وينحاز هذا الصنف إلى دينه حينما تشتعل نار الفتنة، هؤلاء هم مسلمو الطوامية، لذلك حينما أبلغ الراهب أبانوب الأنطوني الكاهن يواقيم الصموائيلي بمأرب الكاهن ليشح انتابته الذعر واختلى به في غرفة مريم العذراء وقال بنبرة تشيلو قُطعت أوتارُه من تكرار البروفة :

- المسيحية لا تبشر في أرض الأديان.

سأل ليشع كطالب يحفظ المنهج التعليمي، ولما نظرَ في ورقة الأسئلة هي الامتحان استنكرَ خلؤها من المنهج الذي درّسه:

- والحوافز التي بشرنا بها القديسون الأوائل؟

أجابَ المراقب الطالب الذي زاغ بصره عند الامتحان :

- حث القديسون الأوائل على التبشير في أراضي الكُفر.

بجادل الطالبُ كاهنه المبجلَ فيسأله؟

- وهل نسبتَ ما بعدها أيها الكاهن المقدس؟

الطمأنينة تحف القديسين :

- لم أنسَ ما بعدها.

قال الراهب الذي غرق في دوامة الفلسفة :

- التبشير في أراضي الكُفر. ومَن يتأرجحون على دينهم.

قال يسوع بعد أن قفز من مجسمه بلسان الكاهن :

- هناك في المسيحية مَن يتأرجحون على دينهم، هل يحتاجون إلى التبشير؟

يشعر الراهب بالرهبة لنزول يسوع ويُلقَى شَبهه على يواقيم فيقول :

- بل يحتاجون للوعظ والإرشاد.

يرد يسوع بصوتٍ ترانيمٍ يصاحبها تشليلو جديد ذو أوتارٍ مشدودة :

- إذا فالآخرون يحتاجون للوعظ والإرشاد وليس للتبشير.

كان الحوار بين الكاهن والراهب كالنار تشتعل فتتصاعد ألسنتها بسبب رعونة الراهب، ولكن الكاهن بحكمته كان يطفئها، ومع ذلك تملأ الأدخنة تتصاعد وتتلوي وتراوغ وتحتاج للنفخ فيها في وقت آخر يكون الكاهن نائمًا في فراشه الدنيوي الأثير أو مرقد الأبدي في الضريح كان هناك صنف آخر من مسلمي الدينارية يتقدمهم أبناء الزنا الذين كان يستهدفهم الراهب ليشع من خريطته التبشيرية لا يذهبون إلى المسجد ولا يصومون ويسبون الدين، لكنهم مع ذلك لا يخضعون لمحاولات راهب قبطني لاتباع خريطة وليه الأسقف؛ لأن مسألة الدين لديهم محسومة فهي لم تؤخر ولم تقدم، وإنما يعيشون ببطرة الإنسان الهمجية، وإذا عرضت عليهم دينًا آخر قلن يقبلوه لأنهم مسلمون، ولكن لأن قلوبهم لم تعد تخشع، فهم كالأرض التي أصيبت بالبوارج ولم يعد ينفع فيها حرث أو سقاية، وربما يكون هذا الصنف هو الوحيد الذي لا يشترك في إشعال فتنة طائفية أو حتى إطفائها.

لكنهم يقبلون تأجير سواعدهم لقتل وضرب المسلمين

لو قدر لك أن تزور نجع الطوامية لانتابتك حيرة عنكبوتية تتشظى فيها الصرخات الوطواطية، ولا يخرجك منها سوى جان مريد فاليهود لا تفرقهم عن المسلمين، عجينة من لونين ولما امتزجا صارًا لونا ثالثا لو دقت فيه لرأيت أن كلا اللونين يحتفظان بخصائصهما لكن المزج أضفى عليهما حالة من التطابق الممكن لأنهما يحملان في جوهرهما تشابهًا في المكون الرئيسي، اليهود طواميون والطواميون يهود، ولربما قلت إن ذلك النجع هو الطوامية الجديدة، أو إن هؤلاء هم اليهود الجدد، وعلى الرغم من كل ذلك فقد حافظ النجع على تراثه ولهجته وإن لحق بها بعض المفردات اليهودية مثل "يوم شبت (يوم السبت)،

اشنع (زوجتك)، سابا (جد)، وكانوا يقولون إن: "ضريح الديناري
..أبا لا يزوره اليهود يوم شبت ولكن بقية أيام الاسبوع."

وطل نجع الطوامية على الرغم من تبعيته الاجتماعية والدينية لقرية
الدينارية إلا إنه كان يُدار بتعاليم الحاخامات كما جاء في التلمود "إن
مالميم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها حتى بأمر الله."

هي قرية الدينارية يضرب الناس المباديل وعندما يموتون يقيمون لهم
الأضرحة وينصبون لهم الموالد والحضرات.



إذا كانت العلاقة بين الأقباط وبين المسلمين قديمة قديم الأثار
المصرية فإن العلاقة بين الأقباط واليهود لها أقدم من ذلك بكثير
وربما تعود للنبي نوح فهما العهد القديم والعهد الجديد، موسى
وعيسى، وإذا كان البعض يجهل العهد القديم والجديد فموسى
وعيسى يعرفهما المولود بعد أن يصرخ صرخة الخروج من بطن أمه،
وحينما جاء اليهود إلى قرية الدينارية اقتربوا من الأقباط بوصفهما
دينياً واحداً، فعيسى يهودي قبل أن يكون رسول المسيحية وثالوثها
وكذلك أمه، فكان الوازع الديني هو الذي قرب بين الفئتين، ولم تخش
إحداهما من الأخرى فالمسيحية تقرأ التوراة وتعبد بها، ويقرأ اليهود
الإنجيل ويقدرون قدسيته، جاء المسيح ليكمل ما انتهى إليه موسى،
وقوة الديانات في العصور القديمة كانت تقاس بقدرتها على التصدي
لأي دين آخر يختلف عنها، وما اكتشفه الكهان المسيحيون واليهود أن
المسلمين ليسوا متدينين بطبيعتهم على العكس من اليهود والأقباط
المتدينين بالفطرة، ولما كانت المسيحية عهداً جديداً لوصايا موسى
فالدين واحد أمام الإسلام، وداخل الأديرة والكنائس دينان لا يقبلان

الشك، وكل منهما له صلاةٌ ونُسكٌ وتراتيل، وإذا كان موسى قد خرج من مصرَ باليهود هرباً من الاضطهاد والتعذيب فإن مريمَ قد جاءت بعيسى إلى مصرَ خوفاً من التنكيل والصلب. إذاً فاليهودية دينٌ، والمسيحية دينٌ آخر.

أما المسلمون في الدينارية فقد كانوا ينظرون إلى الفئتين بصورة مختلفة هي "لكم دينكم ولي دين" لكن في النزاعات كانوا ينعنونهم بالكفر والزندقة، وإذا انتهت الفتنة فإن اليهود والأقباط أخوةٌ وشركاء، الوطن، لكن حينما توأد الفتنة تنسى بعض عائلات تلك الفئتين الخلافات وتندمج مرة أخرى مع المسلمين، وكانت بعض العائلات تصر على توخي الحذر وضرورة مواصلة الكراهية ومن تلك العائلات عائلة جاكوبسون أسوس التاجر اليهودي، وعائلة دانيال رافايل، وعائلة ترافوك كيال، وعائلة ليمارجي.

وكان لويس ليمارجي حلقة اتصال بين العاхам الأكبر في إسرائيل وبين حاخام الإسكندرية جوليان صهوكيت وكبير الكهنة في معبد الياهو في الدينارية، يعرف سبيل الاتصال الدبلوماسي بين الأطراف المتنازعة واللجوء للفحص الكهنوتي إذا كان الأمر يتعلق بالدين. وقضية التاريخ محسومة لديه في كل وقت، وكان جدّه ليطي سافوريم أول من عقد اجتماعاً في القاهرة بين اليهود (الربانيين القرائين) واليهود السفارديم الذين طردوا من إسبانيا لتكوين مجتمع يهودي مغلق، ونصح كل مجموعة بالانتشار في مصر مع الاستمرار في الاتصال مع حاخام الإسكندرية لتشكيل فئات متجانسة مع المجتمعات الإسلامية والقبطية.

اليهودي في الدينارية كالفخار الذي يتولى دفن الميت لا ترسم على
، منه أية علامات قبل الدفن حتى تتناكب الوسائس والشكوك، ويمعن
أيضا في محو أي علامات قد تظهر عليه بعد توسيد المتوفي، فهو في
أنا الحاليتين يهودي يحيرك في أحلك الظروف فلا تعرف أحاسيسه
أو موقفه ولا ترسم على وجهه علامات، والأدهى من ذلك لا تعرف ما
١٤. يفعله مع الميت.

وإن الديناري (الأب) يقول دائما حينما يأتي ذكر الفخارين الذين
يستغلون الموتى في الأعمال السفلية :

"الفخارون إخوان اليهود"

ولما كان المعبد اليهودي ساحة للبوح والاعتراف فقد كان بعض
المتشددین يرددون دائما مزامير من التلمود لتحذير بعض اليهوديات
اللاتي قيل إنهن يرغبن الزواج من بعض الرجال المسلمين الذين
يُشبهون (الفاحرة) مما جعل كبير الكهنة ريباش يقرر تلك المزامير
في ترانيم يوم السبت :

"إن المرأة اليهودية إذا خرجت من الحمام ووقع نظرها على غير
يهودي، أو كلب أو حمار أو خنزير أو برص فلا بد أن ترجع وتغتسل
مرة أخرى."

قال الديناري بعد أن سمع عن فخار اسمه سيد المطيشي يقوم بنيش
القبور بعد الدفن بساعة واحدة ومعه مصباح كبير ومشارط وسكاكين
ياوان وأقمشة بيضاء، وقد يستخدم الكفن ويترك الميت بلا كفن،
لعينان هما أول ما يفحصهما فيقوم بتفريغهما في أنية، ثم يقوم
بتشريحه بصورة عشوائية مثل الممود الفقري ليستخرج المسامير

والشرائح البلاتينية الموجودة في المفاصل وعظام اليد والرجل. ولما قرر مراقبته من خلال بعض المراقبين العُرفيين توقف عن التبش وعاد بعد أن نسي الديناري الأمر برمته ونشطت تجارة الأعضاء في الدينارية بقوة واستمرت حتى يوم الدفن الجماعي الذي سبق الطوفان بثلاثة أيام.

كان سيد المطيشي يقوم بتلقيم بعض العمولات في فَم الموتى للتفريق بين الأزواج وإشعال نار الفتنة بين العائلات وبين أصحاب الديانات، وكان يربط الأزواج فوق جدران الكراكية في جبانة المسلمين فترتض أعضاءهم التناسلية ولا يجدون سبيلاً في استنفارها حتى ولو كانت كيم كاردشيان مائلةً بجسدها نحوهم.

الفصل السابع والعشرون

كان لويس ليمارجي مهندسُ أزمة الأقليات التي تفاقمت في الدينارية منذ عشر سنوات حينما بدأت المشكلاتُ تتزايد بين المسلمين واليهود من ناحية وبين المسلمين والأقباط من ناحية أخرى. وكان ممثلاً عن يهود وأقباط قرية الدينارية في مؤتمر نيويورك للأقليات، وحضر عن النوبة رمضان الأدندانى العفنى الشعبى الذى اكتسح سوقَ الأغنية الشعبية في الفترة الأخيرة، وتسبب البحث الذي قدمه مندوبو المؤتمر، الالتفات إلى قرية الدينارية فحضر بعدها نوابٌ من مجلس الشيوخ ونوابٌ من الكونجرس وبعض الممثلين اليهود في هوليوود ورجال أعمال وتفقدوا وضع اليهود في الدينارية وخصوصاً في نجع الطوامية، بعدها ثلاثة شهور أنشأ رجل أعمال أمريكي يهودي مصنعاً للمياة الغازية ومصنعاً للجلود عمل بهما الكثيرون من المسلمين بينما كانت الإدارة تنحصر في اليهود وقليل من المسلمين، كما أنشأ خطأ للغاز الطبيعي في قرية الدينارية.

"أيها السيداتُ والسادة، أحييكم في المؤتمر الأول للأقليات المنعقد في نيويورك.

وأحيي القائمين على المؤتمر والذين وجدوا أن في بعض المجتمعات أقليات تتعرض للاضطهاد والإبعاد والتهمير وكل المعاني التي ترفضها النفس البشرية التي يفترض أنها مخلوقة لتقبل الآخر، هل يقتل قابيل هابيل من جديد؟ هل تتركون الطائر يحضر قبراً إيوارى قابيل هابيل، آخر؟ اليهود يتعرضون للاضطهاد في كل العصور وفي كل المجتمعات،

لكنهم يصرون علي العيش في سلام مع تلك الشعوب البربرية وتحولوا.
نزعاتهم النازية إلى سلام يتفق مع كل الأديان، لن نقبل بمحاربا
جديدة، ارفعوا راحاتكم من أجل السلام، وتبرعوا بأموالكم من أجل
الأقليات وأمنها..."

كان مؤتمر الأقليات المنعقد في نيويورك الشوكة التي كانت تنخر
في نسيج حوار الأديان، فقد عول عليه الأقباط واليهود في الدينارية
كثيرا، لذلك فترت همة كبير الكهنة ريباش بخصوص الحوار بسبب
وعود ليمارجي له بأهمية المؤتمر ليهود الدينارية من ناحية واليهود
الذين يعيشون في مجتمعات لا توليهم اهتماما يليق بمكانتهم التاريخيه
والدينية من ناحية أخرى، وكان المؤتمر سببا في أن تفتت همة الكاهن
يواقيم للدعوة للحوار.

قال الكاهن يواقيم الصموثيلي للويس ليمارجي قبل أن يسافر إلى
مؤتمر الأقليات بعد أن استقبله عند باب الدير الخارجي مارا به تحت
شجرة الطلح :

- نورت الدير يا أستاذ لويس.

- الدير يُنيره القديسون من أمثالكم أيها الكاهن المبجل.

كان اللقاء بينهما غير مثمر: فقد كان لويس ليمارجي يصر على ضرورة
مشاركة الأقباط في المؤتمر، وعلى الرغم من الضنط الشديد الذي
تلقاه الكاهن من أقباط المهجر من ناحية وأقباط بقية المحافظات
من ناحية أخرى إلا أنه لم يرضخ، وأكد له أن الأقباط يعيشون في
سلام مع المسلمين واليهود.

على الرغم من كل ذلك فقد ظل اليهود والأقباط مجتمعين منفلقين

«سوّصًا الجماعات التي انسلخت عنهما بعد رفضها الاندماج، التطبيع، تلك الجماعات أصبحت فيما بعد كيانات إرهابية تهدد أمن الناس في قرية الدينارية، لدرجة أنها كانت تعتبر نفعها غير خاضعة كبير الكهنة اليهودي، وقاموا بتفجيرات في بعض المساجد والكنائس من بُعد، وواجهت الدينارية موجة شديدة من التفجيرات الانتحارية التي لم تشهد لها مثيلاً.



استيقظت ليليان حاييم يوم السبت وعيناها ملتهبتيان من أثر البكاء طيلة عشية أمس، لكنها على الرغم من ذلك فقد بلّت عينيها بالماء البارد حتى يخف احتقانها، وظلت تستنشق لتخفف أيضًا احتقان الجيوب الأنفية التي أصيبت بها منذ أن جاءت إلى الدينارية، ولأنه يوم الراحة والسرور والبهجة مُحرّم عليها أن تستسلم للكآبة والحزن اللذين وسّوسا لها بالأمس فجعلها سجينتهما، وتكفل الليل بمسح غيوم القنوط عن وجهها لكنه عجز عن التحكم في هطول دموعها أثناء النوم، والوحيد الذي كانت أنامله تمسحها هو لويس ليمارجي زوجها، ثم تقف أمام المرأة تحاول تطويح شعرها الناعم الطويل لتلفه حول رأسها، وكلّ مرة تقش في ترويضه مرتين وتتجّع في المرة الثالثة، تقوم ليليان بتلك الطقوس قبل أن يستيقظ زوجها إلا أنها توقفت عن عاداتها في إعداد كوب كركديه مثلج لابنتها أهافا منذ أن سافرت إلى أمريكا، وبالرغم من أنها استمرت في أعداده لمدة شهر وحينما تدخل به إلى غرفة أهافا تجد فراشها كما هو لكن أهافا لم تتم عليه لأنها في سفر بعيد.

- البعد عن تعاليم الحاخامات نعمة من عند الله.

كانت ليليان تقول للويس ليمارجي كلما رأته منكبًا على قراءة التلمود الذي يواظب عليه بشدة وكأنه مشدودٌ إليه كقطبَيِ المغناطيس. ولما أدركت ليليان أن عينيه لا تغمضان، أو ينام وعيناه مفتوحتان قالت له رأيتها، وليتَّها ما قالتها، شروق الشمس من الغرب سيكون أقلَّ فداحةً من سكوت لويس عن الكلام في هذا اليوم، هل عرَّفت ليليان بأمر مؤتمر حوار الأديان فقالت ذلك حتى تهوَّن عليه ما سيقوله أو سيسمعه في المؤتمر؟

- تعاليم الحاخامات من التلمود.

- نَعَمْ أعرف ذلك.

- إذا، ما هي مشكلتك؟

- بل مشكلتك أنت؟

- مشكلتي أنا؟

- نَعَمْ.

....

- مشكلتك أنك تتبنَّى فكر الحاخامات المتطرف.

.....

- نحن نعيش في قرية يقيم كل أصحاب دين شعائِرهم، والسلامُ يعمُ الجميع، فما شأن الحاخامات القدماء؟

- نعيش في قرية الدينارية وقلوبنا مشدودةٌ إلى أرض الميعاد.

- إنها أكذوبةٌ حاخاماتك.

- ماذا تقولين؟

- مشكلة اليهود أنهم يتطلعون إلى غدٍ لن يكونوا فيه على قيد الحياة.

- نحن نعد لغدٍ يعيشه أبناؤنا وأحفادنا.

- أنتم تعدون لغدٍ محمّلٍ بمزامير الكراهية والحقد والتطرف.

عندما سمعتُ هذا الحوار السبتي الصباحي الذي دار بين ليليان هاييم وموريس ليمارجي ظننتُ أنهما ليسا من دين واحد، الغريب أننى ذكرتُ، والنسيان والتذكر ليسا من مواهبنا نحن معشر الشياطين، أنها قالت ذات مرة لعاصم الديناري حينما زار أهافا في منزلهم في نجع الطوامية قبيل سفر أهافا معه إلى القاهرة لحضور التيرم الثانى في الجامعة الأمريكية :

- المصريون، مسلمون ومسيحيون ويهود نسيحٍ واحد.

ساعتها تعجّب عاصم الديناري لقولها، وربما ساورته دهشةٌ محفوفة بالظنون لرأيها الذي يخالف رأي زوجها لويس الذي يتكلم بعصبية عن دينه ولا يقبل الحوار أو التشكيك في حاخاماته السلفيين أو المعاصرين، وظن أنها تقول هذا الكلام حتى تذيب تراكمات الكراهية التي تتكاثر في مجتمع تضم جدرانه الأديان الثلاثة.

لكن أهافا فسّرت له كلامَ أمها وهما يتوجهان إلى الفراش في ليلة جليدية من ليالى مدينة إلتوي بمدّها بسنوات:

- بعضنا يؤدي شعائر دينه وينتظر أمراً يتحقق للدين فيعيش على هذا الأمل ويناضل من أجل إعلاء قيمة هذا الأمر حتى ولو كلفه حياته.

وهذا الصنف لا يندمج مع المجتمع الذي يعيش فيه أبداً، وبعضنا يؤدي شعائر دينه لكنه يندمج تماماً مع المجتمع الذي يعيش فيه وربما يتأثر به.

حقاً، تأثرت ليليان.

"ياهو، يا ربنا، يا مالك الكون، يا مَنْ قدستنا بوصاياك، وأوصيتنا أن نضيء يوم السبت."

كلماتها التي تستهل بها الإفطار كل يوم سببت تذكراً بها نفسها وزوجها فيضيء وجههما بنور سبتي، فيطبع قبلة على وجنتها تشرق معها ابتسامة جديدة، وقبل أن تقف عقرب الساعة فوق الثامنة يكون إفطارهما قد انتهى، فيقف لويس ليمارجي يقول ما جاء في سفر التثنية :

"أسمع يا إسرائيل الرب إلها رب واحد، فتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك ومن كل قوتك. ولتكن هذه الكلمات التي أوصيك بها اليوم على قلبك. وقصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق، وحين تنام وحين تقوم، واربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك، واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك."

ينتهي إفطارهما فيتوجهان إلى المعبد.

وقف الكاهن شاؤول أشمياً يرتدي رداء الأفود وهو ثوب يشبه الصديري ضيق عند الصدر ويتسع حتى يصل لأقصى درجة عن القدمين. مصنوع من كتان دقيق ومبروم بلون الذهب، ويلتف حول خصره حبل مضفر من نفس نسيج الرداء وتتدلى من رقبتة سلسلة من الفضة.

يضع على رأسه قبة سوداء، وتلتف حول رقبتة لفافة بيضاء طويلة يحيط بالسلسلة الفضية. يشبه شاؤول أشعيا النبي هارون في هيبته وفصاحة لسانه الذي يخرج حروف العهد القديم كأنه سائل عذب رفيع ينساب من شفتيه، على الرغم من أنه في بعض الأحيان يُشدّد على بعض الحروف، لكن العذوبة تغمس في كل فونيم ينطق به، ويقترب صوته من صوت المعني صابر الرباعي في مدّ بعض الحروف لتصبح موالاً تترنح معه الرؤوس، مع أنه مرّ بنفس الظروف القاسية التي جابهها الحاخام الأكبر عوفاديا يعقوب في صباه والاختلاف البسيط بينهما أن شاؤول لم يتمرد على الفتاوى القديمة للحاخامات السلفيين مثل عوفاديا يعقوب، والفارق الوحيد بين النبي هارون وبين شاؤول أشعيا اللحية، وربما كان الفارق في العمر هو السبب فلحيته أخف قليلاً من لحية النبي، وصوته أكثر عذوبةً، فيتحول المزمور لحنًا تصاحبه أوركسترا، وأفضل الآلات الموسيقية تتجمع كلها في صوته، لدرجة أنك حينما تراه تكون صورة كاملة عن النبي هارون.

" لأن الرب يعلم طريق الأبرار، أما طريق الأشرار فتهلك.

لماذا ارتجت الأمم، وتفكر الشعوب في الباطل.

اسألني فأعطيك الأمم ميراثًا لك، وأقاصي الأرض ملكًا لك."

مال المصلون طربًا بصوت شاؤول أشعيا العذب يمينًا ويسارًا، وأغمض كل منهم عينيه يتفكر في المزمور الأول والثاني من مزامير داود التي أوتيت موسى، وابتسم كبير الكهنة ريباش حينما رآهم فوجد أنه من المناسب أن يستغل الطرب والنشوة التي ينعم بها المصلون، ووقف بجوار شاؤول أشعيا الذي انحنى قليلاً ورجع للوراء خطوتين خلف كبير الكهنة الذي راح ينظر بتمعن في وجوه الحاضرين وكأنه

يستحضر انتباههم قبل أن ينطق، وحينما انتهت لحظات التدبر في أفئدة المُصلين انتبهوا لريباش الواقف أمامهم ليبدأ كلمته في ذكرى عاشوراء يوم خروج النبي موسى من مصر.

"בוֹקֵר טוֹב חַג קִיּוּם."

"بوكير توف، حج سميباح"

"صباح الخير، عيد سعيد، الحمد لله المُنعم أبناي الأوفياء من بني إسرائيل."

ثم فتح الكاهن شاؤول أشعيا طاقةً مرسوم عليها نجمة داود. ولوحًا العهد في صدر المعبد تتألق فيها الأنوارُ موضوع بداخلها لفائف التوراة مطوية ومزينة بالرسوم، وأخرج منها واحدةً وهي عبارة عن قطعة من الجلد الرقيق مثبت على جانبيها قطعتان رقيقتان من الخشب لحماية أطرافها من التآكل، ملفوفتان بالحريز الملون. وانحنى كبير الكهنة ريباش أمامها بينما كان شاؤول راکمًا ولم يمتدل إلا حينما اعتدل ريباش ليسمح له بالمرور بها بين صفوف المُصلين، وكلما يحاذي مُصليًا من المُصلين ينحني راکمًا، وإذا وصل إلى نهاية الصفوف يستدير إلى الخلف حتى لا تصعب التوراة خلفه احترامًا للقانون الإلهي، وإذا وصل إلى مقدمة المُصلين بجوار كبير الكهنة يفتح اللقافة ويرفعها للأعلى حتى يراها الجميع، ثم يضعها على منضدة تطوقها الشموع، فيقوم بعض المُصلين من الرجال والنساء حتى الصبية الذين يبلغون الثالثة عشرة بالتطوع للقراءة.

نظرَ لويس ليمارجي بعنو حينما عادت ليليان إلى الصف بعد أن قرأت في الصحيفة وربت على يديها وضغط عليها وهمس في أذنها "صوتك

أكثر عذوبةً من صوت شاول" وكاد أن يتماذى في الهمس لولا أن رأى
عيني كبير الكهنة يوقضان استرساله.

أشار ريباش بيده إيداناً بنهاية القراءة واستئناف الخطبة.

"اليوم، يوم عاشوراء يوم الخروج العظيم من أرض الظلم والظلام،
من أرض الجبر والتجبر، من أرض العذاب والتعذيب، من أرض
الجور والتجويع، من أرض البلاء والابتلاء، من أرض التضرع
والفراغنة، من أرض الخروج وأرض العودة."

سرت قشعريرةً باردة في جسد ليليان حاييم لا تعرف كنهها، فاقتربت
من لويس ليمارجي تتدفأ به وطوقها بذراعه اليسرى، ربما انتابت بقية
المُصلين نفسُ الحالة وبحث كل منهم عن يلود به، لكن قشعريرة
ليليان تداهمها كلما تذكرت قصة طرد أبيها من باب الشعرية لأنه
يهودي على الرغم من أنه كان يتميز بالهدوء، ورغب في بناء علاقات
جيدة مع الجيران، ولم يخلصها من تلك الذكريات المؤلمة سوى صوت
ريباش مستطرداً :

"اليوم نحن في مصر نتعم بخيراتنا، وفرعون ملفوف في كتأه
ينتظر يوم الحساب، تمر السنوات وهو مسجى ما يزال في تابوته
وذراعه اليسرى مرفوعة لتشهد عذاب يوم الخروج. نعم، خرجنا مع
نبينا موسى في مثل هذا اليوم لكن أجدادنا كانوا موقنين بأن أحفادهم
سوف يعودون يوماً منتصرين. خرج الأجداد مطرودين متبعين بجنود
رمسيس الثاني"

صمت سبطي هبط عليهم من طاقة النبي هارون التي تدخل منها أشعة
الشمس ثم قال كبير الكهنة مستلذاً بمذاق الصمت :

"عَادَ أَحْفَادُ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَشْهَدُوا الْفِرْعَوْنَ مَحْبُوسًا فِي مَتْحَفٍ يَشْهَدُهُ الْعَالَمُ."

اِخْتَمَمَ رِيْبَاشُ كَلَامِهِ وَهُوَ يَمْسَحُ بِعَيْنَيْهِ دُمُوعَ الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ تَأَثَرُوا بِكَلَامِهِ بِمُقْتَطَفٍ تَلْمُودِي :

"وَلَوْلَا الْيَهُودُ لَارْتَفَعَتِ الْبَرَكَةُ مِنَ الْأَرْضِ وَاحْتَجَبَتِ الشَّمْسُ وَانْقَطَعَتِ الْمَطَرُ."

فِي نَفْسِ الْيَوْمِ فِي نَجْعِ الطَّوِيرَاتِ كَانَتْ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْمَوَاطِنِينَ تَحْتَفِلُ بِيَوْمِ عَاشُورَاءَ بَعْدَ أَنْ عَقَدَ مَعَهُمُ اللَّيْلُ صَفْقَةً إِظْلَامَ مَبْكَرٍ، فَرَاخُوا بِبَيْكُونٍ وَيَصْرخُونَ وَيَلْطَمُونَ وَجُوهَهُمْ أَمَامَ مَقَامِ صَفِيرٍ مَبْنِي حَدِيثًا بِالطُّوبِ اللَّبَنِ، فَوْقَهُ هَلَالٌ هُضِي، بِدَاخِلِهِ ضَرْيْحٌ مُفْطَى بِقِمَاشٍ أَخْضَرَ حَرِيرِي مَزْخَرَفٍ مَرْسُومٍ عَلَيْهِ الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ وَشَجْرَةَ نَسَبٍ تَعُودُ لِلْإِمَامِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَكَانُوا يَطُوفُونَ حَوْلَ الْمَقَامِ وَهُمْ يَرْدُدُونَ أَيْبَاتًا مِنَ الشَّمْرِ تُوَضِّحُ الْخِذْلَانَ الَّذِي يَشْعُرُونَ بِهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَنْقُذُوا الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ مِنْ مَقْتَلِهِ، وَهَنَّاكَ كَانَتْ أَعْدَادٌ مِنَ الْيَهُودِ تَنْفَرُجُ عَلَى طَقُوسِهِمْ وَبَعْدَ أَنْ انْتَهَوْا مِنْهَا تَصَافَحُوا وَاحْتَضَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

انْتَشَرَ فِي قَرْيَةِ الدِّينَارِيَةِ الْمَذْهَبُ الشِّيعِيُّ، وَكَذَلِكَ انْتَشَرَتِ الطَّوَائِفُ الْمَسِيحِيَّةُ مِنَ أَرْتُودُوكَسٍ وَكَاثُولِيكٍ وَبِرُوتَسْتَانَتِ، وَكَذَلِكَ الْفِرْقُ الْيَهُودِيَّةُ الَّتِي خَرَجَتْ مِنَ نَجْعِ الطَّوَامِيَّةِ وَاتَّخَذَتْ مِنْ بَعْضِ النَّجُوعِ الْأُخْرَى مَوْطِنًا آخَرَ، وَكَثُرَتِ الْمَوَالِدُ وَالْمَقَامَاتُ الْيَهُودِيَّةُ فَأَصْبَحَتِ الْقَرْيَةُ مُحْتَشِدَةً بِجَمِيعِ الْمَوَالِدِ.

كَانَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ مَهِيْبًا لَمْ يَقْتَصِرِ الْإِحْتِفَالُ فِيهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالشِّيعَةِ بَلْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَيْضًا، وَفِي هَذَا الْيَوْمِ أَقَامَ الدِّينَارِيُّ وَلَيْمَةَ عِشَاءٍ قَالُ فِي

نهايتها وقلبه معلقٌ بالكشف النوراني الذي آتاه :

· نحن نحتفل بيوم عاشوراء كما قال نبينا الخاتم محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام، وفي هذا اليوم حدثت أحداثٌ مهمةٌ غيرت من وجه التاريخ الإنساني ففيه تابَّ الله على آدمَ، وفيه نجَّى نوحًا وأنزله من السفينة، وفيه أنقذ نبيه إبراهيمَ من الضمرد، وفيه ردَّ الله يوسفَ إلى يعقوبَ، وفيه أغرق فرعونَ وجنوده، وفيه غفرَ الله لنبيه داود، وفيه أخرجَ الله نبيه يونسَ من بطن الحوت، عاشوراء يومٌ مباركٌ للبشرية كلها.

الفصل الثامن والعشرون

قَبَسَ من نورِ يَفْشَى الديناري في الأسبوع الأخير من شهر أغسطس الحار الذي يتربص بالناس فيلضحهم بحرارته القائظة. فيساعد عزرائيل للقيام بمهمة جديدة سريعة، والديناري يتبوأ مقعده في الغرفة المكيفة، لا يعرف لماذا أصر أن يبقى وحيداً في هذا اليوم حيث أبلغ نقباءه بعدم إزعاجه، وظل هكذا حتى قبيل الفجر بنصف ساعة، فرأى طاقةً تفتح في السماء، طاقة كبيرة جداً مملوءة بضوء أنقى من الضوء الفسفوري وأجمل من ضوء القمر، راح الضوء المتجلي بجماله يدور حول نفسه في دوامات ضوئية سريعة وكأنها جاءت لتعرض فنونها أمام الولي، ذلك الضوء كأن يزيد تألقاً وبهاءً كلما دار حول نفسه، خصلات رفيعة جداً من نور نقي لا تتأثر به العين المعتلة ولا يخشى منها ضعاف البصر، كان الضوء يتجلى كل مرة في صورة جديدة غير التي سبقت، فمرة تزيد الخصلات فتصبح شرائط من نور، ثم تتبدل وتحل محلها خيوط مجمدة تنفلق من تحتها دوامات من بؤر نورانية صغيرة، وحينما تنتهي كل الأشكال الضوئية المستعرضة في الطاقة التي انفتحت للولي تأتي أشكال أخرى مختلفة عنها، ولما سبر الضوء ذلك المنتظر بلهفة عقله ووجدانه تجلت أمامه معانٍ مكتوبةً بألوانٍ بيضاءً فوق الخيوط البيضاء المتراقصة :

"طوفان يجتاح البلاد، ارتفع مكانك يومَ السيول، واجمع أقطابك وأقطاب الآخرين ومن سار على نهجك وأتبعك من العالمين."

كان في خيرة من أمره.

أم ويحتفظ في ذاكرته بالتجلي الأعظم الذي أُوتِي له حتى ينعم
نوره في خياله؟ أم يظل مستيقظًا حتى لا يصير الكشف حُلْمًا حينما
يقظ في الصباح إذا استسلم للنوم؟ ما بين النوم والاستيقاظ كان
شئ ما يزال في وجدانه حاضرًا ومهيمنًا، فلم يستسلم للنوم أو
راع الاستيقاظ، فظلت تلك الحالة مسيطرةً عليه، حتى دخل عليه
يخ عبد الخالق الربالي فوجده ما بين الابتسام والحزن متلكنًا.

- ما بك يا مولانا؟

..... -

- مولانا الديناري يعاني من شيء؟

..... -

يكن الديناري يعرف ماذا يقول، أن يبوح له بالكشف؟ أم ما جاء
بكشف المعجزة أم مضمونها؟ لأول مرة يصادف معجزة جميلة
تف عن مضمون محزن، أن يأتي كشفٌ للولي فمرتبتُهُ تزيد عند
، ومن يأتيه من الله كشفٌ فهو في مقام عالٍ عند عزيزٍ مقتدرٍ،
ذا كان يقول الديناري (الجَد) لذلك كانت ترتسم على وجهه
راتٌ من ابتسامة ضوئية خرجت عنوةً من ذاته فصدتها نوبة حزنٍ
لم من القادم المجهول.

دَ الولي للشيخ الربالي كشفه الذي له تجلّي، ودواماتٌ من حيرةٍ تلتف
به فصار في الساحة تائهاً، ولما فرغ من سرده صمتَ الربالي وكأنه
صاحب الكشف الحائر بكشفه الذي له تجلّي، فأصبح في الساحة
رانٍ بكشفٍ واحد، حائرٌ جاءه الكشف فأبلغ المستمعَ فصار حائرًا
ف الولي.

حائران من مهامهما إرشاد الحائر الملهوف، يحتاجان لولي مرشد
يسبر غور كشف الذي له تجلّى وباح به لشيخ حارت ملامحه من كشف
حارت بسببه ملامح الولي.



تتكون الساحة الدينارية من ثلاثة مستويات رئيسية، تتجاور بشك
متدرج، وينخفض كل مستوى عن الآخر بمقدار متر، وكل مستوى له
طريق ممهّد خاص به، وكل مستوى يُفضي إلى الآخر من خلال بوابة
كبيرة مقوّسة بلا باب يقف عليها نقيب يرشد الغريب، يضم كل
مستوى فناءً كبيراً تتوسطه شجرة كافور كبيرة، يتسع لألف مُريد.
وعند كل جانب من جوانب الفناء يوجد ممر ضيق يُفضي إلى دوران
مياه، أما الجدار الخلفي فيوجد ممر أوسع يتفرع منه ممران أحدهما
أطول يؤدي إلى ضريح الولي، والعمر القصير يؤدي إلى غرفته، هناك
أرائك مفروشة بالكليعات والوسائد.

المستوى الأول أو (الساحة الأولى) والذي يعتبر الأدنى من بين
المستويات الثلاثة الخاص بالديناري (الجَد) يقف في صدرته نقيب
شاب ذو لحية كثيفة يرتدي جلباباً أبيض بينما يجلس على أول أريكه
أبوه في الفناء الكبير مغمض العينين يداوم على الذكر، وعند الممر
الذي يُفضي إلى الضريح يقف نقيب آخر خاص بإرشاد الزائرين، بار
غرفة الضريح صغير مزخرف باللون الأخضر، تحتوى الغرفة على
ثلاثة جدران فقط تمنع من الطواف حوله، بينما الجدار الرابع للفناء
الموجود فيها ضريح الديناري (الجَد) مفتوح على فناء صغير يقيم فيه
أطفال صغار متفاوتة أعمارهم يرافقون أمهاتهم المسوسات بالجرن
وشباب يفتقرون إلى السيطرة على حركات أطرافهم ولديهم سلس بولي

ودربة في الكلام، ورجال مخضرمون شاخصة أبصارهم لا يفقهون
 يقولون، ونساء يركضن بلا هدف، ثم تقع الواحدة منهن على الأرض
 دور حول نفسها صارخة، وأمهات هجرن حياتهن ومنازلهن في قرية
 دينارية وجئن للساحة من أجل البقاء مع مرضاهن الذين كتب عليهم
 الرهأ لفترة من الوقت لا تقل عن عام بالقرب من ضريح الشيخ، وُضع
 إطار حديدي مُدَّهَب ومزخرف تضع عليه الأمهات أيديهن لمواصلة
 إرسال للشيخ من أجل التخلص من الجن أو الشفاء، يشرف على فناء
 المرضى النفسيين نقيب مخضرم، يتبعه خدام من رجال ونساء يتولون
 الإطعام وتنظيف الفناء وكساء الذين يمزقون ملابسهم.

إن هذا الفناء مخصصاً من قبل لقراءة وتحفيظ القرآن الكريم، ولما
 وجد القائمون على الساحة كثرة الأعداد التي تأتي للساحة من أجل
 الشفاء تحول الفناء كله للمرضى والممسوسين والمبدولين، ويتردد
 عليهم خمسة شيوخ كبار لملاجهم الذي يطول لشهور وربما سنوات،
 وكان البليمي أحد رواد الفناء العلاجي فظل فيه خمسة شهور قبل أن
 يُصلي متى الضبعاوي في مسجد "أبو الحجاج" بستة شهور.

والمستوى الثاني أو (الساحة الثانية) الذي كان مخصصاً للديناري
 (الأب) يشبه بتفصيلاته المستوى الأول إلا أنه يزخر ببعض الطقوس
 والمراسم الدينية التي كانت تتم في عهده ولم يشأ الديناري أن يوقفها
 لموت أبيه، بل أصر عليها وإن كان غاب بجسده فروحه ما تزال تهيم
 فوق رؤوسنا، هذا ما كان يردده نقيباً المستوى الثاني لتعميق الهوى
 الديني لدي مريديه وأتباعه، بالإضافة إلى ذلك فإن كل مستوى يرتفع
 من المستوى الآخر بزخمه وبتردد الناس عليه، والإضافة التي أدخلها
 الديناري (الأب) على الطقوس القديمة أن أضاف إلى الوجبات

الغذائية للمريدين الكثير من الأصناف، على العكس من ساحة الماء، التي كانت تقدم العدم كطبقي رئيسي لكل المريدين والضيوف حتى وإن كان جمال عبد الناصر يتقدمهم.

والمستوى الثالث (الساحة الثالثة) يعتبر مكملاً للهرم الديناري الذي لا يجوز أن يضيف أو يغير، فالإضافة أو التغيير في الصوفية يُعتبر، شططاً، ولم يكن الديناري يجرؤ أن يغير في شكل أو طقوس الساحة إلا نتيجة لمعطيات العصر الجديدة التي لا تتفق مع طقوس ومراسم من عصور سابقة لم تكن فيها تلك المتغيرات.

"إن تغير العصر تغير أئمة وخطابه الديني."

هذا ما كان يقوله الديناري ليبرر التغيرات التي أزمع أن يقوم بها. فقد أدخل مكيف الهواء بينما كانت المروحة الكهربائية في الساحة الثانية (قمة الشطط، بينما كان في الساحة الأولى الخدام يمسكون بهوايات مصنوعة من جريد النخل لتحريك الهواء للشيخ) وقام الديناري بدهان جدران الساحة بألوان عصرية ومحو كل الرسومات والنقوش وشجرة العائلة التي كانت موجودة على الجدران، وأضاه غرفة اجتماعات كبيرة وأخرى ملحقة بها، وهي التي عقد فيها لقاء الكاهنين اليهودي والقبطي للتحضير لمؤتمر حوار الأديان.

أما عن الفكر الصوفي الجديد الذي يطيح بالفكر الصوفي العتيق الذي توارثه عن أبيه وعن جدّه والسابقين فقد طرّحه الديناري ليحرق الفكر الراكد وليظهر المجتمع من جروح الماضي التي عادت تنفلق من جديد كبركان سُدّت فوهته ولمّا نخر فيها الفحّارون انفجر من جديد وانطلقت حممه في وجوه الناس.



- مَنْ الأهم، دينك أمّ وطنك؟

- كلاهما.

- وإذا خُيرتَ بينهما أيهما تختار؟

- ديني.

- ولماذا لم تختَرِ وطنك؟

- الدين هو الوطن، وليس الوطنُ ديناً.

- وإذا ضاع منك الوطن فأين تقيم شعائرَ دينك؟

- أقام أنبياؤنا شعائرَ الدين أينما رستْ مقاليعُهم، والأرض

لنا نقيم فيها شعائرنا.

روتينية لكنها حتميةً أقرها قدماءُ الأحرار لقبول عضوفي المجمع
امي عام ١٩٥٠ في تل أبيب، وكان من الطبيعي أن يسأل الكاهن
ن صهوكيت شاؤول أشعيا وهو ينتظر ردوداً ربما تبدو نمطية،
تكشف توجهات العضو الجديد في دير الياهو بالدينارية، وعلى
من الثبات الذي نحت هيئة شاؤول وملامحه فقد بدا وكأنه النبي
بمَثَ بعد موته مائة عام من جديد يحاول أن يثبت شخصيته التي
الناس، لكن شاؤول لم ينشأ في قرية خاوية وإنما قرية عامرة
أديان: يكفّر كل منها الآخر.

تلك الأسئلة محورَ الخلاف بين العاخام الأكبر عوفاديا يعقوب
بي ديّان، فقد كان ديّان يرى الوطنَ إسرائيل ويراه مهماً لدرجة أنه
عن الدين من أجل الوطن، بينما يرى العاخام الأكبر أن الدينَ
ي أعاد اليهودَ إلى موطنهم، بينما يُصرّ ديّان أن السياسة هي

التي أعادتهم، وكانت نتيجة ذلك الخلاف أن أقر مجلس العاخاما.
بعد موت عوفاديا يعقوب مبدأ "الدين والوطن هبة الرب" وهذا
الفقهاء التوراتيون بعد ذلك هذا المبدأ بأن الذي يتخلى عن الدين
يتخلى عن الوطن، ومن يتخلى عن الوطن يتخلى عن الدين.



جلس كبير كهنة اليهود ريباش على كرسي الهيكل في غرفة العشاء.
الأخير بالمعبد مع الكاهن القبطي ليشع منقريوس بعد توليه منص.
كاهن دير القديس بطرس بأسبوع. الذي جاء لتجديد الحلف القدوس.
وقراءة القسَم القبطيويهودي.

- وجودنا في الدينارية ليس مرهوناً بالأديان والتاريخ، ولذا
بجنسيتنا التي ننتمي إليها وهي الجنسية المصرية.

قال الكاهن ريباش حتى يقطع عليه نعمة الدين والتاريخ.

- قامت ثورة اليهود في عهد الامبراطور ترجان عام ١١٥م
واستمرت لفترة وجيزة في عهد الامبراطور هدریان، وظلت مشتتة
لثلاث سنوات في صعيد مصر من نهاية الدلتا إلى إقليم طيبة بصعيد
مصر، وتحولت طيبة إلى حرب عصابات وأغلق معبد اليهود بمنف.
وسمح لهم أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين بإقامة معبد لهم في
جزيرة فيلة، وبعض من اليهود نرح إلى مصر بعد السبّي البابلي، ومع
ذلك نحن نتمنى أن نعيش في قرية الدينارية بغض النظر عن وطننا.
قال الكاهن ليشع منقريوس وهو يستشعر سقفاً عاليًا يكاد ينهار عليه

- العهد الجديد يكمل العهد القديم.

١٠. الرغم من أن ريباش لم يفهم مقصدَه إلا أنه أوماً له برأسه
واقفاً، وقام معه ليتفقد المعبدَ من الداخل كتقليدٍ مُتَّبَع كَمَا يتولي
امنٌ جديد، وعند خروج الكاهن ليشع منقريوس قال ريباش وهو يضع
امنه فوق صدره حتى يغادر وعقله مشغول :

- أحداث التاريخ هي أخطاء حُكام تعيشها الشعوب.

الفصل التاسع والعشرون

في هدأة الليل، وحينما نام الكورس الصوتي الذي يُضفي على الظلام، وقارًا لا يمكن انتهاكه رأى الكاهنُ ليثع منقريوس تينًا قابلاً من تجويف بيضاوي أسفل المرتفع الذي يؤدي إلى دير القديس بطرس يمنع الأقباط من أن يمشوا من ماء الجدول، واهتدوا إلى تقديم كبش صغير غذاءً له، وحينما انشغل بالتهامه مرّ طابورًا طويل من الأقباط يحمل كل منهم دلوًا كبيرًا، وملاً الجميع دلاءهم وكاد الساقون يخرجون من مرمى الفوهة المفترس، فإذا بالتنين يفتح نازًا ويلتقم آخرًا ثلاثًا من الطابور القبطي، وهرع الأوائل إلى دير القديس بطرس ينهشهم الفزع وقصّوا عليه ما حدث، فخرج يحمل في يده صليبًا خشبيًا كبيرًا، وسار خلفه الناجون ممن كانوا في الطابور، وحينما وصل إلى الفوهة البيضاوية خطأ بحذر وقدماه تتعثران في الرمال ليبصر بعينه التنين المزعوم فوجده جائئًا وأثار دماء ساخنة فوق فكّيه الذين فجأ بطون الضحايا، وتتقاطر فوق المساحة الصخرية الفاصلة بينه وبين الرمال التي تفتش الوادي، وانتابته دوامة من التردد تمتزج بطلائع الخوف والرهبة والصليب في يده يرتعد، وكأن حواس التنين تعمل على حواس الخوف لدى البشر، ففتح عينيه تدريجيًا دون أن ينتبه الكاهن، فإذا بالرابض عند الكهف يفتح فكّيه على مدى اتساعهما ويتقدم ليقطع طريق العودة أمام الكاهن ويفتح نازًا يصوبها أمامه، ولم يجد الكاهن مهربًا سوى الدخول إلى جوف الفوهة.

في الداخل رأى أشلاء الأقباط الثلاثة مبعثرة حول التنين تختلط بعضاهم الخراف العشرين التي التهمها طوال عشرين يومًا، ودماء آدمية

مختلطة بدماء حيوانية وفراء الخراف تلتصق بملابس آدمية تتزاح
لما حرك التنين ذيله أو جناحيه، دخل الكاهن يحاول تقادي الأشلاء
وبرك الدماء التي يسبح فيها التنين، وقبع في مؤخرة الكهف ووضع
أمامه الصليب، ويبدو أن التنين لم يدرك أن الكاهن دخل أو أدرك لكنه
لم يمه اهتماماً لأنه حينئذ يشعر بالشبع.

اختفت أشعة الشمس الممزقة الملقاة على الرمال الصفراء فتمكس
بقاياها لتتير الكهف إلى درجة ترى الكائنات بعضها بعضاً، لكن حينما
سقط الليل رداءه الشفاف على رمال الوادي كانت أردية الظلام الثقيلة
والمتقلة بالأسرار والانشقاقات والمؤامرات قد ألقيت على أصحاب
الكهف، فلم يعد التنين يرى الكاهن بنهمه، ولم يعد الكاهن يبصر
التنين بكهنوته، وظن كل منهما أن الآخر موجود في كل الفراغ المحيط
به. وفطن التنين إلى حيلة وحشية فطرية فسد فوهة الكهف بجناحيه
ولف ذيله يتحسس مكان الكاهن كثعبان خبيث يستخدم مكرًا ملفوفًا
في أوراق الصمت للإيقاع بضحيته التي بات أمرها مقضياً، وأثناء
ذلك يزيح متحمساً الأشلاء وبقايا فراء الخراف، وحينما كان الشك
يساوره في الأكوام التي صنعها يلف رقبتة فيتشمم ما جمعه وما وراءها
ذلك الذي قضى أمره.

الظلام يتكدس فتزيد الرهبة منسوجة بخيوط الصمت، وكل لحظة
نمر تُعتبر خسارة بالنسبة للتنين الذي يطمح لامتلاء مبین، ومكسباً
للكاهن الذي بصليبه ويسوعه يدعو لخروج كهنوتي والنجاة من تنين
كافر، وما بين الخسارة والمكسب دار صراع أحادي يجول فيه التنين
يتحسس بذيله ويجناحيه وبحاسة الشم وبجسمه كله، وفي نفس الوقت
يخطو الكاهن بين الأشلاء والفراء وبرك الدماء مقدماً درعه الصليبي

وعيناه محشوتانِ بظلام رهيب، هذا التنين يصدر صوتَ شخيرٍ يعبُرُ عن غضبٍ مكتومٍ ويزايد في كل ثانية تمر دون العنور على فريسته السائفة التي أدخرها لتقوز بها أوعاؤه، بينما تتراءى في مخيلة الكاهن طاقاتُ نورٍ اشتعلت من الرهبة التي لم تُضعفه وتحضر في عزيمته، ولكن أكسبته طاقةً إيمانية تسببت في إضاءة الطاقات المخبوءة في صدره.

وإذا بالقدّيس بطرس ينادي القدّيس مار جرجس الكبدوكي فيأتي سريع الندهة مزمجراً ممتطيّاً جواده الأشهب من فوق الجبل الغربي، وصوت حواهر الجوّاد تركز الصخورَ والرّمال، فانتقلت صراصيرُ الرهبة من صدر الكاهن إلى جسد التنين الذي التف ووجّه فكّيه صوب القادم.

- قدرة يمّوع الطائرة تسبق قدرة التنين الخنزيرية.

فاشتبك القدّيس مار جرجس أميرُ الشهداء مع التنين في صراعٍ محمومٍ وراح يطمّن التنين بحربته فتخرج من جوانبه مضغّة بدماءٍ داكنة فتمتزج بدماء الشهداء والخراف، ويروغ منها تارةً ويذود بجناحيه الثقيلين عن نفسه تارةً أخرى، ويتلوي الجوّاد وبعلو في كل طعنة يصوبها القدّيس ويصهل كلما أصيب بضربة من جناحي التنين، والقدّيس يرفع صليبه عاليّاً بيده اليسرى التي يمسك بها لجامَ الجواد فيرتفع واقفاً على ساقيه الخلفيتين، وساقاه الأماميتان درعان يتقى بهما هجمات التنين المتوالية، ويرتفع معه التنين لينقضّ على رأس القدّيس فيستدير الجوادُ نصفَ استدارةٍ ليستغلها القدّيس في تصويب طعنة استثنائية تحت جناح التنين، وفي تلك الأثناء قضم ذراع القدّيس اليسرى فوق يتلوى فوق جناح التنين الذي انهار بعد الطعنة الأخيرة.

وجاء الديناري على جواد أبيضٍ يُشهر سيفًا بتأراً، ودخل في صراعٍ
أخير مع التنين الذي كان يُصارع من أجل البقاء فقال صارخاً :

- باسمِكَ اللهم.

لكن سيفَ الديناري كان أسرعَ من تطلعاته أو آماله التي باتت رهنَ
عزيمته فقطع جناحَ التنين الأيمنَ، وعاجلاً الأيسرَ فوقما على جانبيه
أمام الكهف، فيقع التنين المهزوم من عليائه منهاراً ويصدر شجرةً
عالية وطويلة تنتهي آخر نغمة فيها مع وقوعه بين جناحيه، فيرفع
الديناري القديسَ مارِ جرجس خائر القوى على الجواد وخلفه الكاهن
ليشع منقريوس الذي كان يحتمي برفات الشهداء وتراب الخراف،
ويجر الجوادَ إلى الساحة وهناك جاء طبيبانِ يعالجانِ القديسَ
والكاهنَ، والديناري يشير إليهما بمعظمة وكبرياء.

استيقظَ الكاهن ليشع منقريوس في غرفته ينظر حوله فزعاً، وحينما
رأى المجسمَ اليسوعي الموضوعَ فوق البابِ ينعمُ بالمكون شعر
بطمانينة بطرسية، وتُحسس جسده ورسم الصليبَ على صدره بشكلٍ
إيمائي ثم أغمضَ عينيه وكأنه يعلن انتهاءَ كابوسٍ مريع لم تكن نهايتهُ
أقلَّ خطراً من بدايته أو من ذروته.



"قريةٌ علمانية ترنو لتطبيقات العلم، يحكمها قانون مُفعلة بنوده
يتسق مع دستورٍ شامل يضم تحت جناحيه كل الأديان سواسية،
ويقف أمام منصبه الجميع، وإذا اختصم لديه طرفان فالعدل يحكم
بأسس لا تشوبها شائبة."

نصُ الرسالةِ المقتضبة التي أرسلها معتصم الديناري لرئيس المجلس

العُرْفِي الدِينَارِي الَّذِي حَارَ فِي تَفْسِيرِهَا كَمَا حَارَ فَتَهَاءُ الْقَانُونِ فِي تَأْوِيلِهَا، وَهَنَا كَانَتْ الْمَشْكَالَةُ فَقَدْ كَثُرَتِ التَّأْوِيلَاتُ الَّتِي نَبَعَتْ عَنِ ثِقَافَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْفُقَهَاءِ، وَلَمْ يَصِلْ أَيُّ مِنْهُمْ لِتَفْسِيرِ الْمَقْصُودِ مِنَ الرِّسَالَةِ؛ لِأَنَّهُمْ لَجَأُوا إِلَى التَّأْوِيلِ بِاحْتِمَالَاتِهِ بِدُونِ الْقَطْعِ بِرَأْيِ وَاحِدٍ بِاجْتِهَادِهِمْ يَصِلُ لِحَقِيقَةِ الْمَعْنَى مِنْهَا، وَالنَّسْبَةُ بَيْنَ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ مِتْبَايِنَةٌ وَكُفِيرَهَا مِنَ الْأَفْكَارِ وَضَعَهَا الدِينَارِي فِي خَزِينَةِ الْوُثَائِقِ لِرَبْمَا يَرْجِعُ إِلَيْهَا فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ.

وَبَعْدَهَا بِعَامِينَ قَبْلُ أَنْ يَخْتَفِي عَاصِمُ الدِينَارِي بِأَسْبُوعٍ قَالَ مَعْتَصِمٌ لِلدِينَارِي بَعْدَ أَنْ شَرَحَ لَهُ مَعْنَى الْأَمْتِنَاخِ وَالْأَهْدَافِ الْمَرْجُوعَةَ مِنْهُ :

- الْفُوضِي تُوْدِي إِلَى الْفِتَنِ، وَغِيَابُ الْقَانُونِ هُوَ الْقَشَةُ الَّتِي تُعَمِّقُ لِدَوْلَةِ الْإِنْفِلَاتِ.

قَالَ الدِينَارِي وَهُوَ يَعْانِي مِنْ نَظَرَاتٍ مُنْفَلِتَةٍ زَائِغَةٍ :

- هَذَا كَلَامٌ نَمَطِي سَمِعْنَاهُ مِنْ قَبْلِ.

- الْحَلُّ هُوَ الَّذِي لَمْ تَسْمَعْهُ مِنْ قَبْلِ.

- وَمَا هُوَ الْحَلُّ؟

- إِنْشَاءُ مَجْلِسٍ أَعْلَى لِلأَدْيَانِ.

رَدُّ الدِينَارِي كَطْفَلٍ يَرُدُّ خَلْفَ شَيْخِهِ آيَاتٍ مِنْ قِصَارِ سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :

- إِنْشَاءُ مَجْلِسٍ أَعْلَى لِلأَدْيَانِ.

أَجَابَ مُحَفِّظُ الْقُرْآنِ وَهُوَ يَحْمِلُ كُلَّ الْكُتُبِ الْمَقْدَمَةِ بِيَدَيْهِ وَيَعْتَرِيهِ الْخَوْفُ مِنْ أَنْ يُسْقِطَهَا عَلَى الْأَرْضِ فَيَقُولُ :

- إنشاء مجلس أعلى للأديان يحمل على عاتقه كل الأمور المتعلقة بالأديان مثل الخلافات الجوهرية والثانوية، ويصدر منشورات دورية لاجتماعاته وندواته ومؤتمراته المحلية والدولية، ويفصل في كل القضايا التي بُنيت على خلاف ديني وعِرقي، ويحرّم على كل داعية أن يتجاوز بالقول أو التلميح في دعوته لأي دين آخر، ويمنع التبشير الديني بكل أشكاله، ويُعنى بتقديم الدعم المادي والمعنوي لسدنة الأديان، ويضع الاحتفالات الدينية في أطر محددة تُعلي من قيم الصوفية الجديدة التي تبنيتها في ساحاتكم، وكذلك قضية توحيد الأديان التي تخشون إعلانها على الملأ.

"ربما يأتي يومٌ تُطبّق تلك الأفكار فتزن المجتمع الديناري بميزان جديد ينعم فيه أهله بالأمن والسلام للجميع"

جال بخلد الديناري ولم ينطق به في حضرة معتصم الديناري مُحفظ القرآن الكريم الجديد، وانتابه وجدٌ غير صوفي وهو يجلس على عرش المجلس العُرقي يحتكم إليه مواطنو الدينارية جميعهم ويُخرجون من عنده وكل مسلم يمسك يمينه قبضاً تتألق ابتسامته بالرضا، ويسراه يمسك يهودياً يُعتق ابتسامة القبلي فيفلفهما المسلم بشوق وكشف جديد، ونور قمري يبزغ في السماء معلناً توحيد الأديان في دين إبراهيمي واحد يعلنه الديناري من عرشه الذي له تجلى يصعب أن ترى على سجاده فتنة أو فوضى أو انفلاتاً.

الفصل الثالثون

"لا يَنسَى أَيُّ يهودي هذا اليومَ حتى يأتي يوم الحساب، بعد التعذيب الذي لقيه أجدادنا جاء أمر الله بالخروج، ووصلت إلينا حكاياتهم أثناءه، وكَم من مرة تُعثرُ بعضهم في اللجج التي خلفها انحسارُ البحر وجاء من خلفه آخرُ وأعانه على النهوض، وكَم من طفل وقع في الطين من فوق كتف أمه وهي مهرولةٌ وتحمل في يدها الأخرى بعض الملابس والخرق والأواني، فينقذه شابٌ من الشباب الذين عينهم النبي موسى لإعانة الشيوخ والنساء والأطفال والمَرْضَى، وكَم من كبير طاعن في السن وقع لاهثاً لا يكاد يلتقط أنفاسه فيحمله فتى يضع عينه على كل مَنْ ثقلت خطواته، وامرأة عجوز خازت قواها فالتفت ساقها اليسرى حول اليمنى فتعرفلت وقَبِل أن تنكفيء النقطها شابٌ أصبح له شأنٌ كبير خلال فترة البحث عن اليقين التي يسميها الآخرون "التيه".

وتناقل الأجدادُ وقوفَ الأوائل الذين عبَروا البحرَ مع النبي موسى عند الشاطيء الآخر ينتظرون عبورَ فلولهم ودوابهم، وحكى هؤلاء المتأخرون أنهم رأوا بأعينهم رمسيسَ الثاني يركب عجلته الحربية بلا حقههم، وكاد أن يلحق بهم في منتصف البحر لولا أن جفل الجوادان وارتفعا عن الأرض فارتكزت العربةُ الحربية على العجلتين، وخيّل إليهم أن الجوادين يخافان من ارتفاع الأمواج على الجانبين على الرغم من أن الأمواج كانت تبدو مثل جبلٍ انشطر نصفين وصنع انشطاره مسافة كبيرة بينهما، لكنك حينما تمر بينهما يُخيّل إليك أنهما يوشكان على الوقوع عليك فينطبقان؛ لأن منظرهما هكذا لا يوحي بالبقاء طويلاً

دون إعادة الالتئام، لكن الجوادين كانا يبصران نارا أمامهما تمنعهما من التقدم ولم تنطفيء إلا حينما انطبقت الأمواج على رمسيس الثاني وجنوده من خلفه ففرق من غرق وسبح من سبح.

وفي اليوم الثاني بعد أن نصبوا الخيام في البر الشرقي ظلوا حتى الصباح يحكون ما حدث من المعجزة التي أوتيت النبي موسى حينما ضرب البحر بعصاه، وحكى كل منهم كيف أن الموج تباعد على الجانبين ليكون جبلين هائلين كأنما ملك عملاق أزاح الماء بجناحيه، وعبروا عن مخاوفهم التي انتابتهم أثناء العبور وهمل ستمهلهم الأمواج المزاحة قسراً الوقت الكافي للحاق بالأوائل السابقين، وأثناء تلك الحكايات فإذا بهم يرون جثة طافية تقترب من الشاطئ الشرقي ونادى الجميع على النبي موسى فهروا ومعه هارون، وبعد أن نظر ملياً أعلن أنها جثة رمسيس الثاني، وكانت ذراعُه اليسرى مرفوعة وهو ممسك درعاً ذهبياً، نعم هو الذي آمن به بعض من أجدادنا ولكنهم كفروا به بعد أن جاء النبي موسى وهداهم إلى عبادة الله الواحد، وعلى الرغم من أن بعض أسلافنا ظنوا أن فرعون لا يموت لكنهم رأوه وهو مغمض العينين طافياً على الماء، وتأكدوا أنه هو بعينه الذي علا وتجبر في الأرض وتألّه، أصلح وأخينس أي ذو أنف بارز مرتفع ومتأخر عن الوجه قليلاً، وكان أثره أي له سن مكسورة.

لم يستسلم النبي موسى لنداءات البعض بانتشاله من الماء والتمثيل بجثمانه، وأثناء ذلك جرّفه الموج بعيداً عن الشاطئ الشرقي لتقضي على نوايا البعض الذين فكروا في السباحة من وراء النبي وتنفيذ انتقامهم من ذلك الذي عذبهم أشد عذاب.

كانت الكأبة ترسم على وجوه المصلين جميعاً إلا لويس ليمارجي الذي

ارتسمت على وجهه ابتسامةٌ لولبية خرجت من أعماقه فمكست لوناَ أحمرَ يظهر عليه أحياناَ بينما كانت تعبيراتُ زوجته ليليان حيرى بين الكآبة التي تظلل كل المُصلِّين حينما يأتي ذكر المعاناة التي خاضها الأنبياءُ، والابتسامة التي انتصبت على وجه زوجها فلم يتجشم عناءَ المشاركة الوجدانية لبقية اليهود الذين يشاركون في يوم عاشوراء، إلا أن الكاهن امتص بهدوئه تلك الكآبةَ وحولها بخبرته إلى ابتسامات تشارك ابتسامةَ لويس ليمارجي التي يفهم مغزاها تماماَ.



كان الخطابُ الديني في الساحة الدينارية الأولى قائماً على الاتباع وخطورة الانسلاخ عن تعاليم السلف الصالح في فترة الثلاثينيات وما بعدها، ولم يكن الشيخ الديناري (الجَد) يسمح بالنقاش وإذا أصر أحدُ المريدين عليه يطرده ولم يسمح بعودته إلا إذا تاب وأعلن أنه لن يناقشَ فيما يتلقاه من علوم دينية ودنيوية، وعلى الرغم من ذلك خرجَ على الشيخ (الجَد) الكثيرون ممن رفضوا أفكارَ السلف أو حاولوا مناقشتها في أروقة الساحة مع الشيخ الديناري (الجَد)، ونتيجةً لذلك كوّن هؤلاء كيانات دينيةً صغيرة متشردمة في بعض النجوع فتحوا فيها بابَ النقاش، فوجدوا أنهم في مجتمع قائم على فكر الولي أحادي الاتجاه ولا يقبل التعددية، رفض هؤلاء المجتمعَ ومعطيائه وبحثوا عن سبل جديدة للانسلاخ عنه أو هدمه، فاستخدموا العنفَ في فرض فكرهم الجديد تارةً ومحاولة استقطاب البعض تارةً أخرى، ما لبثت أن تحولت تلك الكيانات إلى قوى دينية دعمها الرئيس السادات فيما بعد لمواجهة الاستقطاب الشيوعي والموجات القبطية التي بدأت في شكل عدم توافق مع المسلمين تحولت مع مرور الوقت إلى بؤر خفية

امنة طائفية ياجوجية الطابع.

كبرت أنياب تلك الكيانات فيما بعد وأصبحت تعمل ضد المجتمع في الدينارية وتضم العاطلين والراسيين في مقابلات شخصية لبعض الوظائف، والذين كانوا يستشرفون مستقبلاً ناصعاً بعد التخرج ولم يجدوه بعد، وأولئك الذين أتبعوا فكراً عقيماً لشيخ لم يسمعوا بالنقاش في ندواتهم أو حضراتهم، والناقمين على التعددية الدينية في الدينارية، والذين أتبعوا فكر حسن البنا الذي نقله كهنة الإخوان، والذين أتبعوا فكر التكفير والتفجير تلك الجماعة التي كانت تكفر المجتمع ولم تمهله للاستجابة فتفجره، وانفلت الفكر الديني فخلّف رزاً يصعب سدها خصوصاً بعد عولمة منفلة تفضل كل المجتمعات المتأخرة فكرياً أن تواكبها.

أحداث التاريخ يصنعها الحكام والأئمة، وتكادها الشعوب.



في حضرة يوم الخميس جلس الديناري في صدر الساحة ليلقي موعظته الأسبوعية، وكان الحاضرون قد تناولوا من قبل وجبة عشاء تنصدرها قطع اللحم والخضار والأرز، وجلس على يمينه الشيخ عبد الخالق الربالي وكانت حرارة الجو لم تزعجها ريح أو نسيمات فإذا بالعرق ينبت تباهاً على وجه الديناري ويمسحه كلما ابتلع ريقه.

"كان الأنبياء متصوفين بطبيعتهم، ولكن صوفيتهم لم تكن محصورة في حلقات الذكر بل كانوا يندمجون مع الناس ويهذبون من أخلاقهم وتصرفاتهم، أما نحن فقد فهمنا الصوفية بطريقة أخرى فاستسلمنا للذكر فبنينا عن أنفسنا وغبننا عن واقعنا، إن التقرب إلى الله ليس

بالغياب فيه أو بالغياب عن دنيانا، بل بفهم أوامره والتدبر في مخلوقاته وطاعته.

كَمْ مِنْ صَوْفِي غَابَ عَنْ وَعِيهِ وَجَاءَ بِمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ الْآخَرُونَ وَأُتِّهِمْ بِالْكَفْرِ.

حاول الصوفيون الأوائل الانشقاق عن عامة الشعب والفرار إلى الله ونجحوا في ذلك، وشغفهم الوصل وسُبل الكشف، لكنهم تركوا الآخرين تائهين دون فهم وكشف ما كُشف لهم، نجحوا لأنفسهم وليس للآخرين، نحن نحتاج لنجاح صوفي جماعي وليس نجاحاً فردياً، نُفَرِّقُ إِلَى اللَّهِ وَنَحْنُ فِي أَمَاكِنُنَا، وَنَأْخُذُ بِأَيْدِي إِخْوَتِنَا الَّذِينَ لَمْ تَصِلْ أَذْهَانُهُمْ إِلَى فَهْمِ اللَّهِ.

صوفيتنا مرهونة بتصوف المجتمع."

- وكيف ينجح المجتمع المسلم، وكل مَنْ يصل إلى مرتبة دينية عالية يكفر الآخرين ويُسُفه تفسيرات السابقين الأولين؟

قال الشيخ عبد الخالق الربالي وهو يفض بصره احتراماً وتبجيلاً للديناري الذي رد عليه وهو يستنهض جفنيه وبلاغته :

- الدينُ ثابتٌ وراسخ، وكل عصرٍ له أئمة، والأئمة عناوين العصور.

- هل نظل كذلك في الساحات ونترك الفلاحين والعُمَّال والموظفين ورجال الشرطة والخبازين والفحَّارين والفحَّامير والطَّوابين والنساء والذين لم يُؤتوا علماً صفحة بيضاء لدعاء الفضائيات الذين كَفَرُوا أئمةً وتصالحوا مع آخرين؟ دورنا مع الناس

وصلُ درجة من التمسُّكِ والتَّهجدِ.

الديناري وقد وصل به الكشفُ إلى أقصى درجات :

- دورنا يتعدى التمسُّكِ والتَّهجدِ، وصوفيتنا اسمها "صوفية
اخراج" أن نخرج للناس قَبْلَ مجيء المرَّيدين، نحن في الساحةِ
، خارجها.

ال أحدُ الحاضرين الذي يداوم الحضورَ يوم الخميس طعامًا وذكراً
، جداً :

- مولانا الديناري، الصوفية طعامًا وحضرة.

- مَنْ أفتى لك بذلك؟

- نشأنا عليها وماتَ من قَبْلِنَا أبائنا وأجدادنا عليها.

- الصوفية الجديدة تَجِبُ صوفيةَ السلفية.

د آخر وكأنه استفاق أخيراً من ثمالة وليمة العشاء :

- وهل هناك صوفيتان؟

لأن الديناري كان يتوقع هذا السؤالَ فأعد له إجابةً أعادته إلى ثمالة
الأولى :

- الصوفية واحدة .

برُح الذي سأل وتناقلَ جفناه فأغمضت عيناه وهو يقول :

الصوفية أن تتبع شيخك دون مراجعة، وأن تلتزم بالمنهج الذي
برسمه لك دونَ إخلال بالطقوس التي يقوم بها معه، فالصدقُ مَنْجاةٌ

من المهالك لك وللآخرين، والعدلُ ميزان الشيخ تُوزَن به حياتُك وحياتُ الآخرين.

قال الديناري وكأنه تَلَقَّى الهامًا أَلَمَهُ فطنةً وبلاغةً.

- صوفيتنا دستور القرية، أن تتوبَ وغيرك يتوب، أن تنمَ وغيرك يتغير.

- وهل أنا مسؤولٌ عن توبةِ الآخرين؟

- لا بُدُّ أن يكون تأثيرُنا جماعيًا وليس فرديًا.

الفصل الواحد والثلاثون

مبنيذ كان عمراً أهافاً سبعة شهور حينما وقف أبوها يقبلها ويقبل
جنته وفي يده اليمني حقيبة كبيرة وحقيبة هانديك على كتفه الأيسر.
منبما رفعت يدها البضة وكأنها تلوح له وضحة الكترونية تحتوى على
عدة أشكال ضاحكة تصدر عنها نباحاً، وضع الحقيبة الكبيرة وألقى
من كاهله الأخرى وكأنه كان يحمل طفلين صغيرين ليسا من صلبه،
منبما رأى طفلته التي أنجبها من صلبه بعد تأخر في الأنجاب نبذ
العريبين وحمل التي من دمه. واختطف أهافاً من فوق صدر أمها
أمطرها بقبلات مدمجة وطوقت رأسه بذراعيها الصغيرين واندلعت
بها ضحكات متماوجة متوالية جعلته يقدم قدماً ويؤخر الأخرى وهو
سافر إلى فرنسا.

انت ليليان حاييم في شهرها الثالث تنتظر خروج ولي العهد من
حمها لرحم أكبر عندما بدأت ترتيبات سفر مومياء رمسيس الثاني
إلى فرنسا للعلاج من البكتريا والفطريات التي أصابتها بسبب سوء
العرض في المتحف المصري، كما أنها لم تخضع لسنوات طويلة
لمحص دوري بخصوص درجات التهوية ومدى تأثيرها بالضوء.

سافر عوفاديا يعقوب وموشي ديآن مع البعثة الإسرائيلية واستقلا
طائرة شركة العمال الإسرائيلية LY322 متجهين إلى فرنسا من
تل أبيب لحضور مهرجان "كان" السينمائي، كان يعرض فيه الفيلم
الإسرائيلي الذي أثار ضجة إبان عرضه في تل أبيب "الطريق إلى
شرق" (يتناول الفيلم سيرة عائلة يهودية قررت الهجرة إلى إسرائيل

من المغرب، والصعوبات التي صادفت أفرادها في التخلي عن موطنها الذي ولدوا ونشأوا فيه من أجل أرض الميعاد) ونشرت ساعتها صحفها. يدعوت أحرونوت تحقيقاً صحفياً يستنكر ذهاب القطبين اليهوديين اللذين كانا على خلاف دائم (كان خلافهما يدور في دائرة الدين والسياسة وأيهما أحق في قيادة الآخر، وكان ديان يرى أن السياسة هي التي تقود الدين، بينما يرى الحاخام أن الدين هو الذي يقود السياسة) في رحلة واحدة ويجلسان في مقعدين متجاورين في الدرجة الأولى! لكن صحيفة معاريف أشادت بانتهاء أزمة القطبين ولم أندهاشاً بحضورهما مهرجان "كان" السينمائي لأنهما على الرغم من انشغال كل منهما في دوامات عمله إلا أن ذائقتهما الفنية كانت شديدة الحساسية وخصوصاً في مهرجان بحجم "كان".

على الرغم من الخلافات التي شهدتها جلسات الكنيست ونسخها الصحف وصعد بسببهما نجوم صحفيون، وتشرذمت ائتلافات، وتكوّنت جماعات وربما أثرت على علاقتهما الشخصية، إلا أن هذا غير معلن لكليهما وحدّهما وتناسيا تلك الخلافات وربما شعرا بأن هذا الهدف خلق منهما كياناً واحداً، والفضل يُنسب للويس ليمارجي الذي أرسل لهما رسائل قبل المهرجان بستة شهور، وكانا يلتقيان سرّاً لمناقشة مضمونها الأسطوري.

التقى القطبان اليهوديان الحاخام الأكبر عوفاديا يعقوب وموشي ديان، بلويس ليمارجي في ردهة فندق "انتركونتيننتال كارلتون" قبل المهرجان، بيوم واحد، وتحرى الجميع الحَيْطَة والحذر، وبعد أن صافحاه بشيء خرجوا جميعاً تصحبهم غلالة حزن قديم منكس على رؤوسهم إلى المطعم اليهودي "نجمة داوود" خلف الفندق لتناول طعام الغداء.

ك طرح المثلث المغترب بالخروج كل الآمال والآلام، وبين كل ذلك
، هناك ابتسامة غريبة تتقل من وجهه لآخر :

الحاخام الأكبر عوفاديا يعقوب وهو يترفق بلحيته لمسًا يَشِي
قب :

- خَرَجَ مَنْ أَخْرَجْنَا، وَالظَّالِمُ تَدُورُ عَلَيْهِ الدَّوَابُّ.

ابه موشي ديّان وهو يزفر وكأنه يضع كمامة أوكسجين لإفاقته
وصوله للبرّ الشرقي من الخروج، وحينما رفعها عن وجهه زفرَ
ارواسبَ صناعية تكدست فوق حنجرته ليتنفس أخيرًا هواءً نقيًا
نه إليه نسماّت رقيقة تداعب فساتين الممثلات الجميلات اللاتي
برضن الجمهور والصحفيين فوق السجادة الحمراء للمهرجان :

- بل أَخْرَجْنَاهُ أَيُّهَا الْحَاخَامُ الْمَبْجَلُ.

الحاخام الأكبر وكأنه يتجنب نظرة موشي ديّان الخبيثة الوحيدة
تخرج من عين واحدة وكأنه يأجوج خرجَ من عين حمئة جاء
الب الحاخام بالكف عن الكلام في حضرته في وقت تتحدث فيه
بال:

- نَعَمْ أَخْرَجْنَاهُ يَا مَوْشِي، وَسَوْفَ نَرَى فَيْلْمًا وَثَانِيًا يَتَفَوَّقُ عَلَيَّ
"الطريق إلى الشرق"

لويس ليمارجي ينتظر انتهاء حديث الكبار، فقد كان مُنكَّسَ الرأس
يشأ أن يرفع عينه إلا إذا تحدّث، وحينما ابتلع كل منهما ريقه بعد
ع كلامهما المزروع بين الأشواك قال :

- خَرَجَ أَوْ أَخْرَجْنَاهُ الْمَهْمُ أَنَّهُ عُبِرَ بِهِ الْبَحْرُ مِثْلَمَا عَبَرْنَا.

قال الحاخام الأكبر مكملاً كلامَ لويس ليمارجي :

- خرجنا على أرجلنا خلف النبي موسى، لكنه خرَّج معه ٧٠
في تابوت، خرجنا من أرض المُتَّالَه إلى أرض الله، لكنه خرَّج ١٠
تجاويف المقابر المصرية إلى معامل اليهود.

اكتشفَ البروفيسور موريس بوكاي بقايا ملح قديم عالقةً في جنم،
رُمسِيس الثاني، وأظهرت أشعة اكس أن هناك كُسوراً في عظامه
وأثبت أن جثته أخرجت من الماء فورَ غرقه، ويده اليسرى المرفوعة،
كانت تحمل درعاً يتقي به دفعات الماء التي كانت تهاجمه بشكل متوالٍ
من فوق جبال المياة المزاحة بسحر موسى، فتبيست يده اليسرى،
وظلت على هذه الحال حتى الآن، وانتابته قشعريرة طلبَ بعدها من
مساعدته بأن يأتيه بالتواراة :

"فَمَدَّ موسى يده على البحر، فرجع البحرُ عند إقبال الصبح إلى
حاله الدائمة، والمصريون هاربون إلى لقائه. فدفعَ الربُّ المصريين
في وسط البحر فرجع الماءُ وغطى مركبات وفرسانَ جيش فرعون،
الذي دخل وراءهم في وسط البحر، والماءُ سورانٍ عن يمينهم وعن
يسارهم، فخلص الرب في ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين
ونظرَ إسرائيلُ المصريين أمواتاً على شاطئ البحر، ورأى إسرائيلُ
الفضلَ العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين، فخاف الشعبُ الربَّ
وأمَّنوا بالرب وبعبيده موسى."

يكيِّل اليهودي العلاقات الإنسانية بمكيائين، ولديه قاموسٌ خاصٌ
في عمليات التشريح يحتوي على معنيين، معنىٌ خاصٌ باليهود ومعنىٌ
خاصٌ بغير اليهود، ولَمَّا كان قاموس البروفيسور موريس بوكاي منذاً:

فلم يصرخ في وجه مساعديه الذين أخطأوا في وضع المومياء بالشكل الصحيح عند تصويرها في معمل أشعة إكس فكسرت عظام يده اليسرى المتترقة، وبعدها بعشر سنوات صرخ بوكاي في مساعديه الكبار الذين قاموا عن طريق الخطأ بعمل قطع طولي في جثمان اسحق رايبين بدلاً من القطع العرضي التشريحي الذي يفسر سبب الوفاة بعد اغتياله على يد يميني متطرف يرفض السلام مع العرب في ميدان ملوك إسرائيل.



وُضِعَ بروتوكول وخطة متكاملان للعلاج والترميم بعد الفحوص والأشعات، لكن البروفيسور غاب اليوم الثاني فجأة وكذلك الطاقم المصاحب له، وظل رمسيس الثاني وحيداً في غرفة كبيرة يتوسطها شيزلونج كبير متحرك ينتهي بقوس كبير متصل به، وبه بعض المرايا العاكسة والكشافات تُسجّي فوقه المومياء، وأضواء خمسة كشافات يحملها عمودٌ مقوّس ينتهي بإطار كبير مقوس للأشعة المقطعية أيضاً يجمع كل أضواء الكشافات ويصوّبها نحو الميت القديم الذي ينتظر فحوصاً للعلاج، وعلى يسار المومياء قائمٌ عريضٌ ومرتفعٌ مثبتٌ قبل نهايته جهاز أشعة إكس الذي يرتفع وينخفض حسب زاوية التقاط الأشعة المطلوبة، وعلى الجانب الأيمن من الغرفة دولابٌ كبيرٌ يحتشد بأدوات طبية، وفي المقابل دولابٌ آخر يكتظ بالأطراف التعويضية، ومكتبٌ كبيرٌ فوقه جهاز كمبيوتر، وفي الجانب المقابل كشكٌ صغيرٌ مفلقٌ ومظلمٌ وفي صدارته زجاجٌ مانعٌ لتسرب الأشعة.

يومَ عرّضَ الفيلم الإسرائيلي "الطريق إلى الشرق" شاهدَ الحاخام الأكبر وموشي ديآن وموريس ليمارجي فيلمَ "فرعون الشرق"، وعلى

الرغم من أنهم تركوا مقاعدَهم في قاعة العرض إلا أنهم حضروا عرضاً خاصاً في مركز الأتار الفرنسي تحيط بهم أمواج مرتفعة تطاول السماء بعد أن فَتَحَ لهم النبي موسى طريقاً في البحر يعاينون الفرعون لأول مرة ووجوههم مصوّبة نحو المُسجَى ووداعة الموت، تحوم على وجهه، في البداية أصيَّبَ الحاخام بهزة عنيفة رجّت جسده وهو يخطون نحو الموميا، ولولا وجود موشي ديّان الرجل العسكري الذي رأى أعداداً كبيرة من الموتى في سيناء من قَبْلِ لَمَّا صَمَد وتجلّد، لكن على الرغم من صلابة رجال الدين اليهودي إلا أن مشاعرهم تجاه الموت مختلفة، وحينما اقترب أكثر رأى أعداداً من بني إسرائيل يعبرون البحر وخلفهم رمسيس الثاني فتحوّل الميتُ إلى عدو على قيد الحياة يطارده في غرفة الفحص التقني والمجهري بالمركز الفرنسي، فجحظت عيناه غيظاً وغيظاً، ولم يكن موشي ديّان ينتظر أن يستحضر يومَ الخروج لكي تجحظ عينه وتتميز غضباً، فقد كانت عينه جاحظة منذ أن خطا بقدمه اليسرى يتطاير منها لهبٌ مشتعل منذ آلاف السنين وخصوصاً بعد حادث فقدانه لعينه اليسرى.

هو الآن يرى الموميا بيمين واحدة، لكن كل معاني الكراهية تركّزت فيها، وفي تلك اللحظة نسي كل شيء حتى الهزائم العسكرية التي مُنِيَ بها الجيش الإسرائيلي وزوجته التي هجرته لقسوته المفرطة ولم يتذكر إلا خروج بني إسرائيل من مصر والفرعون بعجلته الحربية يطاردهم وكأنهم خنازير موبوءة يدفعهم نحو البحر أو يُقتلهم جميعاً عند الشاطيء وتتأوب عليهم الغربان تقضم في جثثهم حتى تصير نَتفا فتذروها الرياح.

- أخرجناك من مصر كما أخرجتنا منها.

وإذا به جندي في ساحة القتال عند الثغرة ينقض على عدوه بعد أن فقد كل أسلحته فيقبض على رقبته، وعينه الوحيدة المقدسة بفضب مكتوم وكل صنوف الفيظ والحقد تصب قطرات ميرة وتبدأ معدته في صهر أمعائه، وقدماه مسماران مثبتان في أرضية الغرفة يعجز الحاخام الأكبر ولويس ليمارجي عن تحريكه خطوة واحدة للوراء، وكان الأسهل لهما أن يقبضا على رسغيه الكماشتين اللتين قبضنا على رقبة الفرعون، وبعد محاولات مريرة واكبها كلمات توراتية من الحاخام تداعب مشاعره المتحجرة :

- الرب انتقم منه بعد وصول بني إسرائيل إلى الشاطيء الآخر، وأخرجه لنا الرب حتى نشمت فيه، وكفى به عاجزاً ليس له حول ولا قوة.

كانت تلك الكلمات المليئة الذي سيطر على رسغي موشي ديآن فتحولت العظام والعضلات المتيبسة إلى خلايا مرنة ورخوة، فخطأ بقدمه للوراء وهما يمسكان به ونظرات من الأسى والحزن تمتزج بنظرات من الشماتة والحقد فتتحول الغرفة إلى أبخرة تتصاعد إلى أعلى، وكأن الروح عادت للمومياء حتى يستطيع الدفاع عن نفسه، وحينما بدأت الروح تلتحم مع المومياء المفرغة من الداخل ويتجسد الفرعون فوق قاعدة جهاز الأشعة ليمسك بحريته ودرعه يدافع عن نفسه كان المثلث اليهودي قد غادر المركز ومسافات فاصلة تتسع بينهم وبين المومياء فتصير هوة كبيرة مظلمة تراها من على بعد وأنت واقف تنظر إلى الصدور الرخوة التي طفرت من مكانها للممثلات اللاتي يستعرضن الجمهور الواقف أمام قاعة السينما.

قَبْلَ مهرجان "كان" السنيمائي بستة شهور تلقى الحاخام الأكبر عوفاديا يعقوب رسالةً بريديةً من لويس ليمارجي، قرأها وهو متكي، على أريكتِه في منزله بتل أبيب :

مولانا الحاخام الأكبر:

تعظمت وتقدمت يا مولانا وارض عنا وادع لنا..

أتيح لي أن أفحص مع مجموعة من الأثريين مومياء فرعون الخروج رمسيس الثاني، واكتشفنا أن الفطريات والبكتريا تنخر في جسده كالفسران التي تنحت لها مخبأ في الأرض، ولما قضى الرب بخلود المومياء ليكون عبرةً للظالمين فقد اقترحتُ على رئيس البعثة وهو رئيس المجلس الأعلى للأثار في مصر أن تسافر المومياء للعلاج في أي بلد أوروبي ليتفرج العالم على الفرعون الذي عذبنا واستعبدنا وأخرجنا من أرضنا.

فانظر فيما أنت ناظرٌ يا مولانا فيما اقترحتُ، وهل يعود بالنفع على بني إسرائيل وقوميتنا في جميع أنحاء الأرض؟ وهل يكون الرب راضيًا عني؟

لويس ليمارجي

رئيس البعثة الفرنسية للأثار في الديتارية

بعد أن فرغ الحاخام الأكبر من قراءة الرسالة وقف وكان مسمارًا قد دخل في مؤخرته فراح يتحسسها يحاول اقتلاعه، وفي نفس الوقت

بخشى من الدماء التي سينزفها، وهو يمسك الرسالة في يده اليسرى ليقرأها للمرة الخامسة. وضع الرسالة على المكتب وراح يجوب الغرفة يشبك يديه فوق مؤخرته، وجلس إلى المكتب ليكتب ردًا على رسالة لويس ليمارجي :

عزيزي لويس ليمارجي،

تلقيتُ رسالتك المهمة وانتابتنى حالة غريبة، مزيج من الأسى والفرح. الحقد والشماتة، السرور والحزن. وحينما هدأت قليلاً وجدتُ أن ما فعلته هو الصواب بعينه، صَبَّ غضبك على الأغيار غير اليهود؛ فهذه مناسبة جدًا لأوضاعنا، لأن أعداءنا يحاولون القضاء علينا منذ خروجنا من مصر وحتى اليوم ومن دون توقف.

الحاخام الأكبر

عوفاديا يعقوب

في اليوم التالي قرأ لويس ليمارجي في صحيفة "هاآرتس" هجومًا عنيفًا شنه الحاخام الأكبر عوفاديا يعقوب في مقال قال فيه : يجب ألا نرأف بالعرب ولا بُدُّ من قصفهم بالصواريخ وإبادة هؤلاء الأشرار والملعونين. وفي نهاية مقاله دعا الحاخام الربُّ أن ينتقم من العرب ويبيد ذريتهم ويسحقهم ويخضعهم ويمحوهم عن وجه البسيطة. وقال في الختام إن العرب صراصيرٌ يجب قتلهم وإبادتهم جميعاً.

الفصل الثاني والثلاثون

وقف الكاهن ليشع منقريوس بعد تنيح الكاهن يواقيم الصموائيلي
بثمانية شهور مستظلاً بتاج شجرة الطلح التي تشرف على مدخل
دير القديس بطرس، ينظر إلى ساحة الديناري من فوق سور الدير
الحجري، فيراها قلعةً حصينة تستعصي على أي جيش مُفِير، وقَارَنَ
بينها وبين الدير فوجدهما بمثابة المحيط والبحر، السماء والأرض.
موسى وما جاء من بعده من أنبياء بني إسرائيل، لم يهتم كثيراً في هذا
الوقت لتلك المقارنة التي ليس من ورائها طائل، ويعلوصوته الداخلي
فيردد الصمت الذي يغلف ما حوله فتلقفه النسمات التي تفلت من
فوق أكتاف الجبل الديناري وتطير بها إلى نهر النيل، ربما يعبر هذا
الصوت الهارب من جوفه الماء دون أن يعمد ليصل إلى أمه وهي
جالسة أمام بيتها في العواقي، وأطنان من الذباب تدوم حولها فتثقب
عينها لتخلصها من إغفاءات العجز وتقدم السن، لكنهما أغمضتا
تماماً منذ أن التحق بدير القديس بطرس.

- تتوق نفسك للذنوب والمعاصي بعد أن طهرتك الرب منها؟

حدثته نفعه عند متكأ الاعتراف وصفع وجهه فطار الذباب الذي
امتطى خاطرة تذكر فيها أمه، وعاد معها إلى الدير، ليعتقيق ولا يسمح
بصوت قديم يخرج من أعماقه فيعرضه لغضب الرب.

أول شيء أقدم عليه لكي يكفر عن ذنبه أن أمسك بالفأس وأنهك قواه
في حرك الحوض الغربي الذي يؤدي للمدخل الجنوبي للدير، وخرج
المرق مملحاً بالذنوب على جبينه، وسقى الحفر الصغيرة التي كانت

نؤخره في صفوف المراهقين في المرحلة الإعدادية، لكن تلك الثقوب نوارت خلفَ لحيتِه التي تقترب من خصلات نجيل تنسدل على التربة فتواري أغوارها وعبوبها، وحينما يخصفها المنجل تعلن عن عورتها فحمد الربُّ على نعمة الكهنوت، حينئذ وقف ليمسح العرق الذي كان قد سقى لحيتِه التي تخفي مراهقته التي خلُفت وراءها تلك الثقوب، ونظر للقبَّة ذات الزجاج الأزرق برسومات العشاء الأخير التي يعلوها الصليبُ المُعذب بحرارة الشمس، وجاءه نداءً نقي لا يشوبه صدى من جوف الدير :

- ليشع، يا خادمَ الرب...-

انقطع الصوت المقدس وكان صاحبه مات دون أن يكمل، أو أن الشياطين وسومتَ جميعها في آن واحد فكُونت حائطًا مطاطيًا هلاميًّا حجبَ بقية الكلام، والأقربُ لتصديق ليشع وقناعاته أن الشياطين قد تلاعبت بالكلام أثناء التَّفوه به فسقطت بعض الحروف في مقابر المذنبين التي تتوسطها شجرة العلقم الواقعة خلف غرفة الاعتراف، فألقى بالفأس وركضَ وقدماه مخضبتان بالتراب والطين نحو المدخل الشرقي للدير هائماً حتى وصل إلى تمثال العذراء ونظرَ إلى المجسم المعلاق ليسوع، لكنهما كانا صامتين خاشعين بفعل الصمت وهيئته، ثم جثا على ركبتيه رافعاً أكفَّ الضراعة، لكن مجسم يسوع كان ما يزال خاضعاً للآلام التي يكابدها فوق الصليب منذ أكثر من ألفي عام، وعيناه محذقتان في لا شيء، أو كان بهذا الفعل يُعلم تلاميذه من الحواريين الصبرَ والتجلد على الابتلاء، لكن ليشع لم يتعلم منه الصبرَ أو التجلد فراحت حدقتاه تدوران في معجريهما باحثتين في المجسم عن علامة تنبيه بأن الصوت صدر منه، لكن لم يفق المجسم

من آلامه بعدُ حتى يلتفت للكاهن ليشع الذي لم يؤمن حتى الآن بأن
كاهن الرب يهبُ نفسه لخدمته وينسى أبويه حتى ولو كانت العقاربُ
تنقر في عيني أمه وليس الذباب.

ساعتانٍ فضاها الكاهن ليشع راكعاً أمامَ مجسّم يسوعٍ منتظراً بقية
الحدث المقدس، ولم ينقذه من خَيْرته إلا عينا العذراءِ وابْتسامها
الداخلية فتشعر بطمأنينة ترفعه وعيناها معلقتان بعيني العذراء، ورجع
إلى الوراء يحني قامته، وأمسكُ بالهد الجديد وقرأ :

"إني أفيض روعي على كل بشر. فليتبا بنوكم وبناتكم ويحلم
شيوخكم أحلاماً، ويرى شبابكم رؤى، وعلى العبيد والإماء أيضاً
أفيض روعي في تلك الأيام."

رجع إلى البوابة الداخلية للدير، وقدماه ثقيلتان كأنه أراد أن يفر من
مصير مجهول لكن قدره يتشبث بقدميه. واطمأن قلبه قليلاً والمجسّم
والعذراء يتبعانه حتى سقطت عليه أشعة الشمس في الفناء الخارجي،
لم يستطع أن يحمل في خيالاته مجسّم يسوع ويخرج به لعين الشمس،
وإنما عاد للعمل في الحوض يحرق الأرض ويحرق أفكاره المتحجرة
وتكلمت الفأسُ بتهشيمها إلا حجراً جرانيتياً أسود استبصى على
الفضولاد وعلى الهمة المستقاة من العائلة المقدسة.

- لم يغفر لي الربُ خطيئتي بعد مرور عام كامل من خدمته، وترقيتُ
بمشيئته من راهبٍ إلى كاهن، ويعلم أنني طوال تلك السنوات أصومُ
وأصلي ودفنت ذنبي وخطيئتي بجوار الجدار الحجري.

سبق له النداء الكهنوتي وهو يقف تحت شجرة الطلح مولياً وجهه صوب
الجبل الغربي وكأنه يعترف لمجسّم يسوعي كبيرٍ يمتد من قمة الجبل

منى سفحه يتدلل له ويذوب فيه وينسحق تحت أقدامه فتسمو روحه،
وقلبه معلقٌ بالنداء الذي جاءه من بين يديه، وذهب ليفتسل ويتسربل
بثياب الكهنة، جاءه هاجسٌ خفي بأن القديس بطرس هو الذي ناداه
هاتجّه إلى غرفة القديس التي تقع خلف المجسم العملاق ليسوع.

الأنف الرفيع الرخامي، والعينان الهائمتان الزائغتان، والجبهة
العريضة التي تحمل همومًا قبطية تنوء بحملها أكتاف أقباط الأقصر
حميمهم وليس أقباط الدينارية فقط، هي نفسها ملامح القديس
بطرس وكأنه خرج من الصورة الكبيرة التي تتصدر غرفته.

وإذا حدثت ورأيت الكاهن ليشع منقريوس في ظلام الدير فسوف
بُحلك الخيال إلى أن القديس بطرس مَزَّق الصورة وخرج عن وقاره
وكاريزمته اليسوعية وعاد للحياة ليحكم الدير بنفسه.



القديس بطرس أصل وصورة، جسدٌ يقف أمام مرآة بدرجة نقاء ١٠
ميجايكسيل، كل منهما بناجي الآخر، قديسان يتنجسان فمن منهما
كان مرآة الآخر؟ ربما تقول إن الكاهن مرآة القديس، وربما ينتهك
خيالك أعراف البصر والبصيرة فتقول إن القديس مرآة الكاهن، على
أية حال فهما شخصيتان متطابقتان تمامًا، لكنني لست رجيماً كما
يدور بخلدك الآن حينما قلت إن القديس مرآة الكاهن، وتبريري يغند
خاطرتك الرجيمة حينما أوردت لك أن الكاهن تمنى لو كان هو القديس
بطرس يتنعم بصحبة يسوع في الدنيا ويستلذ معه الآن بأطاييب الجنة.

نباتٌ لبلاب يتناول فيلتف حول نفسه فيقوي ذاته، ذاب الكاهن في
كهنوت القديس المقدّس ذي العزيمة المرسل من لدن يسوع يتجسد

في أجساد الخاشعين من القبط، التحمّ القديس في الكاهن الضعيف
الواهن يستقي منه ورعَه ومَناعته الجسمانية النورانية، صارَ ليشع
بطرسَ جديداً مبعوثاً من بيت لحم فيرثقي كلامه حتى يصيح إنجيلاً
خامساً يهدي به الضالين، وتحدث الكاهن البطرسي بلسان القديس
بطرس اللبشعي حتى ربت يسوع بيده عليهما وخرًا جائمين يوقران
المجسمَ المعلق بعد تخلصه من قيد الصليب، والدماء تتقاطر فوق
بلاط مسيحي مضفر بصليبان خشبية مزجت بمكونات اسمنتية وكسور
جرانيتية، فأضفت عليها قداسة تغلب أعين الداخلين لفناء الدير
فتجعل أعناقهم ممطوطة ورؤوسهم منكسة يتخيل المجسم اليسوعي
أنهم حينئذ خاشعون لرؤيته ومخلصون لآلامه فيتحمل أن يظل مصلوباً
حتى يأتي دوره الأخير فيتخلص بعد آلاف القرون من صليبه المحتوم،
ويجثم بطرس الرسول عند قدميه يغسل جسده بماء لعمه يوحنا
المعمدان، ويظهر جروح جسده الأزلية ويلقي عليه عباءة أنت بها
الملائكة من عليين ليقوم قيامته الأخرى.

- أبت، تقدستَ وقدسستك قداسة يسوع المقدس، مر عامٌ
كامل منذ أن قابلتك أو قابلتني إذا تأدبتُ في الحديث معكم، فمنذ أن
رأيتُ قداستك عندما ترهينتُ في الدير وأنت تمسك بمفاتيح الملكوت
ترشدني، وها أنت تتجلى لي تطمئنني وتمدني كلماتك كل صباح
عند بركة الأتقياء، واعذرني على نعيبي فلم أصدق أن الرب رضي
عني وكافاني برؤياك، ويسوع المسيح يتخلى عن صليبه وآلامه ويأتي
ليباركنا.

ما هذا النعيم الرباني الذي أوتيته؟

كانت هذه هي الليلة الثانية التي يتجلى فيها القديس بطرس للكاهن

بمع ليطمئننه ويشع قلبه نورًا وضياءً وبركات الغفران والتسامح بعد
الافتراق ذنبًا تزلزل الدير بسببه، وطوال العام لم يغب عن مخيلته
أدب التحاقه بالدير المضمخ بالدماء.



أمة ضخمة مكعوم هو وجه البلم أو البليمي إن كنت كصفار القرية أو
سين الربالي إن كنت متصوفًا وتخشي على صوفيتك إن نعته بالبليمي،
أرأس صخرة فوق قمة جبل انحدرت فأصبحت تسع شيئًا فشيئًا ثم
سبق حتى تقابل قمة أخرى، وما بين القمتين العينان اللتان رسمهما
مائل صغير هُما أول ما يرسم عبارة عن خطين دقيقين أسفلهما أنف
كاد لا يبين بين وجنتيه العفيتين، وشفتان صغيرتان يسيطر على
منظرهما ذقن طويل كأنه تمثال فرعوني لطفل انتهى النحات لتوه منه
وكان يعيش في عصر إخفان، وعندما شاهد الكهان نعتوه بالزندقة
فأمسك كبير الكهنة التمثال وألقى به من فوق جرف هار فوق على
سخور متدرجة فأعملت آثارها على وجهه وجمجمته ورأسه فأصبح
الوجه مكعومًا.

كانت الذاكرة في بعض الأحيان تلقف هذا التهرؤ في مخارج الحروف
والاعتواز في ماهية الجمل المضيدة وتحاول إعادة تشكيلها بتكرار
الجمل والكلمات على نحو صحيح، لكنها كانت تشمل كثيرًا في ضبط
إيقاعها أو إيقافها حتى تعيد الشفتان تشكيلها بصورة صحيحة إن
استطاعت!

هذا القطار الذي كان مكدسًا برُكَّاب الدرجة الثالثة قبل أن يدنو
من عينيه أصدر نفيًا تردد صداه في قرنيته فتكوّنت دوامات صوتية
عاصفة تجتاح مرمى البصر، شعر بتمزق شديد في قرنيته جراء

النفير الشديد، على الرغم من إغماض عينيه فقد كان هذا التمرد
وشيك الحدوث بشكل أو بآخر، فالنفير لم يمزق الغلاف الجوي الذي
يحمي مرمى بصره فحسب بل يمزق مقلتيه حتى ولو غلفتها صحانه
فولاذية نووية. شعر بزلزال شديد يجتاح مقلتيه، ترتمي في برا
الدموع الجثث المحترقة التي تلقى من نوافذ القطار فتقبرها مقلتا
تسمعان شيئاً فشيئاً على الرغم من حالة الفرع التي تضيق بسببها كل
الحواس. فطفت من أعماقها دموع بترولية ممزوجة بدماء الضحايا
بللت أهداب عينيه.

فما يزال جفناه يرفرفان جزعاً وارتعاشاً، يتوسلان للقاهر فوق عباءة
برد قضائه.

جرفتها مقدمة القطار.

خرجت أكاليل الصمت في هذا الصباح من عباءة برد الليل الكثيف
الطويل، فتلونت بلون الشمس الذهبية، ينقر في نسيجه زقزقة
العصافير لتحقق أحلامها التي ظلت منذ غروب الشمس في اليوم
السابق تتوالى على فوهات الأعشاش فتصير شاشات سوداء تنقل
لهذه العصافير الدؤوبة ما لم تحققه بتحليتها فوق الأشجار وأسلاك
الكهرباء وأجران القمح والذرة، وأحلام أخرى لم تبج بها لمن حولها
من الطيور، فقد تعلمت الطيور أن تحسد ما يترأى من أحلام للبعض
منها. وكذلك صباح الديوك البعيدة التي تجدد استيقاظها بشكل
متوالي حتى تفوز بمغانم الدنيا، بصيحات محشوة برسائل غامضة
توجهها في كل اتجاه، تلك الديوك ما تزال متوهمة بأن الصباح لم
ينظر في المدينة الشرقية بمعامله اليومية بكل ما أوتي من عنفوان.
هذا الصباح يتمنى في قرارة نفسه أن يستريح هذا اليوم، ويركن إلى

الراحة بدون أن يسطو الليل بنوبته فيسود الظلام. أن يكون الكون في
 حالة اللانهار واللاليل. تلك الحالة الكونية الفريدة من نوعها، فالليل
 النهار تشابهت فيهما الأفعال، فتائم الليل ينام النهار ويسهر بالليل،
 يمارق الليل يغمض أجفانه بالنهار. محرمات الليل يشهد عليها النهار
 وقرأ عليها تراويل دينية محشوة بهزات وارتعاشات وربما يباركها.

الاهل يتحول إلى نهار لتدور رحي الحروب وتشتعل لتسفك الدماء ويزيد
 عدد القتلى، وتنفجر القنابل المزروعة في السيارات أو في خصور
 المنتحرين، أو برصاص أبناء الزناة الذين يكفرون عما فعله آباؤهم
 المطلجة من قتل المسالمين من البشر وأزواج العجائز من الأجنبيات
 الذين يرسلون أمهاتهم لأداء فريضة العمرة بأموال عرق الورك
 المحرمة، الليل لم يعد يتفرد بالسكون بل أصبح فاجراً كفجر النهار،
 وقف الأرض عن دورانها وتقف في النقطة الفاصلة بين أشعة الشمس
 وسياء القمر، هذه النقطة الهلامية أو النظرية التي لم يكتشفها العلماء
 من الآن هي نقطة الغوث. الغوث من مصائب الليل قبل مصائب
 النهار. كان النوم قديماً يعتبر طليعة هذه الحالة، فينفصل النائم عما
 نهذه من أهوال النهار وما لقيه قبل أن يندفع برغبته إلى هلام النوم.
 ابن النائم على مر العصور ربما واجه مصائب أكثر مما يلقاها وهو
 مستيقظ، فربما يسقط عليه سقف الغرفة وتتوالى على جسده الأدوار
 العليا من المنزل المنهار، أو السطو المسلح، أو صرخات آلام محيطه
 هوعى أو خائفين من وجوه قذرة تهددهم.

الفقراء المعدمون الذين فقدوا إنسانيتهم واتخذوا من الدنيا ساحة
 رال من أجل الطعام بأي سبيل حتى ولو كان إرهاب الآخرين، وكذلك
 لطفاء شهواتهم حتى ولو كانت النساء تضع قدمها في الدنيا والأخرى

في القبر، وسدّوا كل السبيل أمام الطبقة المتوسطة أن تعيش حياتها كما قال الحكماء "لكل مجتهد نصيب"، والأغنياء الذين امتصّوا دماء الطبقة المتوسطة أيضاً فلم يعد لديهم مستقبل يرجونه أو حاسة يعيشونه، ويسمع النائم أيضاً الصرخات المحشوة باللذة التي لا تستطع النساء كبتها.

احتفى الليل بالمرضى والامهم.

حالة "اللاتعاقب" توقّف طموح النهار الجارف ونزوات الالها الشيطانية. السكون هو وعاءها، والصمت دستورها. هكذا كان يتمز في قرارة نفسه أن يتوقف الكون فتسود هذه الحالة وينعم بها بنو البشر بصمت الجنون، لا يكلم بشري بشرياً، فيسبح كل امرئ بعالمه. أ. يعيد البشر تاريخهم، وأن تمحى من جيناتهم الجريمة الكبرى، جربه، قابيل مع هابيل، فيسود سلام حتى يوم الدين.

وانتصر الليل على النهار بفتة قديمة من البشر تشهد بأن الليل يضار، في سطوته سطوة النهار الذي يفخر بأنه أولى بالفوز بحب بشر وبكراهية بشر آخرين.

صل الثالث والثلاثون

وم صيفي فائظ خرج البليمي متسللاً من المنزل كأنه مشدودٌ بلجامٍ ،
يُميل برأسه للأمام وتدفع قدماه خلفه مهرولتين ومهترتتين ،
لخطوه اتزانٌ أو اتجاه، فراح يطوف في نجوع الدينارية تارةً
ثم وتارةً لليمين وتارةً أخرى يستدير فجأةً ويمود للوراء، وكان
أه هو الاستقامة التي تؤدي للأمام، والشمس بعنفوانها تنخر في
يا دماغه فيضحك باستمرار ثم ينقلب الضحك فيصبح بكاءً
رأياً، حتى وصل إلى شجرة دير القديس بطرس وجد الباب موارباً
لِ مشفوطاً للداخل، حفته سكيناً جعلته يتوقف وينظر إلى الجدران
نية وإلى برج الدير الذي ينتهي بصليب معدني كبير، ثم إلى صورة
ثلة المقدسة التي تتصدر المدخل، ولما دق الجرس أصيب بذعر
ه ينتفض ويتراجع للوراء حتى اصطدم بشجرة الطلح واحتسب بها
يضرب رأسه كأنما يريد أن يخلص نفسه من عذاب أليم، فلجأ
جرة يعترف لها بما اقترفه طوال حياته.

رأسه مستندةً إلى الشجرة وقتاً طويلاً ولما أفاق عاودته الرجّة
يفة فراح يميل وينفض رأسه، وكلما يحاول القبض على أذنيه تنفر
تاه وكأنه مشدودٌ لطرفين متضادين وفي نفس الوقت تدك قدماه
خس.

ن مصرحاً لي بالتدخل في تلك الحالات فأنا ساردٌ ولا أستطيع
نرابٍ من موقع عمل إخوتي وأبي المعظم.

هذا سردٌ جديدٌ أبوح به في سردي المنقلت، نَعَمْ لا أستطيع الاقتراب. وإذا فعلتُ فيُصب عليّ قطرانٌ يفلي تنصهر معه أعضائي ولا أستطيع أن أكمل لكم سردكم، وعلى أية حال فليست هذه هي المرة الأولى التي يحدث مع البليمي ما حدث عند شجرة الطلح.

في البداية عندما كان البليمي يهيم في الوادي قاده شقيق لي جاء من بعدي بعشرين مليون جيل، أوكل إليه شأن البليمي، وحينما رآه وقد كان شقيقي متجهاً إلى نجع التفاربع ليرسم عملية لواط جديدة بين رجلين مثليين من فقراء النجع، فأثر أن يتخلى عنها لأن مقوماتها كانت متاحة للطرفين وكلاهما يرغب في الآخر، ويتقدم نحو المكوم، فأشار إليه بدجاجة مشوية قاده بها إلى دير القديس بطرس.

ولمّا دخل الدير اختفى أخي ولم يعد يراه، ثم جاء أخي بزمرة من إخوتي الصغار يُعلمهم كيف يدخلون رأس المكوم ويتقافزون فيها، ثم يصفرون في أذنيه فيصرخ ويتلوى من كثرة الأعداد التي تدخل وتخرج منه.

خرج الكاهن يواقيم الصموثيلي في تلك الأثناء فرأى البليمي ساكناً وأمسكه بيده وتقدمه إلى داخل الدير، وآتاه بماء بارد وربت على كتفه، ولمّا دخل الكاهن صومعته راح البليمي يتجول في الدير ورأى بعض الرهبان وهم يتدربون على ترانيم سيقومون بها يوم عيد الغطاس، وآخرين يمسحون الأتربة التي تتطاير على المجسمات اليسوعية، ورأى المجسم اليسوعي العملاق وتمثل به واقفاً ومائلاً برأسه، وظل لعشرة أيام ألقى عليه شبه يسوع وطار في طرقات القرية كأنه يسوع خرج من مجسمه يبشر بنفسه من لم يلحق به التبشير.

هذا الصباح يشرق منذ نشأة الكون، وإذا لم تكتب له الراحة فعدم

المراقه يمنح المعذيين من بني البشر الراحة. ربما حيل بينه وبين بني
الشر في بعض الأيام بسبب تلك السُحُب في عبورها السماء.



ساعتان وقفتها أم البُلَيْمي عند الباب بعد حادث دخوله دير القديس
مطرس وتعذيبه في ساحة الديتاري، تنتظر بأن يأذن لها بالدخول
شيراً بإصبعه أو بإغماض عينيه، فتفتح الباب على الفور. هي لا
انتظر أو تطمع في أكثر من ذلك، يكفيها أن يشير بإصبعه الصغير.
مرف تماماً أنه حتى الإشارة بإصبعه الصغير يمثل لها مستحيلاً من
الاف المستحيالات التي يتعايش معها. لم تجرؤ أن تنظر من خلال ثقب
الهاب مثلما كانت تفعل منذ خمس سنوات، لأنه قام بحشوه بورق يظل
ساعة كل ليلة يكتب فيه كلاماً ناقصاً. لذلك لم تعرف أمه قدر المعاناة
التي تكبدها في تحريك أطرافه، وكذلك الوقت الذي استغرقه. وقفت
مثلما كانت تقف بالساعات تنتظر هذه الإشارة، أو حتى مواءه المكتوم،
وفي نفس الوقت لا تريد أن تكرر المأساة التي حدثت له ولها عندما كان
في الخامسة عشرة من عمره. بعدها أقسمت في نفسها ولأبيه الشيخ
الربالي بأنها سوف تنتظره حتى ولو قضت يوماً كاملاً أمام الباب. ولم
نسا أن تحرك هذا الحاجز الورقي الواهن الذي يحجب عنها ابنها،
وأصوات واهنة تصدر من الأعماق وترتفع شيئاً فشيئاً، وتحمل في
جعبتها الكثير من الآلام.

- نعم، طرقت على الباب، مرت ساعتان ونصف وأنا أفق
منتظرة إذناً بأن أدخل إليه. إن كان لا يستطيع الكلام فيمكنني أن آتية
بالطعام، ولن نتحدث، أعده بذلك. لم أنم هذه الليلة. يا ربّي. كيف
أحتمل كل هذا العذاب؟ وأنا في الغرفة المجاورة لغرفته؟

قالت أمه وهي تذرف دموعاً منفلتة.

شهدَ هذا الثقب عشرات العرات من التلصص والمراقبة. ربما كانت السنوات التي عاشها داخل هذه الغرفة تُشكل مذهباً جديداً في الاعتكاف، البعد عن مخالطة الناس والاستماع إلى ثرثراتهم، تقبل الفجوات التي تزيد كلما اتصل بهم. هل شعر بأنه وحيدٌ يستلذ بها، أو ينفرد بنفسه؟ ومن حقه الإنسانى أن يتنفس دون أن يقلِّقه أحد.

كان البليمي يأكل ويمشي في طرقات يعرفها تماماً، وينام حينما يشعر بالتعب والإنهاك، وهذا ما يؤكد أن المجنون لا يفقد عقله تماماً مثل جهاز كمبيوتر يُصاب بالعطب وتظل فيه شريحة اليكترونية صالحه لم تفسد، تلك الشريحة هي التي تجعل البليمي على قيد الحياة مثله مثل بقية المجانين، وتلك الشريحة الاليكترونية التي ما تزال باقية فيه ألحقتة بالحضرة الدينارية بالقدر الذي يجعل العريد فيها مبتدئاً لا يرتقي فيها سلماً أو درجة أعلى، على الرغم من أن هناك شعرة تفصل ما بين الصوفية والجنون يقترب بها المریدون من البليمي ويقترروا بها البليمي من المریدين، الصوفية والجنون وجهان لعملة واحدة، عبارة قالها الديناري (الجد) ولم يفهمها مریدوه أو لم يجتهدوا في تفسيرها، وربما فهمها الشيخ عبد الخالق الربالي حينما كان بعض المریدين يخرجون من الحضرة وعقولهم مبدولة تماماً فيسوقهم النقباء للساحة الأولى في الخلف يعاقرون الصوفية والجنون معاً، وفهمها أيضاً حينما بدأ ابنه البليمي يذهب معه للساحة ويندمج مع الذاكرين.

منذ ولادته كان البليمي مختلفاً، شكله ليس كشكل الآخرين. هي البداية

ان ينفر من أمه عندما كانت تخبئه في حضنها عن الآخرين، كان يحاول جاهداً أن ينفذ من بين ذراعيها لكن كانت هذه المحاولات تبوء بالفشل حتى رأى نفورَ الناس منه وأدرك بأن كلامه وحركاته ومشيته منفلة كغبار تدفعه الرياح في يوم ربيعي أمامها في اتجاه معين فينفلت من أحضانها فيتطاير هنا وهناك.



- جاءني طالبٌ من مدرسة الأقصر الثانوية التجارية اسمه أمجد ظريف وأبلغني أنه رأى زميلاً له يدخل مسجد "أبو الحجاج" في البداية ظن أنه سيدخل معبد الأقصر، لكن ليس للمعبد مدخل من خلال المسجد على الرغم من أنه يحتضنه، وقد قطعت أسنة الشك بسيف اليقين حينما تنكرت وأنا كاره مكره لِمَا أنا مُقدم عليه في جلباب رجل مسلم، ولكن ليفخر لي قداسة الأسقف هذا الفعل، فللضرورة مبررات تُبيحها كما للصوم رخصة تبيح الإفطار، وعانيت بعين القديس بطرس جدران المسجد وتأكدت أن المسجد لا يُفسي إلى المعبد.

قال الكاهن يواقيم الصموثيلي قبل الندوة التحضيرية لحوار الأديان بشهرين للأسقف ميخائيل المحرق في زيارة عاجلة لتجع حمادي لم تستغرق سوى الساعات المعلقة في ذيل النهار، بعدها عاد للدينارية وفي نفس الليلة سمع بحادث مقتل العائلة القبطية.

حينما اتكأت عند تمثالي ممنون ذات صباح أفكر في السبب الحقيقي للفتن فوجدت أن السبب هو المجتمعات المنغلقة التي تنأى بفكرها وطقوسها وشماثرها فإنها تضع لنفسها إطاراً محدداً لعلاقتها مع العالم الخارجي الذي ربما لا يبعد عنها كثيراً، تلك المجتمعات تكرر

لفكر تحريضي ضد الآخرين وتصوّر لأفرادها أن كل من هم دونهم كُفَّارٌ، وتعدّ العدّة لحروب محتفلة مع تلك المجتمعات، وكانت إحدى تلك المجتمعات مجتمع أقباط الأقصر الذين كانوا يبحثون دائماً عن مكان ما يجمعهم، وعلى الرغم من فشل بعض المحاولات فقد كان أولى محاولاتهم بالخروج من الأقصر إلى الحبيل تلك الأرض البكر الجديدة والبعيدة نسبياً عن موطن الاضطهاد، والتي تشبه المكان الذي وصلت إليه العائلة المقدسة في قرية درنكة بأسبوط، لكن الرهبان فوجئوا بأن ذلك المكان يعتبر مهد البلطجة ويقطنه أباطرة تجار الحشيش، كما يلجأ إليه المارقون عن القانون واللصوص، كان في طليعة المرسلين لتقصي صلاحية تلك الأماكن رهبان من الدير، ودرس هؤلاء الرهبان الخروج إلى الزينية لكنهم وجدوا أنهم سيصطدمون بعائلات كبيرة متشعبة تُعتبر أيضاً مجتمعات منغلقة، وكذلك البياضية التي وعدهم كبير عائلة البقاقرة أنه سيبيع لهم أرضاً ليس لها حدود ليقموا عليها مجتمعهم المسيحي النقي، إلا أنهم وجدوا أن مجتمعهم سيتدنّى به الحال إذا قطنوا تلك الأرض، ولولا رؤية الأنبا بلامون لظل الأقباط حتى هذا اليوم دون مجتمع، ولظلوا مشتتين في القرى والنجوع يتضرعون لصد هجمات المسلمين واليهود المتوالية.

بعد الاحتفال بعيد القيامة ظل الكاهن ليثع منقريوس واقفاً تحت شجرة الطلح وقتاً طويلاً، وأوراقها تداعبها نسمات ليلية فارة من حرارة كامنة في بطن الجبل والوادي، وسمع همس المصافير في أعشاشها قلقة مستجيبة لقلق الكاهن، لكنه أثار الدخول يحاول انتشال أفكاره التي علقت بأوراق الشجرة إلى غرفة النذور، وهناك بجوار الخزينة الكبيرة وجد صندوقاً خشبياً مغطى بقطعة قماش بيضاء وبدا

من بعيد وكأنه إناء مصنوع من البامبو ومعبأً بخبز للتناول المقدس،
إن المدقق سيجد أن خبز التناول المقدس موضوع في أقصى ركن
من الغرفة، بينما الخزينة قريبة من الباب، وحينما رفع قطعة القماش
وجد الصندوق المستطيل وخشبه قديم جداً وبسط راحته يتحسس
الصندوق وكأنه كان يبحث عنه منذ يوم تصيبه كاهناً للدير خلفاً
المكاهن يواقيم الصموثيلي الذي تتيح بعد صراع طويل مع سرطان
البروستاتا.

حينما فتحه وجد نسخة قديمة من الإنجيل، ونسخاً من العهد القديم.
ومخطوطات للكتاب المقدس، ومخطوط التناخ (الكتاب العبري
المقدس) ونسخة من القرآن الكريم، ومخطوطة من سفر أشعيا
وسفر استير، ومخطوطة القاهرة cairo codex التي كانت في
معبد موسى الدرعي لليهود القرائين بالعباسية بالقاهرة وتشمل
كتابات الأنبياء، ومخطوطة ليننجراد التي تعتبر أقدم مخطوطة كاملة،
ومستندات قديمة جداً عليها خاتم الدير وأخرى عليها خاتم الكنيسة
الأرثوذكسية وأسفلها مستند خاص بالكنيسة الإنجيلية، كانت بعض من
تلك المستندات عبارة عن مكاتبات ورقية قديمة، وأخرى اليكترونية
مطبوعة، وصور مرسلة بالفاكس وأخرى بالإيميل وبالواتس أب، بين
الكهّان بخصوص شؤون الأقباط العامة بغض النظر عن اختلاف
الطوائف، وأخرى عن اشتعال الطائفية في بعض نجوع الدينارية دون
الأخرى، ويلحق بها استمارة استبيان مملأها كهّان ورهبان ووقع عليها
الأسقف توضح مداها، وهل تحتاج لسرعة اتخاذ قرار غير نمطي مثل
حشد كل القوى الوطنية لواد الفتنة أو إطفائها؟ ومستندات تحتوي على
أسماء بعض الأقباط الذين تحولوا إلى الإسلام، وآخرين يشكون في

تصرفاتهم ويحتمل أنهم يعدون العدة للتحول، وهناك مستندات تظهر
الخلافاً التي اشتدت في وقت من الأوقات بين الطائفتين.

من بين تلك المستندات وثيقة مهمة جداً ملفوفة ومربوطة بشراب.
أسود صدرت عن الأنبا بلامون، والتي كانت موجهة إلى عموم الأديرة
والكنائس من نجع حمادى إلى إسنا. حينما فُض الوثيقة كانت الورقة
صفراء كأنها فناءً مستطيل وُضِع عليه بلاط أصفر غير محكم، فبعض
الأجزاء تجد البلاط ملتصقاً وكأنه وحدة واحدة، لكن في بعض الأجزاء
وكان كل بلاطة تنفر من وجودها بجوار الأخرى فإما مرتفعة قليلاً عن
جارتها، أو تميل إلى جانب آخر من الجوانب، لكن العبر الذي كُتبت
به تلك الوثيقة كان زاهياً وكأنه استخدم حديثاً على ورقة قديمة من
الكتاب المقدس وبهت لونها، وكانت الكتابة منمقة كُتبت فناناً إيطالي
بريشته التي لا تبتدع سوى الروائع، تفوح منها رائحة قديس متبجح
رشوا جنماته بعطر فواح، وحينما يقترب منه الحاضرون يظنون أن
تلك الرائحة رائحته بعد أن تبيح. التاريخ الذي كُتبت فيه تلك الوثيقة
مهتريء، نسيب أن أقول إن حواف الورقة مهترئة وكأنها وقعت بين
فريقين راح كل فريق يشد طرفاً وحينما نبه الحكماء إلى أهمية الورقة
تركوها وخاف كل منهما أن يحملها لكن آثار حماقتهمما ظلت تلازمها
وقد طالت تلك حماقة التاريخ لأنه في أعلى الوثيقة، لكنك إذا رأيتها
بنفسك فربما تقول إنها مكتوبة في عهد القديس بطرس أو في العصر
الذي استيقظ فيه أهل الكهف، على أية حال التاريخ ليس مهماً بالنسبة
لمضمون الوثيقة. اعتدل الكاهن ليشع منقريوس يخفض جناح الدل
يستزله من علياء الرحمة وهو يمسك الورقة :

”أيها الأقباط الذين يخضعون لنيافتي من نجع حمادى إلى إسنا، لقد

هدى الربُّ ما عانيتموه من عَنَتٍ وظلمٍ واضطهادٍ، وقدَّمتم الخدَّ الأيمنَ
الأسيرَ والعنقَ، ولكن الصلَافَةَ أصيَلَةً في هؤلاء اليهود والمسلمين،
انظرتُم أمرَ الربِّ في أن يطيحَ هؤلاء الظلَّمة الفَجْرة لكن الربُّ
مكَيِّمٌ وغالبٌ في أمره ويدخِره ليومٍ آخرَ تشخَّصُ فيه الأبصارُ.

الفصل الرابع والثلاثون

"ولقد أتاني إحياءٌ من الرب بأن تخرجوا كما خرج موسى بقوة من ظلم الفرعون واضطهاده، وعثر لكم الرهبان على موطن آخر تهاجرون إليه وتعبدون فيه الرب دون نزع من الشيطان أو من بني البشر من المسلمين واليهود. الأسبوع القادم يبدأ خروج أول فوج من الأقباط ولمدة عامين متتاليين في خمس مراحل.

وفي نهاية العامين نحتفل معاً بتكوين مجتمع قبطي واحد قوامه دين واحد ونسيج متكامل."

حينما فرغ الكاهن ليشع منقريوس من قراءة الوثيقة غرق في صمت طويل كسباح ماهر جاب كل البحار، وفجأة وجد نفسه حائراً في بحر جديد يحتاج منه أن يتعلم السباحة من جديد حتى لا يفرق وتضيع منه خبراته القديمة التي لا تساوي شيئاً أمام البحر الجديد الذي يفتح له أحضانه.



كان الأسقف ميخائيل المحرقي يُصنفي باهتمام للكاهن يواقيم الصموائيلي لما جاءه بأمر الفتى المارق الذي هاجر من المسيحية إلى الإسلام بعد هجرة عائلته إلى المواقى بعشرين عاماً، ويعيش بلحيته وكأنه يستدر منها العمق في الإنصات، وقد تعلم من الأساقفة الأوائل ألا يقاطع من هم دونه قيمة ومقاماً، وتعلم على أيدي البطارقة السابقين أن حسن الاستماع من شيم القديسين، وذاع صيت الأسقف

مهخائيل بين الرهبان والكهّان الذين يرأسهم بأنه طيب القلب ولا يؤنب أحدهم إذا أخطأ، ولكنه يتلفح برداء التواضع إذا جاء أحدهم في حضرته ليتعلم، وشبّهه الرهبان بالشهيد أبوليدس !لبطيريك الرومي بسبب الشبه الشديد بينهما وتفاعله معهم. كانت سماحة وجه الأسقف باعنا لأن يكمل الكاهن يواقيم :

" رأيتُ بنفسِي وبعين القديس بطرس أن ما قاله ابننا أمجد ظريف حقيقي، ورأيتُ وليتني صُلبتُ مكان يسوع المسيح لو كنتُ كاذبًا ابننا المارق من دينه متى الضبعاوي يصلي صلاة المسلمين في مسجد " أبو الحجاج " ، وناذى عليه صديقه المسلم بعد أن فرغ من الصلاة باسم عمّر عبد النبي، وليتني مارأيته فشمرتُ حينئذ بأن الأرض تدور وتتأمر ضدي كي تبتلعني، ونزلتُ سريعًا خائفًا على سلالم المسجد، وكادت قدماي تتعرقلان في المجاذيب الذين يتقاطرون عند سماحة " أبو الحجاج "



- سببها وشاية أبلغها طالب مسيحي اسمه أمجد ظريف.

قال الديناري وهو يعتدل في جلسته معلنا عن استيائه لما حدث، وصمّت وظن الحاضرون أنه لن يتحدث بعد ذلك أبدًا، وظنوا أن روحه فاضت لبارئها كما حدث مع الديناري (الجّد) الذي ظل جالسًا طوال الحضرة والذاكرون يتمايلون يمينًا ويسارًا يسبحون في تيه صوفي مع شيخهم قائد الأوركسترا. سمع الديناري بأمر متى الضبعاوي بعد التحاق أمجد ظريف بالدير وتغيّر اسمه إلى الراهب ليشع منقريوس بشهرين في نفس اليوم الذي رأى فيه أهافا ليمارجي عنده في الساحة وكان

الحدثان كبيرين لدرجة أن الديناري ربطاً بين الحدثين على الرغم من عدم وجود رابط، وظن أن زيارة أهافا ليست إلا مُسَكَّنًا لفجعية زلزال الدينارية كلها، ولمَّا قُتِنَ بها أدرك أن أهافا ليست مُسَكَّنًا فحسب بل هي مضاد حيوي سريع المفعول، وهذا هو قيمة الجمال في قرية تصحو كل يوم على كارثة جديدة.

- الديانات لا ينتقص من قدرها كُفْرُ بعض الأفراد بها، ولا يزيد من كيانها انضمام الآخرين إليها.

قال الديناري وهو يعيد لف شاشه الأبيض المنقلت حول الشاش الآخر بعد أن تطهر من افتتانه بأهافا، وصارت كجرح أصاب عابر سبيل وتلذذ بألمه، وحينما أدرك خطورة بقاءه اتخذ خطوات نفسية لمعالجة، وراح كل يوم يطهره حتى اندمل تماماً على الرغم من وجود آثار شاهدة عليه تذكره كل حين بذلك الجرح مباشرة بعد أن يفرغ من العضة وكلما اختلى بنفسه يحاول صدُّ الافتتان الفارق فيه بتحريمه.

كان الفارق في الجمال منذ خمسين عاماً بين المسلمات والمسيحيات كالفارق بين النساء اللاتي يظهرن في أفلام على الكسار وأفلام نجيب، الريحاني من ناحية وأفلام حسين فهمي من ناحية أخرى، أو بين أفلام الأبيض والأسود وأفلام الألوان، لكن هذا الفارق الشاسع ضاق إلى حد ما في السنوات الأخيرة فكاد الفارق بينهن مثل الفارق الذي يظهر في فرقة رقص للفنون الشعبية فتكون البطلة دائماً مسيحية لأنها من المهم أن تكون جميلة، بينما يتراوح الجمال بين بقية الراقصات بين الأربعين في المائة والسبعين.

وعلى الرغم من ارتفاع معدلات الجمال في الدينارية فإن جمال أهافا

نصل إليه أي فتاة سواءً أكانت مسلمة أم قبطية، لدرجة أن الأفتدة تتهفو إليها حينما تمشي في الطرقات، فجَمالُها يتمتع بعنصر نناطيسية، وكان عاصم الديناري ذلك القضيب الحديدي الذي به المغناطيس، ربما لأنه كان أول قضيب حديدي يصادف ذلك نناطيس، أو لأن القطبين لا بُدَّ أن يكون أحدهما موجباً والآخر سالباً لذا بديهى في كل الأشياء) أو لأن جمالها لا يستحقه إلا ذو شأن يم، وربما كان هناك سببٌ عجزٌ عن معرفته، لكنني سوف أعرفه منه في سردى المنفلت العجيب.



نأتي الذكريات للشياطين كل مليون عام، وتترأى أحداثها كأنك ما أمامك، والأكثر من ذلك ترى نفسك حينما كنت مندمجاً فيها، العكس من ذكريات بني البشر التي تُفعل تلقائياً كل يوم أو شهر نام، والإنسان لا يرى نفسه فيها وكان قوةً خارجية انتزعته منها أو نطت دوره منها، وحينما تُعرض أمامه لا يرى نفسه مشتركاً فيها، تقر لديه يقينٌ أنه لم يكن إحدى شخصياتها على الرغم من أنه بطلها، ولذلك تتحرق نفسه بسبب إخفاقاته التي مر بها ويتمنى لو ز في متونها ويحقق شيئاً آخر فيها، وكما كان إخفاقه فيها ممكناً نيقة بات أمر رجوعه إليها مستحيلاً وزيفاً.

ن الذكريات في عالم الشياطين تختلف تماماً، فأنت ترى نفسك ناً رئيسياً من مكوناتها، وعنصرًا فاعلاً فيها، وكلما تروح وتجيء د إيمانك بأن ما تراه لا يمكن أن يكون غير ذلك، ولا يعترينا الأسى ب إخفاق ما لأننا لا نخفق في تحقيق أهدافنا، ولكن الشيء المرير

في تلك الذكريات هو الفخر والتباهي بتحقيق تلك الأهداف، فذاع
مرة ساورتني ذكرياتُ القضاء على ثلثة من الجان، فوجدتُ نفسي أنته
وكل أعضاءي تتمدد، وأرى على بُعد ألفي كيلو متر وبلغ طولي سُجُداً
قطبيةً متجهةً إلى الشمال، واصطدمتُ بوجهي فتقاطرتُ منها أمطاراً
نزلتُ زخات متوالية، والأمانة تقتضي أن أقول بأنني رغبتُ كثيراً
قتل أعدائي جُملةً وأحدة، أو أنني أتغلى عن عملي الوسواسي لقتلهم
واحدًا تلو الآخر، والقتل عندنا مباح، والمشكلة التي أرقتني كثيراً
توبيتي المفاجئة فكيف أقتل ثم أتوب؟ الغريب الذي وجدته عند البشر
هو المؤامرات التي يُحكيونها للتخلص من بعضهم البعض، ويات جازاً
أمامي كثيراً في قرية الدينارية.

وفي عصر الدينارية الأولى حدثَ قتالٌ عنيف بين القرى بسبب تشابه
قضايا الثأر، وكانت الدينارية من تلك القرى التي خاضت قتالاً استمر
لسنوات بين العائلات، أمضى الكثيرون من المتناحرين سنوات في
السجون، وحمل الكثيرون أكفانهم لقطع متوالية الثأر، وبذل الديناري
(الجَد) جهداً غير عادي في وقف نزيف الدم وجاء من بعده الديناري
(الأب) الذي كان له دورٌ كبير في متابعة الجدول الزمني الذي وضعه
الديناري الأول للقضاء على قضية الثأر، وأضاف إليها الأعمال الخيرية
التي أسندها للناس حتى ينشغلوا بأمورٍ أخرى غير الثأر الذي قضى
على مستقبل الكثيرين من شباب القرى المحيطة، ما لبث الهدوء
الذي أعقب وقف التطور الدموي للثأر أن يهنأ به الناس في الدينار
حتى نشبت معركة من نوع آخر إثر خلاف بين المسلمين والأقباط بدأ
في سوق البهائم وانتهى على مشارف القرية بمقتل شابٍ مسلمٍ وآخر
قبطي.

أعرف إذا كانت الأحداث تُساق إلى أم أنتى أذهب إليها طوعاً فأراها،
لأنها على الأرجح تتجسد أمامي كحلم يكتمل حدثه مع شخصيه، ولكن
بما لا يكون ثمة رابط بينهما.

أنت ليلة وجدت نفسي هائماً أخطو مثل البشر، فكما تعلم ليس الخطو
من مواهبنا، التواثب والتفاضل هو خطونا، والركض يحتاج لدفعة واحدة
من القدم التي تتحول إلى جناح عند الطيران إذا كان الانتقال إلى قارة
أخرى ضرورياً، وإذا صادفتنا ریح تتحول إلى نار عاصفة تحرق مَنْ
رف أمامها (معظم الحرائق التي لم يُعرف سببها كانت ریحاً تحولت
إلى نار بنفخة مناً)، لكن في تلك الليلة خطوتُ بأن نقلتُ قدمي اليمنى
للأمام وتناوبت معها اليسرى في الانتقال كما قلت مثل البشر، ووجدتُ
أنه من الطبيعي لنا أن نخطو فقلتُ في نفسي: لماذا تنحصر مواهب
الكائن فيما تعارفَ عليه الأجداد؟ والدليل على ذلك النفر من البشر
الذين يتصفون بمواهب خارقة (وهي في ظني ليست خارقة) فيقوم
البعض منهم بالسير فوق مستوى الأرض، أو يعضج أحدهم الزجاج،
أو يفرز في خده أو مؤخرته المسامير، أو يقف على لوح خشبي مرقوم
بالمسامير الحادة، أو يقوم بعضهم بتخريج جان سکن جسد أحدهم
ممرض ولم يجد له الأطباء داء، أو يقوم مدرس بتسريب امتحان مادته
مقابل حضور دروسه الخصوصية، أو قيام أحدهم بتلقي أموال مقابل
التحاق شاب موسم في وظيفة يحتاج لها شاب فقير، أو أن يحظي لص
بتقدير واحترام آخرين لمجرد أن لديه مالاً كثيراً وربما يختار الناس
رأيه ولا يختارون رأي شخص متعلم ومنقف.

أقول قولي هذا بعد أن رأيتُ وأصابتنِي الدهشة مما رأيت، والدهشة
ليست من مواهبنا فهي مقصورة على البشر القاصرة أبصارهم، رأيتُ

في نجع الخواجات الذي يطل على النيل مباشرة ، وهو عبارة عن قصر ،
فخمة مبنية على الطراز الأوربي ، الرخام يكسو المداخل والشرفه ،
والسلالم ، هذه البنايات أو القصور كما يسميها أهل بقية النجوع إذا
وقفت في إحدى شرفاتها ترى معبد الأقصر الذي يمثل البوابة الشرقيه
لتلك القصور ، وإذا وقفت خارجها تظن نفسك جئت إليها بالعماء
فالسفراء من المؤكد هم قاطنوها ويحوم حولها بعض الصبية الذين
جاءوا من بعض النجوع الأخرى ينتظرون ما تجود به أيدي سكان تلك
القصور .

على غير العادة وجدت نفسي أدخل من خلال الباب الحديدي المعلق
للقصر الثالث بالترتيب من ناحية معدية الركاب ، ثم أصدت
السلالم في لمح البصر وأقفر داخل الشقة التي تقع في الدور العلوي ،
شباب بشعور بنية طويلة مجدولة وكأنها غمست في روث الحمير أو
الجاموس ثم وضعت في زيت طعام استخدمه عشرات المرات بأثره
الطعمية تسبب في تليف أكباد كل القاطنين في البر الغربي ، هؤلاء
الشباب يراقصون سيدات أجنبيات بدينات مترهلة رقابهن ، والتجاعيد
التي ترسم ملامحهن كأنها مسارات وأخاديد وجحور ظلت الأفاعيل
والطريشات والعقارب تسير فيها حتى نفقت وصارت تراباً ، وإذا لمس
جلد إحداهن أصبت بقشعريرة بسبب ملمسه الشحمي ، ولو وقف
أمامها تفض بصرك ليس تديناً منك (حاشا لله) أو خشية من عذاب
نار وقودها الناس والحجارة بل تفض حتى تزهد في صنف المرء
وإذا كانت معك رفيقة أو زوجة كرهتها لأن ملمس جلدها سيحس
بعد قليل شحوما ننته ، وعلى الرغم من ذلك يقبل هؤلاء الشباب عام
الرقص الماجن الذي لا يخلو من لمسات لمناطق حساسة كالصدر ،

يا أعلن عن انتهاء صلاحيته، فحاولت صاحبته ترميمه وإعادة
نه في هتريئات اللانجيرى بوضعه في مشدات ناعمة الملمس تعيد
نك قوامه واعادته لسيرته المعجينية الأولى، أوالتقبيل الذي ينتهي
نزع إحداهن شفيتها نزعا بعد انقطاع أنفاسها.

أحد الكراسي الموجودة في الردهة الكبيرة التي تعلوها نجفة
لاقة تضي على المرقص بضوئها المبهر مجونا وتالقا رجل
ليزي تخطى الستين بقليل، تطبق ملامحه على ملامح بيل
تون الرئيس الأمريكى الأسبق، وابتسامته التي تقل من عمره كلما
مى على وجهه، يضع ساقه اليمنى على اليسرى وينتقل ببصره إلى
قصين فتخفت تلك الابتسامة فيزيد عمره لكنه لم يلبث أن يسرق
ة بعيدة إلى زوجة صاحب القصر كمال الواطي الذي ينتقل راقصا
عجوز إلى أخرى، تلك المرأة- زوجة الواطي- التي تلبس عباءة
اء وطرحة شفافة تظهر شعرها الأسود فتدلى منه خصلات تقض
بصرها كلما انزلت على عينيها، لكنها بلفه خفيفة لرأسها تلتوي
الخصلات وتعلق في الشعر المشدود من فوق أذنيها لأعلى ويكون
ة ناعمة تختبئ تحت الطرحة السوداء الشفافة التي تفضعه،
فه العباءة السوداء الملفوفة والمشدودة حول خصر نحيل يتفوق
، خصر ناعومي كامبل.

المرأة وناعومي كامبل توأم شديد التشابه، عينان سوداوان
متان مثل بحيرتين متجاورتين تتلاطم أمواجهما فوق الفراش
لف زبدا وفقااعات تتولد من تلاقحها التلقائي، وحاجبان سوداوان
نهما فتان من فتان عصر النهضة، وأنف ينحدر منحوتا بدقة
بدة من تحت العينين ويهبط متسعا قليلا حتى فتحتيه الدقيقتين

كانف صوفيا لورين في فيلم "امراتان" أو كأنف المطربة فيروز، ويمار الأنف عن وجود شفتين مكتنزتين تتبئان عن غنج مخبوء في قوام فرنسي تتضوع الأنوثة منه كعطر يجذب الأفتدة إليه كشيخ صوفي يهوى إليه مريدوه كل أسبوع لرؤيته، أما الصدر فمجينتان طريتان خبزتهما فلاحه متمكنة في صنع الخبز الشمسي، وظلت تملكهما حتى صاروا مرتبتين ثم وضعتهما تحت شمس الجبل الغربي فتفخت الشمس فيها من روحها فاخترتا نهدين يرنو إليهما كل من نبت فيه شعر الرجاء وحلم بقضهما أو الارتواء من لبيهما، وبهتان كلما تحركت ويوشكان الوقوع والعودة لسيرتهما الأولى، لكنهما مع ذلك متماسكان فاجران مستبدان بمظهرهما وهيبتهما يتمنعان والرغبة تملو قوامهما.

العباءة التي تستر الجسد تتراجع عن وظيفتها فتفضحه فتلوكه عينا المخضرم الانجليزي الذي يتوق للتعم به وإن كلفه ثروته أو حتى حياته، وزجاجات الخمر والإضاءة الحمراء التي تصدر عن سبوتات جانبية متلصصة تطوح رأسه يمينا ويسارا وكأنه في ساحة الديناري سلك مسلك الذكرين فغاب عقله لينعم بلحظات ليست أرضية ولكنها نوبات ميتافيزيقية يعلو بها جسده عن الأرض، كملك فاز بجائزة عالمية تمنحها شركة أدوية أمريكية لأول صاحب سمو يجرب عقارا جنسيا، وحمله جني لبلاد بعيدة محاطة بالأشجار والخمائل والحقول الخضراء، ولم يكذب يرضع قدما حتى يرتفع عن سطح الأرض لينتقل إلى مكان آخر تستلقي فيه الظلال فوق غدير المياه الذي ينزلق بسهولة ويسر ويطوف في جنات تكسوها مربعات خضراء أبدعها فصيل جان هارب من النبي سليمان، تحوم حولها حوريات فائقات الجمال لتعوضه عن نساء الأرض المتكهنات واللاتي ينزعن إلى الحزن والنكد، ولا تغير من مزاجهن لحظات الجنس الاستثنائية.

ربع مليون استرليني، وخمس زجاجات خمر، وسيجار كوبي فاخر هي تكاليف التمتع بجسد أميمة النقاش فوق فراشها الذي فشل كمال الواطي أن يديره كما ينبغي أن يُدار، والراقصون والراقصات في الردهة يلامسون الأضواء الحمراء ضلج أجساد الانجليزيات لتصدر عنهن تأوهات تعويضية للحظات أحادية الجنس الصناعي، وينفضن من أنفسهن شبقاً شداً أجسادهن العتيقة، وأميمة (التأيره) تقضى ليله عرسها العجيبة على فراشها التقليدي والذي يحمل بصقات شبقها الذهني ورغباتها الجارفة التي لم يحققها زوجها، والذي لم تكن ملاءاته تخضع لكرمشة أو انزلاق ودهس أو صراع حميم ولكنها لحظات قصيرة يفرغ فيها شهوته السريعة في امرأة لم تكد ماكينتها نعمل حتى سقط النساج خائراً بعد أن أقمها نقطة زيت، ولم يقو على نزييتها وهي تلف تروسها حول محورها وتزمجج فتصدر عنها تأوهات شبقية تحتاج لنساج يتفرغ لسطوة تروسها.

ناعومي كامبل مات أبوها في عصر الدينارية الثانية، تحديداً في نهايته، بعد أن زوجها لمراكبي استنفد كل مخزون صلبه في مداخل المجائز الانجليزيات، إنها ناعومي كامبل بعينها، بجسدها الفائز ترتدي قميص نوم وزدي قصيراً صنيع خصيصاً لجسدها العاجي، ويظهر من فتحاته لحمها الفسفوري الخصب، تتوه الأعين في نسيجه، ويعكس ضوء المصباح الخافت فيتألق ويصير أرضاً خصبة تنتظر الحرث والحارث، وينسدل شعرها على الوسادة ويغطيها تماماً وتلامس خصلاته كتفيها المفيين، ويفطي نهديهما اللذين اختمرا تحت شمس عفية فطفرا من فتحة القميص.

انقض جيمس فولت على ناعومي كامبل أو أميمة إذا استطعت أن تفرق

بينهما الآن، وبادلته الأحضانَ والتقبيلَ وكأنها تحتضن فارساً صوبها
 ظل يركض بجواده شهوراً يبحث عنها بين نساء إغريقيات مبعوثا،
 للأندلس، فعادَ بهن طارقُ بن زياد الذي نصَّحَه ابنُ عربي أن يرسلهن
 لشيخ صوفي يعيش في البَر الغربي، وحينما وصل الفارسُ لم تدا
 أن تُفَلَّت من قبضته التي تصهر صدرها المختمر فيذوب تماماً من
 صدره، وفاقت اللحظاتُ تلك الدقائقَ القليلة المختصرة التي كانت
 تختصر دوامات الشبق المتأججة التي كانت تتنابها منذ أن تستيقظ
 في الصباح فتظل تكبُّها بالتمرغ في فراشها واحتضانِ وساندتها
 ودهسِ الملاءة بين وركبتيها، وتفرغ فوق نفسها شهوتها، ومع ذلك،
 امتطى جيمس دوامات شبقها : جنكيز خان فوق جواده يركض بين
 القرى يُدمر ويدهس كل ما تطأه قدماه، جيمس فولت الانجليزي وصل
 للذروة عشرات المرات، وصفق له كل مندوبي شركات الأدوية الذين
 يبيعون المنشطات النائمين تحت سرير الدهس الجنسي، وخسر بانمو
 الجرجير المحصول الطبيعي للشبق، وأميمة أسفل جيمس تتسحق
 وتدهسها كياناته المتجددة مائة مرة، ذاق العسل مرات ومرات وهي
 من تحته تذوق أقسى درجات التعذيب القسري بعد أن أنطفأت جذوة
 شبقها، تحاول انتشال نفسها من تحت الجبل العملاق الذي لا يلتفت
 بقدرته الثابتة لصخرة صغيرة موضوعة تحت كيانه، تحولت تأوهاتُها
 الممزوجة باللذة تدرجياً إلى آلام شديدة ثم إلى تنكيل بجسد نحيل لم
 يُجربِ البذخ والفجور الجنسي الذي يقوم به الانجليزي جيمس فولت
 الآن.

الفصل الخامس والثلاثون

قَبْلَ حَادِثِ الْإِيْلَاجِ الْفُولْتِي بِشَهْرَيْنِ رَأَاهَا جِيْمِسُ فَوَلْتُ فِي الْتَاسِعَةِ صَبَاحًا مِنْ النَّافِذَةِ الَّتِي تَقْضِي إِلَى الْمُنْحَنِ الْكَهْنُوْتِي الَّذِي يَرْبِطُ مَا بَيْنَ الْاِتْجَاهَاتِ الرَّئِيسِيَةِ لِلْمَسَاحَةِ الْدِيْنَارِيَةِ وَهُوَ عَائِدٌ مِنْ دِيْرِ الْقَدِيسِ بَطْرُسَ بَعْدَ أَنْ حَضَرَ قُدَّاسَ الْأَحْدِ، وَصَفِيَةَ الْمَهْنَدِسِ فِي بَرْنَامِجٍ "إِلَى رَبَاتِ الْبِيُوْتِ" فِي إِذَاعَةِ الْبَرْنَامِجِ الْعَامِ تَتَّصِحُ الزَّوْجَاتُ بِمَعْوِصُوْرَةِ الزَّوْجِ الْاَسْطُوْرِيِ الْاِفْتِرَاضِيِ الَّذِي تَتَخِيْلُهُ كُلُّ امْرَأَةٍ قَبْلَ الزَّوْاجِ وَاسْتِبْدَالِ تِلْكَ الصُّوْرَةِ بِصُوْرَةِ زَوْجِهَا الْحَقِيْقِيِ حَتَّى وَإِنْ كَانَ قَرْمًا بِالنِّسْبَةِ لِلْاِفْتِرَاضِيِ أَوْ هَلَامًا أَمَامَ دِرَاكُوْلَا، سَاعَتِهَا كَانَتْ أُمِيْمَةً الْنِقَاشِ غَارِقَةً فِي مُتَمَتِّهَا الْاَحَادِيَةِ لَمْ تَمُحْ تِلْكَ الصُّوْرَةُ الْاَسْطُوْرِيَّةُ، بَلِ رَسَمَتْهَا عِدَّةَ مَرَاتٍ فِي مَخِيْلَتِهَا بَعْدَ الزَّوْاجِ، لِدَرَجَةِ اَنْهَا بَدَأَتْ تَمْحُوْ صُوْرَةَ زَوْجِهَا الْحَقِيْقِيِ كَمَا لِ الْوَاطِيِ وَتَسْتَبْدِلُهَا بِصُوْرَةِ مَتَخِيْلَةٍ تَقْضِي بِرَغْبَاتِهَا السَّرِيَّةِ، وَانْدَهَشَتْ كَمَا اَنْدَهَشَ جِيْمِسُ فَوَلْتُ؛ فَالْمُتَمَتَّةُ فِي الْجَنُوْبِ لِيَمَسَتْ مُتْكَافِئَةً، فَاِذَا كَانَ الزَّوْجُ نَشِيْطًا يَسْهَرُ اللَّيْلَ مَمْتَطِيًا وَلِيَفْتَهُ كَانَتْ الزَّوْجَةُ خَامِلَةً مِنْهَكَةً وَمَثْقَلَةً بِالْمُهْمُوْمِ وَمَشْكَلاَتِ الْاَوْلَادِ، وَاِذَا كَانَتْ الزَّوْجَةُ صُوْفِيًا لُوْرِيْنَ تَتَشْتَعِلُ بِالرَّغْبَةِ وَالشَّبَقِ وَالزَّوْجُ خِيَالًا مَاتَةً يَعُوْدُ إِلَى الْمَنْزَلِ فَتَقَعُ الْعَصَا الَّتِي يُوْضِعُ فَوْقَهَا جَلْبَابٌ لِيُخَيِّفَ الطَّيْرَ فِي الْعَقْلِ، وَاِذَا تَجَرَّأَ الطَّيْرُ وَوَقَفَ أَوْ حَتَّى نَقَرَ بِمَنْقَارِهِ رَأْسَ خِيَالِ الْمَاتَةِ هَذَا فَسُوْفَ يَكْتَشِفُ زَيْفًا تَارِيخِيًّا كَانَ الطَّيْرُ يَعْشِيْ فِيهِ مَخْدُوْعًا هَرُوْنًا طَوِيْلَةً، وَالزَّوْجَةُ لِيَسْتَ أَفْضَلَ حَالًا مِنْ الطَّيْرِ فَكِلَاهُمَا مَخْدُوْعٌ، وَالْخَدَاعُ يَتَطَلَّبُ إِعَادَةَ النَّظَرِ فِي تِلْكَ الْخَدِيْعَةِ فَيَأْكُلُ الطَّيْرُ

من الحقل دون أن يهتم بالوثن الواقف راضعاً ذراعيه، ولم تكن ذراعاه إلا استسلاماً، وتتمرغ الزوجة في اللذة والجنس، والوثن نائم بجوارها يحتاج لزوجة تُسْفَهه وتُكفر به، وشيخ شيعي يحطمه ويُنهى أسطوره الزائفة.

وقفتُ في الغرفة أتفرج وأنا شيطانٌ هلامي أعزلٌ لا أستطيع أن أرفعه من فوقها وهو هائجٌ يمتطي مهرةً أندلسيةً يسابق بها ریح الشهوة، الضوء المتذبذب من المصباح الخافت يلامس ثقلبَ الجسدین، والأصواتُ في الخارج تُضفي على الغرفة صيغةً عبدةً مولانا الشيطان، حيث يتمرغ فيها المریدون في كؤوس الخمر والملذات وممارسة اللواند، بالوضع الواقف والمائل والنائم، ويصلون إلى أقصى درجات المتعة، بل يتخطونها إلى درجات ما بعد المتعة وهي الخروج عن المألوف بكل صنوفه فتصير المتعة العصرية مفتوحةً بلا حدود أمامهم كعولمة منفلةً انفتحت بواباتها على العراة ونصف العراة والمحتشمين، فيموج بعضهم في بعض في بحار بلا شطآن مفتوحة أيضاً على اليابسة، فلم تعد تعرف أين تطأ قدمك، وامتزج الهواءُ والنسمات بالماء المالح والأسماك خرجت من أقفاصها المائية منسربةً تحت أقدام النساء والرجال، بينما انطلقت الحيوانات البحرية تفتك بكل إنسان لم يفرق في البحر، وجنّيات البحر الخجولة وهي تتعري أمام البشر، الذين على الرغم من انفتاح الماء على اليابسة بعد أن تهدمت كل السدود ينظرون إليهن، ويغار سفراء الجن السابحين في الفضاء على الجنيات فينقضون على الرجال الزائفة أبصارهم، والمربجية الذين دخلوا عصر العولمة بأن باعوا عربات الحناطير، ووجوههم وأعناقهم سوداءً بسبب انغراز أصابعهم في مؤخرات السائحات لتنشيط السياحة، واشتروا بدلاً منها "تكاتك" وظلت أعناقهم سوداءً وكذلك وجوههم

المضخمة بروث البهائم وقادوها بنفس الأسلوب الذي كانوا يقودون به الحناطير فيسيرون في الاتجاه المخالف، ويركب معهم وكلاء وزارة التربية والتعليم يرمشون بأعينهم لطلب الرشوة من مدرسين وهبوا أنفسهم لكي يعتق أولياء الأمور دينهم الوثني، ولم يظهر النبي إبراهيم ليكسر أصنامهم لأنه مات قبل انهيار قرية قوم لوط، وهؤلاء الراقصون يعاقرون نساء انتهت صلاحية فروجهن، ورجال مثليون يقدمون لهم إعانات معيشية قبل موت أطفال إفريقيا من جوع وشيك، والحكومة لا ترضع هؤلاء لبنًا صناعيًا بسبب جفاف أuddائها.

ثلاث ساعات متواصلة كآلة فَرَمَ تَلَقَّتْ أمرًا اليكترونيًا قَدَّرَ لها العمل لفترة محدودة، ولكنَّ عطلاً ما أصاب الذاكرة الاليكترونية فظلت تعمل ولم يعد ما تقرمه يحتاج للفرم، وصل جيمس بأيممة إلى أقصى درجات الفرغ والانسحاق، وكانت كفريسة سائفة انقضَّ عليها النمر وظل يعمل على المناطق الحيويَّة لديها حتى أفقدها الحياة، ومع ذلك أخذته نشوة الاهتراس فراح يتمعن في قضم أعضائها التناسلية، سالت الدماء بحورًا من تحتها وتمزق عضوها، وربما كان السبب في خروج جيمس فولت منها والاستفاقة من غيابات الجنس.

الحفل الراقص في الردهة تحول لصرخات نساء وذهول رجال عادوا من النشوة الواقفة، وحملها زوجها خارجًا بها دون أن ينظر إلى جيمس فولت الذي بدأ ينتبه قليلًا، وهو ما يزال ينتظر فريسة أخرى ليكمل الفترة الزمنية الكاملة لعقار الفياجرا الأصلي، وتوجَّه زوجها إلى المستشفى خائبًا، وخرج الراقصون خلفه واستفاهوا على الجثمان الرصاصي الذي كان تلمع منه أجزاء تحت الملاءة التي لفها فيها زوجها، تتقاطر منها الدماء كجدول يخرج من ثياب جبلية ويخيل

إليك أن مائه قليل، لكن حينما ترى الانسيابية والسرعة تدرك أنك
حتمًا مُخطيء.

في المستشفى الدولي وضَع الممرضون جسدَ أميمة أمام الأطباء،
الذين أعلنوا أنها ماتت منذ ساعتين، لكن الدماء ما تزال تنزف
من مدخلها الذي حدث به تهتكٌ شديد، وكأنها كانت تجامع جحشًا
إسرائيليًا أو فيلا كوبيًا، خمدَ جسدها وخمدت معها الرغبة وفوران
الأفخاذ، وقد مدخلها مقومات الشبق، فقد تمزق تمزقًا شديدًا
كقطعة قماش تمزقت من كل جانب، وإذا حاولت رتقها مرة أخرى
فصوف تفضل فشلًا ذريعًا؛ لأن التمزق طولي وعرضي، وبين التمزق
تجد تهتكًا شديدًا يحول دون الرتق أو الوصل فقد تمزق النسيج ذاته،
مات الطير في الحقل، وخيالُ المائة واقف (عرصا) يتفرج والعالم
كله يشاهد ويحكى ما حدث، ماتت أميمة بعد أن وصلت إلى أقصى
درجات المتعة وتحقيق اللذة القصوى بعد أن وطأها حيوانٌ أسطوري
لم يجد من يحقق رغباته الموسومة بالعقاير المنشطة والتي تستحث
الرغبة طوال يومين كاملين سواها، مات الطير بعد أن فقد مقومات
الحياة، وماتت المرأة بعد فقدت مشاعر الإنسانية، وخيالُ المائة حي
في الحقول يذود بذراعيه الثابتين اللاشيء عن حقول خصبة تحتاج
دائمًا للحراث.



مرة واحدة جلس الكاهن يواقيم الصعوثيلي من امرأة موضع الدخول
بعد محاولات فاشلة استيأس منها بإثبات رجولته لنفسه على الأقل،
مجرد تجريب والإنسان طوال حياته يتعرض للتجريب، وما فائدة التوبة
إذا لم يسبقها ذنب أو إثم؟ وكيف تذوق جلاوة التوبة إذا لم تقترف ذنبًا

يكون سبباً لبرهان إنساني محض؟ أن تتأكد من وجود رجولة تسكن
 جسدك، تماماً كجهاز كهربائي تشتريه وتعدد إمكانياته، وحينما تقوم
 بتشغيله تستغل بعضهاً لكنك بعد فترة من الوقت تتمنى أن تجرب تلك
 الإمكانيات التي يفترض أنها موجودة في الجهاز كنوع من الفضول،
 وكذلك انتاب الكاهن الفضول، وعلى الرغم من أنه فضولٌ دنيوي لكنه
 فضولٌ فطري يولد مع الطفل الذي يعبت بكل أعضائه ليتعرف إليها،
 والكاهن رجلٌ مستقيم متدين بطبعه، وما قيمة التدين إذا لم يجرب
 المستهلك إمكانيه جهازه التناسلي قبل أن يكون جهازاً بولياً؟ جرب
 الكاهن الجهاز وقبل أن تسري فيه الكهرباء أطفاه، وإذا به ينتفض
 ويقف سريعاً ويركل المرأة بقدمه، ويرسم علامة التثليث ثم يهرول إلى
 المجسم اليسوعي مستغفراً وباكيًا، هناك يبكي يسوع المعصوم من
 جديد، فهو لاء أبناؤه ما يزالون يذنبون وهو الذي كرس نفسه وعرض
 نفسه للصلب حتى يخلص البشر من خطاياهم، وهل هناك خلاص
 غير الذي قام به الكاهن؟ ظل يواقيم يقرأ فقرات طويلة من العهد
 الجديد حتى شعر بطمأنينة تسري في جسده، واندأحت بداخله نشوة
 روحية كنسمات تدغدغ جبهةً عابر سبيلٍ يمشي في صحراء قاحلة،
 وتسلق العرق جبينه ورقبته، وحينما صادف شجرة وقف ليلتقط أنفاسه
 فتسللت تلك النسمات من رحم الزمهرير وقامت بتبريد قطرات العرق
 فصارت ماءً باردًا يرطب وجهه الذي لفحته السخونة، ونسي معاناته
 مع محاولات تشغيله لإمكانيه جهازه التناسلي وتعمم بدلاً من ذلك بلذة
 صوفية تفوق اللذة التي كان يحلم بالوصول إليها وهو يمتطي امرأة
 زوجها عاجزٌ جنسياً، واعترفت له كثيراً بأنها تحتاج لرجلٍ يكبح جماح
 شهوتها ولجأت إليه، وفر الكاهن منها وفرّت منه واحتسب بصوفيته
 القديمة.

قالت له وهي تُخبيء شهوتها وراء كلامها :

- يا أبت المقدس، جئتُك أشكو لك همّي وأعترفُ لك
بهواجسي، أنا امرأةٌ رغبتُ في زوجي الذي فقدَ مقوماتِ الرجولة.

- هل هو راغبٌ عنك أم فقدَ الرغبة؟

- فقدَ الرغبةَ والقدرةَ معاً؟

- وهل تظل الرغبةُ إذا فقدَ الرجلُ القدرةَ؟

- الرغبةُ كما تعلم يا أبت نابعةٌ من النفس، وإذا فقدَ المرءُ
القدرةَ تظل الرغبةُ مشتتةً ولا تُطْفئُها إلا بوارِ القدرةِ تماماً.

- يبدو أن عقلك مستنير.

- أنا حاصلةٌ على بكالوريوس هندسة.

- إذا، هل تستطيع المرأةُ المتعلمة أن تتحكمَ في غرائزها؟

لم تُجِب المرأةُ عن سؤال الكاهن، وإنما فتحت لنفسها بوابات من
البكاء المترهل الممزوج برائحة الشهوة، ورأى الكاهنُ يواقيم بطرف
عينيه جسدَ المرأة من خلال الحجاب الشفاف في بؤرة الاعتراف،
وكاد يمد لها يده ويربت على كتفها العاري، ولكن يد يسوع كانت أسرع
منه، وفارقت المرأةَ الديرَ وظل هو محبوباً في نزاعاتٍ نفسيةٍ كادت
تودي بكيانه بصفته كاهن الدير.

ظل الكاهنُ أسبوعاً يتتبعه الرغبةُ وتراوده كلما تذكرها، وكان يعدو
حول الدير ركضاً ليفتتها، وكلما كان يتصبب عرقاً وهنٌ لديه النزوعُ
لجماعها، ولا حظَ الرهبانُ النشاطَ الرياضي الذي طرأ على الكاهن،
وأنتبهَ الراهبُ ليشع منقريوس للركض غير المبرر للكاهن.

ماءته المرأة في الصباح الباكر قبل أن يقع البُكيمي بيوم واحد من المنحدر ويرفع لويس ليمارجي ساقه فيتحرج وتُشج رأسه، وأثناء الاعتراف رهمت المرأة - الحاصلة على بكالوريوس هندسة والتي روجها فاقد الرغبة والقدرة معاً - الحجاب الذي يحول بينها وبين الكاهن، انضج الستار عن المقدس الذي لا يجب أن تراه الأعين، رأى الجمهور الممثل وهو يبدل ثيابه قبل أن يرفع الستار، الرب الكامن في حسد الكاهن انكشف وصار مرثياً، فشهمت لتلوذ برجولته المقدسة، ورأى صدرها يشع نوراً فسفورياً تطل منه عجبتان تحتاجان لمن يشكلهما كل مرة حسب قبضته ورغبته، دوامتان تنتظران الصياد الراغب في صيد متعجل فيفرق في أسرارهما التي لا تكشف أبداً، يرفرف قلبه حتى يوجعه فيقودها إلى مختلاه، وهناك يجلس منها مجلس الدخول البوذي تحت تمثال بوذا المعلق يستحنه لشرب المياه بعد صوم طويل، ويطمئنه بأن للبشرية منطلقاً خاصاً منفلاً يختلف تماماً عن تعاليم الأديان المحدودة والتي تُكبل أفراس البشر والأمهم فوق الصُلبان، حينئذ يصفعه المجسم اليسوعي على عنقه فيهب واقفاً مستعيذاً ومستغفراً، فانطفأت الشهوة البوذية لديه للأبد، وبعدها بستة شهور أصيب بتضخم البروستاتا وسُدت عليه المخارج فخضع للواط طبي يستدر من خلال مؤخرته جراح المسالك البولية البروستاتا ماءه الذكري الذي عجز عضوه على إخراجه لعمل أول التحاليل الطبية.

الليل وجود،

والنهار فتاء،

الصبر رثاء،

والفتح دماء،

اللهوضياء .

القمر ضياع .

راح الكاهنُ يرتل ثنائيةً الصوفيةً عند شجرة الطلح كَمَرَاتٍ، هي مران الكهنة والأولياء يرتلونها ويترنمون بها عند اقتراف الذنب، كررها الكاهنُ وهو يذرف الدمع يغسل به إثمَهُ، ثنائيات تحمل معاني متضادة لا يفهمها إلا الصوفيون، رُدُّها الديناري بعد أن تخلَّص من افتتانه بأهافا ليمارجي وتخلَّص من ندهتها بعد أن عاني كثيراً من وجد شديد، لبعدها، ثنائية غير مترابطة المعاني والصفات تبدأ بـ " الوجود " ثم تنتهي بـ " الضياع " ، يرتلها كل من وضع قدمه على أعتاب الصورة تتسجم مع الكشف الرباني وتتسق مع روح مرتلها على الرغم من غموض معانيها لأن الصوفي يسبر أغواراً تستحيل على من لم يدرك طعمها، والثنائيات تتفلق معانيها حينما يغيب الذاكر في ذكر الخالق وكل شيء كوني تتضح معانيه مع نور الوجد .

وحينما انتهى يواقيم الصموائيلي بـ " القمر ضياع " شعرَ بجسده الذي كان طائراً لم يحط على بيت المقدس بعد أن طاف فوقها ثمانية أيام حينما بدأ بـ " الليل وجود " فوضع قدمه أسفل شجرة الطلح وربت عارٍ لعائها مستطيباً رائحتها وقلبه يهفو لنسيم يخرج من ورقها، طلب التشييت بالثنائيات فثبته يسوع وأعاد له لروحهُ ومنصبه الكهنوتي كما هو، فتلك الثنائيات أطاحت بعقول ارتكنت في الساحة الأولى يمدون النجومَ وحينما يفشلون يعضون شفاههم ويمزقون جلايبهم، وليل اه وجود في حضرة الدينارية يلتف فيمدون نجوماً جديدةً ألقاها ملائكة جدد في السماء ليتصوف من يشاء، ويفقد عقله كيفما قرأ الثنائيات .

الفصل السادس والثلاثون

- اركض كلما تلاعبت بك الرغبة، وصل إذا استقعلت، وصم
وما انقطاعياً إذا داهمتك.

يعول الأسقف ميخائيل المحرقي في زيارته الشهرية لدير القديس
مارس للكاهن والرهبان والمتدربين والخدامين ومن شاء في معاينة
الاهنوت عن كتب، آدم يبحث عن حواء للتكاثر، ووضع الله في جسده
الارغبة التي تجعله يبحث عنها دائماً، ونحن وهبنا أنفسنا لخدمة
الرب، لا يعنينا بحث آدم عن حواء بل نهتم بالامهما وأوجاعهما التي
هت عن هذا البحث المحموم، فهل أنتم باحثون؟ كذلك كان الأسقف
يعول رداً على أسئلة الرهبان الجدد الذين لم يصلوا إلى يقين الرهبنة
ه، وصدقاً معجوناً بيقين شديد نفذ الكاهن يواقيم التعاليم الأسقفية
ه، كض وصلّى وصام ورَضِي الجسمُ اليسوعي عنه وارتضى له المكانة
أهأها، وحجّب عن بقية الرهبان خطيئة الكاهن التي دُفنت معه خلف
الدير بعدها بعام واحد.

سئل الكاهن ليشع منقريوس عن المتنيح يواقيم الصموائيلي في أنه
وضع لتدريب شاق ومُضن لمدة ستة شهور عندما التحق بالخدمة في
الدير، مارس جميع الألعاب الرياضية السهلة والعنيفة، مثل العدو على
طول الطريق الواصل من معبد حتشبعوت حتى تمثالي ممنون، وألعاب
الجيم، وصام كثيراً، فتهذبت لديه الحواس والشهوات، وخبث الرغبات
بجميع أنواعها، ولم يعد يبحث عن حواء في ذاته واستبدال قيمة
التكاثر بقيمة التلثيث، البحث عن يسوع أفضل من البحث عن حواء

التي يتخذها الشيطان ذريعة للقضاء على آدم، والبقاء مع الله. ذلك أفضل، وأخضع نفسه وذاته لتعاليم يسوع بعد اضيقها، لكن الحواس البشرية الفطرية التي كبتها وقهرها وقضى على جوارحها. أنبت لديه نزعات الحيرة والتردد والكراهية والمقت للأمر، وجعلته يصل إلى حد القسوة مع النساء اللاتي كن يعترفن له بتقصير أزواجهن ونزوعهن إلى ممارسة الجنس مع الغرباء، ذات مرة قال: امرأة تعدت منتصف العمر لكن ما يزال جسدها يحتاج سنوات ماوراء لنوبات كثيرة من الهصر والعصر:

- يعود زوجي من العمل ويستسلم للنوم ولا يستسلم للناد الحوائي.

- تترفق الزوجات بالعمال الكادحين وتنتظر لحظات عنفوانهم.

- انتظرت ولم تأت تلك اللحظات أيها الكاهن المقدس.

- الصيام والصلاة يصدان موجات الرغبة.

- أصلي وأصوم، ولكن الرغبة شديدة تجتاحني دائما.

كانت تلك المرأة تحتاج لصفعة قوية حتى تفيق، وعلى الرغم من الألم الذي شعرت به بعد أن تحسست موضع الصفعة إلا أنها شعرت بالخير لأنها اعترفت للكاهن برغبتها الجارفة، وبالقدر الذي كرهته به بسبب العلامات التي خلفتها أصابعه على خدها إلا أنها أدركت فرار الرعدة التي كانت تلح عليها، ورأها الكاهن تأتي مبكرا وتقوم بمسح الرعدة الكبيرة قبل الصلاة، وأدرك ساعتها أن الصفعة هي العامل الثالث الذي يستخدمه إذا فشل الصلاة والصوم عن صد الرغبات الجنسية. وعلى الرغم من نجاحه في تقويم المرأة إلا أن كراهيته للجنس زاد.

بته للنساء تفاقمت حتى تمنى هتاءهن من على وجه الأرض.

تلك المرأة لزيت النبرون للتعמיד، ووشم الجسم يعتبر أحد
ار السبعة، وتعني دهن مقدس وسر التثبيت، حيث يتم طرد
ان من جسم الإنسان، وتفلق كل المنافذ التي يمكن أن يدخل
وتشمل كل منافذ الجسم بدءاً من النافوخ والمنخريين والفم
ين والعينين، ويرسم على شكل صليب ثم يرشم عند القلب
ة وأمام القلب من الظهر حتى آخر العمود الفقري، وهو صلب
ن فوق فتحة الشرج والذراعين الكتف والإبط والرجلين، وقام
الرهبان بإعادة تعميدها والتزمت بعدها بخدمة الدير حتى
، في عهد الكاهن أبانوب الأنطوني الذي تولى الدير بعد تنح
ن ليشع منقريوس بعشر سنوات.

ق ونتر بالاس بالبر الشرقي لمدينة الأقصر أقيم افتتاح مؤتمر
لأديان، توسطت المنصة الديناري وجلس عن يمينه الكاهن يواقيم
وايلي وعلى يساره الكاهن ريباش.

ديناري مستهلاً كلمته التي وجهها للبشرية كلها وليس للكاهنين
بين بجواره، وروح جديدة تلف المكان كأنها طائر سنونو يخرج
نه القديم الذي بناه فوق قصر عتيد ليؤذن في مناطق أوروبية
ربما لا تدين بدينه وربما يفرض هناك :

- الآخر هو همنا وقضيتنا، وقبل أن ندخل في صلب الموضوع
ن تعريف الآخر، الآخر هو قابيل بالنسبة لهايل، وهايل بالنسبة

لقابيل، الآخر هم الفارقون في طوفان نوح، والناجون الأربعة "حام
وسام، ويافت، ويام" الذين تفرغت منهم البشرية، ويُعتبر كل منهم
"الآخر" بالنسبة لأخيه، وأخاه بالنسبة له، الآخر هم عبدة الأسماء،
الذين حاولوا إحراق خليل الله إبراهيم، الآخر هو النبي اسحق بالنسبة
للنبي إسماعيل وإسماعيل لاسحق، لكن أولي العزم من الأنبياء لم يبد
أحدهم يمثل ذلك الآخر الذي نحن بصدده.

الآخر هو يوسف للأسباط، والأسباط كل منهم يعتبر الآخر بالنسبة
لأخيه، اختلاف الأديان تصنع ذلك الآخر الذي أحدث شقاقاً، وكذلك
اختلاف الأعراق والألوان والأجناس والشعوب والدول والمدن والقرى
والنجوع.

كيف يفهم المرء الآخر؟

الآخر كما أسلفتُ يعتبر الآخر بالنسبة للآخر، وعليه يحاول كل منهم
التباعد حسب كل الاعتبارات السابقة، وقد فشلت السياسة في التقرب
بينهما بل زادت الفجوة، والأديان عمقت تلك الفجوات بسبب العُسر
والكُهان على مر العصور. نحتاج الآن لصهر الفكر الديني عبر العدم
وقولبته بصورة توقف الفتن والقتال التي يستغلها المتطرفون
ونحتاج لإنشاء مجمع للأديان يتراجع عنده كل من تسول له نفسه إبداء
الآخر، فمجمع الأديان سيقضي على كلمة "الآخر" ويبقي "الأنا" فقط
ستختفي الكلمة باختفاء وجودها بالمجمع الذي يجمع كل الأديان،
يفرق بينها أحد.

إذا انتهت كلمة "الآخر" وحلت محلها كلمة "الأنا" بعد إنشاء المجمع
ستصبح الأديان ديناً واحداً، ويتحقق الأمن والسلام الذي نتش...

«نشده كل الشعوب، وهذا هو هدفنا الأسمى أن يكون ديننا واحداً لأن الرب واحد، نوحدا الأديان....»

مالت الصيحات، وارتفعت كلمات الرفض، واشتبكت الألسن في حوارات جانبية تتناول مسألة توحيد الأديان التي طارحها الديناري في المؤتمر، وخرج بعض الضيوف من القاعة رافضين البقاء، وكاميرات القنوات الفضائية والصحفيين تجرى حوارات مع بعض الراضين الذين أعلنوا رفض الفكرة دون مناقشتها وبيان أهميتها للحوار وللأديان بشكل عام، والموافقون لم يتطرقوا لموضوع توحيد الأديان ومناقشته بل أعلنوا موافقتهم لرفض الديناري لنداءات الساسة لتحويل الجماهير إلى الصوفية؛ لأنها تعتبر منقذاً لتفريغ مشاعر الاستياء والأحباط دون عنف، كما رفض أن يكون امتداداً للطرق الصوفية التي كانت امتداداً القوميات.

في الليلة السابقة لمؤتمر حوار الأديان عقد الكهأن الثلاثة الديناري وريباش ويواقيم الصموائيلي حضرة ذكر مشتركة اختار فيها كل منهم خمسة مُريدِين وكُونُوا أنصاف دوائر متصلة يجلس الديناري في نصف الدائرة التي تتوسط النصفين الآخرين، ويتوسط ريباش نصف دائرته، وكذلك يواقيم الصموائيلي، وإذا نظرت إلى أنصاف الدوائر من الأعلى مثلي بأن تتسلق سقف غرفة الحاضرة سواء في المروحة الكهربائية التي تدور كما يدور الذاكرون برؤوسهم أو في النجفة الكبيرة التي تمتزج أنوارها بأصواتهم بكلمات الحب المقدس مجدولة في العشق الإلهي لرأيتهم لاعبي ألعاب قوى في صالة مغطاة، وكان الديناري قائد الجوقة المؤلفة من حناجر مختلفة الأديان تردد أبياتاً صوفية لكل دين تلتبسهم روح الوجد والانخراط بتنفس مضبوط،

مايسترو أندلسي اختار عازفي فرقة بعناية واقتدار وكأنه أجرى معهم
بروفات كثيرة قبل أن يسمع الجمهور رائحته، وتعلق أبصار العازمين
بإشارات المايسترو الذي ما إن اطمان قلبه أشار بيده فبدأت مجموعة
"شغلت قلبي عن الدنيا ولذتها .. فأنت والقلب شيء غير مضمرة"
وما تطابقت الأحداق من سنة .. إلا وجدتك بين الجفن والحدى"
ثم أشار الديناري فقالت مجموعة ريباش متبعة طريقة الحاخام
إبراهيم أبو العفيا والمتصوف سبطاي سوي عن الشعائر القبالة
والخسدية :

"خرجت بروحي خلف موسى .. في التيه أسمع حكمة متضرراً،
ورأيت نور الله يسطع حينها .. أما الوصايا لم أخالف وأعبأ"
وحرك الديناري عينيه في محجريهما فطفق يواقيم بجوقته مردداً من
شعر العلاج :

"ألا أبلغ أحيائي باني ... ركبك البحر وانكسر السفينه
على دين الصليب يكون موتي ... ولا البطحا أريد ولا المدينة"
الديناري وريباش ويواقيم يرتفعون فوق الأرض، والجوقة من حولهم
تتناغم بصوت كورسي يخلب الألباب، وصرخات وجد وحواس متداخلة
تتعالى أثناء ترديد الأبيات تمتزج شيئاً فشيئاً فتردد كل فئة دينية أبيات
الفئة الأخرى وتلف هالات الضوء الساقط من النجفة الذاكرين، ونور
نقي يستقي بهاءه من قمر شديد الولوج بأتقياء الحضرة يشع من أسفلهم
يرفعهم جميعاً في سفينة نوح من أرض تسافر بهم من أرض الفتن إلى
أرض الافتان، ومن أرض الحرب إلى أرض السلام.

مضيقاً لها صورتان، صورة تخضع لقواعد الرؤية الساطعة التي لا
 تترك لها جفن، وصورة هلامية تشف الرؤية الساطعة لكنها تحولها
 من لحظات إلى صورة باهتة، وربما تحولها إلى صورة عكسية تشوهها،
 ١٠٠ بين الصورتين يعمل العقل، فربما يصل بميراثه وخبراته وربما
 الظروف للصورة الأولى فتبدو واضحة لا تقبل الشك، والصوفية هي
 الصورة الثانوية للحقيقة، واجتهد كل الأولياء في تقريب تلك الصورة
 ووضعها من خلال عدسات الكشف النوراني الذي يتجلى لهم، وأصبح
 المرید تلك الشاشة التي تنعكس عليها الصورة التي يريد الصوفي أو
 الشيخ أن يبنيها عليها، صورة لا تعتمد على منطق الإبصار المجرد أو
 الفكر العقلاني لكنها تخضع لرؤى وكشف وتجل يمزجه الشيخ من
 عمل المرید الذي لا يجب أن يكلف نفسه رؤية صورة قد تتسبب في
 ١٠٠ ميراثه التي يجب أن يوفرها للطريقة التي جاء من أجلها، الشيخ
 يفتح للمرید عدسة شديدة التقريب وينظر إليها برعايته وتعليماته،
 وعندما يأمره بفض بصره يغمض عينيه كنائم كهف ينتظر أن يوقظه
 شيخه في عصر آخر تنتهي معه كل المحظورات التي وضعها عصره،
 والمعترضون في الصوفية يلقون من الإهمال والطرده والغضب ما لا
 يلقاه ابن طرده أبوه من نسبة بسبب جحوده.

في عصر الدينارية الثانية كان الديناري (الأب) دكتاتوراً في الرأي،
 فلم يكن يسمح لأحد بالسؤال أو الاعتراض وقال ذات مرة :

- مَنْ اعترض امترض، ومن تمادى في اعتراضه طرد من
 الطريقة وفقد المدد.

وكان يقود الساحة بقيم الاستبداد، وفي نفس الوقت يكرس لأعمدة
 الفكر الصوفي الزهد والمعرفة والمحبة والولاية، كانت الساحة الثانية

كطائر يتكفل بإطعام صغاره ولا يطلب منهم أن يفكروا في الكيفية التي
جاء بالطعام بها، على الرغم من أنه ارتقى مرتقى صعباً، وتشبه حمار
النحل التي تدور في فلك واحد من أجل الملكة، وإذا أصاب الذئب
مرض نفسي أو عقلي شدّد النقباء على اتباعه حتى ولو خرج كلامه «
المنطق فهو قمة الكشف، وإن نطق بالجنون فالتنزيل يليق بشيخ وهـ.
نقاء روحه للتصوف، يُقال أن كان للديناري (الجَد) أب اسمه نصير،
الفيومي يختلي بنفسه كثيراً عند سفح الجبل الغربي ويظل بالساعات،
يهدق في الشمس، وذات يوم رأوه يتحدث إلى حجر مائل وقع من قمة
الجبل منذ خمسمائة عام، وظنوا أن "شعرة" أصابت عقله في حين
أن سمعوه يؤكد على انهيار جدران جامع عمرو بن العاص بالدينارية
ولم يكّد يصل السامعون إلى نجع الطوامية حتى وجدوا الجدران قد
انهارت بالفعل، ولم يكن انهيار جدران جامع عمرو بن العاص يمثل
فجيعة كبرى بقدر ما كان أمر نصير الفيومي يمثل اكتشافاً يفوق أي
انهيار أو تهدم، ومنذ ذلك الحين اهتم الناس به وأعادوا بناء بيته
وأمعنوا في تجميله لدرجة أنهم قاموا بتوسيعه على حساب جيرانه
الذين شرفهم بجيرته، وحينما قال أحد اليهود ساعتها إنه يتحدث
إلى جنية سكنته حينما كان يرقص عارياً بعد حضرة أقامها منفراً
عشية عيد الفطر المبارك وفي نفس العام الذي طردته فيه زوجته التي
أنجبت له الديناري (الجَد) خصوصاً بعد أن لاحظت أنه يتحدث إلى
الجدران ويُجامعها كثيراً.

هناك شخصيات تعتبر محور ارتكاز لشخصيات أخرى، فتمثل إما
نقاط تحوّل لمائلة بأكملها أو انهياراً لنسل كان يحظى بشرف صوتي
كبير، أو حتى انهيار دولة من الدول بسبب ضعف آخر حكّامها، وربما

بمُتبر محور تغير شامل أو تطور لخريطة جينية كاملة، طريقة صوفية
اندثرت بسبب ضعف فكرها الصوفي وانصراف الناس عنها شيئاً
مشيئاً؛ لأنها فقدت مصداقيتها أو لأن أولياءها لم يستطيعوا جمع
الناس حولهم حول مائدة العشق الإلهي، وطريقة صوفية أخرى تخرج
من رَحْمها وتتخذ منهجاً جديداً في منطقة وِعرة تعتبر محور صراع
محموم بين الديانات الثلاثة، ويكون نقطة ارتكاز هاتين الطريقتين
نُصير الفيومي الذي خبا نور الطريقة الفيومية من خلاله، وبزغ نور
الطريقة الدينارية من صُلبه، قال الحاخام الأكبر عوفاديا يعقوب عنه :

- كان نُصير الفيومي "حَجَرَ الزاوية" الذي مات بمولده جيل كامل
بمقوماته وفكره ومنهجه الذي لا يصلح للجيل الذي يليه إلا في الأصول
المُحَقَّقة، ووُلِد بموته جيل جديد له فكرٌ ومقومات ومنهج على الرغم
من أنه يحمل شذرات من المنهج القديم إلا أنه استند إلى معطيات
جديدة تواكب العصر وتغير بتغيره.

وقال الأسقف صاروفيم المحرقي سلف الأسقف ميخائيل المحرقي
عنه في اجتماع المجلس الكهنوتي القبطي الذي كان ينعقد كل شهر
في الأبرشية ولم يُعد ينعقد في عهد الديناري (الأب) نظراً لظروف
الاغتيالات التي كانت تستهدف أعضاء المجلس الذين كانوا يضعون
سياسات الأقباط في الجنوب وفق التغييرات والمستجدات :

- مات أكبر مدافع عن حقوق الأقباط، وربما لن يوكد من صلبه من يهنا
الأقباط بوجوده.

الفصل السابع والثلاثون

فَرَعُ منظمة حماية الدين اليهودي العرّية يرأسها الكاهن شاؤول أشعيا، وتتبع المكتب الرئيسي الموجود في تل أبيب، ولها فروع في كل دول العالم، تحصل على تمويل خارجي من يهود المهجر، يُشرف عليها مجموعة من رجال الأعمال اليهود الذين يعيشون في أمريكا، تقوم المنظمة بكل ما هو في مصلحة الدين من انقلابات، وثورات، وحركات تمرد، وحركات دينية، وتكوين جماعات تخريبية تزعم أمكنة أو قرى أو مدناً أو دولاً، حتى ولو وصل الأمر للتصفية الجسدية أو إشعال حرائق بقرى كاملة، كما تقوم بعمل غسيل مخ لأعدائها، يتولي لويس ليمارجي الإدارة التنفيذية فيضع الخطط المكتملة للسياسة العامة للمنظمة.

من أهم العمليات التي أنجزتها المنظمة في الدينارية في الفترة الأخيرة حرق عمارة كاملة لمواطن رفض أن يسكن يهودي فيها، ومحل "سايبير" يعرض بعض الجرائم الإسرائيلية على شاشات مستعملة مستوردة من أمريكا، ومول تجاري يضع صوراً لحاخامات يكون عند حائط المبكى وعليها علامات X، وحرقوا منزل مهندس تنظيم القرية الذي أسند له المجلس القروي تسميم حوض سكاني، وكان يأخذ رشاوى من البعض ليخصص لهم الأماكن المتميزة في الحوض على حساب اليهود الذين اشتروا قطع أراضٍ سكنية في مكان جديد.



يوم الخميس، الحاضرة، عُقدت بعد صلاة العشاء، شكّل بشري

بعضاوي محاط بشكل بعضاوي آخر مُغلق، تشابكت أيدي الذاكرين المنسجمين نفسياً، وداخله صفوف بشرية أخرى مترابطة ومتشابكة أيضاً، وفي الصف يقف المنشدون على يسار الديناري، وخلفه تقف صفوف الذاكرين، وعلى يمينه يوجد الخلفاء حول صفوف الحضرة، كما يوجد أيضاً عشرة نقباء للإشراف على النظام، ويساعدهم ستة عشر مُنظماً يقف كل اثنين طرفي كل صف من صفوف الذاكرين، ويقوم النقباء بتوصيل إشارات الشيخ إلى الذاكرين من قيام وقعود وسكوت وذكر وانتقال من درجة إلى درجة في سرعة إيقاع الذكر وصوت الإنشاد المركب، ويقوم الشيخ بضبط إيقاع الذكر من أول الحضرة حتى آخرها بصوت عالٍ أو بهمسٍ أو إحياء، وأحياناً بإشارات بترجمها النقباء.

أغْمَضُ النَقِيبُ عَيْنِيهِ وَزَفَرَ زَفْرَةً قَالَ بَعْدَهَا:

بَكَيْتُ وَدَمَعُ الْعَيْنِ لِلنَّفْسِ رَاحَةً،

وَلَكِنُّ دَمَعُ الشَّوْقِ يَنْكِي بِهِ الْقَلْبُ،

وَذِكْرِي لِمَا أَلْقَاهُ لَيْسَ بِنَافِعِي،

وَلَكِنَّ شَيْءٌ يَهَيِّجُ بِهِ الْكَرْبُ،

فَلَوْ قِيلَ لِي مَنْ أَنْتَ قَلْتُ مُعَذِّبُ،

بِنَارِ الْمَوَاجِدِ يَضْرُمُهَا الْعَتَبُ.

بصوت واحد لا يعتربه نشاز أو خروج عن المألوف، نوتة موسيقية مكتوبة بدقة شديدة كتبها ملحن صوفي لحن لأم كلثوم أغنياتها وقصائدها الدينية فلم تتحرف جملة موسيقية عن وجد يناسب حركات التنفس

المضبوط في الحضرة، قائد الأوركسترا يشير بيده فيتناوب المغنون فرادى ويرد الكورس خلفهم في تناغم مُحكَم، ومن وقت لآخر تتصاعد أصوات اللوعة تتبعها شهقات شديدة التأثير، والقاعة غارقة في تيه الوجد، والحب تطير به حمانم الوصل بين الشيخ ومريديه. الوجد والوصل دعامتان موصولتان في الساحة تصيب كل من دخلها قاصداً أو تائهاً، والمارق عنها في دوامات التشتت راقص.

قال الديناري بصوت سردي مفعم بأيات الوجد:

"جلسنا في مقام الوجد تائهيّن للعرش متجهين، وعنوان العناية الإلهية القبض بعد التقدير، بسط لنا الله وتجلّى بهيبته وأعد لنا ساحات الأتس بوجودك، وحديثك نقي جميل، الفناء في حب رسول الله غاية، والبقاء في حضرته عنوان، يا ليت حضوره قريب فيتجلّى لنا فيكون وصله شفاء للصدور، منكرنا وسكرنا في حبه مكتوب، فكفى بحبك ستر يتبعه تجل وطريق طويل تثيره المكاشفة، فيا رسول الله بيدك شربنا شربة عند الحوض لا نظماً بعدها أبداً."

الذاكرون في حضرة الديناري يميلون يمينا ويسارا وكانهم يطربون لصوته، ولم تعد أبصارهم تراه حقيقة بل زاغت وكانهم يستقلون بساطا حريريا يطير بين الكواكب وينظرون إلى كائنات بشرية منفلة لا تمشي على أرجلها بل تهيم بأرجلها وأيديها في فضاء واسع، لكنه يعبس البشر فيطلبون انفلاتا في الكون، وكائنات حيوانية صامته متحجرة في بقية الكواكب كأنها أصنام مكيّة قام الكفار بصناعتها حينما فقد الناس إيمانهم بها فصنعوا أوثانا حيوانية تتخذ عدة أشكال إذا لم يأت نبي خاتم يقضي على الأوثان البشرية قبل أن يصنع المكيون أوثانا حيوانية، الفضاء كيان كبير جدا ليس له أفق لا يضيء،

لا يظلم، الأشياء والكائنات تراها كما هي وكان عصرًا جليديًا قوامه
 انة مليون عام ضربهم وينتظرون مائة مليون عامًا آخر حتى تنتهي
 الحالة المتجمدة. ثم يكملون الرحلة فيهمون بين النجوم بنورها
 الوهاج، صار المتصوفون في ذكرهم وحضرتهم ينطقون بلفه واحدة
 ونعمة متجانسة ونفس واحد تصب في قناة إلهية واحدة بنبض واحد.
 كان حديث الديناري الشفاهي يدعم وحدة الحضرة وكانوا يرددون
 ويحفظون الأذكار والأوراد شفاهة دون إدراك لأسرارها أو كنهها. ولم
 يكن لغة الديناري سوى طريق مههد لا يحتاج المحب للوصول لشيخه
 أن يدجج عقله بتبريرات كما كان يفعل الذاكرون في الدينارية الثانية
 أو حتى الأولى، وكانت طرائق الكشف الصوفي تمهد لإدراك الحقائق
 المستترة ومن الخلاء والاختلاء بزغ نور الصوفية في الطريقة
 الدينارية.

انتشرت في الدينارية إشاعة تقرب من الحقيقة حسب الذي بثها
 ونسخ فيها من روحه تقول إن عاصم الديناري قد أنجب ولدين من
 أهافا في أمريكا العام الماضي، وبعدها بخمسة شهور سافر معهم إلى
 نل أيبب وهناك قابل الحاخام الأكبر، وبلغت الإشاعة الذروة حينما
 قيل إنه اعتنق الدين اليهودي في ولاية إلينوي، ولحقت بها إشاعة
 أخرى تقول إنه لم يعتنق الدين اليهودي ولكن ولديه أصبحا يهوديين
 بسبب يهودية أمهما، وقال آخرون إنه خضع لفسيل مخ فتسي كل شيء
 عن الدينارية وعن أبيه، اتسمت الإشاعات بالغموض على الرغم من
 محاولات البعض تأكيدها حتى تصبغ بصبغة الحقيقة المطلقة، أقسم
 أحدهم بدينه وبإيمته، وآخر أقسم بالطلاق وبأولاده.

حاول الديناري أن يتمسك بالثبات حينما وصلت إليه تلك الإشاعات،

ولكنه أوشك أن يصدقها خصوصاً حينما انقطعت الاتصالات بينه وبين عاصم، وأرسل له ايميلات كثيرة لكنه لم يتلقَ منه رداً، وكان ايميل وصل منه منذ ثلاثة شهور قال فيه :

From: asem__eldinary@yahoo.com

To: eldinary__sufisheik@hotmail.com

Subj. greetings from Ahava. Asem

والدي،

عمت مساءً

أرسلُ لك التحية من ولاية الينوي بأمريكا، أهافا تهديك السلام. اعذرنني على تأخري في الرد على ايميلاتك بسبب انشغالي بالعمل، بالإضافة إلى الدراسة في الماجستير، وأبشرك بأن أهافا حامل وسوف تلد في غضون ثلاثة شهور وحدد الأطباء اليوم والساعة، ولن أتأخر عن الرد.

ابنك عاصم.

لاحظَ الديناري أن لفة ابنه مختلفة تماماً عن لفته في ايميلات السابقة، فكان يستهلها بـ "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"، لكن هذه المرة استهلها بـ "عمت مساءً" وكان نسيج الرسالة في السابق يحمل نكهة دينية تفوح من بين السطور، وكان يختمها بأية قرآنية تحث على الصبر أو آية من آيات سورة الزمر. ذات مرة أرسل له ايميلاً استهله بأية من آيات سورة الفتح بقول الله "إنا فتحنا لك فتحاً

مبيناً ، ماذا حدث؟ لَمْ تَغَيَّرْ أُسْلُوبُهُ؟ هل يتغير الإنسان في الغربة هذه الطريقة؟ ولاحظ أيضاً شيئاً غريباً حينما كلمه عن طريق الفيس ،خاصية الفيديو، فوجدَ تغييراً شديداً، عاصم الذي سافرَ غير عاصم الذي يراه الآن، حليق الرأس إلا من هضبة شعرية مرتفعة تعلوها مفرورقة بالجل، قصّة شعر تُسمّى "عرف الديك" ، وأصبح نحيفاً كرجل يرتاد بيوت دعارة ويحتاج كل يوم أن يدخن الحشيش ويشرب الخمرُ وكتل من اللحم الأحمر وعسل النحل، وكلما اجتهد فيها تهدم عنفوانه وجسده فصار كميت أعد للموت لكن في اللحظة الأخيرة قام وظل يمشي ويعيش في الحياة ببيولوجية شخص مات منذ الصباح. وفكر الديناري أن جمال أهافا وجسدها يحتاج لخمسين رجلاً ينامون بالنهار ثم يفتسون في بئر دافئة ثم يخرجون ومائدة كبيرة معدة لهم، وحينما يفرغون من ملء بطونهم يعالجونها بأسمى معانى الجنس قيمة ومقاما، ويعطونها ممارسة تليق بها وبجسدها توأم جسد آفا جاردنر في صباها، أما أن تنفرد بفتى يافع نشأ نشأة دينية في ساحة صوفية لا يسمع فيها إلا ذكر الله ويركب الحصان في الموائد نقيبا ووليا فهذا هو الظلم بعينه.



لم يكن الديناري غافلاً عن نوبات التّفكّر التي تنتاب الذاكرين، فكان يلقيهم في كل حين عبارات متسقة بلغة واحدة تعيد لأذهانهم الوجد والتنعم بالذكر.

قال ونور يعتلي وجهه كشمقٍ أحمرٍ يضيء حافة الأفق ليؤكد لليلٍ مُقبِلٍ بعتمته أنه حتماً سيعود في نهاية كل يوم شمسي :

"إن الله تعالى سلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفِيائه، الوارِ معصومٍ من الزلَّة والخطأ، والعلم الباطني يأتيه إلهامًا من الله تعالى، ووصايته على الاتِّباع قدرٌ محتوم.

مسافاتٌ شاسعة تقترب كنساجٍ ينتهي من عمله فيطوي قطعة قماشٍ عريضة جدًا فيقترب نسيجُها من النساج الذي يعتريه الفخرُ وينمض عينيه شكرًا للخالق الذي آتاه تلك القدرات.

قال الديناري وهو متكئ على الوسادة يفتح أبوابَ وصايته، والذاكرون يتلذذون بالوجد :

"قلبك يحتشد بالأحاسيس فاطلب بقلبك لقاءً ودع عقلك، فمقلك ما يزال قاصرًا يستيبح ما جاء به قلبك. وذكر الرحمن آيات تسري بك لحدائق تستحيل على الملوك معارج. يا ليت كل القلوب تصفو وتهدأ أصحابها النقاء فتتجلى للعواطف منازل أعدت للمتقين الذين اتخذوا الصوفية طريقًا."

كان من بين الموجودين في الحضرة كمال الواطي يتمايل ، المتمايلين وينطق ما ينطقون، لكنه كان غائبًا تمامًا ليس غيابًا صوفياً ولكنه غيابٌ شَبحي وما بينهما أيضا شَمرةٌ رفيعة، تتجلى فيه زوجته وهي تنزف من بين فخذيهما وهو يحملها فوق كتفه متجهًا بها إلى المستشفى الدولي، كانت وهو غائبٌ ترقص رقصاتٌ عجيبةٌ فتنتقل من بين الذاكرين وتلطح وجوههم بالدماء، وشعرها هائج أعلن عن فجوره بموج في بعضه، ولما كان الذاكرون يصلون لأعلى درجات الوجد، كانت تمزق ملرحتها وتلقيها على وجوههم وعند شهقاتهم تشهق شهقة إسبانية تسمعها كل إناث الحيوانات فتتهيج وتعرِّبُ في أماكنها وكان

الأعنيًا ضربًا ما تحت أرجلها.

١٠١٠ إن كمال الواطي الذي ظل في بيته شهرًا كاملاً دون أن ينطق بكلمة
١٠١١ ذبح زوجته في غرفة نومه يدرك أن درجات الوجد في الصوفية
١٠١٢ العلية نعامًا كجهاز كهربائي يعمل بطاقة محددة، ولما ارتفع الفولت لم
١٠١٣ عمل الرقائق الإلكترونية التي يعمل بها الجهاز فطارت اللوحة وتعطل
١٠١٤ الجهاز، تمامًا كأسيمة النقاش التي ارتفع فوقها فولت جيمس فولتي
١٠١٥ طارت رقائقها وشفراتها وعتق رجمها، وكانت الشحنات الصوفية
١٠١٦ العلية جدًا فلم يحتملها عقل تدرّب على كسب رزقه من "عرق الورك"
١٠١٧ بل جهد كان يبذله في الفراش له مقابل كبير بالدولار وبعملات
١٠١٨ سمية أخرى، كان جهدًا بدنيًا يستخدم فيه ركبتيه وعضوه ويسبق
١٠١٩ الالطوقس ثمالة يرتفع فيها عن المنطق ويبقى اللامنطق، شاب
١٠٢٠ من العشرينات ينكح امرأة ماتت في زمنها أجيال، امرأة دفن فيها
١٠٢١ خلها وعلق به الصدا والدمامل وأصبح مثل بركان كان يخرج الحمم
١٠٢٢ والأفان في بداية عهده ولما خارت قواه سدت فوهاته فلم يعد يخشى
١٠٢٣ على الناس من فورانه من جديد، وحينما يفرغ ماءه فيها ويفرغ من
١٠٢٤ راجبه يرتفع معه مستواه المعيشي وحتماً بقية عائلته من درجة الصفر
١٠٢٥ إلى درجة العشرة، لكن الصوفية تحتاج لوجد عاطفي، والعاطفة
١٠٢٦ منزوعة منه كما يُنزع الدسم من اللبن، فطارت رقائق عقله وأصبح
١٠٢٧ هنا مثل حمامة وقعت بطلقة من صياد محترف لكن ما يزال لحمها
١٠٢٨ ينتظر أن يؤكل، وبعد نهاية الحاضرة اكتشف الديناري أن كمال الواطي
١٠٢٩ بعد ليكون في زمرة الذاكرين فأحسن إعداده، ولم يبق له إلا أن يأخذ
١٠٣٠ العهد عن شيخه.

بعد انتهاء الحاضرة ظلّ الذاكرون يميلون على الجانبين، وأفواههم

تعييد ما رددوه خلفَ الديناري، وكان هو أول مَنْ يفيق من غمرة الأضواء وظلوا هم كذلك كأنما تم تخديرهم وأجريت لهم عمليات جراحية، وقت واحد في مستشفى جراحات اليوم الواحد، وعندما فرغ الجراحون منهم تركوهم يفيقون تلقائيًا دون إفاقة مقصودة، وأجسادهم منهية بالمخدر فظلوا يتمايلون وهم مُستلقون فيثرثرون بألسنتهم النفراء المثقلة بكلام مُبهَم غير مفهوم يخرج من أعماقهم، وشفاههم ترويض وتزبد، وأجسادهم تتطوح تلقائيًا ليس لهم عليها وصاية، وظلوا عام هذه الحال فترةً طويلة تقل فيها درجات الوجد والغياب وتزيد فيها درجات الوعي والعودة، وما بين الحالتين قال الديناري كأنه يسلم ملخصًا للحضرة في شكل حكمة :

- تنزلت الرسالات على الأنبياء، وتنزل الإلهام على الأولياء.

قَبْلَ الحضرة بيوم واحد بعد أن قذفت الشمس بنفسها خلف الجبال الغربي حتى يبرد لهيبها جلس كمال الواطي إلى نقيب الساحة فظن أنه منه أن يذهب فيفتسل ويتطهر، ولمَّا عادَ طلب منه نفس الطلب فرأى في عينيه استنكارًا قال له مؤكدًا :

- اذهب فاغتسل ثم تطهر.

ولمَّا عادَ أعادَ إليه نفس الأمر، وتكرر السؤال بنبرة هادئة ووقورة، وتكررت مرات الاستنكار نفورًا وضيقًا، وفي المرة السابعة رأى النبي في عينيه انكسارًا ودُّلاً وقد تلاشت من صوته نبرة التبرم فأمره بالصلاة، وصلى الفرض عدة مرات قَبْلَ أن يؤديها كما أراد النقيب أو كما قال الكتاب، وعلمه طريقة الجلوس إلى مَنْ هم أعلى منه مقامًا، وأن العينين لا ترفعان أهدابهما تقديرًا وإجلالًا للشيخ، والصوت ما

النبرة المسموعة وبين الهمس يكون بين يدي شيخ الساحة سبيلا ،
يراجعه في قول أو أمر حتى ولو كان الأمر موجعا ، وأن تكون حالة
لديه كصائد السمك الذي يذهب للصيد وينتظر طويلا ويثابر
، يخرج له الصيد ، وإن لم يخرج يحمد الله على ما رزقه ، وأن يدع
ه طيبة للخواطر التي سوف تتولد لديه في الحضرة ، وأن شرب
البارد ينزل على قلبه بردا وسلاما .

هاية الحضرة وعندما استفاق الذاكرون من الخدر تماما وخرجوا
نون للشيخ بعد تقبيل يده متضرعين ، جلس الديناري في منتصف
ة واتكأ على وسادة وجلس إليه كمال الواطي بعد أن وقف طويلا ،
أذن له انحنى وقبّل يده مرة أخرى ، وعند الباب وقف نقيب
تثبّان ليمنع كل من يطلب الدخول .

الفصل الثامن والثلاثون

بدأ كمال الواطي، بعد أن حفظ على يدي النقيب يُردد العهد بين يدي الديناري، فكان التلميذ بين يدي شيخه كالميت بين يدي الفاسل يُقلبه وشعر بريح عاتية تمحوه من أمام الشيخ، وظل معلقاً بجذع شجرة أمسك بها وهو طائرٌ إلى اللامكان، وتعرى تماماً من جراء شدة البرد حتى انتشله الديناري وأجلسه أمامه :

“إني عاهدتُ الله وأعاهد الله وأعهدُ إلى الله وأشهد على نفسي بأنني التزمتُ السمعَ والطاعةَ لشيخي الديناري، فلا أخالقه بقبام ولا بجوارحي ولا بلساني، وقد جعلتُ هذا نذراً على الله عهداً شريفاً صحيحاً وصريحاً حازماً، إذا خالفتُ شيخِي الديناري أو اعترضتُ أو غيرتُ أكون خائناً وناكثاً وناقضاً لعهودِ الله ومواثيقه.”

كان الديناري يختلي بنفسه كثيراً ولأنه كان يُبجلها كثيراً فقد كان يستلذ بسماع صداها، ويطيبُ له مديحها وتتداح أمامه الخواطر كأها قش تحمله تيارات مائية في جدول بين أشجار منخفضة، وكلما كان يده لالتقاط إحداها انفلتت منه وطارت مبتعدة وكأنها تهرب من عينيه، وكذلك جاءت أهافا أمامه مرات كثيرة وسبحت في الجدول أمامه بملابسها الداخلية ورأى عجيبة التمثال قبل أن يبدعه النجار، يحتاج جسدها لنحات صوفي جديد يبدعها فيحسن تصويرها، كما في وصفها فمرة كان يقول :

- تمثالٌ عاجي أبدعه فتانٌ إيطالي.

مرة أخرى يقول وعيناه تعانين العجينة تروغ في الماء أمامه :

عجينة إسبانية عجزية تحتاج لنحآت صابيء يكفر بكل الأديان حتى لا
نفهده عقيدته فيفجر بفضه معها ليبدع امرأة اتخذت من الفجور سبيلا.



معبد الياهو هانبي يقع تحت ربوة من ربوات الجبل الغربي، ويتخذ من
القدس قبلة، ويبعد مائتي متر عن دير القديس بطرس، ويبعد أربعمائة
متر عن ساحة الديناري. كان الديناري يقف عند الفناء الأمامي الذي
لحيط به أشجار الكافور قبل أن تلعق أشعة الشمس التي تميل إلى حمرة
الضجل أطراف الساحة، وتغض الطرف عن المعبد والدير فيحتلها
الظلام قبل أن تسحب الشمس أشعتها الحمراء وكأنها تلامسها حتى
تفمض تجاوبها خلف الجبل الغربي، كان يبصر بعينين مفكرتين
المعبد على يساره والدير على يمينه وإذا فتح راحته فيمكنه أن
يربت عليهما حتى تطمئن أفئدة قاطنيه التي كان يوقد نارها كهأنهم
من حين لآخر. في نفس الوقت كان كبير الكهنة ريباش يقف أعلى
السلم الرخامي وينظر من خلال الكوة فيرى الساحة وهي محاطة
بأشعة الشمس الحمراء وكأنها تحتضنها برفق مثلما احتضنت أشعتها
الذهبية اللوحين الحجريين الذين نُقشت عليهما الوصايا العشر حينما
نزل موسى من الجبل بعد أن فرغ من لقاء رباني فتن فيه القوم عند
خيمة السامري في الأسفل ولم تفارقهما إلا حينما طرحهما فكسرهما
أسفل الجبل.

يتكون معبد الياهو من ثلاثة صفوف من الأعمدة الرخامية تعلوها
تيجان بديعة، ويحمل كل عمود نقوشاً أندلسية بصيغة سفارديّة منمقة.

وهي المنتصف فناءً رخامي كبير يحتوي على مقاعد المُصلِّين، تتوسطه منْصَة الوعظ الخشبية التي تحمل الطابع اليهودي والأندلسي معاً، تعلوه فتحة الإنارة والتهوية فتتظر عين الرب مباشرة وتحفهم عنايته، وفي الجانب الشرقي يوجد الهيكل ويحتوي على تابوت العهد، ولقائف التوراة وبعض من وثائق الجنيزا.



أهافا ليمارجي استقت جمالها من امرأتين وبورتريه وكأنها جاءت بجمالها الفذ لتفسر الفموض الذي يكتنف حواء، ربما تخيل بنو البشر آدم وصنعوا له تماثيل في خيالهم، فمنهم من صوره مثل لينين أو ابراهام لينكولن، أو ألفيس بريسلي أو قطز، أو بيبرس، أو ربما مثل سراج منير، ومنهم من رسم له صورة بروميثويس، وآخرون تخيلوه في أنفسهم لكنه أضخم قليلاً وذو بأس، ولم يستطيعوا أن يصفوه، كل تلك الخيالات تكونت عن آدم منذ بدء البشرية حتى الآن، لكن لم يخطر ببال البشر شكل حواء وتقاطيمها ولون وجهها، وهل هي جميلة أم أنها تجسد الأم ذات الملامح المتجهمة، ويخرج من نساها فتيات تتحسن جيناتهن تدريجياً على مر الأجيال؟ أم خلقت في أعلى صور للجمال وخفت ذلك الجمال تدريجياً في نساها؟ وهل كانت بيضاء لتعدل دفة الجينات مع آدم الذي ربما كان أسوداً؟ أم أنها كانت سوداء لتتنز الخريطة الجينية بلونها؟

كانت أهافا ليمارجي هي حواء التي لم يتخيلها أحد، وهي التمثال الذي لم يجرؤ نحات عالمي أن يرسمه حتى الآن، وهي الصورة الجميلة التي لم تخطر ببال أحد من الرسامين ولو بعث مايكل انجلو أو دافنشي الآن من قبريهما وتطلعا إلى وجهها فسوف يصابان بخرس أبدي مثل

ءاطني نجع الخرس، وربما يتحولان إلى تمثالين حتى يأتي يوم البعث. أهافا ليمارجي هي الفتاة التي جاء جمالها بين الفتاة المسلمة والفتاة المسيحية، وإذا كان في خيالك هذان النموذجان فضع أهافا بينهما ونخيلها، (ربما تظن بي الظنون وتقول إنني أغويك بهذا الوصف، لكنك بعد برهة سوف تكتشف أنني بريء براءة الذئب من يوسف) وإذا كان في مخيلتك مخزون من تلك النماذج النسائية وتشعر ببعض الضيق من صعوبة غربلتها في ذهنك، فامهل نفسك بعض الوقت حتى ننقي أجملها.

أعودُ بك إلى ما بدأتُ به "أهافا ليمارجي استقت جمالها من امرأتين وهورتريه" وكنتُ أخشى من نسخ تلك العبارة أو استنساخها بعد أن انفتحتُ معك أن تستخرج من ذهنك نموذجين لفتاتين إحداهما مسلمة والأخرى مسيحية، لأنك ستظن وأوافقك الرأي أنك ستفقد عقلك حتماً وستزيغ عيناك لأنني أضيق على ذهنك. قال أبوها لأمها حينما بلغت الحادية والعشرين من عمرها وهو يعاين سحرها الذي يُمَتُّ فترات الضيق :

- لا يستحق أهافا إلا نبي أو ابن نبي.

أصيبتُ أمها بتلك في نطق الكلمات مثل البليمي وهو يردد أبياتاً صوفيةً في الحضرة فأنحشرت العبارات في حلقها، وكأنها ابتلمت سرباً من صراصير وعَلقت شواربها في سقف حلقها، وحينما ابتلمتها وأعادت نطقها خرجت الكلمات مجروحة غير متألية :

- نبي، تتزوج، أهافا، تستحق، ابن نبي.

ضحك لويس ليمارجي ضحكةً مجلجلة متوازية النبرات، فحينما تنتهي

الدفقةُ برقائقها النهائية تليها دفقةٌ أخرى من الضحك تشبهها تماماً وتظن أنك سمعتَ تلك الضحكةَ بهيئتها ونبراتِها منذ ثلاثِ ثوانٍ، وهكذا تتكرر ويستمر معها احمرار وجهه وتضيق عيناه المسحوبتانِ قائلاً :

- ليليان، تتحدثين بالمقلوب.

واستمرت ضحكات لويس وحينما شعر بضيق يكتنف الحجابَ العاجزَ وقفَ يتمشَّى يحاول أن يجدَ من ثورة الضحك التي انتابته، ولكنه في قرارة نفسه يعرف تماماً أن نطق ليليان للكلمات بدون ترتيب لا يستدعي هدير الضحك وكأنما توجد بداخله ماكينةُ اليكترونية للضحك يقوم المستخدم بادخال نكتة اليكترونية مُدعمة بالصور الكاريكاتيرية فتقوم الماكينةُ بمعالجتها فتخرج حينئذ ضحكات متتالية ومنسفة ومتشابهة النبرات؛ لأنها معادلات اليكترونية متشابهة تماماً، بل هناك ما هو أقوى يستدعي هذا الانقباض والانبساط للرتبتين يُعرضهما للتهتك، فقد تخيل في نفس الوقت فرعونَ الخروج وهو يتيه بين الأمواج الضخمة التي تشبه الانهيارات الجبلية الكبرى التي حدثت منذ ملايين السنين، وكان يظن أنه إلهٌ يستطيع بدرعه أن يصد هذا الموجَ الفاجر، وقال وهو يدفع يميناً ويساراً ويستعين بضمه ليتنفس بعد إخفاق منخره بالقيام بمهمتهما الجسيمة :

- بني إسرائيل، أمنت، بإله.

حينما قال لويس ليمارجي تلك الكلمات غير المرتبة غيظَ ليليان واستقرت ضحكات لويس على جبل الجودي، وعلى الرغم من أنه قد استكان تماماً وجلس يعدق في صورة أهافا المعلقة فوق جدار الصالة، ومالت ليليان للوراء تشاركه صورة أهافا تحديقاً وإعجاباً إلا أن صدى ضحكاته كان ما يزال يتردد في الصالة بنفس الشدة، والأكثر من ذلك

كان يتردد بداخل ليليان فينغص عليها استمتاعها بخيوط الصمت التي بدأت تتشكل بعد خمود هذا البركان الليمارجي، ويتردد في رأس لويس وجسده فيقطع تلك الخيوط التي نجح الصمت في غزْلِها.



مرت ثلاثة شهور منذ أن أُعيد متى الضبعواوي إلى دير القديس بطرس وهو محبوس في غرفة التثبيت يتناوب عليها الرهبانُ يقرأون مقتطفات من الإنجيل ومأثورات القديس بطرس، ويحملون معهم أواني البخور التي تصاحب التراتيل والصلوات لإشاعة جو من الطقوس القبطية التي تليّن الأفئدة الجاحدة بيسوع، وكاد الرهبان يصابون باليأس من عودة متى إلى رشده واتباعه سبيل يسوع لأنهم كانوا يرونه وهو شاخص بصره إلى نقطة محددة لا تتغير، نقطة غير موجودة في غرفة التثبيت أو في الدير نفسه وربما أبعد من الدينارية كلها، نقطة موجودة في كيانه وذاته وهي أبعد من الرهبان الذين حسبوها نزوة دينية سيرجع عنها حتماً، ولم يتخيلوا أن تلك النقطة الموجودة في ذاته أبعد من كوكب الأرض نفسه، ظنوا في البداية أنها اللامبالاة التي يبيديها المرتد للطقوس التي يخيلونه أو يستحثونه بها، وفي نفس الوقت إذا كانت روحاً شريرة هي التي التبسته فإنها مع البخور والتراتيل والترانيم تختنق وتخرج من مؤخرته في وجودهم أو في غيابهم، لكنهم عرّفوا أنها ليست لامبالاة وإنما كانت ثباتاً بيديه الجندي في أشد المعارك فتكاً، نفس الثبات الذي أبداه يسوع في الصلب، لكن متى في هذا المقام ليس يسوعاً ولكنه عمار بن ياسر الذي يشبهه إلى حد كبير فهما طويلان وإن كان متى أقصر نسبياً نظراً لِقصر رقبته، لكن ما بين كتفيهما متباعدان.

أدرك الرهبانُ بعد مرور شهرين وثمانين وعشرين يوماً أن متى يشخص ببصره إلى نقطة ما في المنقف، ليست مصوبةً إلى الملائكة الصغار الذين يرفرفون في سماء الغرفة، وإنما في بؤرة حفرها بعينه فتدلى منها قنديل يخرج منه شعاع ضوء أبيض كضوء القمر، ينفلت من فتيله الذي يزهو بلونٍ وردي فيصنع حول متى دائرةً قمرية الضوء، منشور ثلاثي ينتهي بدائرة كانت السبب في استنفار بصره وتسلفه تلك الخيوط الناعمة التي تسحق الذرات القبطية التي تشيع في الغرفة وكأنها تحاول إغواءه وتذكيره برائحة يسوع الذي ينتظر الفتك به.



"أهافا ليمارجي استقت جمالها من امرأتين وبورتريه"

أعرف أنك تقول في نفسك إنني شيطانٌ منفلت، فقد أتيتُ بتلك العبارة مرتين من قبل ووضعتك في قارب منفلت وطفتُ بك في جزرٍ أخرى، ثم أرسوك كسفينة نوح وأتيتك بتلك الجملة التي لم أفهم توظيفها في سياق متصل، قلتُ لك من قبل إنني لا أسرد سرداً متصلاً، تغمض بعده عينيك وتنام فتتسى ما قرأته، سردي سردٌ منفلت ليس كمثله سرد. أما فيما يخص جمالَ أهافا، فقد أعطيتك الفرصة الكافية أثناء سردي المنفلت أن تستجمع من خيالك نموذجين لفتاتين إحداهما مسلمة والأخرى مسيحية، وافترضتُ أنك فعلتَ أو أتيتَ بنموذجين ولكنك غير مقتنع بجمالهما الذي أقصد أن أشبهه بأهافا.

ولهذا السبب جئتُك مرةً أخرى بمسألة جمال أهافا الذي استقتته من امرأتين وبورتريه، ربما تقرر في نفسك الآن أن سردي ليس منفلتاً، وإيماناً مني بالأعرضك للفتنة أو سوء الظن بي فسوف أكشف لك

هاتين المرأتين، الأولى هي مريم العذراء، والأخرى هي الممثلة آفا جاردنر.

انتظرُ أنا لستُ غيباً حتى تقول عني ذلك، ولستُ جاهلاً، أمسك عليك لسانك فكل ما تقول يُسجّل والأدهى من ذلك أن لديك رقيباً عتيداً. أنا شيطانٌ لا أدين بدين حتى تقول إنني مسلمٌ وربما تعرف في وقت من الأوقات ما هو ديني. لكن لنعد إلى مسألة جمال آفا، نعم، أعرف أن مريمَ العذراء تُنسب للمسيحيين، وأن آفا جاردنر مسيحية أيضاً، فأين القدرُ الوَسْطِي الذي يقف بينه جمال آفا، دعني أفسر لك تلك المعضلة إذا حسبتها معضلةً تؤشك معها أن تتخلى عن القراءة. مريم العذراء، ألم يأت ذكرها في القرآن الكريم؟ ألا يحسبها المسلمون من الصالحات القانتات؟ ألم يُسمَّ البعضُ منهم بنتاً من بناته مريم؟

عندما يُفتن المشاهد بجمال ممثلة فإنه لا ينسبها لوالديها أو لموطنها أو لدينها وإنما ينسبها للإنسانية كلها، هذا الاضتنان الفريد يضمها في موضع عالٍ لا يمكن أن تستنزل منه درجات حتى ولو عادت القبائل العربية التي استوطنت شمال إفريقيا بعد الفتوحات إلى الجزيرة العربية، إنها آفا جاردنر. وفي هذا الوضع الفريد الذي ليس له مثل توضع مريم العذراء، فهي تُنسب للإنسانية بسبب قنوتها وحفاظها على فرجها وتصوفها وانجابها للمسيح. وهكذا يكون جمال آفا بين جمال امرأة ذات وجه صافٍ تتحطم فوقه أمواجٌ وتتكسر عنده امبراطورياتٌ وثنيةٌ عظيمة، وأمرأة أخرى تسحر بعينيها الأفتدة فتتوق للوصل والوجد تحت شفتيها والرحيل فوق سفنها المحملة بأنقى أنواع أحمر الشفاه، وتسقي من رحيقها ظلماً الباحثين عن الجمال واللذة، فجابوا القارات الخمس بمحيطاتها وبحارها والنساء المهجئة فلم يجدوا مثل جمالها.

لها وجنتان حمرانٍ تتسبان في خزي وعار التفاح الذي خدع الناس بمقياسه الأبدي، وصفاء الوجه الذي يطلب القمر عند رؤيته نسيانَ الإنسان الذي هبط عليه بصورته الكواكبية البدائية، وشعر متماوج متقلقل تتغلغل فيه النسماتُ وتشعر بالحرج في الانسياق وراء تموجاته المتقنة والتي يفشل البحرُ بمنفوانه في تقليدها.

هي مثالٌ للمرأة، التمثال الجميل الذي أبدعه نحّاتٌ من تلاميذ مايكل انجلو ينضح بأنوثه طاغية ويكاد ينطق برغبتها، يُخيّل إليك لو لمستَه لانتهدت مرحلة التجمد والتصلب وعادت المرأة إلى بشريتها الأولى بعد أن سخطها الفنان لأنها تمنّعت عليه ورفضت دعوته لمواقعتها، امرأة جميلة جداً لا تجد شيئاً تتحجج به لكي تقارحها ولولثانية واحدة، وتخشى مضاجعتها حتى لا يبهت جمالها من دنسك واتصالك بها، أو تذوب روعتها بنسلك الذي ربما تعود خريطته الوراثية لزنوج إفريقيا الذين كانوا يأكلون لحوم البشر.

الفصل التاسع والثلاثون

- أَحِبَّائِي، أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ أَنَّنَا مِنْ نَسْلِ آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ يَهُودِ
السَّفَارْدِيمِ الَّذِينَ طَرَدُوا مِنْ إِسْبَانِيَا وَالْبَرْتَغَالِ فِي الْقَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ،
بِحَثِّ الرُّوَادِ مِنْ أَجْدَادِنَا الْمُقَدَّسِينَ عَنْ مَوْطِنِ آخَرَ يَتَسَعُ لَشَتَاتِ قَوْمِ
أَرْمَهُمُ الرَّبُّ فِي التَّوَارَةِ فَذَهَبَتْ جَمَاعَاتٌ مِنْهُ تَحِيظُ بِهَا عِنَايَةُ الرَّبِّ
وَأَسْتَوطنَتِ الشَّامَ، وَجَمَاعَاتٌ أُخْرَى مِنْ بَيْنِهِمْ حَاخَامَاتُ وَكُهَّانٌ وَجَدَتْ
فِي آسِيَا الصَّغْرَى مَوْطِنًا بَدِيلًا، وَجَمَاعَاتٌ اتَّخَذَتْ مِنْ شَمَالِ إِفْرِيْقِيَا
وَطِنًا يَرْفَعُ مِنْ هَامَاتِ حَاخَامَاتِنَا، وَلَمَّا بُنِيَ كَنِيسُ الْيَاهُو هَانَبِي فِي
الإِسْكَندْرِيَّةِ وَاسْتَقَرَّ الْمُصَلِّونَ فِي عِبَادَةِ الرَّبِّ بَعْدَ تِيهِ جَدِيدِ امْتِحَنٍ
بِهِ إِيمَانُهُمْ وَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ تِيَهُ مُوسَى وَهَارُونَ، جَاءَ النَّبِيُّ الْيَاهُو (إِيلِيَا)
لِلْحَاخَامِ جُولِيَانِ صَهوكَيْتِ وَهُوَ يَرْتَدِي مَعْطَفًا أَسْوَدًا طَوِيلًا مَكْسُومًا
بِالذَّهَبِ، وَقَبْعَةً سَوْدَاءَ طَوِيلَةَ لَامِعَةٍ تَعْمِلُ إِلَى اللَّوْنِ الْأَرْجَوَانِيِّ، جَاءَ
النَّبِيُّ الْيَاهُو مِنَ الْكُوَّةِ الَّتِي تَعْلُو الْكَنِيسَ وَهَبَطَ مَحْمُولًا عَلَى بَسَاطِ
أَزْرَقٍ وَتَحْتَضِنُهُ لِفَائِفُ رِيْحِيَّةٍ وَأَوْقَفْتَهُ بِجَوَارِ اللَّفَائِفِ التَّوْرَانِيَّةِ وَصَعَا
الْحَاخَامِ جُولِيَانِ صَهوكَيْتِ مِنْ غَفْوَتِهِ الرَّبَانِيَّةِ وَهُوَ وَاقِفٌ بِجَوَارِ الْهَيْكَلِ
وَكَانَ اللَّفَائِفُ الرِّيْحِيَّةِ الْمَحْشُوءَةَ بِالْأَتْرَبَةِ أَبَتْ أَنْ تَخْرُجَ بَعْدَ أَنْ تُرْفِقَتْ
بِوَضْعِ النَّبِيِّ الْيَاهُو فِي صَدْرِ الْفَنَاءِ دُونَ أَنْ تَوْقِظَ الْحَاخَامَ لَكِنْ دُونَ
رَفْقٍ أَوْ هَوَادَةٍ بَلْ نَفَثَتْ نَسَائِمَهَا لِفَزْوِ فَتَحْتِي أَنْفَهُ فَعَلَسَ بِشِدَّةٍ، وَكَادَ
أَنْ يُقَعَ عَلَى أَحَدِ الْمَقَاعِدِ لَوْلَا أَنْ مَدَّ النَّبِيُّ الْيَاهُو يَدَهُ النَّوْرَانِيَّةَ وَأَنْقَذَهُ
مِنَ السَّقُوطِ، وَجَثَا الْحَاخَامُ عَلَى رِكْبَتَيْهِ رَافِعًا رَاحَتَيْهِ مَتَوَسِّلًا مَفْمُضٌ
الْعَيْنَيْنِ يَخْشَى أَنْ يَفْتَحَهُمَا فِي حَضْرَةِ النَّبِيِّ، وَظَلَّ كَذَلِكَ حَتَّى رَبَّتِ

النور الرسولي على كتفه، ولما فتح عينيه في الشمعة النورانية العملاقة تساقطت الدموع من عينيه خشوعاً، ووقف على قدميه بمساعدة الهلام الرسولي وهو يخشى أن يرفع رأسه، ولمح بعينه أن المعبد قد اكتسده، أنوار الرسول، ضوء لم يره من قبل، لم يكن كضوء الشمس الساطع أو مثل نور القمر الراق. بل هو نور يشبه النور الذي رآه النبي موسى حينما تجلى له الرب وأمره بأن يخلع نعليه فوق الوادي المقدس، وأنتم يا أحبائي، لا تعرفون كنه ذلك الضوء أو حقيقته، لكنني عن طريق السابقين من الحاخامات المقدسين عرفته وهل أنتم تجدون نعم الرب فتذكرون قولي أو قول آبائنا الأولين؟ يا بني إسرائيل جاءكم رسالة الرب وأبلغها النبي موسى وهارون ومن بعده النبي يوشع بن نون، وكان الحاخامات سدنة التوراة ومبلفيها، أما الحديث الذي دار بين النبي الياهو وبين الحاخام جوليان صهوكيت فسوف أترك قداسته يحكي لكم ما دار بينه وبين النبي المرسل في جوف الليل :

"لقد اصطفت ثلاثكم من بين خمسة عشر يهودياً لكي أحكي لكم ما دار بيني وبين النبي الياهو، فإنما هي رسالة ربانية لا تحتل السهو والنسيان، كما أنها لا تحتل التسريب أو التبليغ، وكما حمل أسلافكم من قبل الوصايا العشر فقد حمل من قبلهم الأوائل الذين صبروا على استعباد الفرعون. وكل جيل يحمل على عاتقه صبراً تبنى به ديانتنا ويسمو به شعبنا، شعب الله المختار.

بعد أن فرغت من عظة يوم السبت وودعني المُصلون ووقت وحدي في فناء الكنيس أجتر ما رأيناه من تعب وإرهاق بعد خروجنا من إسبانيا، وحمدت الرب الذي يوفّر لنا وطناً آخر بعد تيه يتجدد، وأذكركم أن كل تيه يمر به بنو عقيدتنا يعتبر مقدساً، والأرض التي نخطو عليها

مُدسة، وكل ماء نشرب منه ماء مقدس مثل الاثنتي عشرة عينا التي
 فُهِت للأسباط المقدسين. انتابتني سنة من النوم سبقتها غفوات
 ومسيرة تقطعها شهقات تصدر من صدري لآلم أعرف ساعتها سببها.
 ورأيت في نومي طيوراً محلقة حول المعبد ترهبرف في فرح وكأنها تزف
 له عروساً جاءت من الفردوس، ونوراً يمازح ألوان قوس قزح ينبثق من
 السماء ويقتحم الكوة ويساقط على أرضية الفناء مكوناً باباً نورانياً
 يخرج منه النبي موسى بعصاه، وترتسم على وجنتيه ضحكة توراتية
 مزوجة بوداعة يعقوبية، ويخرج من ورائه يوسف بن يعقوب هتملاً
 الفاعة زليخات فانتات جلسن يصفن جمالاً مباشراً وحصرياً، وتقدم
 النبي موسى بعصاه وربت على كتفي وأوصاتني بالإنصات للنبي الياهو
 والأجدله فيما يقوله، وأن أخفض جناحي خشوعاً ورهبة.

ثم تمر لحظات بعد أن أفقت من غفوتي وتمنيت ألا أفيق أبداً بل تمنيت
 أن تقبض روحي والنشوة الربانية تجلج جسدي، ونسيت ساعتها كل ما
 مضى من حياتي من قلق وحيرة وتيه، وأحسست بأن الزمن توقف ولم
 أشعر بدهشة من رؤية النبي موسى وكأنني عبرت معه البحر حينما انشق
 بمعجزة عصاه ثم خشيت وهو واقف أمامي لأن ألمعها وأن أقبّلها، لكن
 في نفس الوقت كنت أشعر بأن هناك ملائكة غير مرئيين يقفون بيننا
 حتى يمنعوني من الانصات للشيطان الذي كان رابضاً أسفل العصاه
 يحثني على لمسها لكي يفسد قدسية الحلم. عرفت أن الشيطان يتدخل
 أيضاً في الأحلام ويوسوس للنائم بارتكاب الآثام والخطايا.



هؤلاء الرهبان الذين كانوا يتناوبون الدخول إلى معتلى متى يحاولون
 بشتى السبل هدايته، لم يروا تلك الدائرة الضوئية في البداية على

الرغم من أنها كانت تعيط به قَبْلَ اليَوْمَيْنِ الأخيرين في حياته، ولكنهم رأوها لاحقاً فقال الراهب يمشوي الباخومي حينما ركض ليبلغ الكاهن يواقيم الصموائيلي بما رآه.

- أبتِ المقدس، رأيتُ نوراً يسوعياً يعيط بمتى، لقد هداه الرب.

تهللتُ أسارىرُ الكاهن وسطعَ عليه نورٌ معمداني خرج من أعماقه، وقال له وهو يفسل وجهه بالنور :

- نشكر الربُّ أن هدانا وهداه.

- لم يتخلُّ عنا يسوع، يا أبتِ المقدس.

- وكيف يتخلّى عنا ونحن أبناؤه وأصفياءه؟

- إن يسوع قائمٌ بيننا يضعنا في طريق الاختبار وإن أخطأنا يُسيرنا في طريقه.

- بُنى، قُم فبشِّرْ بقيةَ الكهنان ببركات يسوع التي حُلت على دير القديس بطرس، فلم نذقِ طعمَ النوم منذ شهرين وأكثر.

- لبئكَ مولاي المقدس، سوف يسمع موتى الدير تلك البشارة وسوف تفر عين أبيه وأمه، وعين كل من انتخب لمصير الفتى.

- وهل سمعَ صديقُه الراهب ليشع منقريوس بتلك البشارة؟

- الراهب ليشع منقريوس في حضرة يسوع تقدّس صليبه عند المذبح يتضرع مثلما يفعل كل يوم.

- لعلَّ الربُّ أبلغه وهو في حضرته.

الراهب ليشع منقربوس راكماً يرفع أكف الضراعة يشكو للرب
 ، جسد في مجسّمه مصلوباً ينظر بعين منكسرة إلى ليشع، يتمنى
 ، كان قديماً قدّم الحواريين فيصعد ليخلصه من صليبه ومن آلامه،
 ان الراهب ليشع الذي بدأت لحيته السوداء لتشكل حول ذقنه ووجنتيه
 انها أعواد قمح ضربتها ريح عصر يوم خروج مريم العذراء تحمل
 .ها ويسبقهما يوسف النجار، فانحنت تلك الأعواد وتداخلت فصارت
 ، بها واحداً فيصير برناباً جديداً، ابن الوعظ وابن العزاء، وإن كانت
 .رنا الواسعتان مختلفتين عن عيني برنابا الرسول الضيقتين.

- يسوع الرب اهد متى فإنه غافل، وارض عنه فإن عقله مشدود
 ، واية الشيطان. هل رضيت بتلك الفؤاية فتركته غافلاً؟ لحكمة منك
 ، .ست روحك في السماء يحدث معه ذلك الضلال؟ أم هو اختبار
 ، .سنته فيه وتنتظر نتيجته؟



هافا ليمارجي مريم العذراء وأفا جاردنر، هل كان أبوها لويس
 ، بمارجي مُحققاً في قوله، وجانبه الصواب في عرضه؟ وهل كانت أمها
 ، .ليان مصابة بمس من الجنون حينما رددت قولها وأهافا ما تزال وردة
 ، .فتح؟

- أمير غير متوج سيُمتن بها ويتزوجها؟

كانت أهافا ترى أن بداخلها طموحاً وجمالاً يفوق جمالها الخارجي
 ، الذي رآته في عيون أبيها وأمها منذ صغرها، وهي أعين المدرسين
 ، في مدرسة السلام للغات عند ميدان التجارة، وكانت تدحض تلك
 ، النظرات بتفوقها وكأنها ترد على سهام المنطلقة من هؤلاء المدرسين

المراهقين بسهام أخرى تُنكس أعينهم التي ما تلبث أن تنعم بالانها إليها خلسة وطموحاً لا يرقى إلى درجات الحب.

ولأن جمالها وفتنتها أنسياً القاطنين من البشر في البر الغربي دياراً، ونسبتها في نفس الوقت إلى الإنسانية فاستباحوا جمالها حتى الدينار، نفسه استباح جمالها، لكن بطريقتها وبأسلوبها في الحديث نجحت أن تجعل كل من يقابلها أنها جاءت من عالم آخر أو كوكب آخر، فكنهه يُنسب هذا الجمال وتلك الشخصية للبشر الذين يرتكبون المعاص ويستبيحون الدماء؟ بل إنها جاءت من كوكب آخر في مركبة فضائية نزلت تحت سفح الجبل في البر الغربي، هكذا كان يقول الأطفال وهم ما تزال في التاسعة من عمرها.

ليليان ليمارجي تنتمي لقبيلة من قبائل الأمازيغ المشهور عنهم بأنه عَجْر، تشتهر نساء تلك القبيلة بجمال أخاذ، أو الجمال الفجري الذي تستطيع الاقتراب منه، فتكفي بأن تنظر إليه من بعيد، وحينما هاجر بعض العائلات منها إلى الأندلس اندمجت مع بعض القبائل الأندلسية التي تتفوق نساؤها بجمالهن عن نساء العالمين. وتزوج لويس ليمارج الذي ينحدر أصله من القبائل اليهودية التي كانت تقطن الأندلس ليليان حاييم قبل أن يتوجها إلى العراق للعمل في متحف بابل.

- بنت؟

كانت تقول ليليان وهي ترتدي قميص نوم يجعل الرجل المصارع يكتفي بصرع منافسه بل يحمله ويعود به لمن لم يشاهد صراعه ليصرعه مرة أخرى.

- ولد.

سأمن بها رغبة السالب ويؤجج لديه الحيوان الموجب.

الآن ليليان ترى في البنت الامتداد الطبيعي لقبائل الفجر الذين سماوا جمالاً لليهود بامتزاجهم معهم جينياً وعدلٌ كثيراً من خريبتهم اورانية، فقبل امتزاجهم بالفجر كانت أعينهم ضيقة مثل عيون دارون، وتنحني أكتافهم لدرجة تظن أنهم جميعاً يحملون أجولة مملوءة الدقيق فأحنت ظهورهم، ويشبه الانحناء في الظهر شابلوك اليهودي في مسرحية شكسبير "تاجر البندقية"، وتعدم الصدور لدى النساء. أما لدرجة أنك تتخيلهن رجالاً، وحينما حدث التزاوج مع قبائل ااجر حدث التعديل الوراثي الذي تنبأ به حاخامات قداماء، وترى ارايان أن الجمال الفجري لديه القدرة على تحقيق الكثير ما عجز عنه احاخامات المعاصرون لليهودية التي تعتبرها أم الديانات وأصلها. ترى أن المرأة المهيمنة بجمالها على مجتمع لا تجلس اليهودية فيه على عرشه تحتاج لرعاية أكثر، ولكنها على الرغم من ذلك تهز ذلك العرش.

- ولد.

احمل ذلك الولد عصا موسى ويضرب بها النهر فيخرج بقومه لوطلاً أقلية أو فشلت المؤتمرات في تصعيدهم في تلك الأوطان الظالم أهلها، يقول لويس ليمارجي ويكرس قوله في أذن الوليد لحظة ميلاده، ويمدده بماء الخروج ويتلو عليه مزامير العودة.

جاءت أهافا صباح يوم السبت، ونزلت بيضاء كالشمع، تنازع البياض على عرشه، وُلدت في اليوم المقدس مباشرة بعد أن حضرت أمها الصلاة وهي ترتل سفر آلام المخاض وحينما دخلت البيت شعرت

بالأم مبرحة وكان أرجل بني إسرائيل تدهسها أثناء الخروج في البرية، ولم تفق إلا حينما وصلوا إلى الشاطيء الآخر، واستقبلتها ممرسة يهودية عاقر تعمل في المستوصف اليهودي الموجود في نجع الطوارق، وحينما رفعت الممرضة المولودة المنزلة ثوبا من مخرج ليليان، نعت الرضيعة بصوت مزموري نقي يستحث اليهود عند حائط المبكى من البكاء، وحينما رفعت يدها البضة الصغيرة توقفوا عن البكاء وسأدهم

- لِمَ تبكون يا بني إسرائيل؟

لم يجدوا رداً وإنما رفعوا أيديهم علامة اليأس أنهم وجدوا أباءهم وأجدادهم يبكون، وتوقفت المولودة عن البكاء، لكن لم يتوه، الحاخامات وحثوا بقية شعوب الأرض أن تبكي مثلهم، ورفعت مواو، المهدي يدها وقالت بصوت فيروزي ساحر:

- ارفعوا رؤوسكم؛ فاليوم تُرفع هاماتكم في السماء.

أما البورتريه فهو الموناليزا، نعم، هي أهافا، ترى ابتسامة الموناليزا على وجنتيها، وعلى الرغم من الغموض الذي يكتنف ابتسامه الموناليزا فإن ابتسامة أهافا قد تغلبت عليها من حيث درجة النقاء، وإن كان البورتريه أبدعه فنانٌ بحجم دافنشي فإن أصول أهافا قادراً على نسخ قالب حوائي شديد الفتنة، مع أنك ربما تتعجب بسبب هذه المحاولات لتشبيهها بالموناليزا على الرغم من تفوقها عليها، والسبب في ذلك أنني مفتونٌ بالإيطاليات خصوصاً كلوديا كاريدينالي المراد المثال والتمثال، وهناك فرقٌ شاسع، أعرف، بين الموناليزا وكلوديا، فهذا الجمال الصوفي الساكن في البورتريه، وهذا الصخب الماجن في جمال كلوديا، تلك هي المسألة التي أردتُ أن أعرضها بأماني

الصحة لا تحتاج لخلاص يسوعي أو مفتاح بطرسي: إن جمال أهافا
 ، ربح من سكون صوفي خلاب وصخب ماجن معجونين في شخصيتها،
 أما كيف حدث ذلك؟ أو هل من المعقول التقاء السكون الصوفي،
 مثلا، مع الصخب والمجون؟ نعم يلتقيان، بصفتي شيطان أرى ما لا
 يراه وأفهم ما لا تفهمه وأتوقع ما لا تتوقعه وأسرد ما لا تسرده، ماذا
 يحدث في الثانية الأخيرة في حياة الفريق؟ ألا يصارع المرء الفرق في
 صخب وحينما تفارقه الروح ينعم الجثمان بالسكون؟ ألا تتحقق المتعة
 الجنسية إلا بالصخب والمجون ثم يعقبها سكون يركد معه الجسد
 متنعمًا بمتعة ولذة تتسبب في رقادٍ ونعاسٍ طويل؟
 الصخبُ والسكونُ هُما عنصرًا جمالِ أهافا، باختصار.

إذا كان خيالك ما يزال قاصرًا على استنباط أو رسم صورة أهافا مثل
 بقية بني البشر فهي مثل السائل المراق من الفطيرة المعجونة بالسمن
 البلدي والسكر، هي المرأة التي ترسمها لنفسك حينما تكتشف أن
 زوجتك ليست أجمل النساء، وهي المرأة التي تتمنى أن تتزوجها في
 السر حتى لا يحسدك عليها الآخرون، أو تحيك بسببها زوجتك الأولى
 المؤامرات لك، وحتى لا تنال منها أعينهم فتقطف منها ثمار تفضل
 أن تتأوبَّ عليها طالما أنت على قيد الحياة ترتل سفر الفتنة والدلال.

الفصل الأربعون

"في هذه الأرض عاش بنو إسرائيل مُستعبدين مُستذَلِّين، واستعبَدَهم الفرعونُ الطاغيةُ وشعبُهُ من نسل الطغاة المتجبرين، ثم جاء موسى يخلصُ أجدادنا من أرض العبودية بأمرٍ من يهوه، وقد فسرتُ لكم سفر الخروج كما جاء في العهد القديم في دروسٍ سابقة كثيرة وأخذنا منها العِبْرَ، وكَمَا تعلمون فإن بني إسرائيل هُم نسل الأَسباط، وكَمَا كان موسى من سبط لاوى بن يعقوب فإن الديناري من سبط لاوي."

ألقى كبير الكهنة ريباش أركادي بسفر جديد لم يقرؤه المُصلون في العهد القديم، وتهاَمَسوا فيما بينهم وقد أصابتهم رعشة الريبة التي انتابت أجدادهم وهُم يتجهون إلى البحر وخلفهم جنودُ الفرعون ينهشون آثارهم في سفر الخروج.

- الديناري من سبط لاوي؟

سأل موريس ليمارجي وهو يهش الريبة التي تحوم حول أذنيه ويمحو بعينيه الدهشة التي تحاول اقتلاع رموش عيني زوجته ليليان حاييم.

- من نعم الرب علينا أن رزقنا بالديناري، وأن يكون من سبط لاوي بن يعقوب. قال ريباش وهو يذود بيده اليمنى عن الدهشة التي تطير من أعين المُصلين قبل أن تصيبهم لعنة فوتساي توجو الذي حفر الريبة في قلوب المنتظرين قبل أن يصنعوا العجل الذي تهفو إليه أفتدثهم لعبادته حينما كان موسى فوق الجبل ينتظر لقاء الرب. وهارون يجهل حُمى الإلحاد التي تصيب القوم الذين يتركهم نبيهم في

- لماذا لم نعرف من قبل أن الديناري يهودي الديانة؟

هكذا قال ريباش وهو يشير إلى لفائف التوراة التي يضيئها قنديل لعوب
اهنت إضاءته كلما رتل كبير الكهنة سطوراً من سفر الخروج، وتشتمل
أسننته حينما تشتعل أفئدة المُصلين دهشةً وانكاراً.

رفع ريباش كفيه للأعلى وأغمض عينيه إيداناً باشتقاق لحظة صمت
من جوف الثرثرة والضجيج الذي يُحدثه المُصلون بتحريك أجسادهم
بعيناً ويساراً وللخلف، ومنه تلقفوا أطراف الصمت يتلفحون بها ورفعوا
أكفهم متضرعين، وكلماً كان يخطو الصمت على أكتافهم فيخشعون
منى تنفلت من أفواههم أنفاسٌ حاولوا أن يكتموها لكنها مع ذلك
خطفها الصمت الرابض تحت أقدامهم وطار بها من خلال الشخصية
(فتحة الإنارة والتهوية) طائرُ الخروج.



مرت ساعتان، والحواريون يقفون حتى يفرغ المسيح من صلاته
متنسكاً قبل أن يُرفع إلى السماء، والراهب بيشوي الباخومي واقف وراء
الراهب ليثع منقربوس الذي ارتفع قليلاً عن ركوعه وكان الخشوع قد
صنع مجالاً مغناطيسياً بينه وبين المجسم اليسوعي فرققه إليه قليلاً
وتعارض مع قانون الجاذبية الأرضية فظل معلقاً بركوعه ولم ينقذه من
نلك المعادلة الأينشتانية إلا صوت بيشوي الذي قال بصوت أقرب إلى
الخشوع الذي يناسب حالة المناجاة التي كان مندمجاً بها:

- لن أقتله؛ فالرب مطلعٌ يراني ويحاسبني.

مثلها كمثلِ خططِ القتلِ الفاشلة التي يُفني المتآمرون جُل وقتهم

لتنفيذها لكن الظروف تحول دون نجاحها إما ليقظة المقتول المرتد، أو لخطأ كبير يقوم به القاتل المحتمل، أو لتوبة طارئة تتاب المناء، في الدقائق الأخيرة التي تسبق التنفيذ، أو لخوف مما هو أبعد من ذلك بكثير، وهذا ما انتاب بيشوي الباخومي قبل تنفيذ الخطة بيوماً واحداً، واكب رفض الديناري زواج عاصم الديناري بأهافا ليمارجمي شعر الباخومي بهزة شديدة تتابها وهو يمسك بالإنجيل وكلما يتناور ورقة تتنفض راحته وعيناه بطرسيتان خائفتان، وتجسد الملاكمة يلقون به في الجحيم فيتمزق جسده وينصهر، وانتاب ليشع منقربوس هي نفس الوقت خيبة أمل شديدة تتاب المتأمر حينما يختار شرباً يتنصف بالجبن، ويظل بعدها شهوراً يخشى أن يعترف المتأمر الفاشل بالمؤامرة، لذا فقد خطط ليشع لمؤامرة وهمية يورط بها الباخومي رداً على إهشائه المحتمل لمؤامراته الحقيقية.

الليل يغطي قرية الدينارية بغطاء حريمي فاضح بعد أن اطمأن عالم الجبل الغربي، وظل الرهبان ساهرين احتراماً وتوقيراً في الدبر ينتظرون نوم الكاهن يواقيم الصموائيلي، وحينما انطلق المصباح الكهربائي في صومعته خرج الراهب بيشوي الباخومي، وانطلق القنديل الذي يضيء الفناء الذي أقام فيه الحواريون الاجتماع الأخير مع المسيح الذي انطلق التوتر من عينيه أثناء مسألة اختيار الشبيه، ولكن كان توتر الراهب بيشوي الباخومي شديداً يفيض من عظامه ألماً فإذا استيقظ الكاهن يواقيم ورأه فسوف يطارده بالظنون ويضربه بسياتل الكفر، كما فعل من قبل حينما تسلل خلف المقاعد مقترباً من الراهب بيشوي وهو واقف رافعاً راحته أمام مجسم يسوع يقول :

- يا نبي الله هل صلبوك أم هذا شبيهك الذي أناجيته؟

إذا بالكاهن يطير وكان طائرًا سليمانيًا جاءه ورفع له لينقض على رقبة الراهب السابع في ملكوت التردد، أصيب بيشوي بالذعر كما أصيب الحواريون وهم في حيرة من أمرهم أيهم يرافق عيسى بن مريم في الجنة ويلقي عليه الشبه، وحينما ارتفع من طاقة في السقيفة وتركهم خلفه يحاولون الخروج من لجج الخوف والتأويل بآتهام بعضهم البعض، وتمرقتهم شيئاً مختلفين كذلك تخلى مجسم يسوع عن الراهب وهو في قبضة الكاهن يحاول التملص منه.

عند بثر الشهداء وقف الراهب يشوي يصارع شبيبه الذي تمدد على الماء ينسخ ملامح الخوف والذعر التي تراقصت على وجهه، وتنامى الخوف على وجه الشبيه حينما التقط الماء صورة الكاهن الديجيتال وهو يهم بإلقائه في البئر حينئذ تراجع خطوة، تعيد حسابات جيوش فازية، فقال الكاهن وهو قابض على رقبته :

- الآن أدركت ذنبك الذي اقررت؟

- اغفر لي ذنبي يا قداسة الكاهن.

- تتجراً وتقف في حضرة الرب وتتاديه بنبي الله؟

- وسوسة شيطان يا قداسة الكاهن.

- ويبلغ بك الشطط والكفر أن تنكر ما جاء به الرسل

والقديسون الأوائل وتشتك في صلب المسيح الذي افتدى البشر؟

وهم الكاهن بدفع الراهب وغلق البئر بالغطاء الحديدي لكنه أذعن لتوسلاته وبكائه، كطالب ثانوية عامة اجتهد طوال العام وفي الامتحان اضطر اللجوء للفش بسبب سؤال صعب، وحينما ضبطه المراقب بكى

وتوسَّلَ له بالأُضْيَعِ مستقبِله بسببِ سؤَالِ واحدٍ، وشعر الراهبُ بالرفعِ الذي يطهِّرُ بدنَه.

- سوف أعطيك فرصةً يَغْفِرُ لك الربُّ إثمَكَ وخطيئَتَكَ.

- ليشهد الربُّ أنني عرَفْتُ خطيئَتِي، أنني مِنَ الآثِمِينَ وأدعوه أن يَغْفِرَ لي.

انطفأت النارُ التي كانت مشتعلَةً في قلب الكاهن قليلاً، فالراهب اعترف أمام بئر الشهداء بخطيئته وشهدَ بنفسه هذا الاعتراف، وقال في نفسه إنه يشعر بأن الراهب صادق في اعترافه، وربما وسوس له الشيطان الذي يسكن معهم في الدير مبعوثاً من قِبَل الرئيس الإقليمي لشياطين الأقباط لمنطقة الشرق الأوسط، وإذا أصاب أحداً من الأقباط شطط حتى ولو كان راهباً، فما قيمة وجودنا في الحياة؟ لقد اختصنا الرب بوضع كهنوتي متفرد.

- سوف أغفر لك بعد أن تغسل ذنوبك في الماء.

- أَلَمْ يَكْفِ أُنْتَى اعترَفْتُ أمام نيافتك بذنبي.

- لا بُدَّ أن تتطهر في بئر الشهداء.

وإذا به يدفعه في البئر دَفْعَ أبناءِ يعقوبَ يوسفَ فيُحدث سقوطه ارتطاماً شديداً وكاد رأسه ينفلق مرتطماً بنتوء صخري جانبي يمد لسانه، لكن فقدانه لتوازنه جعله يتأرجح في سقوطه مما جعله يسقط بميل أنقذه من فخ النتوء ولسانه، ظل الماء يترجرج بشدة والراهب في الأسفل يُعَاين مقبرته، بينما كان الكاهن في الأعلى ينثر حنقه وغيظه وتَشْفِيه على جثمان الراهب المارق الذي سكن في أعماق البئر تعمده

جنّيات البئر، وصوت بطرسي داخلي يعلو قائلاً :

"الآن تطهر جسدك أيها الراهب، وإن قبضت روحك فأنت مع يسوع في السماء، وإن تناولت وتقولت عليه، ليسكن جسدك الذي حمل ذنباً تقع من أجله الكواكب على رؤوسنا، وغسلت إثمك في الأرض حتى تصعد روحك مبرئاً طاهراً متطهراً.

وكان دهرًا ثوراتيًا مر على سقوط الراهب وغرقه في بئر القديسين، واستكان سطح الماء بعد الفزع الشديد الذي انتابه بعد سقوط القديس، وامتزج بنظرات الكاهن التي عالجت ملوحة ماء البئر فيستقر الجثمان في القاع وينعم بدفن كريم، لكن انقضى الدهر الثوراتي فخرج الجثمان الطاهر مفعجراً سطح الماء المتماسك حزناً وحداداً، وكان يسوع خرج من طبقات الأرض السفلية باحثاً عن مناجم ذهب، ولحق بالقديس الذي كان ينازع الموت في الدقائق الأخيرة لأنفاسه المقطوعة بحبال بطرسية، فدفعه بيديه للأعلى دفعه مقدساً لينتقله عزيز مصر (قال الكاهن بعد ذلك الحادث بخمس سنوات إن الشيطان المبعوث هو الذي أنقذ الراهب حتى ينغص عليه معيشته) وكاد الكاهن الذي ما يزال محققاً في الماء أن ينكفيء على وجهه يتبع الراهب في ملكوت القديسين لولا أن أتزن واقفاً يذود عن وجهه مليوناً الدهشة التي تعلق حول عينيه، وارتفع الراهب من حضن الماء بقوة غير مرئية وخيل للكاهن أن رداه لم يبتل فتراجع للوراء، وانحنى للراهب وركض مسرعاً واختفى في جوف الدير دون أن يتناول عشاء ما بعد الغطاس.

منذ ذلك الحين لم يشأ الكاهن أن يراجع أفعال وتصرفات الراهب، ولم يفتف خطواته وكان إذا رأى فعلاً يستوجب المراجعة أو التوبيخ كان

يُغْضُ الطرفَ، فالقديسون يتصرفون بوحى من الرب، وأفعالهم حتى وإن بدت للآخرين خاطئة فربما كان لها مُغزى كهنوتي لم يؤت لأحد غيرهم كالأولياء الصوفيين يأتيهم المددُ وهم يلهون، بالإضافة إلى ذلك فإن وجودَ راهب بحجم قديس لم تتعد سنوات خدمته في الدير خمسَ سنوات ظل في البئر ساعتين دون أن يفرق فإن هذا الدير تحفه عناية ربانية، وأنه بيت الرب يعده كيفما يشاء، بناه بطرس الرسول في شهر يناير القارس، ولكن الراهب بيشوى الباخومي لم يعرف حتى الآن أن الكاهن يواقيم يحسبه قديسًا، وأنه كفَّ عن مراقبته وخوفه من أن يحيد عن الكهنوت الذي اختصهم به الرب.

الفصل الواحد والأربعون

لذا وقف الراهب يمشى الباخومي خائفاً خلف شجرة الطلح ينتظر، سئل الراهب أبانوب الأنطوني خارجاً بعد أن يتأكد من نوم الكاهن، وحينما بدأ فتى الشوارع المشرد في العزف على التشيللو تحت كوبري "أبو الجود" وعازف التشيللو الأعظم يعزف خلف أم كلثوم أعذب الألحان، تقابل الراهبان تحت الشجرة وهما يبتلعان أنفاسهما خشية من غضب الكاهن ونفمات التشيللو تحفهم بطمأنينة العازف وبركات يسوع.

- إذا اكتشف الكاهن يواقيم لقاءنا فسوف يفتك بنا.

- لا بد أن نوقفه عند حده.

- وماذا عسانا سوى أن نشكوهما للرب؟

- لكن الرب أعطانا عقلاً نفكر به.

ربما كانت مرات لقاءاتهما قليلة وكأنها محسوبة بميزان سبطي نسيه إخوة يوسف لكيلا يطفف الميزان، يفضان بما يؤرقهما، فكان كل منهما بمثابة الكاهن للآخر يعترف له ويفرق سره في بئر صديقه، وتعلما أن جدران الدير ليس لها آذان تسمع بها حواراتهما، ولكن لها عيون سحرية خفية لا تراها أعينهما البشرية، ولكن إذا نزل أحدهما في أعماق الكهنوت فربما يرى بعين القديس بطرس.

- أصبح ليشع منقريوس نائباً للكاهن.

- وَقَعَ الْأَسْقَفُ مِيخَائِيلَ الْمُعْرَقِي قَرَارَ النَّائِبِ، أَصْبَحَ الدَّهْرُ
مَرْتَعًا لِلخُفَاةِيشِ، طُوبَى لِمَنْ زَهَدَ الدُّنْيَا وَهَاجَرَ لِلرَّبِّ حَيْثَمَا يَكُونُ.
تَقَدَّسَتْ يَا يَسُوعَ وَتَقَدَّسَتْ خَطْوَاتُكَ، أَغْنَتْهَا فِي عَلَيَانِكَ وَارْفَعْنَا عَنَّا جِوَارِ
الظَّالِمِينَ.

كان الراهب بيشوي الباخومي يتكلم باقتضاب ولو وجد من يفهمه
بلغة الإشارات لتكلم بها خشية أن يفتضح أمرهما، لأنه كان يظن أن
بكل جدار أذنًا قبطية تسمع، أذنًا حساسة جدًا تسمع الهمس وربما
تسمع بما يدور في خلد المرء، وربما يصدر قرارًا خطير بشأنهما قبل
أن يفرغا مما ينتويان القيام به، والأكثر من ذلك كان يتمنى لو يفهمه
الراهب أبانوب بلغة العيون التي كان يتكلم بها القديس بطرس، لكن
لغة العيون يفهمها الواصلون فقط، الذين يأتيهم المدد الحلاجي،
الدائمون الترنم بالعهد الجديد والتثليث على الدوام، والقائمون عند
قدم العذراء يتوسلون بها، وأبانوب ما يزال عقله مكدسًا بذكرى
الدنيا وملذاتها، فحينما كان يعمل على نسيان ما تركه من ورائه في
الدنيا اقتحمت عليه خلوته أثناء مناجاته ليعسوع، وكَمَّ من مرة غضب
منه واحتجب عن معيته لأيام طويلة، ولم يكن يشاء الاقتراب منه أو
الجلوس في ذاته، ولولا صلواته في الهزيع الأخير من الليل والحاجته
وتضرعه لما رأى يسوع حتى تصعد روحه للملكوت الأعلى، وكان بيشوي
يتمنى لو أنه يتحاور برموز يفهمها كل منهما، رموز الحوارين التي
كانوا يتعاملون بها في الحقب الرومانية الحرجة بعد صلب يسوع، لكن
الراهب أبانوب الأنطوني ورث عن أبيه الحلاق الشريرة، وتضريح كل ما
عبأته ألسنة الزبائن في ذاكرته كأنه ميناء ساحلي، فيظل يتحدث
زبائنه طالما أنهم يترددون عليه، وطالما أن لسانه ينبض بالحياة.

والبشرُ يُفْشُونَ أسرارَهُم لمن أحنوا رؤوسَهُم لهم، وحينما يعود إلى المنزل يعيد سرد كل القصص والحكايات والحوادث والنكات التي سمعها طوال اليوم من زبائته، وعلى الرغم من أن جو الدير الكهنوتي، رسمته المسجى على جدرانه وفي غرفه يختلف عن صالون الحلاقة الدنيوي وصغبه المستمر على الرغم من التشاييح اليسوعية إلا أن الراهب أبانوب اکتَمَب تلك المهارة وظل لسانه ينطق بها آناء الليل والنهار.

بعد الليلة التي كان الراهب بيشوي الباخومي يتحاور فيها مع الراهب أبانوب الأنطوني بعام ونصف وعشرة أيام جاء أمر الرب الذي لم يخضع لتخطيط الراهبين ومقاييسهما ومادت الكاهن يواهم الصموثيلي، ارتفعت روحه لملكوت ليس فيه مؤامرات أو حقد أو خطط مغموسة بدنس شيطاني، إلى السماوات ارتفعت روحه وفرت من كل عمل يفضب الرب، المجسمات اليسوعية ساكنة في معلقاتها تتمم برضى ارتصم عليها بصعود كاهن تحرى الصدق مع الرب كهنوتاً رفعه لمقام القديسين بعد أن أبلغ رسالة السلام التي جاء بها يسوع.

كان صوت التشيللو المتناغم الدافئ قد حبا وارتفعت أصوات عالية وصرخات مكلومة من خلف الدير بالقرب من بئر القديسين، وتسلمت أجساد هلامية الجدران تنظر يمينا ويسارا، وكان الراهبان قد خلا إلى النوم، وسمعت صرخة حادة متوالية تصدر من تحت شجرة الطلح، ربما كانت تلك الأجساد تنتظر نوم الراهبين، أم أن حدثا جلا قد حدث في الدير؟

كان نائب الكاهن ليشع منقربوس ينظر في الشرفة منذ اللحظة الأولى التي نزل فيها الراهبان في فناء الدير وهما يجوسان في الظلام،

وأدرَكَ أن الراهبين مستسلمان لنزغ الشيطان بالقرب من بئر الشهداء
وسَمِعَ تحاورَهما.

- الديرُ ظلماتٌ نكتسي بسواده، وليس طاقةٌ نورٌ تهدينا كما
حدَّثنا الكاهن، وأشمرٌ بانقباضٍ في صدري كلما خلوت بنفسي عند
المذبح.

- تتابني منذ أسابيعٍ مشاعرٌ غريبة.

- وما هي؟

- أشعر بأن الدينَ خرافةٌ كبرى.

غلالةٌ من نورٍ خرجت من جوفٍ ماردٍ جبارٍ شقت ظلمةً تعجبهما عن
الأعين متلصصةً وكأنها ريحٌ سمومٌ نفثتها أحجارٌ مبعثرةٌ في الدينارية
فلم تجد سوى الراهبين لتقتصص منهما، انتصب الراهبان في فلك
ضيقٍ يحاولان الإفلات من الدائرة الضوئية التي ما لبثت أن انقضت
عنهما، حدث كل ذلك في أقل من ثلاث دقائق ولم يترك لديهما صداً،
ولم يحرك داخلهما مشاعرٌ متناقضةٌ تنتهي لتأييد واحدةٍ دون الأخرى،
وإنما أصابتهما ببلاهةٍ عارضةٍ تتاب المرء حينما يميل لمشاعرٍ
تؤيدها.

نُودي من ورائهما بصوتٍ ليس يسوعياً أو بطرُسياً، صوتٌ عذبٌ رنانٌ
من جوف الساحة :

"في الأديان أنوارٌ وهدي، إذا اتبَع هداها فلا يضل المرء ولا يشقى.
وفيها شفاءٌ للصدور وسكنٌ للعقول المترنحة، أن إستقيموا برحمكم
الله، ولا تتبِعوا سبيل الضلال، وهدي الأديان آتاه الله للناس عن طريق

الأنبياء، وأما مَنْ اتبَعَ الشيطانَ فهوَ وِليُّه.



أفستكُ من ذنوبِ الوسوسةِ بقراءة فقراتٍ من سفر الخروج،
أفقتُ بعد الاغتسالِ متطهراً فتجسَّدَ أمامي النبي الياهو يمسكُ
بمصاه بيديه اليسرى متكئاً عليها، وبيمينه أُمسكُ بوثائق الجينيزا:

- جوليان صهوكيت.

- لبيكُ نبيُّ الرب لبيكُ.

فاتُ وشفَتاي ترتعدان ولساني ينطق بإرادة الرب ولو امتثلتُ لوسوسة
الرهبنة ما نطقتُ، ولتبيَّسَ لساني في حلقى، وكان النورُ الذي يتصاعد
من عيني النبي مُعيناً لي ومذيباً لنوبات التحجر التي أصابت فكِّي فَمِي.

- هل جاءك النبي موسى والنبي يوسف؟ وأنا بزيارتِهما عليم.

قال النبي الياهو وهو يُخفي ضحكةً خلف لحيته التي تغطي وجهه بسبب
مهور البلاهة التي وهفت على رأسي.

- نَعَمْ يا نبي الله، جاءني مولانا ومنقذنا وشفيعنا بعد الخروج

سيدنا موسى، وجاءني سيدنا يوسف صاحبُ الجمال الرياني.

- ماذا طلبَ منك مولانا النبي موسى؟ وأنا بما جاء من أجله

عليم.

هكذا قال النبي الياهو وهو يطالع بعينه المعبدَ ويتسم للملائكة التي
اصطفت من حوله.

- أوصاني بالإنصات لقداسك مولانا النبي الياهو، وألا

أجادل قدسيّتك فيما تقوله، وأن أخفض جناحي خشوعاً ورهبة.

على الرغم من أن المسافة بيّني وبين قداسة النبي الياهو لم تتعد نصف المتر إلا أنني شعرتُ بأن آلافاً من الأميال تفصلنا، وأن بساطاً غير مرئي يسحبني بسرعة شديدة نحوه وكأنه مدار مغناطيسي يجذب شهباً ضالّةً في الفضاء. ربما شعرتُ برغبة تجرّفني بأن أطلّ الحديث معه وندمتُ بسبب قصر ردودي عليه، وكيف أجرؤ على الإطالة والحديث يتطلب الإيجاز؟ وليس من الحكمة استلهامُ الإسهاب في حضرة الأنبياء، وهل يأتينا الأنبياءُ كل ليلة حتى نوحز فيما يمكن معه مد جسور الحديث لأبعد مدى؟ هكذا تساءلتُ، ولم أجب عن التساؤل فقد نطقَ قداسته بما يزلّج مكنونَ صدري.

- الأتقياء هم أصفياء الأنبياء.

قال النبي الياهو وعيناه ترتبان على صدري وتخفان من حدة ضرباته، فقلتُ والقول وحي من رب العالمين :

- حديثُ قداستك تاجٌ يضعه الرب فوق رأسي، وأنا لطاعتك، وأمرك أمتل.

استقيتُ فصاحة اللسان من حنو النبي ووداعته، وشعرتُ بقوة تملكني تمكّني من تنفيذ ما جاء به النبي الرسول.

- جئتُك بأمر جديد من أجل بني إسرائيل، وقد اختصك الرب بما لك من مكانة دينية تبوّأتها بأعمالك التي وفقك لها الرب.

البساط الذي كان يسحبني نحو النبي الياهو تسارعَ وأنزلني أمامه مباشرة وشعرتُ بأنفاسه تلفحني وتشفي جسدي من الدماطل الذي

ابتعثت فوق جلدي في الشهر الذي سبق الزيارة الرسولية، وهبيل مقتل
الوفد اليهودي عند معبد الكرنك. وقلتُ بروح قديسٍ عبَّرَ مع موسى
البحرَ وصبرَ على تعنتِ عَصَاةٍ فَتَنُوا قَوْمَنَا.

- ربنا رب موسى وهارون، أنا عبدك وابنُ عبدك، أمركُ نافذٌ
على رقبتي ورجبتي فداءً مشيئتك.

هاتُ بخشوعٍ بعد أن ركعتُ متوجهاً صوبَ بيتِ العقدس وسافرتُ في
الحبِ الرباني ولم أفق منه إلا حينما وضعَ النبي يده المباركةَ على
رأسي، فوقفْتُ دون أن أرهق يده صعوداً تحتها. وابتسمَ النبي وقد
انثرتُ على وجهه ابتسامةً شمسية انعكستُ على وجهي فقال :

- "سيظهر رجلٌ في جنوب مصر، من وادي الملوك يؤخر
مروجَ ياجوج وماجوج"

شعرتُ حينئذٍ بجسامةٍ منصبي الديني، وأحسستُ بضالتي وحقارة
شاني. ولو كنتُ مع القوم يومَ الخروجِ الأعظم لضللتُ وكفرتُ برب
موسى وعدتُ من عند البحرِ ألوذُ بالفرعون الإله المصري الأعظم،
أو أنني انضمتُ لقطاعِ الطرق الذين يختبئون الآن في كهوف الجبل
الغربي، وفجأةً سحبنى النبي من كهف أفكاره وجرجرتني حتى أفيق
وحاولتُ أن أقف على أرضٍ صلبةٍ فقلتُ :

- ومَن هو يا نبي الله؟

- الديناري نعم يا بُني، الديناري من سبط لاوي.

- الديناري من سبط لاوي؟

الفصل الثاني والأربعون

منذ خمس سنوات دخل الكاهن يواقيم الصموائيلي ليقضي حاجته، هـ،
دورة المياة الخاصة به والموجودة في نهاية الممر الواصل من غره
التبرعات والذي يفضي إلى المدخل الجنوبي ويقع شمال صومعته، لذا
فيها ساعة ونصف يعاني من احتباس شديد في البول، تبعته تأوها،
ناجمة عن آلام شديدة تفوق آلام يسوع وهو يعاني سكرات الموت،
تساقطت شهب التأوهات في بئر الشهداء وأحدث انطفاؤها صوت،
شواء فحيجي تصاعدت معه أبخرة ساخنة تتمايل حتى تستقر منها
على جدارن البئر فتتحول إلى قطرات متناهية الصغر تسقي الطحالب،
الممشوشبة التي تزخرف عمق البئر، وتسقي الديدان والخنافس التي
تقف عند فوهات الجحور الطحلبية، وعلى الرغم من انطفاء التأوها،
وصوت الألم المكتوم في ماء البئر الآسن إلا أن النار المتقدة، والذ
تخرج أسنتها الحمراء كقرون الشطة السودانية من مؤخرة وجها
الكاهن التناسلي فيكاد يقفز حتى يصل سقف دورة المياة فيقع على
الحوض مرة أخرى، كانت شديدة، وقرون الشطة السودانية لا ترح
ولا تعرف ليتأ مع مؤخرة الكاهن المتشقة وليس لها دين، وتدفع في
مجرى البول وتلهبه بسياطها، إلا أن البول قد تجمد في المئانة أو منه،
السدود العبشبية التي بُنيت على المجرى البولبي، وراح يداعب عضو
الذكري مترققاً ومعايناً حجمه، مداعباً ومستدرأ البول من أعماه
الملتهبية التي أعاق تضخم البروستاتا تدفقه من خلال الحالب بب،
وسلاسة، ويشعر بامتلاء المئانة وأنها تكاد تنفجر فيغرق الدير كما

البول المقدس، لكن رحمة الرب كانت تتخذ منحني سلساً فيندفع البول بسلاسة شديدة وإن كانت غزارته رفيعة الإطار كبول المصافير فوق أسلاك الكهرباء، ففرقت "المفرجية" السوداء وارتوى الفراش الأنهر، في هذا التوقيت ارتكب الراهب بيشوي الباخومي ذنباً جعله برور جميع الأديرة بحثاً عن أسقف أو كاهن يقبل اعترافه فيغفر له أو يغفر له من خلال تجليات الرب فوق الأديرة، لكن هذا الذنب فنده الكاهن لم يكن وجهه يصفح أشعة الشمس طوال عشرين عاماً بأن الكاهن المعتل يحتاج لرعاية حتى وإن كان هدفها التلصص عليه، وسبب ارتكاب هذا الذنب أنقذ الكاهن من تسلخات فخذية توجب ناز البروستاتا بعد أن أخذها السلس البولوي، على الرغم من ذلك قال الراهب بيشوي بعد حادث التلصص بمشر سنوات أنه رأى الكاهن يمد قدمه اليمنى بأريحية ويبعد قدمه اليسرى عنها في شكل مثلث منفرج ناقص الأضلاع، وانبسبت عضلاته المشنجة والتي أرخ من خلالها لمرضه اللعين.

سبقت هذا الاحتباس معاناة استمرت لسنوات من قلة البول الذي تدفعه المثانة، كأنها فوق ميزان يوم القيامة مثقلة بذنوب جمّة، لكنه لم يلق بالاً لذلك فهو يعرف مسبقاً أن جميع الرهبان يعانون من تلك الأعراض التي ما تلبث أن تزول عندما يتجرعون ماء الشعير أو يحتسمون بيرة في الخفاء، وإذا رأهم متلصصاً مُرسلاً من قبل الشيطان الواقف أمام الدير والمبعوث الشيطاني القبطي للمشرق الأوسط، فالأطباء يوصون بها ويتحملون وزرها يوم الحشر، ولكن من يتلصص على دير رهبان يحميه الرب؟ المعاناة الشديدة من أعراض الجهاز البولوي وكأنها جداول مائية قد سدتها أورام طينية خبيثة تكونت وتراكت

طوال سنوات من عدم التصريف المَنوي، على الرغم من ذلك نسيها أو تناساها لأنها واكبتْ بعضَ التصرفات غير المسؤولة من بعض الرهبان والتي بدأت بهمسٍ اعتراضٍ تحوّلَ بمرور الوقت إلى تمتعاتٍ تمرديةٍ في دهاليز الدير.

- الكاهن يسطو على بعض الأموال.

- ماذا تقول؟

- أقول لك إن الكاهن يسطو على بعض الأموال الخاصه بتبرعات الدير.

- وكيف عرَفْتِ يا قداسة الراهب؟

- يوم الأحد الماضي رأيتُ خليل فاخوري رجُلَ الأعمال يتبرع بخمسين ألف جنيه.

- انقذني يا يسوع!

- صدقتي، هذا ما حدث.

ربما سمعَ بنفسه أو سُرّبَ إليه راهبٌ مخلصٌ ما سمعه، لكن جدران الدير يمكنها أن تُسَرّبَ له ديببَ العقارب وفحيحَ الثعابين داخل الجحور، وكان من الممكن أن ينكَلُ الكاهنُ بالناقل وبالمنقول منه، إلا أن الأعراضَ المرَضيةَ التي بدأت ترفعه من فوق امرأةٍ يمتطيها في أحلامه لا يحاسبه عليها الرب فيهرع إلى دورة المياه جعلته يهادن الرهبانَ المارقين، ويهادن في نفس الوقت شيطانَ البول الذي يلاعبه ولا يسمح له إلا بخط رفيع من بول معتل، فرفع رأسه للأعلى يحاول أن يُغيّر تفكيره مثلما فعلَ الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران الذي ظن أن

ياسة هي التي جعلت بولهُ يفقد اندفاعه الطبيعي، وتذكر أول حب له الجامعة حينئذ لانت عريكة عضلاته القابضة، لكن الكاهن يواقيم له محبوبة يتذكرها لكي يخضع انقباضات جهازه البولي على يد العاجي، وحينما فتش في سوابقه رأى أباً يضرمه قطار بضائع مزلقان نجع الخطبة الذي يؤدي إلى المدخل الجنوبي للسواقي، يقطنها أقباط الأقصر بل أقباط العالم بأسره، وكان أبوه عائداً عمله في فرن خبز بلدي بالكرنك، ورأى أما تتولى دفة المنزل تقطنه أفواه جائعة يحوم حولها ذباب قبطي أزرق، فراحت تعمل خادمة كنيسة العذراء تنتظر إحساناً من رجال الأعمال المسيحيين، لكن ب أمعن في اختبار إيمانها فأصيبت بسرطان الثدي ودخلت هي إذها في دوامة جديدة ليس لها منتهى، هل تستطيع تلك الأحداث تدفع البول من أعماق مائة غاضبة متشنجة؟ مائة أفقدتها مينة ليونة ومرونة، مائة معطوبة لا تفلح معها دعوات أو ترانيم، ولو ذهبوا به إلى كنيسة المهد لينال شفاء تاماً كبقية الحالمين المرضى الذين جربوا أطباء لهم مشارط تعرفها أجسادهم، مائة نها أن تتحالف مع الشياطين الرابضة في المجرى البولي فتسده ناً حتى يتيح صاحبه وتصعد روحه للملكوت الأعلى، ويستقر بجوار يسين لينعم براحة أبدية عند يسوع، وكان تردده على دورة المياه زاً في الليل سبباً في سماعه أحاديث بعض الرهبان الحانقين.

- لَيْتَهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّنِي أَتَأَلَّمُ، لَيْتَهُمْ يَتَرَفَّقُونَ بِي، الرَّبُّ وَحْدَهُ كَثَافَةُ الْأَلَامِ الَّتِي أَكَابِدُهَا.

ت العبارتان المتألمتان سبباً في أن يلجأ إلى بطرس الرسول يخفف عنه آلامه؛ فهو الصخرة كما وصفه يسوع المسيح، وهل

يستعصي الجهاز البولي الحقير على قديس من أعظم القديسين؟
فمباركة صغيرة ترفع عنه هذا البلاء والابتلاء :

- أبت الذي تقدس وقُدسه يسوع، وغسل له أقدامه، طهره،
يسوع في الأرض وفي السماء، وصرت لنا عوناً يرحمنا من مصائب
الحياة ومكابدها. ارفع عني البلاء الذي أوقعه عليّ يسوع، فأنا لا
أستطيع تحمل الآلام، وكما تعلم أن أبي وأمي كابداً ألاماً تفوق احتمال
البشر.

يناجي القديس بطرس وهو جائمٌ أمامه رافعاً أكف الضراعة، والغريب
أن ملامح الرسول المتحركة متألّمة ومتفاعلة ويكاد أن يمد يده حتى
يُطْفئ بيديه المباركتين النارَ المتقدة بين وركيه، لكنه يمسك بدلاً من
ذلك مفاتيح الملكوت، وإذا أفلتتُهما فَمَنْ يتولى أمرهما بعد الفهيتين من
الزمان تغير فيهما الدينُ على أيدي كهنة غافلين مسرفين في التأويل
من التنزيل حتى الترنم لصالح الباطل؟ الكاهنُ أمره يسيرٌ يتولاه
طبيبٌ مسالك بولية في أسيوط أو حتى في باب اللوق، لذا لم يتحرك
القديس من مكانه فمسؤولية مفاتيح الملكوت أعظمُ شأنًا من كاهنٍ
يتألم حتى ولو سَمِعَه مجسم يسوع في القضاء الرئيسي للديرا

خرج الكاهن يواقيم من مختلى القديس بطرس منكس الرأس، يودعه
الرسول بنظرات حانية متألّمة، عاجزة أن تؤدي له خدمة صغيرة
تخفف عنه نيراناً هيرودية، ونظرٌ وهو في طريقه إلى مخدعه إلى
مجسم يسوع وشعرٌ بالحرج وجنودُ التارٍ تتخر في مؤخرته.



أنا لم أذُق طعم الموت ولم يتذوقه أحدٌ من بني جنسي، ولم يكتب علينا

حتى نعمل في دنيانا طمعاً في آخرتنا؛ لأننا حتماً في الآخرة محروقون في نار أضرمتها ملائكة أشداء، ولن ينجو منها أحد منا سواء أتبنا أم لم نتب، هكذا قيل لنا أثناء التعميد الشيطاني الذي حدث لنا في مثلث برمودا منذ ثلاثين مليون عاماً.

" أيتها الشياطين المردة، اليوم يوم تعميدكم في مثلث برمودا فتشدد أعوادكم وتكتسي أجنحتكم بالفولاذ فتقهررون الأمم البشرية، اليوم تتسلمون مهام أعمالكم التي تتمحور في الوسوسة والإغواء ونصرة الباطل والبصق على قيم الحق، العدل مبدأ نحارب مجاهدين لهدمه وتقويضه، فنهيناً لمن أعاننا نحن معشر الشياطين على تنفيذ تلك المباديء التي أقرها أبوكم الشيطان الأعظم."

نودى علينا ونحن نسبح في مثلث برمودا ويقص مجموعة كبيرة من الشياطين القدامى الشعر الأصفر الذي ولدنا به، ثم نقف جميعاً في صفوف فوق سطح المحيط الهاديء دون حراك، فتقوم مجموعة أخرى بتكحيل أعيننا وأنوفنا وأفواهنا في الثانية الخامسة بعد مولدنا مباشرة وقبل عملية التعميد الطويلة جداً والتي تستمر ثانيتين، ولكن أثناء كل تلك الطقوس التي تتم أمام أعيننا نسمع صرخات متوالية تهتز معها السحب المارة فوق هذا التجويف الكوني الكبير، فتزلق فوق الموجات زاحفة ومدفوعة بقوة كبيرة، أجنة شيطانية كبيرة مولودة تواتاً تنتظر التعميد، ولأن الفضول موهبة فطرية لدينا فسألنا عن الصرخات ومصدرها وقيل لنا بصوت ناري كأنه بشر يعاني من احتقان في الزور وتقلي بداخله كتل بركانية تكسب صوته حدةً وصخباً، إن أصحاب الصرخات هم شياطين تلد كل ثلاث ثوان، ومصدرها بركان مونا (يقدر حجمه بخمس وسبعين ألف كيلو متر مكعب)

الموجود في منطقة هاواي في المحيط الهادي، الذي يقف عليه كل شيطان يأتيه المخاض، ويقف تحته أولو التوليد، وهي زمرة خاصة بالتوليد تتلقف المولود فيقلبونه في الحُمم البركانية ثم يدفعونه دفعا شديداً فوق ماء المحيط فيحدث صوت شواء يخرج معه بخار يلتحم بالسحب الطائرة لينزل مطراً أسوداً عند حافة الأفق، ويتلقفه أواد التعميد فيما لجونه بمواد شيطانية لو وضعت فوق بني البشر لاحتقرت عظامهم بعد جلودهم.

ما هذا الانفلات السردى؟ لم أقصد أن أتكلم عن ميلاد الشياطين وتعميدهم، ولكنني قصدت أن أتحدث عن الموت، وأكدت من قبل أننا لا نموت، لكنني حضرت احتضار الكثيرين من البشر، وآخرهم سكران الموت التي عاناها الكاهن يواقيم الصموثيلي وبكت عليه البشرية كلها.



في الأيام الثلاثة التي سبقت سكرة الموت سُدَّتْ كلُ مفارج الكاهن، فقد تضخمت البروستاتا BPH فضغطت على عنق المثانة والحالبين فحدث احتباس كامل للبول بعد أن وضع جهاز القسطرة لمدة شهر، والعجيب أن المجرى البولي الذي تقوم بتسليكه القسطرة لضخ البول في الكيس الخارجي اتقاءً لاستسقاء الكليتين قد سُدَّ أيضاً فلم يسمح بدخول القسطرة من خلال العضو الذكري للكاهن، على الرغم من أن الدكتور عبد الرحيم الحجاجي قد طمأنه بأن العملية التي أجراها له ناجحة، وأن سرطان البروستاتا قد خمد تماماً بعد عملية استئصال الخصيتين ودل على صحة أقواله بأن تحليل الـ **psa** أو دلالات الأورام بدأ ينخفض تدريجياً بعد إجراء العملية بأسبوعين فقط.

لو كنت شيطاناً مثلي لأتبع لك أن ترى كل ذلك بمنظار استكشافي، والسبب في قيامي بذلك حينما وجدت الكاهن راقدًا يتألم في غرفته، ونائبه ليشع منقريوس يتولى أمر الدير بصورة مفارقة تمامًا لما كان يقوم به الكاهن، وعلى الرغم من أنه وعد الكاهن يواقيم بمراجعتي في بعض الشؤون الحيوية يوم أن أصدر أمرًا بأن يتولى شؤون الصلاة والوعظ في الفترة الأخيرة من مرضه، إلا أن الراهب ليشع خاض في الكثير من الأمور مثل تغييرات في صفوف الرهبان، وتولى بنفسه صندوق النذور وصندوق التبرعات، وكأنه قد تلقى أمرًا من مجسم يسوع أكد له أن الكاهن يواقيم ميت لا محالة، تلك الظروف التي حدثت سريعًا جعلتني أستكشف جهاز الكاهن البولوي، ورأيت ما توقعته فقد كان السرطان قد نفخ البروستاتا لأقصى درجة مثلما تقوم بنفخ بالون لأقصى مدى وأنت حائر ما بين المضي قدمًا وبين التوقف خشية أن تنفجر، وحينما تفرغ من النفخ بعد أن تتيقن أنها منفوخة بشدة بسبب قساوة نسيجها اللدن فيساورك الخوف في كل ثانية أنها ستنفجر حتمًا في كل وقت، وأن كل ثانية تمر دون أن تنفجر فتتوقع أنها الثانية الأخيرة في عمرها، وهكذا كان حال بروستاتا الكاهن والمثانة في حالة تميح شديد، وتحوّل لون الدم الذي يرتجع مع البول الطاهر من المثانة فيكونان سائلًا سرطانيًا يدخل الكليتين، وحينما اطلعت عليهما وجدت أنهما قد تليفتا تمامًا.

حقًا أدركت الآن لماذا كان يعاني الكاهن من التردد قبل بدء نزول البول والجهد الذي كان يبذله في دفعه للخارج، والضعف الذي انتاب قوة رشقه وتشعبه وانعكس ذلك على تردده في اتخاذ قرارات كثيرة جعلت مكانته بين الكهان تضعف كيانه وهيمنته على شؤون الدير،

مما سهّل على ليشع سرقة ملف حوار الأديان من على كمبيوتر الكاهن واختفائه تماماً.

كان هناك يقين لا يقبل الشك لدى الراهب ليشع بأن الكاهن يواهم باتت أيامه الأخيرة هي الدنيا قليلة ومعدودة، وأن مسألة موته - على الرغم من أهميتها للدير وللمسيحية كلها على مر تاريخ البشرية فإنها لا تضارع أهمية محاولاته لتبليغ رسالته الإنسانية التي جاء بها مع الديناري، وربما كان موت الكاهن يعني موت رسالته، لكن ما كان الراهب، وهو القطن الحافظ للمهدين القديم والجديد، ليفوت أمر الرسالة ولا أن يقوض أسسها ما حيا.

الفصل الثالث والأربعون

في اليوم الذي وصل فيه يواقيم من مستشفى أسيوط الجامعي بعد رحلة علاج طويلة، وفي اليوم الذي ولدت فيه أهافا توأمها الليمارجي، كان ملف حوار الأديان قد تحوّل من hard الكاهن إلى hard الراهب، ولم يُباور الشك الكاهن بخصوص الكمبيوتر الخاص به؛ لأنه يحميه بكلمة سر بأسماء القديسين يُغيّرهم تباعاً، وعلى الرغم من أن غرفة الحاسب الآلي في الدير مظلمة يحرسها مجسم يسوعي صغير وتمثال للعذراء مصنوعان حسب مقاييس حاسوبية دقيقة إلا أن الراهب استطاع أن يفك شفرة الكمبيوتر ويحصل على الملف الشائك بالصدفة والمدد البطرسي.

في اليوم الثاني الذي سبق موت الكاهن كان الأسقف قد وصل من نجع حمادي إلى الأقصر وعقداً هماً الاثنان اجتماعاً ثنائياً في غرفة القديس بطرس بشأن الترتيبات لعمل جنازة للمتنيح المحتمل الكاهن يواقيم الصموائيلي. وكان ذلك هو المغزى الظاهري لزيارة الأسقف. لكن أهدافاً خفية كانت تختبئ خلف المجسمات اليسوعية والتماثيل والبروتريعات البابوية.

دخل البليمي مرحلة الوسوس والضلالات والهلاوس السمعية والبصرية والشكوك، وكان يرى حيوانات مفترسة، أو حيات وثعابين، أو وحوشاً مخيفة تهاجمه، أو يسمع أصواتاً تهمس. أو ربما تصرخ من حوله تهدده بالقتل أو الذبح مما دفعه للهروب أو الانتحار.

وكان أحياناً يرى أنه الديناري فيقلد مشيته وكلامه ولكن بصورة بكمية، ويتمايل في الحضرة بصفته الولي، ومرات أخرى يقلد يواقيم في ترانيمه وريباش في صمته، ومرات كثيرة كانت الشياطين تدخل في أنفه وفمه فيتحول لحيوان ضار يفتك بكل من يقابله ظلماً منه أنه مبعوث الشياطين، فيتجه مباشرة لنهر النيل بعد صراع أحادي حتى يفرغ الشياطين التي ملأت رأسه، وفي اليوم الذي مات فيه الكاهن يواقيم كان عائداً من النهر بعد أن أفرغ حمولة شياطين عابثة في جرف نجع الطوامية قادمة قدماء لنافذة قارون في المعبد اليهودي وسمع صراخاً فاتجه للدير وهناك قلد النساء في صراخهن وبكائهن ثم تسلل داخلاً من الناحية الغربية التي تفضي إلى صومعة يواقيم. وظل يتسمع ساعتين عند شرفة القديم بطرس حينما تقأهت إلى سمعه أصوات هامسة وميَّز من بينها صوت الراهب ليشع منقريوس وهو يقول :

"لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا
وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَحْمَارِي ذَلِكَ بَأَنَّ
مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ."

آية قرآنية يضعها الكاهن يواقيم الصموثيلي على Desktop في الـ HARD الذي فك شفرته ليشع، ونظر الأسقف إلى الراهب ليستخرج من وجهه تعبير دهشة أو استنكار لكن وجه ليشع كان خالياً من التعبيرات المتوقعة، وإنما كان زاخراً بتعبيرات تصوب أصابع الاتهام لكاهن يحتضر، وفي الخارج تنتظر النائحات إعلان وفاته حتى يمزقن أرديتهن، وكان لسان الراهب يقول إن كان الديسكتوب يحمل آية قرآنية فما بال PARTITIONS الداخلية؟ فربما حمل عليها

•رَأَنَ الكَرِيمَ كَامِلًا كِتَابَةً وَفِيدِيُوهُاتِ بِصَوْتِ الشَّرِيمِ وَالسَّدِيسِ وَرَبْمَا
سَوْتِ مُحَمَّدٍ رَفَعْتَا

بَاحَ يَوْمَ التَّيْحِ اسْتَيْقِظَ الْأَسْقَفُ الَّذِي يَشْبَهُ الْمَمْتَلَّ اسْتَيْفَانِ رُوسْتِي
جَرَدَ أَنَّ شَعْرَ بَبْرُودَةٍ جَاءَتْ بِالْخَطَا فِي هَذَا الْجَوِ الْأَغْطَمِي الْحَارِ
رَفُ أَنَّ الْفَجْرَ يَلُوحُ مِنْ فَوْقِ الْجَبَلِ الْفَرَبِي، وَخَرَجَ مِنْ غُرْفَتِهِ بِجَلْبَابِهِ
نَصِيرٍ يَتَخَلَّلُ بِأَصَابِعِهِ النَّحِيلَةَ شَعْرَهُ وَكَأَنَّهُ يُوَفِّظُهُ فَتَهَيِّجُ خِصْلَانَهُ
بَلْفُوفَةً وَفِي نَقْضِ الْوَقْتِ يَرَبْتُ بِرَاحَتِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ وَكَأَنَّمَا يَهْدِيءُ مِنْ
عَهَا بَعْدَ أَنْ رَأَى الرَّاهِبَ لِيَشْعُ فِي كَامِلِ زِيَةِ الْكَهْنُوتِي وَهُوَ يَمْبُرُ الرَّدَهَةَ
كَبِيرَةَ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى غُرْفَةِ الْكَاهِنِ يُوَاقِيمَ، وَفِي غَمْرَةٍ مَشِيَّتِهِ الْمَنْفَعَلَةِ
ي الْأَسْقَفُ فَتَوَقَّفَ وَلَفَّ يَمِينًا وَتَقَدَّمَ نَحْوَهُ مَائِلًا وَحِينَمَا اقْتَرَبَ مِنْهُ
حَنَى بِشِدَّةٍ قَائِلًا :

صَبَّحَكَ الرَّبُّ بِالْخَيْرِ مَوْلَانَا الْمَقْدِسِ.

صَبَّحَكَ يَسُوعَ بِالْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ يَا لِيَشْعُ.

هَلْ تَتَعَمُّ مَوْلَانَا بِنُومِ هَادِيءٍ؟

قُلْ هَلْ أَغْمَضُ جَفْنَ مَوْلَاكَ؟

وَلِمَاذَا يَسْتَعْصِي جَفْنَ الْأَسْقَفِ؟

الْأَمْرُ جَلَّلٌ وَالْحَدِيثُ رَهِيْبٌ.

نَعَمْ، مَوْلَانَا الْكَاهِنِ يِنَازِعُ مَسْكَرَاتِ الْمَوْتِ.

أَنَا لَا أَقْصِدُ مَوْلَاكَ الْكَاهِنِ.

مَنْ يَقْصِدُ مَوْلَانَا الْمَقْدِسِ الَّذِي تَقْدُسُ بِزِيَارَتِهِ دَيْرُ الْقَدِيسِ بَطْرُسِ؟

- بل أقصد حوار الأديان الذي وضع أسسه الكاهن مع الديناري.

أطرقَ الراهبُ ليشع برأسه وكأنه بإيماءته تلك يعلن خضوعه النام لرأى الأسقف على الرغم من أنه تشكل وتأطر بإيعازٍ منه منذ أن لآخه بايميلات ورسائل على خاص الفيس بوك وتويتر تحتوي على تحركات الكاهن وغيابه كثيرًا في جوف الساحة الدينارية. كان وقوفهما أمام غرفة الأسقف بمثابة انتهاء عهد يشهدان عليه اليوم، وعلى الرغم من تشاورهما عشية وصول الأسقف إلى الأقصر فإنهما لم يتخذا قرارًا بشأن حوار الأديان الذي كان الكاهن يواقم يعتزم تحويله إلى آليات للتنفيذ.

من بين النساء المتشحات بالسواد أمام دير القديس بطرس ثلة غير قليلة يبكين بحرقة، وتضع كل واحدة منهن طرحة حول رقبتها، وفوق رأسها وفوق كتفها طفلًا أو طفلين، لكن على الرغم من ذلك يجلسن في زاوية بعيدة عن بقية النساء وكأنهن يخشين الاختلاط خوفاً من اكتشاف أمرهن، لكن نحيبهن ذا النبرة الغريبة اختلط بنحيب أطفالهن الجوعى فاقتربت منهن امرأة قبطية تتفحص وجوههن النحاسية لعلها تتذكر مقابلتها في قداس أو في عيد أو أي مناسبة دينية، لكنها اكتشفت أنهن مسلمات، وعرفت أن الكاهن يواقم الصموائيلي كان يتصدق عليهن.

كفكت المرأة القبطية دموعها، ونهت الأخرى عن البكاء، وتحولت النظرات الحانية إلى نظرات كراهية ونفور، وحينما أعلن عن خروج الجثمان لم يبك عليه سوى المسلمات اللاتي يحملن أطفالهن العرايا على أكتافهن، ولم يفهمن أن عداء الأقليات أكثر ضراوة من عدا المستعمرين، وأن الوهم نائب الضلال، ولم تفهم القبطيات في نفس

الوقت سبب بكاء البليمي عليه وهو يحتمي بشجرة الطلح وينطق
كلمات منفلتة غير مرتبة تواكبها إشارات دينية لا تترجمها المسلمات
و القبطيات :

تراب فيح واقيم صموا كاهق نيح دينار.

ام يكن الراهب ليشع يتخيل أن سرطان البروستاتا سيقضي على
الكاهن يواقيم وعلى حوار الأديان بتلك السرعة، مع أنه كَوْن ثلاثة
مرويات على الفيس بوك لمحاربة مشروع حوار الأديان الذي يرعاه
الديناري ويواقيم وربباش، وكان أولها جروب "جنود المسيح" والذي
كان يهدف إلى إعادة سرد قصص الاضطهاد التي عانى منها بعض
الأقباط على مر العصور في مصر لشحن الهمم لصد كل ما يتولد عن
مشروع الحوار، والجروب الثاني سَمَّاه "فصائل يسوع الرب"، وضع في
سدارته عنواناً متحرّكاً: "جروب فصائل يسوع الرب، عانى يسوع من
أجلنا، وجاء الوقت الذي يجب أن نعاني من أجله". أمّا الجروب الثالث
فقد كان عبارة عن صفحة بعنوان "الأقباط في مصر دموع المسيح"
كانت تلك الصفحة كَرَّحَم امرأة عاشَرها كل صنوف البشر فكبرت
بعظنها لدرجة أنك تظن أنها تحمل مائة جنين على أقل تقدير، ذلك
الرُحَم أو تلك الصفحة إن رغبت في تسميتها بصفتك شخص معاصر
حمل كل ما كان مخبوءاً في الصدور، كانت زاخرة بالآراء، وكان أول
المساهمين فيها أقباط المهجر الذين كانوا يضعون بوستات في كل
الأوقات وكانهم عاطلون متفرغون لقضية دموع المسيح أو بالأحرى
القضاء على حوار الأديان. وفي اليوم الذي وصل الكاهن يواقيم إلى
أسيوط لإجراء عملية استئصال الخصيتين قبل تتيجه بأربعة وأربعين
يوماً وضع أحد أقباط المهجر بوستا على الفيس بوك يقول :

"دماؤنا فداء دموع المسيح"

اشتعل يومها الفيس بوك كأنك ألقىت بعود كبريت مشتعل في حقل قمح أو أشعلته في محطة بنزين، وارتفعت أسنة النيران فككت الصعق عن هذه الصفحة وتعددت اللقاءات على الفضائيات تناقش الموضوع الذي يلهيه أقباط المهجر، وغطت تلك الصفحة على صفحة "الدعاء للكاهن يواقيم الصموثيلي" التي أنشأها الراهب يشوي الباخومي ولم تلقَ تجاوباً كبيراً، وانضم إليه بعض المسيحيين العجائز في أوروبا واكتفوا بعمل لايك فقط لأن أصابعهم تعجز عن كتابة كلمات دعاء له. أو لأنهم لا يعرفون قيمته الدينية. والذي حركهم لعمل لايك وجود صورته للعائلة المقدسة على التايم لاين، وصورة الكاهن يواقيم على البروفائل. بملابسه الكهنوتية، لكنهم بالتأكيد حزنوا على مصيره لأنهم سيلتورون نفع المصير، أو أنهم أصيبوا بنفس المرض وتم علاجهم منه بسبب التقدم الطبي هناك، لكن على أية حال كانت الصفحة قد حازت على أربعين لايك، وكما توقفت أعضاؤه البولوية عن العمل توقفت الأصابع عن عمل لايك جديد على الصفحة.

تم إنشاء الجروبين والصفحة بعد موافقة الأسقف، وحينما كان يطالع البوستات ينتابه غيظ شديد لأن كل تلك الأفكار بعثها للكاهن يواقيم على شكل رسائل وتحويل مضمونها في العظات الأسبوعية منذ ثمانين سنوات، ولم يكن يظفيء نوبات الغيظ المتنامية بداخله سوى صفحة "الدعاء للكاهن يواقيم الصموثيلي" التي كانت تعاني من تيبس شديد مثل التيبس الذي لحق بأطرافه قبل موته بخمس ساعات.

على الرغم من رياح الغضب التي كانت تهب على الأديرة والكنائس، والنجوع التي يقطنها الأقباط والتي أطلقها الراهب ليشع إلا أن قيم

اهب والتسامح التي زرعا الكاهن يواقيم في الأقباط في صلواته
 ، مظاته لم تذهب أدراج الرياح ، وتقاطرت جموع من المسيحيين نحو
 ، بر القديس بطرس ، وامتلأت ردهات الدير وأقنيته وخارجه بالباكين ،
 ، الفائحات يحثن أطفالهن الأبرياء بالدعاء له لأن الذنوب لم تتسبب
 ، من تحجر أقدتيم ، أو لأنهم لم يستخدموا الصليبان المرسومة على
 ، ماصمهم في الحقد على الآخر ، وأبواب السماء مفتوحة ولم توصل
 ، امامهم لأنهم لم يرسلوا بطلب الانضمام لجروبي الراهب ليضع
 ، مسفحته .

أيهما أقوى عند الإنسان الهوية الدينية أم الهوية المدنية؟

كان هذا السؤال آخر ما كتبه الكاهن يواقيم الصموثيلي على
 whatsapp قبل وصوله من أسبوط بأسبوع ، وجعل جميع الأقباط
 ، يشارون في الإجابة عليه وكانهم طلاب جامعيون لم يصادفوا هذا
 السؤال في منهجهم .

سكينة ارتقت صمناً مسيحياً ارتخى على الجبل الغربي وألقى بتلافيته
 فوق الدير فتوقفت النساء عن البكاء ، وحفت الرجال سنة من الصمت ،
 ونام الأطفال على حجور أمهاتهم بدموعهم ، وبدأت أسراب الغربان
 نحوم حول الدير ناعمة وكأنها تطالب بتسليم جثمان الكاهن لتطير به
 إلى مكان آخر يليق به ، ربما تكفنه بالرداء الكتاني الذي اشتراه يوسف
 الرامي أحد أعيان المجلس اليهودي ولف به جثمان يسوع بعد إنزاله
 عن الصليب ، ثم وسده الثرى بجوار جثمان يوحنا المعمدان فينعم
 بالسلام والأمن بجوار رسول السلام . لكن استمرت أسراب الغربان
 نحوم حتى اختفت وكأنها نئست من تسلّم جثمان الكاهن الطاهر
 وتركت تلك المهمة لطيور أخرى جاءت تتوح عليه وأعلنت عدم قدرتها

تولي أمر الدفن.

كان الكاهن يواقيم الصموثيلي في تلك الأثناء شاخصاً ببصره إلى سقف الغرفة ينظر إلى الملائكة وهي تطير ثابتة في أماكنها، وكان هو كذلك يطير في ملكوت آخر على الرغم من ثبات جسده وقد تيبس أطرافه، ويداه مبسوطتان على جانبيه، لكن قلبه كان ينبض ونبضاته خافتة، بالكاد تحركت بعض الدماء لبعض الأعضاء مثل الرئتين والرأس والقلب الذي يخفق كمصفور مخضرم طار للمرة الأخيرة فوق بنايات شاهقة بُنيت حديثاً وقد كان قبل بنائها يطير في فضاء يريح جناحه فتحمله كتل هوائية تفقسها دوامات متتالية فينظر حوله والفضاء منسحقاً لطموحه وتطلعاته، لكن البنائيات كانت بداية عصر جديد ونهاية عصر كاهن المحبة والسلام الذي نبذ عنف جماعتين قبطيتين خرجتا عن تعاليم كاهن دير القديس بطرس بعد ثورة ٢٢ يوليو، وقد كان حينئذ راهباً متدرباً، وأعلن غضبه على الجماعات القبطية المتطرفة التي ظهرت في عهد السادات.

قضى يواقيم على التطرف القبطي في الدينارية بعد هوجة الأقباط الأخيرة التي حركها أقباط المهجر صليب الأحرار، وقضى السرطان على الكاهن والبقاء للأقوى، وطالما أن هناك فكراً يتبنى العنف فهناك سرطان يتبنى تدمير خلايا الإنسان، وتسارعت أنفاس الكاهن وكأنه يحاول اللحاق بالقطار الأخير، وحينما وصل إلى عربته توقفت أنفاسه وكان ملكاً شديد البأس وضع يده في حنجرته وخرج بروحه لتصعد إلى ملكوت الرب، غادر الكاهن قبل أن تحاك حوله مؤامرة لعزله كما عزل ريباش، وكان الموت أسرع من المتأمرين وهو أحق به حينما أرسله السرطان زعيم العدميين فسارع بالحاقه بالملكوت الأعلى.

ري هل يُصيب السرطانُ الأشرارَ أم الأطهار؟ وهل يصيب الناسَ شكلٌ منفلتٍ أم أن هناك قواعدَ تحكمه مثل الوراثة؟ هناك فصلٌ في هـث معنصم الديناري يتعرض للسرطان الوراثي وإمكانية التدخل في الخريطة الوراثية لإبقائه عند جيل معين، لكنه على الرغم من ذلك فإن اكل عصر طاعوناً، والسرطان طاعونٌ هذا العصر وينازعه على هذا اللقب فيروس سي والإيدز، وحينما يصيب هذا المرض رجلاً صالحاً فإنك تقول لماذا أصابه وترك أناساً بعينهم تكرههم؟ مات يواقيم الصموثيلي دون أن يجيب على تلك الأسئلة التي كانت ترد بخواطره، وحينما أصيب بالسرطان تمنى لو كان رجلاً يعيش في كهف يأكل الخبز الجاف، لكان أفضل من أن تسرطن أعضاؤه، لكن الأقدار كما تختار بعض الناس للمناسب فإنها تختار لهم الأمراض التي يموتون بها، وإذا قبلوا تلك المناسب وتعمموا بها فلماذا لا يقبلون الأمراض التي تفتك بهم؟ هناك معادلة ما تحكم البشرية، وربما يحيط الغموض بها أحياناً لكنها بلا شك عادلة وتضبط كل ما هو منفلت، ولو كان العالم منفلتاً في تقديرك فربما يكون منضبطاً عند الله، ولن يقيس الرب الدنيا بمعاييرك، فلو فعل فسوف يكون الانفلات بعينه، لأن غيرك سيطلب أن تُقاس بمعاييرهِ، المعضلة التي يعيش بها الناس أنهم يخلطون ما بين المعايير والموازين الربانية بالقوانين البشرية الوضعية، فيتهم الناس المعايير الربانية بالتقصير لأن بعض الفاسدين والمجرمين لم يتألوا جزاءً رادعاً بما اقترفوه مع أن التقصير بسبب القوانين الوضعية.

المجرم هو الإنسان، والحاكم هو الإنسان، والقاضي هو الإنسان، وهل ينتظر المظلوم أن يُنصفه الله يوم القيامة أم يُنصفه الإنسان في الدنيا؟

الظالم هو الإنسان، والمظلوم هو الإنسان، والفاقد يظن أن الخدم،
ببإرِك خطواته، والمرتشي يحسب نفسه الشيخ الشعراوي. ينتظر
المظلوم أن يموت الظالم حتى يشمر بالرضا، وهل كل ظلم ينتهي بموت
الظالم؟

كانت تلك الخواطر تتاب يواقيم الصموئيلي وهو ينازع الموت، وكان
الإنسانية هي همّه الأكبر، لكن سكرات الموت لم تسمح له بالاستطراء
فيها، ولن يحل شخص واحد مشكلات البشرية التي لا تنتهي، لكنني
رأيت تمتات أخيرة تزيد بها شفتنا الكاهن :

- الدين المنزل يحل مشكلات البشرية . .

مات يواقيم، وقلبه محمّلُ بآيات المحبة والسلام مترنماً ومُجوذاً
ومرتلاً قيم الألفة والائتلاف والاعتصام بحبل الله، مات ووجهه يحمل
اللقطّة الأخيرة في الكادر اليسوعي الأخير وهو مبتسم راضياً مرضباً
بلقاء الرب.

"هل حرمني الرب من أن ألمس جسد امرأة حتى أتبيح؟ بالتأكيد كتب
على أن أترهبين وأودع الحياة الدنيا بخلوها وبمهرها، وأن أعيش في
الدير مخلصاً للرب عبادةً واشتياقاً للقائه، لكن تلك هي حياة الرهبنة،
على الرغم من عنوبتها إلا أنها قاسيةً وشديدة على النفس التي تنوؤ
للاكتمال بالعناق بين رجل وامرأة، وكما خلق الرب آدم من طين فقد
خلق الراهب من كيان الإنسان وذاته، والإنسان ضعيف بمفرده قوي
بوليفته، وقال لنا القديسون الأوائل بأن نقتل شهواتنا وندفنّها خارج
الدير كما ندفن موتانا، فلا يبقى منها سوى هياكل أو رفات لا تصمد
أمام شهوات نساننا المتأججة، فتبقى حينئذ أرواحنا على هذا الانتصار

الصوفي، وتهيم النساء وتحتك بالصخور والنتوءات الجبلية حتى نحقق لها نشوة غائبة فتصرخ الشبقات عند السفح يبحثن عن رجال رهبوا أنفسهم لأديرة صماء توسوس لهم بأن يتبعوا الشقاء في ممية المجسمات المعذبة وينبذوا نساء شاهقات الجمال تورمت شفاههن وصدورهن ومؤخراتهن بالفيلر والبوتوكس والميزوثيرابي، يبحثن عن المتعة الكامنة في أجسادهن، لم يحرثها فلاح استأجر أرضاً وعزق تراها البكر، وما إن بذرها حتى واظب على سقيها بانتظام، ولم يمرضها للظما أو يهملها فتتشقق أو يصل بها الأمر فيصير البوار لها عنواناً، لكن كانت الأديرة لهن بالمرصاد فانتدبت الفلاح من أرضه، وأما أن نطفيء تلك الشهوات كما نطفئ قضبان الحديد التي تظل نحت وطأة النيران المستعرة ستة عشر عاماً ثم وضعناها في ماء بارد فتصدر صوت شواء يكاد الماء يصير حديداً من وطأة الحرارة، لكن على الرغم من ذلك يتغلب حينئذ الماء فنطفيء كل الشهوات فنصير رهباناً.

كان الكاهن يواقيم الصموثيلي يناجي نفسه عند الشجرة كلما تتصارع لديه النزعة الدنيوية مع النزعة الدينية قبل تتيحه بعشر سنوات، ولم يشأ أن يبوح بمكنونه للأسقف ميخائيل المحرقي الذي كان يقرأ ما هي جوفه قبل أن ينطق به لسانه، وقبل أن يأتي الفبار الديناري على علاقتهما. ولم يسمح لنفسه أن يستنزل درجات العلو التي ارتقاها بأن يحكي أو يتسامر مع الرهبان تحت شجرة الطلح التي شهدت آلاف المرات أسراراً، ولو سمح الرب للشجر أن يخون فما كانت شجرة الطلح خائنة أو ناقلة للأسرار، على الرغم من أنها تتوء بما تحمله، إلا أنها كانت تستانس برهقة الكاهن ويستانس بها، وكم

من حوار دارَ بينهما، وما كانت أمُّه التي ولدته تستطيع أن تحتويه هي
لحظات الضعف التي كانت تتأبه كما احتوته شجرة الطلح، وفي نفس
الوقت كان يترفق بها ويربُّ على مكان الطعنة الغادرة التي تشوه لهاها
كما شوه السرطانُ لحاءَ المتفتح الذي كان يوماً كاهناً.

الفصل الرابع والأربعون

بعد أن يَمُرَّ عامان على التحاق أيِّ راهبٍ جديدٍ بالدبر تتساوى لديه النزعاتُ، فحينما تخايَله الدنيا بملذاتها وشهواتها تلمتته المجسّماتُ العانية فوق الجدران فيرى بأعينها الشاخصة طريقَ الهداية، وتوفّر له السكينة التي هي في الأساس قوام الرهبنة.

"في السكينة تلمثن الأفئدة المزعزعة، وفي جوفها حلاوة الإيمان."

هكذا كان الكاهن يواقيم الصموثيلي يستهل لقاءه بأيِّ راهبٍ جديدٍ، وتكون هاتان العبارتان نبراسًا له في خلوته مع الشيطان، وعلى الرغم من أن الكثيرين من الرهبان الذين أغواهم الشيطان في البداية فمنهم من يهرب ومنهم من يخلع مفرجيته تحت الحمار الذي يسوقه يوسف النجار يحمل مريمَ ويسوعَ في رحلة العائلة المقدسة المرسومة بدءًا من البوابة الشرقية للدير حتى تصل إلى غرفة النذور، ومنهم من يشعر بأن نهايته قد حانت فلا يستطع اتخاذ قرارٍ بالاستمرار بالدير أو بالكفر به فينتحر خلف الجدار الخلفي الذي يسميه الرهبان "جدار الأحزان"، لكن على الرغم من موته منتحرًا وخروجه عن تعاليم يسوع إلا أن الكاهن يواقيم الصموثيلي يقوم بنفسيله لمدة ساعتين، ويأمر بحمله إلى غرفة القديس بطرس حتى يتوب عليه، ويُقام له "قداس الشهيد" وتُقرع أجراسُ الدير ويترنم الرهبان بترانيم الشهداء التي تستمر حتى ساعة متأخرة من الليل، ويُحمَل على الأعناق ويُدفن في مداخل الشهداء، وربما يحمل اسمه اليوم الذي انتحر فيه فيقال مثلًا "يوم كيرولوس" أو "يوم عبد المسيح"، ومن الرهبان من ينتصر على

الشیطان فيرفض غوايته ليس بسبب إيمانه الراسخ ولكن لأن طرانه،
الحياة كانت وما تزال مسدودة أمامه، وإلا فَمَا كان سبب ترهبينه؟

على الرغم من العلاقة الوثيقة التي نشأت بين الكاهن المعتنح يواقيم
الصموئيلي وبين شجرة الطلح فلم يكن يبوح لها بالكثير من خواطره
الشیطانية التي كانت توقظه من نومه، إلا أنه بعد السقم الذي أصابه
لم يجد رفيقاً أحسن إليه من شجرة الطلح يُفضي إليها بمكثونه:

”قُضيتُ عشرين عاماً بين جدارن الدير ولم أصل إلى اليقين الذي
قال عنه القديس برنابا، ما تزال الشكوك تساورني في جدوى
بقائي في الدير، فهناك الملايين من الأقباط الذين ينعمون بالحياة
وملذاتها خارج الدير، ولم يذكرهم القديس برنابا في إنجيله بسوء،
ولم يمنعهم من الدخول مع يسوع في الجنة، بل حثهم على جماع
نساءهم حتى يزيد النسل فيفرح الرب في ملكوته، لكنني أنا يا شجرة
الطلح قد منعتني القديس بطرس من جماع النساء، وأشعر بأن أحشائي
تكاد تنفجر، وكَم من مرة كبحتُ جماع نفسي أثناء الصلوات حينما
كان يبرز عضوي فيكاد يشق المضرجية لرؤية امرأة تزينت وارتقت
بصدرها أعلى درجات الفنج، وذات مرة أثناء قدّاس يوم الأحد جاءني
الشیطانُ وفتح أمامي طرفاً ومهدّها بالورد وحجّب عن الآخرين رؤيتي
وأنزل بيني وبينهم ستاراً عالياً لا يشف ما خلفه، وحث المرأة أن تتقدم
نعوي كي تلقم ما برز مني جوعاً وشبقاً، وتهيات لي، وهممتُ بها فإذا
بالصليب الذي كنتُ أمسك به يهتز منتفضاً وكاد يطير مني فيطيح
برؤوس المصلين الفاتية، لكنني حينما تشبّثتُ به ضربتُ عضوي
المشرّتبُ وصرختُ متألماً، تذوّقتُ الألم بدلاً من التلذذ، حينئذ رأيتُ
برهانَ بطرس الرسول الذي تجلّى أمامي بعد أن تخلّيتُ عن مفاتيح

الملكوت لأول مرة، مهرولاً من مختلاه ومن بورترهه حافياً متوجعاً، سب سيره على قدميه بعد كل تلك القرون يئس من الشوكة العظمية المفروزة في قدميه لوقوفه الطويل في الصورة، واقفاً مستيقظاً يعظ المخطئين ويرشد الضالين، تخلي لأول مرة عن ابتسامته المختفية ملف وجنتيه الفولاذيتين، ونظر إلى نظرات ضيق وتبرم ثم اختفى، وشعرت بأنه نثر على جسدي قطرات من ماء عذب جاء به من بيت المقدس وربت على كتفي يحاول تثبيتي، كانت عيون المصلين تحديق رهشة، واقترب مني الراهب ليشرح هامساً بضرورة مواصلة القداس الذي توقف ثلاث ساعات.

منذ ذلك الحين وأنا أستعبد من الشيطان الذي كان يحضر القداس معنا، تارة يرقص وتارة يشهق باكياً كلما أمعنا في الخشوع مترنمين. وتعلمت أن أغض بصري حينما أرى النساء اللاتي يمعن في التجميل والتزيين وإظهار مفاتهن شيطنة، وعلى الرغم من ذلك كنت أستحضر هؤلاء النساء في غرفتي بعد أن أوصد بابها، وأهجم عليهن واحدة بعد الأخرى وأجامع جماعاً مفلتاً ليس له قواعد أو حدود، فأرى بعيني تلك الملدات وأعائنها، ولا يمنعني من النزول في أحواض خاض فيها رجال مارقون يتمنون عن زيارة الدير، وأفرغ الحيوانات التي ظلت مخبوءة في صُلبي سنوات الحرمان حتى تهبست، وكبرت وترعرعت أمامي لكنني لم أسمح بخروجها من غرفتي، وعلى الرغم من أن تلك الحيوانات قد وصلت إلى سن المراهقة أو تزيد قليلاً إلا أنها بدون ملامح، تخرج في بعض الأوقات حينما يدس الليل ظلامه في أركان الدير وتسير في صفوف منتظمة دفعات متتالية حسب أعمارها، وتشع من رؤوسها نظرات مبهمة لأنها تفتقر إلى العيون والأنوف والشفاه

مجرد رؤوس بيضاوية، تلك الحيوانات منزوعٌ منها الجهاز التناسلي،
صارت تلك الغرفة منذ ذلك الحين هي الحياة الدنيا التي حرم
نفسها منها وتمنعت عني، ألجأ إليها كلما يدفعني الحنين إلى الجمال
أو الائتناس باشتقاقاتِي وبِنسلي، أدخلُ الغرفة وأتناولُ بيدي كل ما
أستطيع تناوله في القداس أو الصلاة في جوف الدير كاهناً يحرم
الناس على الفضيلة.

على الرغم من لحظات الضعف الإنساني التي كانت تتاب الكاهن
بواقيم الصموائيلي وتتفوق على قوته الكهنوتية وثباته القبطي فهناك
لحظات قوة في الرأي وصرامة في النصيحة تتنابه حينما كان يتحصن
الأمر ببقية الأديان وخصوصاً الإسلام. ولم يكن يسمح بالفلوف في تلك
تصرفات معتنقيه أو برفض تعاليمه، أو التخلي عن قيم التسامح بين
بني البشر، وإذا وصل الأمر بإنكار ما جاء في القرآن أو ما جاء به النبي
محمد الخاتم فكان يضرب بيد من حديد، من تحد ديني فكري قوامه
السجال والمناظرة إلى الخصام الكهنوتي الذي يخرج هؤلاء المنكرين
من ولايته فتخيطهم الشياطين وتعلو عنهم كل المجسمات اليسوعية
وترفضهم أطياف الحنو والرفقة التي تبثها البورتريهات العذرائية. ولم
يكن يسمح بزلات لسان أو انفوجاج فكري يكرس له الرهبان أنفسهم
داخل الدير.

"الدين الإسلامي دين سماوي نزل على نبي عربي حملة الملاك
جبرائيل بوحى مبين، وبشّر به يسوع وأمرنا بأن نتعايش مع المسلمين
وغير المسلمين بسلام وحب. في الإسلام نجد أهل الخطوة والصدقة
والمدد، إنهم بشر يعيشون بالوصل والمدد وليسوا مجانين، مكشوف
عنهم الحجاب كما لدينا أهل القداسة والمحبة الذين يجعلهم المسلمون

«الملاء، الدينُ مَحَبَّةٌ واللَّهُ مَحَبَّةٌ، وعَلِمْنَا يسوعُ أن نحبَّ الناسَ، فالحبُّ عملُ الشيطانِ يضلُّ الطريقَ.»

هل علمتِ الكراهيةُ إلى هذا الحدِّ يا ليشع؟ هل نسيتِ تعاليمَ المسيحِ بمصووص التسامح؟ الدير مرفأ نستظل فيه برحمة يسوع، وحينمأ ، عرف أجنحتهُ علينا فلا مكان للَمَقْت والبغض والنفور من الآخر.

إن دير القديس بطرس يحيط به من الخارج أربعةُ جدرانٍ عالية مَبْنِيَةٌ بالأحجار يفشل في تسلقها ثلاثةُ متطرفين يعتلي بعضهم البعض، ومن الداخل بُنِيَ جسد الدير بالخرسانة تعلوه ثلاثُ قبَاب وهيكلان. ولكن دأراً جديداً متحركاً بُنِيَ في الدير، سَاهَمَ في بنائه الكاهنُ والراهب، السماحةُ والكراهيةُ لا تلتقيان، فهُمَا قطبانِ متنافران، لكن في دير القديس بطرس التقنا بل امتزجتا ودخلتا في تكوين الدير، فكانت سماحةُ الكاهن هي الطين الذي وُضِعَ الراهبُ عليه طوبُ الكراهية، ظل جدارُ السماحة والكراهية قائماً يتحرك ويمنع رحمة يسوع من النزول، فكثرت المشاحناتُ في الدير وكانت الصلاةُ جوفاءً يؤديونها خلف الكاهن بقلوب صلدة، وشُعَرَ بعض الأقباط المتزمتين بأن الطاقم الكهنوتي يؤمهم في أرض خراب ترتع فيها الشياطين وليس في دير يتجسد فيه يسوع مصاحباً أمه العذراء فوق المذبح يتجلى بقدرته، لكن هذا الجدار لم يقع إلا حينما تَبَيَّحَ الكاهن يواقيم الصموائيلي.

المرَّة الأولى التي سعد فيها الكاهن المتبَيَّح يواقيم الصموائيلي إلى ساحة الديناري بعد أن نَصَّبَه الأسقف ميخائيل المحرقي كاهن قرية الدينارية شعر بفصمة لم يعرف كُنْهَهَا في وقتها، شُعَرَ بأنه قديمٌ اضطُر أن يخفي إيمانه بالمسيح خشيةً أن ينكل به جنودُ الرومان، أو أنه ذاهبٌ إلى عدوٍ افتراضي بشرُّ به القديسون الأوائل وانتقلت تلك البشارة عن

طريق كل البوابات والقديسين والكهّان والرهبان عبّر العصور، ولنه، تلك البشارة بقوة حينما خرج من بوابة الدير الخارجية، على الرغم من ذلك فارقت قدماها الدير لأول مرة منذ حفل التنصيب الذي حضره، الديناري وباركه وقتها، تلك الفصّة أدركها بعد لجوئه إلى المذبح فبارك الفجر بقليل ليعترف ليسوع بما انتابه. والسبب في ذوبانها عند اللقاء، ترحيب الديناري به. وكان الكاهن يواقيم يظنه متكبرا متطرشا يتعالى على الكهان الأقباط.

- ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى. صدق الله العظيم.

كانت تلك الآية هي مفتاح الحوار بين المسلمين وبين الأقباط، وباب الحوار سورة مريم. شجرة خفيفة تُبقي على تلك العلاقة وعلى متانتها رغم كل الفتن عبّر العصور، ظل الشيوخ المعتدلون في عصور الدينارية يتمسكون بتلك الشجرة التي تُبقي على التثام النسيج الذي كان يحاول تمزيقه المتشددون من الشيوخ، والمارقون من منابرهم في عصر السادات وتكوينهم كيانات دينية متشددة قامت بمعنيات انتقامية ضد الأقباط وأفسحت للفكر المتشدد مجالا اعتنقه الكثيرون من الشباب الفيورين على الإسلام من ناحية والكارهين للشيوعية من ناحية أخرى. ومن هؤلاء الذين تمسكوا بتلك الشجرة الشيخ الربالي الذي كان يمثل دفة الاعتدال في قرية الدينارية. وعلى الرغم من وجود المعتدلين والمتشددين في ميزان الدينارية فقد كان الديناري يخشاها ولا يقبل من أحدهم رأيا إلا إذا تدبره تماما، المعتدلون يمكن أن يصيبوا القرية في مقتل باعتدالهم السليبي، والمتشددون يمكن أن يمزقوا نسيج القرية تماما لأنها تضم ثلاث ديانات سماوية.

وكما أن تلك الآية هي مفتاح الحوار فهي أيضا الصخرة التي يتحطم
 عليها الخلاف بين الطرفين في الدينامية، خصوصاً كلما حدث خلاف
 بين مسلم وقبطي وتحول هذا الخلاف إلى مذبح طائفي يشهر فوقه
 اجميع سيوفهم لبتر الرؤوس وكأنهم جنود أرسلهم الله لتخليص الدنيا
 من هؤلاء وهؤلاء، فتنبثق تلك الآية فوق السلخانة البشرية كضوء يشع
 من بعيد في خضم جو غائم تتصاعد منه أدخنة لا تتوقف، ويشق هذا
 الضوء تلك الكتل المتعانقة من الغيوم والأدخنة لتضيء بقعة أرضية
 مستوية ليست فيها أحجاراً مسنونة أو كهوفاً يختبئ فيها مجرمو
 اديان، لينزل فيها ملك من السماء فيفصل بينهم، وتشرب الأرض
 تلك الدماء المراقبة فهي ليست أعلى من كل الدماء التي أريقَت من
 قبل طوال عصور البشرية من ثوار على الطغيان، ومحاربين من أجل
 الأرض، وآخرين من أجل الدين، والكثيرين من أجل العرض والشرف
 والنزاهة.

أريقَت الدماء في معظم أزمات الفتن الطائفية. لكن ظلت تلك الشعرة
 قائمة تتحول في بعض الأحيان إلى ساحات أرضية تتجلى فيها بطولات
 لا يظهر فيها الصليب على رَسْغ قبطي، وتختفي فيها علامة الصلاة
 من فوق جبين المسلم. محاربون يرتدون زياً واحداً ويأكلون من إناء
 واحد وماء عذب يروي عروق المجاهدين في سبيل الوطن.

أدرك الراهب ليشع منقريوس بعد حديثه مع الكاهن يواقيم
 الصموائيلي واشتراكهما في بناء الجدار، فشله قبل أن يجعله يتبنى
 فكره ومنهجه الذي كان سبباً رئيساً في التحاقه بالدير، لكن أثر بعد
 ذلك ألا يبوح للكاهن بما يعتمل بداخله، وأن يحبس عناصر فكره كما
 يحبس الكاهن يواقيم بوله فيحتبس فأى الأجلين أقرب؟ أن تتطلق تلك

الأفكارُ من صُلْبِه تحملُ جَهَنماتِه وخريطتَه الوراثةُ فيؤمنُ بها الكثيرون؟
أم تُسدُّ مفارجَ الكاهنِ بسببِ تضخمِ البروستاتا أو تَمَرطِنها فيَسْمُمُ
انفلاقُ المعالِبِ الكَلِيتينِ فيتنجِحُ وتصعدُ رُوحُه للملكوتِ الأعلى فيريحُ
ويستريحُ؟

كانت أفكارُه في التغييرِ تَسري في بطءٍ شديدٍ في رؤوسِ الأقباطِ،
الذين يثقُ فيهم كصلاحِ حَرثِ أرضِه وبذرِها وسقاها وانتظرَ طويلاً
حتى تُخرِجَ نباتها. لكنْ تلكَ الأفكارُ لا تحتاجُ لحرثٍ أو ماءٍ لتَسقَى به،
فهى محروثةٌ ومَسقيةٌ منذ مئآتِ السنواتِ، فقط جاءَ ببعضِ الأساقفةِ
والكهانِ المتنجِحينَ الذين كانوا يعتنقونها من قبلٍ ليعلنوا إحياءَها.

- كان الأسقفُ إبراهيمُ الأسيوطي يَشددُ على غلقِ الأبوابِ بين الأقباطِ
والمسلمينَ.

- الكاهنُ شاروييمُ المنيوي يرى استحالةَ الحوارِ بين الأقباطِ وبقيةِ
الأديانِ.

- الراهبُ دانيالُ الإدفوي يتنبأُ فكرَ انفلاقِ المجتمعِ القبطي حتى لا
يُصابَ بأثريةِ المسلمينَ.

مَتى الضبعاوي وأمجدُ ظريفُ صديقانِ منذ نعومةِ أظفارهما، كانا
يلعبانِ أمامَ بيتيهما المتجاورينِ في المنشيةِ، وخصوصاً قبلَ أن تخرِجَ
الشمسُ وفي قلبها حَمَمٌ ونيرانٌ من خلفِ الجبلِ الغربي وتستعدُّ لقتلها
فوقَ كلِّ البشرِ في البَرِ الغربي والبَرِ الشرقي، وقبلَ أن يَخرِجَ صفاً
شياطينَ المسلمينَ الذين يعيشونَ في بيوتِ متهدمةٍ، لكن لم تمهلها
حرارةُ الشمسِ ولهبها أو صفاً الشياطينِ ومكرهم من اللعبِ في
الترابِ، وكلِ منهما يرسمُ خطوطاً هلاميةً تعبّرُ عن طفولتهِ المعذبةِ.

يهدهسون تلك الخطوط بأقدامهم المتشقة، وأعينهم تكاد تكون مسدودة من غماص فيحي، ويهجمون عليهما صفماً وركلاً فيلودان ببيئتهما أمناً ويفر الذباب الذي يعين في الانداسر. في أعينهم.

بعد خمس سنوات من الصفع والركل وسب الدين وألسنة النيران التي نبخها الشمس بعد أن تقفز فوق ظهر الجبل الغربي هاجر الأقباط الذين يعيشون في المنشية والعوامية والكرنك ونجع البحاروه والمنشأة وأرمنت بمراكزها وإسنا وقامولا والعامامود، وقليل من أقباط شارع المحطة وشارع كليوباترا وشارع رمسيس، ومن قرية الدينارية ومن كل المناطق التي شهدت انتهاكات شديدة لهم إلى السواقي جنوب الأقصر. بعد المنشور الذي وجه لهم الأسقف ميخائيل جوراجيوس في خمسينيات القرن العشرين من خلال نداء الأنبا بلامون :

"كُتِبَ عليكم الربُّ بأن تبيعوا بيوتكم بأبخس الأثمان، وتهاجروا لأرض الرب حيث وفّر لكم الكرامة، ويحفظ لكم صليبتكم ودينكم، فليحرق الرب كل من اشترى بيوت رعاياه، وليحرق كل مسلم ظلّمكم في موطنكم الانتقالي، كل من مات قبل الهجرة مع يسوع في الملكوت الأعلى، وكل من مات بعدها يرتقي درجات القديسين حتى ولو كان نفاقلي (جزماتي) وكل من يرفض نداء الرب فهو مع المسلمين في نار جهنم."

الفصل الخامس والأربعون

أن يبيع ظريف فاخوري دكانه الصغير الذي اشتراه منذ ثلاث سنوا، كان أمرًا ضروريًا، سنواتُ الجوع والخوف انتهت، والجلوسُ لساعاتٍ على الأرض يخيط الأحذية ويرقع الصنادل حتى تتضح الأرض ماءً تحت مؤخرته، تغلّى عن دكان ضمن مستقبل أولاده على الرغم من المهانة والهوان في أرض المسلمين، ويذهب إلى مستقبل مجهول حتى وإن كانت العائلة المقدسة قد سارت فيه واستظلت بالشجرة التي تهب على السواقي، ولم تكن أي أسرة قبطية تهاجر أو تهجر دون أن ينافق أفرادها ما سوف تؤول إليه أحوالها في المهجر، لكن أمجد الذي بام الخامسة عشرة لم يعد يحتمل أنفاسًا في هذا المكان، فرصةً للتفكير لم يسمح بها، بل تناول على أبيه ونعته بالجبان، وكما تعود الخواجا ظريف أن يسامح المسلمين عندما يشتمونه، فالأولى أن يسامح انزلاقات ابنه وتطاوله عليه :

"التسامح صفة الرب، زي ما قال أبونا الكاهن يواقيم الصموائيلي."

كانت الهجرة إلى السواقي ممنهجةً، هدفها الخروج الآمن من موطن الميلاد إلى المهجر كسرب طير خرج من أعشاشه في طقس شديد البرودة مبتعدًا عن غريان تهدم كل يوم رقائق الأعشاش وتختلف الصفار، وعن طقس تجمدت معه الأعشاش والأطراف كما تجمدت كل مصادر الرزق إلى موطن آخر تجد فيه كل مقومات الأمن والغذاء، السرية محشوة بهدف قوامه طموح الأبناء، المهن الدنيا تتطور فتزع عباءة الذل والجلوس على أرضٍ طينية تتقرح بسببها المؤخرات

«سُلخ، وتنتفخ البواسيرُ حاملةً أجنةً يُجهضها جراحُ جزّارٍ في
المستشفى العام أو جراحٍ كالبهيمّة النطّاحة في المستشفى الدولي،
الرافتحاح دكاكين بها إضاءةٌ ومراوح كهربائية، والهدفُ الأسمى التكتل
في موطنٍ حدده الرب ليُخرج عباده الصابرين من منزلقات المهانة
مع المسلمين إلى مستوطناتٍ مُرتقى الكرامة. وانتهاء عصر المهادنة
والنقية والدخول في عصر الكشف عن النوايا الدفينة، وفي المهجر
امت أجنة الكراهية واستجهاال الماضي، وبعد فترة وجيزة ولدت تلك
المعاني في أرضٍ خصبة فتلقفتها الأفتدة المتعطشة للانتقام.

كان كل هؤلاء المهاجرين يحملون في أفئدتهم أشواك الانتقام التي
امت في موطن الميلاذ وحملوها معهم إلى المهجر لإعادة توجيهها
لما استباح الأمر أشواكا، ولم يكن أحدهم يشعر بأنه وصل إلى
موطن الأمن لأن رياح الكراهية هبت في طريق الهجرة فقضت على
كل ترانيم السلام أو أناشيد السّماحة أو على كل دروس الكاهن يواقيم
الصموائلي التي كان يُلقّيها كل يوم أحد وكل يوم جمعة في الدير.



اليومَ تُمر الذكرى المليونية لتعذيبي فوق جبال البحر الأحمر، مرت
ثلاثة ملايين عامًا، ذكرى الشياطين تُمر كل ثلاثة ملايين عامًا،
وذكرى الجان تُمر كل مليوني عام، وتختلف عن الذكرى التي تُمر على
البشر التي ربما تحين كل يوم أو كل شهر وربما كلما تُخايله، رأيتُ
خلالها ما رأيتُ من أهوال وأحداثٍ مرت بها البشرية المعذبة فوق
صلبان الحقد والمكر والكراهية، وعلى الرغم من ذلك تدور الكرة
الأرضية ويتعاقب الليل والنهار.

ذات ليلة كنتُ أستعد لنوم عميق بعد مطاردات شديدة بيني وبين إخوتي، أستخدمنا فيها كلُ الأسلحة الحديثة، فكنتُ أقود طائرا، شبحية أقذفهم بها، وما إن كنتُ أهبط بطائرتي أجدهم يقذفون بقاذفات قنابل أمريكية، عندئذ أعتلي دبابة روسية فأدمرهم تدميرا ربما اختلفت هذه عن المعركة التي خضتها معهم حينما خرج يسوع تحمله أمه ويقودهما يوسف النجار متجهين إلى مصر في رحلتهم المقدسة، ساعتها بارزتُ خمسين ألفا من شياطين الجيل الرابع، والألف الثامنة بسيف واحد، قطعتُ رؤوسهم خلال ثانية واحدة، ورافضُ العائلة المقدسة حتى وصلتُ إلى أسيوط.

هذه المعركة العنيفة الحديثة استمرت ثلاث ثوان بالمقياس البشري، ارتكنتُ بعدها إلى جدار دير الكاهن بطرس فرأيتُ فتى يافعا يتسأل داخلا من خلال البوابة، وحينما أوصدت بعد دخوله تسللتُ من أسفلها منهكا فرأيتُ الكاهن يواقيم يرشد أمجد ظريف، يغطيهما ظلام شديد كثيف يتسبب في عمى المستيقظين، في نفس الوقت الذي كان تقدم ليليان حايم الزلابية لزوجها لويس ليمارجي في اليوم التالي لوقوع البلّيمي من المنحدر الديناري، لكن كان وجودي عند القديس بطرس سببا في حيادية ما سوف يحدث، فلن يوسوس في أدنيتها أحدا من الذين جددوا خلاياهم بعد معركتنا، أو أولئك الذين أنجبوهم أثناء المعركة من الجيل السبعين بعد المليار، وسبقتهما بظهري وعيناها تحدقان لشرح سبيلهما المظلم، لا أدعي بأنني قدتهما إلى غرفة الكاهن بل سررتُ أمامهما للتأكد من خلو موكبهما القصير من الشياطين الذين أنزلقوا خلال السحالي التي صعدتُ إلى جدار الدير كأنهم أرواح مبتورة الأعين تبحث عن هدى، بحثت عنه في كائنات

فالقديس ينعم بملكوت لم يؤت لأحد منا، ولا تحسدوه على ما آتاه يسوع من لدنه فجميعنا نرغب في ملكوت أخير يفسلنا من البقاء في دار الفناء والتباعد.



هناك نوعان من رجال الدين استطعت أن أعرفهما خلال وجودي في قرية الدينارية، وكما تعرف أنني لست منحاذاً إلى دين دون الآخر. فانا أسرد سرداً دون أن يكون لدي هوى أو ميل، النوع الأول: رجال دين نشأوا في بيئة عادية ربما كان أبوه شيخاً أو كاهناً، وأمه تعرف طقوس دينها فيكون معتدلاً ويسوق الناس نحو بوابات الاعتدال، لا يتأثر بفكر مستورد أو بأفكار مارق من ساحة أو دير أو معبد، ولا يستطيع الآخرون أن يتخذوه بوقاً دينياً للدعوة من أجل أيديولوجية ما، ولكنه يدعو الناس لتقوى الله وأتباع رسله وهديهم، ويخطب فيهم الترغيب في يوم القيامة وما أعد لهم فيها ويحبب إليهم المحبة والسلام.

أما النوع الثاني فيلجأ للدين ليخرج من الدنيا لتكفير الناس وتزييف وعيهم الديني، وتكون خطبته بوقاً أيديولوجياً يلصق بالآخرين ذنوباً وآثاماً، ويظل المؤمن أمامه متهماً بالتقصير، ويزرع في عقول الناس بذور التوجس والريبة بخصوص أئمة الاعتدال والنار مثوى متبعيهم، ويقتطف من التراث الديني ما يؤجج به نيران الفتنة ويدعو دائماً للقصاص والانتقام.

كان الكاهن ليشع منقربوس من النوع الثاني، وقد وضع نفسه في هذا الإطار منذ الأسبوع الثاني لالتحاقه بالدير وعلى الرغم من المحاولات الحثيثة التي بذلها الكاهن الصموئيلي لاحتوائه نكته مرق قبل أن يراه بعشرين عاماً، بينما كان يواقيم معتدلاً منذ اختياره للكهنوت،

طريقاً ومستقبلاً، لذلك حدث تصادمٌ بين النوعين كغيرهما في الساحة الدينارية، وهُم أعداد لا حصر لها مرهتً وكُونت جماعات إرهابية تعيش في كهوف الجبل الغربي، والحسينيات الشيعية، والمعبد اليهودي، ونوعاه البارزان كبير الكهنة ريباش والكاهن شاؤول أشعيا.

الكاهن يواقيم الصموثيلي يضع يده اليمنى على رأس أمجد ظريف قبل مقتل متى الضبعاوي بثلاثة شهور في اليوم الذي انتابت فيه شفيقة المريسية حالة صرع حادة، وتمتم أمجد بصوت غير مسموع، فعمت الطمانينة المكان وغلفها صمت مسيحي مخيف :

- يا أبت، جنتك من السواقي بخبر تقوم من أجله القيامة، وتجعل يسوع يذرف الدماء من فوق صليب محترق، يا أبت، صل من أجلنا فأخوتنا في الدين يضلون ويضلون.

قاطعه الكاهن يواقيم وليست المقاطعة من عاداته، ولكن فشل وهو الحكيم الفيلسوف أن يستتبط من المتحدث فكرة ما فقال :

- بُنى، هل جنت طالبا موعظة أم جنت معلما تلقي موعظة؟

رعشة صغيرة انتابت جسد أمجد ظريف من كلام الكاهن، لكنه تمالك نفسه وهو يضيء ما قد حاق بكلامه من غموض فيحين وقت الاستجلاء

- يا أبت، حاشا لله أن آتي لكم وأنا معلّم، فالعلم له أهل. وأنتم تمتلكون ناصيته، وكيف لعشرة مثلي قضى قسطا من حياته يبول على نفسه أن يكون في حضرة الكاهن معلما؟ والرب بارككم وأنا كنت في ذلك الوقت أمزج التراب بالماء حتى يكون طعامي طينا.

بدأت عينا الكاهن تتخذان موضع الاسترخاء والركود بعد أن كانا متسمتين محدقتين توشكان أن تلتها بسبب ذلك المتحدث الذي يتلاعب بالألفاظ ويلوكها، يمضغ علكة شديدة الليونة تنتقل بسهولة ويُسر من فك لآخر ومن ضرس إلى ناب فتلقفها الأسنان الأمامية فتقذفها في وجه المُنصت العليم فلا يملك حينئذٍ منطلقاً للرد.

- بُني، لسانك ينطق بحكمة خافية عن فهمي، وربما خبأت في ثنايا روحك ما يعلمه الرب، ويجهله الكاهن، والرب يُهي عباده عن خطيئة إخفاء نوازع النفس عن كهنته.

هل كان أمجد ظريف ينتظر زلزالاً يرفعه من جلوسه فيطيح به واقفاً على الأرض حتى يفيق من غيبه وغلوه في الكلام؟ أم أن هيبَةَ الكاهن وكلامه أقداه النطق والمنطق؟ ربما كانت روح بطرس الرسول هائمة في هذا الوقت وجعلت الغريب يستعيد توازنه الجسماني والمنطقي.

- اغفر لي يا أبت خطيئتي، وأعترف بأن لساني كان يروغ متفلسفاً خشية الولوج إلى لب الموضوع الذي بسببه جاءت بي يد الرب إليكم.

- خيراً تفعل، وغفر لك الرب نوازع كرسها في نفسك شيطاناً رجيم.

كشف الغريب للكاهن ما جاء من أجله وكان لسانه فصيحاً، متحدثاً عن قضية يؤمن بها، مسألة فطرية لا تحتاج إلى تعليم أو تلقين، ومن هنا اتكأ على بوابة المنطق، الغريب لم يأت معترفاً ومقرراً بذنبه أو بخطيئته. بل جاء مُبلغاً عن خطيئة كبرى يُبعث من أجلها الموتى من القبور أنزعاجاً وألماً، هكذا فهمت من هذا الحديث، سوف أخرج عند شجرة الطلح وأعيد ما قاله الغريب :

- يا أبت، أنا ومثي الضبعواوي صديقان منذ نعومة أظافرنا، وشهدت

مفلولتُنا آلامًا وأحزانًا بسبب تَعَنَّتِ الآخر، وحينما فَتَحَ علينا الرب
وأمرنا بالهجرة إلى السواقي تَنفَسْنَا الصعداءَ ورُدَّتْ إلينا كرامتُنا،
وظننْتُ أننا لن نعوذَ لموطن الميلاذ أبدًا، لكن الأقدام خُلقت لتقود
الأجسادَ حيثما تَرَبَّتْ وترعرعت، وفي إحدى العرات اكتشفتُ أن مَتَى
الضبعاوي يردُّ سطورًا من كتاب المسلمين في سقيفة أحد المنازل،
وأنصتُ إليه حتى فرغَ من ترتيله.

عدتُ إلى غرفة الكاهن قبل أن يكمل الغريبُ كلامه، فوجدتُ الكاهن
مطرَقًا وكان كُتَابَ الأناجيل وقفوا عند رأسه وأمسك كل منهم حَجْرًا
وراحوا يضربونه حتى سالتِ الدماءُ فضعختُ وجهه ومفرجيته، ثم
جاءوا بصليب كبير أسود وصلبوه عليه وجسده ينزف دمًا أسود، ويقف
تحتة إخوتي من الشياطين الذين تسللوا في حذاء الغريب وأنا عنهم
غافل. يشربون من تلك الدماءِ ويضحكون ويتشدقون بكلمات التشفي.

الكاهنُ يُمسكُ برأسه يحاول صدَّ الضربات والتخلص من صليبه
متحررًا بعد أن تلقى عقابًا على ذنب مَتَى الضبعاوي، وفي نفس الوقت
أفاقت شفيقة القبطية من غيبوبة الصرع بجوار جدار نجع الخرس،
فوقف حينئذ مشيرًا بإصبعه للغريب بأن حان وقت الاستطراد.

- راقبته فوجدتُ أنه يقرأ قرآنهم كل يوم، ويمضي بقية اليوم
معهم حتى اكتشفتُ الكارثة أنه يُصلي معهم في مسجد "أبو الحجاج".

لم يستطع كُتَابُ الأناجيل حينئذ أن يكرروا ما فعلوه مع الكاهن من
قبل من رجمه بالأحجار أو صلبه على صليب صنعوه من خشب شجرة
الطلع، بل أنفلت يسوع نفسه من مجسمه الصليبي العملاق متحررًا
لأول مرة منذ أكثر من قرنين مسجونًا (وليتته تحرر من قبل) في

الجبس الأبيض بأمر من هيرودس، ثم وقف أمام الكاهن الذي خَرَّ ساجدًا متضرعًا، وأمسك يسوع باللوحه الجبسية التي كان ملتصقًا بها وضرب الكاهن حتى انفلقت رأسه نصفين، وعينه اليمنى مفعضة واليسرى تطلب صفحًا جميلًا، وجاء بصلب آخر من خشب شجرة الطلح (قال أبي الشيطان الأعظم أن تلك الشجرة هي التي احتوى بها النبي صالح، وحاول إخوتي إحراقها حتى يمسك الكفرة بالنبي لكن لحاءها استعصى عليهم فنجأ إلى رجمها) وصلب يسوع الكاهن وجلس أمامه يحدق في هيئة شخص آخر مصلوب غيره، لكن الكاهن أعرض عن هذا وطلب من الغريب أن يكمل سرد الخطيئة التي جاء بها.

- تحدثت معه فأنكر في البداية، لكنه حينما وجدني أحايه وأتحدثت معه بلين طلب مني أن أسلك السبيل الذي أتبعه لأهتدي، وهل أنا في ضلالة؟ وكُدَس في مخيلتي مزايا الالتحاق بالدين الإسلامي. ومن هنا أدركت خطورة الموقف فلم يكفر متى الضبعاوي بيسوع فحسب بل راح يبشر بالنبي محمد.

الصمت الذي جاء بعد القنبلة التي فجرها الغريب في غرفة الكاهن استمر ثلاث ساعات، خلالها ظل الكاهن يستغفر ويردد سطورًا من الإنجيل، والغريب يرقبه متضرعًا، بالنسبة لي مرت ثوانٍ طويلة جدًا، لم نؤت نحن معشر الشياطين موهبة معرفة المستقبل بل يمكننا أن نقود إليه بمهارة الوسوسة، ومن خلال الوسوسة نعرف ما يمكن أن يفعل ابن آدم، ولكنني بما أنني تائب فقد انتزع مني الشيطان الأعظم تلك المهارة ومن هنا جاءت خيبرتي، (حاولت إعادة تلك المهارة من الفجوة الهائلة الموجودة في القطب الشمالي) فكيف لمثلي من عاش في تلك المنطقة الحارة أن يحتمل الذهاب إلى هناك؟ وبالمناسبة

زرتُ القطبَ الشمالي عندما جاء عمرو بن العاص إلى مصرَ حتى أعرف ما سوف يحدث بعد الفتح، لكن إخوتي الشياطين الحراسَ على الفجوة منعوني وعدتُ إلى البر الغربي خائبًا.

الكاهن يواقيم الصموثيلي أقصرُ من القديس برنابا كاتب الإنجيل بنصفِ شبر، وجهه مستديرٌ كوجه قداسته، العينان مستديرتان، والشفتان منتفختان، ولم يتبق سوى الأذنين فأذنا القديس صغيرتان خُلقتا فأحسنَ الربُّ خلقهما، لكن أذني الكاهن منفلتان، توشكان على الانفصال عن تجويفيهما فيفقد السمعَ حينئذٍ تمامًا، لكن الأنف الطويل منسوخٌ من برنابا وكانهما تلميذان درسا معاً في كلية اللاهوت، وحينما فرغا منه وجدا أن أحد ملامحهما قد تطابقت، لكن بقيت بقيتها لتؤكد أن التعمق في دراسة الدين يؤدي إلى طريقين لا ثالثَ لهما، أولهما الهداية، وثانيهما التطرف.

الفصل السادس والأربعون

استيقظ الكاهن يواقيم في الصباح يستجمع أشلاءه المبعثرة بعد زيارة الغريب وقيل عيد الفطاس بشهر واحد، وشعر بالآلام تعاوده فأمسك بيمينه رأسه يتحسُّ انفلاقه، ويده اليسرى ظهره المهشم. لكن جسده كان كاملاً لا ينقصه عضو أو ضلع، والآلام التي يمانها هي آلام انفلاق رأس وتفتت عمود فقري.

سقطت ورقة خضراء من شجرة الطلح وهو واقف أسفلها يستظل بظلها، فسقطت معها فكرة خضراء رفع معها رأسه وابتسامة خضراء تصبغ وجنتيه بلون أحمر يشع من خلال لعينته الكثيفة، وتفرج شفتاه عن نصف ضحكة هزيلة متوجعة لكنها مع ذلك أزاحت عن وجهه تلال الضيق، وبسطة إلى حد ما تجاعيد جديدة تمحورت أسفل عينيه وكأنها نبتت بعد أن هشم يسوع رأسه بمجسمه.

كانت الشمع تحرق في نهر النيل طويلاً في هذا الصباح، وتراقصت الفقاعات التي تتكون بعد قلب الموجيات الصغيرة المنفاحة تحت المراكب النيلية فتفجر بسبب الحرارة الشديدة، وحينما يلتهب الماء الذي يشهد قيامها ونهايتها تتصاعد الأبخرة فتلتحق بالفيوم - التي ما تزال تتشكل فتلتحق بنسيجها وتلتحم معها فتكون غطاءً قطنياً أبيض - تكفن أشعة الشمس فينسدل ظل الفيوم على كل من يعبر النهر البئر الشرقي - البئر الغربي، وتكاد المعدية التي يستقلها أمجد ظريف وبجواره متى الضبعاوي أن تلامس شاطئ البئر الغربي حينما وضع يده على كتفه يحثه على الاستعداد إلى النزول، وأن يطفى شعلة الخوف

التي اتعدت منذ أن تقابلا في شارع المحطة متجهين إلى دير القديس بطرس في البر الغربي.

على الرغم من صعوبة فكرة أن يلتقى من هاجر من المسيحية إلى الإسلام بالكهنة الذين كانوا يُنصتون إلى اعترافاته ويهدونه إلى سبل الرشاد ويودّعهم إلى الأبد، إلا أن كيأنا آخر ما يزال يحدثه ويوقفه وربما يعرفه، كلما حاول التشبث بيقين الإسلام، وهو الموروث الديني المسيحي والتعميد الذي يصيفه بصيغة شديدة الالتصاق، فذلك هو الكيان الذي جعله يحن ويرق قلبه للقاء الكاهن لآخر مرة. وربما ينبذ هذا الكيان هناك ويعود فيحمل مكانه كيأنا آخر يقوده لهدى الإسلام. وظلا طوال طريقهما صوب المعديّة صامتين وينظر كل منهما إلى الآخر بطرف عينيه، وعندما اعتليا سطح المعديّة تسلطت عليهما الأعين البلهاء التي تنظر في كل اتجاه وعلى كل الوجوه، وعلى الرغم من جلوسهما متلاصقين إلا أنهما كان بعيدين بعد المشرق عن المغرب، وكل منهما يسبح في تيار شديد الوعورة غير الآخر.

متى الضباوي يتجه صوب الغرب وكأنه مُمنجى في تابوت أسود حوله النائحات يتشحن بالجيب السوداء، يمتزج صراخهن بمصير الفتى المحتوم، وخلفهن أعمدة معبد الأقصر تلوح للجنّازة بحزن وألم، مبتعدة وكان الإله آمون يسحبها للوراء خشية أن تلحق بهم وتخطف التابوت والجثمان بداخله، ولكن قوة خفية تسارع بالمعدية نحو الغرب، والغروب الذي يبسط أفقه المرسوم على صفحة نهر يستعد لقفوة قسرية، ولم تكن نظرات متى إلى أعمدة معبد الأقصر التي تتضاءل بعد أن خرج منها لمثواه الأخير دون مغزى، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت تحتشد في ذاته سبل العودة للمشرق محتمياً بهدي جديد.

الصديقان أصبحا غريمين في وجدان أمجد ظريف، بينما في أعماق متى الضبعماوي "لكم دينكم ولي دين؟ لكن متى الضبعماوي ما يزال يسبح في الشاطيء المسيحي المملوء بالأشواك، فالصليب ما يزال منسوجاً في يده، وأبواه مسيحيان وكذلك إخوته وأقاربه وجيرانه، ومن قبلهم الكيان المسيحي الذي لم يتقيؤه بعد، والأكثر من ذلك لقاءه بالكاهن يواقيم الصموثيلي الذي يبجله كل الأقباط.

كان على الصديقين الذين أتيا معاً أن يفترقا، وأن يدخل كل منهما في غرفة غير الأخرى، وعلى الرغم من أنهما تبادلًا نظرات جوفاء لا تحمل معنى عند البوابة الرئيسية للدير قطعها الراهبان اللذان قادا كل منهما إلى مختلى غير الآخر، إلا أن أحاسيس قديمة مشتركة لم تزل تتطاير أمام كل منهما تعلن عن بعثها، وفي نفس الوقت تفر تلك النظرات مع هبوب الريح الذي بدأ يلامس الجدران المحيطة بالدير ويهز شجرة الطلح محاولاً إفاقتها لتشهد حدثاً جديداً لوقوفها الطويل.

أعجبت من قدرتي التي ربما اكتشفها لأول مرة، وهي أنني أرى كليهما في وقت واحد على الرغم من أن الغرفتين بعيدتان الغرفة التي دخل فيها أمجد ظريف قريبة جداً من غرفة القديس بطرس، تحمل جدرانها الأربعة مجسمات يسوعية مختلفة الأحجام، وتحيط بها صوراً لقديسين من مختلف العصور القبطية، وعلى السقف مرسوم عليها رحلة العائلة المقدسة إلى مصر، ويخرج من حولها ملائكة صفار يرفرفون متجهين إلى الأسفل، ويشيرون بأصابعهم الصغيرة إلى المجسمات، ووضع في كل ركن صليب خشبي يحول الغرفة إلى صومعة صوفية تحتضن الجالس فيها فيفرق في ملكوت يسوع. بينما كانت الغرفة التي دخل فيها متى الضبعماوي قريبة من المدخل الخلفي للدير، وتختلف عن

غرفة التي دَخَلَ فيها أمجد ظريف في أنها تحتضن صليباً كبيراً في جدار المواجه للباب، مصلوبٌ عليه يسوعُ ودماءً تتقاطر من رأسه بن أطرافه، وحوله يقف الحواريون، وكذلك جنود هيرودس، وعلى جدار المقابل له يجلس الحواريون على مائدة كبيرة يتشاورون في رحلة ما بعد الصلب، وتشيع في الغرفة رهبةٌ طُوِّقَتْ كلَّ المتشاورين لى المائدة وهم ينظرون إليه وكأنهم بعد أن فرغوا من مناقشة مسألة لى يسوعُ ينتقلون إلى مسألة ارتداد متى الضبعواوي واعتناقه للدين يسلامي، وانتقلت تلك الرهبةُ إليه حتى شعرَ بالاختناق وجفَّ ريقه من انتظار لدرجة أنه تمنى لو يختبئ خلف المائدة أو خلف الحواريين، من يقيناً لا يقبل الشك في أنهم سيرشدون إليه وربما يحملونه من قيته ويسلمونه للرهبان أو يشتركون في تنفيذ أمر الكاهن، ولم يعرف إذا تبددت كل تلك المخاوف فجأة، ورأى الحواريين في البورتريه سامتين وقد جفَّت أسننتهم بعد مناقشة أمر صلب يسوع، ولم يكن سعيهم الانتظار كل تلك القرون حتى يناقشوا أمره، وبدأ يتمتم كلمات في سره، تنبئ حركات شفوية أنها من قرآن المسلمين وهو نمض العينين يستخرج من ذاته خشوعاً يكون له موعيناً في ورطته.

أ الوجوم يعزف لمتى عزفاً منفرداً بالتشيللو، وحاول الصمت القبطي ذي يُعَبِّقُ الغرفةَ يثنيه عن الانسياق لفواية الوجوم والرهبة، واستحث ا بداخله من إرادة جديدة عبأه بها الشيخ عبد الخالق الربالي في سجد "أبو الحجاج" حينما عرض عليه لأول مرة أن "يؤسلم" ستحضر لنفسه بوابة الخشوع التي فتحتها له الربالي حينما بدأ يردد لفته قائلاً :

قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

بينما كان الخشوعُ القبطي يعزف لأمجد ظريف لحنًا جماعيًا يتناغم مع التشيللو يقف حوله كل الرهبان من جميع الأديرة، يحملون في أيديهم صلبانًا وأواني بخور يطوفون حول المذبح، ويقف هو في صحن الدير يزفونه إلى مرتقى جديد وترنمون بترانيم تمميدية، وحوله أطلال يرتدون أردية الرهبان ويحملون في أيديهم شموعًا طويلة، ويهبط يسوع من مجسمه بكامل قواه منقلبتًا دون عون من الرهبان أو الكاهن ليبارك بيديه المقدستين، ويتناول القربان المقدس وينحني له أمجد ظريف يعرض جناح الرحمة والتقديس، ويخرج بطرس من صورته مبتسماً ينحني ليسوع قبل أن يطوف بيده وهو يمسك مفتاح الملكوت فوق أمجد ظريف ويرسم فوق صدره الصليب، ثم يقف بجوار يسوع ورأسه بهما لليسار تضرعًا في حضرته، وينظر الرسولان إلى الكاهن يواقيم وهو يقلد أمجد ظريف المفرجة، وحول رقبته يضع صليبًا خشبيًا كبيرًا شعر بثقله وثقل المسؤولية الكبرى التي أقيت على كاهله :

- الآن يُسميك يسوع الراهب ليشع منقريوس، حفظك الرب وتقدس اسمك تحت الصليب.

رسم الكاهن يواقيم الصموائيلي علامة الصليب على صدر الراهب الجديد، فانحنى له وقبل يده، واستدار نصف استدارة فواجه المدعويين ثم تقدم إلى المنصة وقال حديثًا مقتضبًا :

- يا رب، جئتُ إلى مقامك مهرولاً، فهب لي من لدنك قداسة تقرّبني إليك.

في نفس ساعة التنصيب الكهنوتي كان الديناري يطور من فلسفه الصوفية متزامناً مع وقوف الراهب بيشوى الباخومي يجادل متى فيها اعتنقه، وعلا صوت الكاهن متبرماً بعد أن فرغ من طقوس تنصيبه،

راهب ليثع منقريوس، وقبض على لحيته مرات كثيرة كما ضرب
بعضته على الباب المغلق من الخارج.

إن الكاهن يعرف منذ اليوم الأول أن متى الضمعاوي قد استبدل
بله بدين آخر، ويعلم تماما أن يسوع لا يجبر القبطي على البقاء في
بني؛ فأركان الدين المسيحي الحب والحوار والافتتاح والاعتناق، وإذا
م تتوفر تلك الأركان فالدين منه برآء، وعلى الرغم من أن الكاهن
بشع منقريوس كان لا يفتقر إلى الحوار وهو أحد الأركان فحسب ولكنه
أن يرفضه، ورفض بالتبعية حوار الأديان الذي دعا إليه الكاهن مع
الديناري، وكان يتمنى في قرارة نفسه لو أن الأرض تشق وتبتلع بقية
الأديان، وعلى القبطي أن يلتزم بدينه ولا يبرحه حتى يموت وأن ساورته
الشكوك والظنون حول اعتناقه فليعبد الرب حتى يزوره يسوع وتبخر
لك الشكوك.



إن الليل في قرية الدينارية يختلف عن الليل في كل الدنيا، السكون
الليلي مشبع برطوبة عالية، وتمتزج بها أصوات كلاب نابحة، بعضها
زبية وأخرى بعيدة. فتضفي على المكان رهبة أسطورية، وتتأوب
مها أصوات الضفادع المختبئة في الحقول القريبة وتحت أشجار
لسنت، وأصوات غريبة تصدر من مقابر الفراعنة، أما الظلام الذي
ستقر لونه الفسفوري فقد بخل بالبوح بأسراره، وتخرج الصنارة
حتمي بلفائف الظلام الفسفوري هادئة وقوية لا تتفعل ولا تفضب،
سير في جماعات متفرقة، بعضها يعود إلى حبة عمرو بن العاص،
أخرى تنتمي لعصور الفراعنة، وجماعات تعود للمماليك، وأخرى
بصر الخديو توفيق، وصنارة عصرية تلبس الجينز والبلوزات الضيقة

والبدل والكرافات، وهناك صنانة تضعك كثيراً لفراق أصحابها الدنيا، وأخرى تبكي على مقتلها وتحث كل من يخرج لهم بالقصاص من قاتليها.

الديرُ يعاني من وحدة قاتلة، فمن المفروض أن يذهب الكاهن إلى الساحة ليلتقى بالديناري للاشتراك في ندوة مشتركة للأديار ويصادف في هذا اليوم ذكرى يوم "سفك الدماء" فتجد الصنائع والشياطين والجن فرصة ليرتعدوا ويقيموا حفلات المجون والرقص. تفتتح الصنانة الستار وتخرج من نجح الخرس تحمل أعلاماً وأبواباً ودفوفاً وأشرطة متعددة الألوان، ويبدأ قرع الطبول، وتمتزج الدفوف والطرق بالأحجار معها، فيصبح كصوت زحف قوات العفول وهي تجتاح القرى والمدن حتى تصل إلى بغداد، تتقدمهم هياكل عظيمة تلوح بأيديها وتخرج من أعينها أدخنة محملة برائحة البخور في ثلاثة صفوف. يحتوي كل صف على ثلاثين هيكلًا، وكلما تتقدم للأمام تتناسخ وتتكاثر فيزيد الصف ويصبح قوامه خمسين هيكلًا، وحينها تتوقف عند توقف قرع الطبول والدفوف والأحجار تتلاشى كل الهياكل المستنسخة ويعود الصف لقوامه الأصلي، الهياكل كلها متشابهة وملامحها متطابقة تمامًا، وأحجام الجماجم كلها خرجت من خابه واحدة وتحمل خريطة جينية واحدة، وكان صنًا هائلًا أنجبهم في مائة عام، لكنه لم يخرج معهم في احتفال يوم "سفك الدماء"، وينفرد بطقوس خاصة به بعيدًا عن سلالته خلف الجبل الغربي.

ويقول قدماء القرية إن الصن الهائل يخرج قبل خروج سرايا الصنانه بليلة يبيتها في العراء، ويصعد الجبل من الخلف، ويلقي بنفسه من فوق قمته ويهبط متقلبًا فوق الصخور الرخامية التي تلعبه كلما مر

١٤، ويعلو صراخه حتى يصل إلى سفح الجبل فتتدفق الدماء من
 به ومن فمه وأذنيه، وتتدفق من مؤخرته كأنها خرطومٌ ضخيم،
 ن البراميل مُعدةً فيملأها ويحتسيها فتصدر منه ضحكةٌ عالية
 خبة مدويةٌ يسمعها الحاضرون في الساحة فيكف حينئذ الديناري
 الحضرة حتى تنتهي الطقوس الدموية، وفي اللحظة التي يستأنف
 حضرته يكون الصُن في الناحية الأخرى من الجبل قد انتهى من
 ١٥ كل البراميل الدموية مرةً أخرى، حينئذ يستعيد قواه البدنية بل
 . عشرة أضعاف عن ذي قبل، فيركض كالريح نحو الغرب حتى
 ل حدود ليبيا ويعود في لمح البصر تطارده صنانة ليبيا الأشداء،
 وض معهم صراعاً عنيفاً حتى الفجر ينتهي بعودته خائراً القوى
 ول أن يستعيد أشلاءه المفقودة، وحينما تتعاضم قواه يبدأ رحلة
 ن أخرى نحو الجنوب فيصل إلى السودان ويظل راکضاً دون أن
 ف أنه تعدى الحدود إلى دولة أخرى، فتخرج له صنانة سوداء هائلة
 الجنوب وتطارده فتصادف صنانة الشمال فيشتبكون معاً فيعيدون
 أعما قديماً ويفلت منهم عائداً إلى البر الغربي، ويجلس وركبته
 ودتان لاهتاً.

١٦. أ سرايا الصنانة طقوسها من بداية مدينة هابو أمام المعبد
 بائزي، ثم تمر بمعبد حتشبسوت في ركض متواصل ذهاباً وإياباً،
 ما كان يشعر أحدهم بالتعب يحترق تلقائياً، ثم تتوقف الصفوف
 ق مقابر وادي الملوك مثل كتل ضوئية تتدحرج فوق الأرض، وعند
 ما تدوب خلالها، وتخرج من الفوهات المتجاورة خلال العوارض
 يديّة حاملةً توابيت تتمدد فيها مومياوات، وفي طريقها إلى الطريق
 هد نحو القمر تتحول الهياكل العظمية إلى أجساد مقطوعة الرأس

وهي تحمل قدماء الأموات، وفي طريقها إلى وادي الملكات يتحول أولئك الأجساد وهي مبتورة الرؤوس إلى اللون البرونزي، هي تلك اللحما، وأثناء التحول اللوني الذي ليس له مثيل تتألق تلك الألوان ويعكسها القمر من الأعلى فتصنع قوس قزح يوظر لدوامه هائلة ذات دائرة كبيرة يصل ارتفاعها للسماء الثالثة، وتلف الدائرة الدوامية القزح، حول نفسها، تدخل بسرعة شديدة إلى معبد حتشبسوت، والحبوب والدفوف متجمدة خوفاً بينما تقف الأجساد مكانها ثابتة وكأنها تنتما، أمراً بالتحرك لمدة طويلة، وتظل على هذه الحال لأن الأمر خرسياً دون أن يكمل مهاماً أوكلتها له الآلهة، وحينما تصارعت تلك الآلهة حول الهدف من تلك المسيرة الجنائزية المقدسة قضت بموت القاء، حتى تُهيّخلافها، وما إن عادت الدائرة الدوامية من جوف المعبد في التفاف سريع وعجيب حول نفسها، أكملت الدوران حول الصفوف الأجساد الحاملة لتوابيت المومياوات، فصدر صوت غريب يصدر عن البشر وهم يخرجون من القبور بعد البعث بعد ملايين السنين رقاداً جعل أفواههم ملتصقة، وحينما رأوا أهوال يوم القيامة أصدروا تلك الأصوات دهشة، لكنها ليست كأصواتهم في الحياة الدنيا، ومن غير المعقول أن تصدر أصوات عن تلك الأجساد ورؤوسها مبتورة، فمن أين صدر الصوت؟ الدائرة تضيق قليلاً وتفتح أغطية التوابيت، وتقف المومياوات وهي ملفوفة بلفائف من الكتان فيتمزق حينما تُفرد أذرعها وسيقانها، وتموج رائحة الراتينج وزيتو التحنيط فتبدو الدائرة، وبمجرد أن تقفز كل مومياء أمام تابوتها على الأرض تتبدى رؤوس آدمية جديدة للأجساد التي كانت تحملها، وما إن تبدأ الطبول والدفوف طرقها المخيف حتى تبدأ مسيرة الصفوف التي انضمت

إليها المومياوات نحو نهر النيل.

هناك تفتسل الأجساد والمومياوات متطهرة، وتُقلع المراكب الفرعونية من أمام معبد الأقصر في احتفال مهيب تشترك فيه راقصات يرتدين ربا فرعونيا، وراقصون يؤدون رقصة تتويج الفرعون، وكهنة يقفون إجلالا في انتظار وصوله من معبد الكرنك في مركب كبيرة يوضع كرسي المرش في المنتصف، وحينما وصل المركب انحنى الكهنة والراقصون والبخارة وجموع الشعب الذين احتشدوا في مراكب صغيرة وعلى ضفتي النهر، وما إن تمت مراسم التتويج اقترب في منتصف النهر المركب الملكي من الشاطئ الغربي، فانحنت المومياوات والأجساد للملك الذي كان ينظر إليها بقلق وحيرة، ولما دار المركب عائدا إلى معبد الكرنك بعد انتهاء الطقوس فوق النهر استدارت المومياوات والأجساد عائدين إلى الجبل الغربي، نظرت خمس مومياوات وراءها إلى موكب الفرعون نظرات تفسر حيرة وقلق المتوج حديثا.

الفصل السابع والأربعون

"ماذا لو كانت الأديان سرابًا، ونحن نعيش في دوامات هذا السراب؟ هل رأينا النبي موسى عندما نُودِيَ بجانب الطور الأيمن؟ لم تكن معه، ولكننا صدقنا ما قاله وأمنًا به، ولكن هناك وصايا عشر نزل بها من الجبل بعد أن أضلَّ السامريُّ القومَ، ومن قبلها معجزةُ العصا، وجاء من بعده أنبياءٌ وإنَّ تعرَّضَ البعضُ منهم للاقتل وصدقوا ما جاء بالتوراة. هل صعدَ الشيطانُ إلى رأسي؟ ما تلك الخزعبلاتُ التي تمرُّ على قضاةٍ مجتمعي؟ هل يساور الشكُّ كاهنًا مثلي بعد كل تلك السنوات؟

- هي منحدراتِ الشكِّ تتبَّتْ أشجارُ اليقين.

كانت الريبةُ والشكوكُ تتتاب كغيرِ الكهنة ريباش دائمًا، وكان يمضي أيامًا وشهورًا يعاين تلك الشكوكَ وحيدًا دون أن يشعر به الآخرون، وبُنَى لنفسه جدرانًا عاليةً يُخفي وراءها تلك النفايات، وأصبح لديه قدرةٌ في تعاطي القضايا الدينية بهدوءٍ شديدٍ مع الآخرين، وكان يستطيع أن يقنع الجهلاء أو المرتابين بنفس القدرة التي كان النبي موسى يقنع بها الأوتل، وربما أكثر بسبب الكهان والحاخامات العظماء الذين استقى منهم تعاليم دينه.

كانت تلك الريبةُ والظنون التي تحلُّق حول أذنيه قبل غروب الشمس وتستمر معه حتى يسمع طنين الليل يلحن مع كورس الحيوانات الجبلية لحن الرهبة، وتكون تلك الفترة هي ذروة الشكوك حيث يجثو على

يه وأمامه كُتِبَ التراث ومؤلفات الأوبال التي تناول أسفار
د القديم، وحينما يرفع جذعه قليلاً بعد انكبابه تكون أشجار
بن قد نبتت في قلبه، ويقف أمام الهيكل يستغفر الرب من همزات
باطين التي نالت منه.

ن الشمس قد أنزلت من عليائها وفتكت بذرات الرمل المنبطح
الوادي الذي يضم قرية الدينارية، وعند حدودها الغربية فحّت
: فوق الجبانة القديمة، وكان معتصم الديناري يمشي متعجلاً
، خمسة رجال من نجع الخرس، من غير المعقول أن يكون معتصم
ش في وجوه الناس مبيداً فجعلهم يُصابون بالهمى، أو أنه حرّض
مس كي تمنع بنزولها إلى الأرض الناس من الخروج، أم أن الناس
قوا من قال لهم في هذا اليوم :

خروج في هذا اليوم مهلكة.

يما تلا قوله تعالى :

علنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا
مرون.

ه على أية حال خرج وتوجه إلى الجبانة القديمة واختفى عندها،
نما حاولت أن أقتصي أثره ام يصل بصري أو قدماي إلى ما هو
، من ذلك، اعتلى سور الجبانة وخلفه الخرس الكونيون، ولما أمنت
سر الشيطاني منعت بقوة خفية فصار مدى إبصاري ينتهي عند
ور الذي يبدو كأشعة هلامية متداخلة تتلاقح من الأعلى وتتجمع
المنتصف، فيصير ما وراءها صوراً مهتزة لا تبين.

كنت شيطاناً فلم تؤثر في الشمس ورأيت ما رأيت، والناس

مدفونون في بيوتهم لا يعرفون ما حدث، فقد حُطِّبَت بالرؤية حصرنا وعلى الرغم من ذلك فقد انتشرت إشاعات كثيرة بعدها بيومين :

قيل إن الديناري قتلَ ابنه عاصم حينما عادَ من إسرائيل، ولم يدفنه في الجبانة الجديدة بل دفنه في الجبانة القديمة حتى لا تختلط رفاؤه برفات المسلمين، وهناك مَنْ زادَ عليها بأنه دُفِنَ في الجبانة ورقدَ عامٍ يديه وولداه الرضيعان، بعد أن قُتِلَا معه، ولم يشأ أن يَقتلَ أهافا لأنها لا تمُتُّ له بصلّة. وقال آخرون : إن الديناري أرسلَ مجموعةً من الناس خطفَت عاصمَ من إسرائيل قبل أن يعتنق اليهودية في العاخامية بيوم واحد، وجاءوا به ودخلَ الساحةَ واستتابه الوليُّ أسبوعًا كاملاً، لكنه كان قد تعرّضَ لفسيل مخ جعله يرفض الاستتابة. وهناك إشاعةٌ أخرى مختلفة تقول إن معتصم حاول أن يستنسخَ من نجع الخرس بشرًا آخرين فجعلهم يثورون عليه ويقتلونهُ، وبعد ذلك حملوه ودفنوه في الجبانة القديمة.

غرابة الإشاعات تؤكد زيّفها أو تُضفي عليها مصداقية.

وُلِدَ جوليان صهوكيت في تل أبيب في عام ١٩٥٩ لأب كان يعمل تاجر أقمشة كبيرًا، يسافر كثيرًا لسوريا والأردن، وأم تعمل في وزارة الأمن الداخلي، وكان أبوه يتبنى الفكر الصهيوني لدرجة أنه كان ينسى في أسفاره أنه تاجر أقمشة من أجل الدفاع عن الهلوكست أو مسألة العودة إلى الوطن، وكان يتمنى عودة كل المهاجرين إلى إسرائيل حتى تقوى شوكتها، وقيل إنه قتلَ تاجر أقمشة سورياً في حانة بعد أن خاضَ معه نقاشًا سياسيًا، ونحسب له الدوائر السياسية أنه ساهمَ بقدر كبير في شراء بيوت من الفلسطينيين، وحصلَ على تقدير كبير من حاخامات متابعين، وأن اسمه مكتوبٌ بالذهب على لوحة الشرف في الكنيس

عندما أُنجبت بولين أوديون جوليان أقامت احتفالاً دعت فيه بعض صديقاتها وأقاربها وبعض الجيران، ولم يكن زوجها قد عاد من رحلته الأخيرة إلى دمشق، وحينما حدثت إحدى صديقاتها في الرضيع صرخت؛ فقد اكتشفت أن الرضيع جوليان يشبه زوجها، وصدقت ما تداولته الألسن من قبل، وانتشرت شائعة بأنها على علاقة مع رائد بالأمن الداخلي كان يعاشرها في مكتبه.

لكن لم تكن تلك الصفاة تتسبب في تكدير الجو العام في بيت باسكيني صهوكيت وبولين أوديون، فالأطفال في المهدي يشبهون جميع الناس، بل إن وجوههم تتبدل دائماً فهي في مرحلة التشكيل، ويشبه الطفل الرضيع شخصاً ما من بني البشر كل يوم، وإذا اتبعنا تلك النظرية فسيكون الطفل ابناً لكل البشر، كذلك كان يفكر أبواه، بالإضافة إلى أن الناجحين من المواطنين في إسرائيل يصادفون عراقيل وشائعات يمكنها أن تعيد كل الإسرائيليين إلى بلاد المهجر ويصبح الوطن مرتعاً للفلسطينيين، فهل هذا منطقي؟

على الرغم من أن باسكيني صهوكيت قد جاء مع أبويه من بولندا التي نشأ فيها لكنه نسي كل شيء من أجل الهدف الأسمى بناء الوطن، وانخرط في دوامة البناء، وفي نفس الوقت راجت تجارتها محلياً ودولياً، وحينما انتهى ابنه جوليان من التعليم الأساسي أدخله مدرسة التوار، لكنه انقطع عن الدراسة في العام الثاني ورفض الاستمرار، ولم يُنصت لتهديد أبيه وتوسلات أمه، لكن زيارة العاخالام بوشناق شوفالييه غيرت كل شيء، واصطحبه العاخالام في نفس اليوم إلى المدرسة بعد أن اختلى به ثلاث ساعات، (لم يعرف أبواه ما حدث

في ذلك الوقت حتى ماتا) بعدها بسنوات سافرَ إلى أمريكا لمناقشة رسالة الماجستير بعنوان "سفر العودة بين الحقيقة والخيال" تناوَل فيها سفرَ العدد وطَبَّقَه على السُّبِّي البابلي وعودةِ يهود المَهْجَرِ، وتعلَّم على أيدي حاخامات الهلاخاه وهي أصول الشريعة اليهودية، وتعلَّم على أيدي أئمة اليهودية القبالاه وهي جوهر الصوفية اليهودية، ولَمَّا انتهى من دراسة علوم التوراة عيِّنَ عضواً في مجلس حكماء التوراة، ثم التحقَ بالمحكمة الحاخامية وهناك أصبحَ سكرتيراً للحاخام شويخا.

اكتشفَ جوليان أن الالتزامَ الديني في المجتمع اليهودي يتسم بالوهن، مما قللَ من شأن اليهود في المجتمعات الأخرى، كما كان صاحبَ المقولة الشهيرة التي وضعتها جريدة بديعوت أحرونوت في صدر صفحتها الأولى:

"الجنودُ الإسرائيليون يسقطون في الممارك لأنهم لا يراعون التعاليم اليهودية"

ولاقى هذا الفكرُ التقدمي والنقدُ اللاذع الذي وجَّهه لجنود الرب معارضةً شديدة في مجلس الحاخامات لأنه يقلل من شأنهم، كما أن الرأي العام الإسرائيلي هاجَّ ضده وكادَ الجميع ينتقدون المجلسَ المقدسَ إلا أن الحاخامَ الأكبرَ كان سريعَ التصرف، وفي نفس الوقت فهمَ مقصدَ جوليان فحضرَ عصفورين بحجر واحد فقامَ بتعيينه حاخاماً في معبد النبي الياهو في الإسكندرية، وفي نفس الوقت بسكت أفواه الحاخامات التي يمكن أن تمزقَ هيبتَه الحاخامية التي يستمد نسيجها من تأييدهم، ولأنها البوابة السهلة لدخول عالم السياسة.

ظل موريس ليمارجي، الذي جاءَ في أواخر الثمانينيات للتقريب عن

الانثار في البرّ الغربي مع البعثة الفرنسية ورافقته زوجته ليليان حايم
 واشترى بيتاً صغيراً في الطوامية في حارة اليهود، في تلك الليلة يؤرقه
 التفكير وكلما كان يستدر النوم في خياله كانت كلمات ريباش تنفخ في
 درات النوم التي كان يصنعها ليمارجي من ذكرياته القديمة، ولأنها
 أكثر منها كثافة فقد تغلبت عليها ففتح عينيه، حينئذ خرج أمام البيت
 وصوت الضفادع الكورسي الذي يتماهى في صوت التشيللو الوتري
 الحزين مع أصوات الكلاب المتناثرة في القرية كأنه لحن قام بتلحينه
 فتى من أبناء الشوارع، وجاء به عربجي حنطور أوتى رزقا دون أن
 يحتسب حينما تزوج بامرأة أجنبية تعدت الثمانين، فقرر أن يقوم
 بأعمال خيرية، وأول شيء فعله أن جاء بفتى من أبناء الشوارع وجده
 نائماً تحت كوبرى "أبو الجود" وبعد أن تناول طعاماً ساخناً أعطاه آلة
 التشيللو وطلب منه أن يعزف لحناً وظل الفتى يعزف دون أن يعرف
 سبباً لما يقوم به لدرجة أنه تمنى أن يعود للنوم تحت الكوبرى ويموت
 جوعاً، بينما كان العربجي سارحاً بفكره ويتخيل درجات الجنة التي
 جيء بها أمامه واختاره هو المنزلة العليا، ولما تذكر أنه كان يسب الدين
 للناس كفيره من العربية وأبناء الزناة ويدخن سجائر الحشيش
 والبانجو ابتسم من ذكريات الشيطان الذي يحاول أن يلبسه أفعالاً
 هو منها بريء، ولما خفت صوت التشيللو الوتري الفاضب وكان الفتى
 داعبه النوم لأن العربجي دخل الجنة قبل أن يوقعه الشيطان الواطي
 في الذنوب والمعاصي حينئذ بدأ ليمارجي التفكير في كلام ريباش في
 هدوء :

- الديناري من سبط لاوي بن يعقوب؟

تعجب حينئذ ليمارجي من تدابير القدر، وأمن حينئذ بقدرة الحاخامات

الدينية وبالكشف الصوفي الذي يأتيهم دون بقية اليهود. وأن ديانته تحمل الكثير من المفاجآت في العصور الحديثة تختبيء في أسفارها كما كانت تحمل معجزات لا تُحصى أوتيت لأسلافهم. ولم يتخيل من قبل أن لفائف الأوراق القديمة والمكتوبة باللفة العبرية القديمة تحمل مفتاحاً يُغيّر من خريطة المنطقة، نظر من قبل إليها أثناء العظة الأسبوعية يوم السبت، كما حدّق فيها أيام الثلاثاء والخميس في دروس اللاهوت التي كان يلقيها ريباش للأصفياء من اليهود، وخمّن في بعض المرات أنها ربما تكون إحدى تفاسير بعض الأسفار التي يُرسلها لهم الحاخام جوليان صهوكيت بعد استلامها من مبعوث مجلس حكماء التوراة.

لكن ما قاله ريباش نقلاً عن الحاخام جوليان صهوكيت يحمل معجزة بل نبوءة لا تقل قيمة عن المكانة التي تبوأها يوسف في مصر، خصوصاً بعد أن جاء إخوته وعاشوا تحت كنفه، ولا تقل عن معجزة عصا موسى. لكن لماذا نأتي بذكر الأنبياء ولا نذكر أن الديفاري يصل نسبه إلى لاوي بن يعقوب؟ هكذا كان ليمارجي يؤكد لنفسه في اليوم التالي، خرج من خيمة البعثة الأثرية وترك زوجته ليليان تشرف على حفر مقبرة فرعونية جديدة. وتوجّه إلى معبد حتشبسوت، فربما يرى نقوشاً تؤيد صحة تلك النقوش الدينية التي رسمها لهم النبي الياهو، لكن هناك هيمن على وجدانه صوت ريباش بعد أن فشل في العثور على نقش يؤكد صحة ما سوف يقوله الصوت حالاً :

- قال معلّمنا وأبونا الحاخام جوليان صهوكيت : " حينما انتقلت الطمانينة من همس النبي الياهو إلى قلبي أنصت إليه تماماً، وفارقتني الرهبة التي كبّلت لساني، وذكّر لي أن في العقيدة اليهودية

مضيقةً توراتيةً تؤكد أن رجلاً ما يخرج كل مائة عام يغير من وجه العالم، وأن ذلك الرجل تعود أصوله إلى اليهودية.

إلى هذا الحد يعتبر هذا الكلام من قبيل التنظير لفكر شديد الوعورة، وربما تتسامق حقيقته حتى تقجر معها السحب فينزل المطر لينبتة هي أرض خصبة يسقيها آخرون بتفسيرات مختلفة والقامها بحكايات نراثية ويتغنى بها الشعراء، وقد يقبله الشك وربما ينسفه فيظل نفايات نطل عالقةً هي الجودون أن تمذف ماءً مهيناً في تربة خصبة تتقاذفها الرياح، مثلما حدث مع الباحث ديكاف بيار الذي فجر قبلة ذات صباح في صحيفة "هاأرتس" تقول إن "الشاعر والكاتب المسرحي شكسبير يهودي." وعنوان فرعي "وليم صهوكبير شاعر اليهودية الأعظم" تناقلت بقية الصحف هذا الخبر، والتقى به مذبّع في القناة الثانية الإسرائيلية وأبلغ وزير الثقافة رئيس الوزراء الإسرائيلي اسحق رابين الذي كان في النرويج ليقع اتفاقية أوسلو، ساعتها تمنى لو تفشل مباحثات الاتفاقية مقابل أن يكون شكسبير يهودياً، وظهر رابين في التلفزيون النرويجي مطرّقاً وهمس في أذن كلينتون بما يدور في خلدّه، فابتسم له ابتسامة صفراء. قدّم ديكاف بيار بحثه المبني على أسس علمية. وجاء في اليوم الثالث نقاد إنجليز وكتاب مسرحيون ومؤرخون من مسرح الرويال كورت ومسرح شكسبير ليجهضوا كل ما حملّه ديكاف بيار في رحمة النقدي، ونزل المولود مثنوفاً وعبقت رائحته الكريهة شوارع تل أبيب، وعادت اللجنة الإنجليزية تحمل معها موثيق الحفاظ على تراثها، كما كانوا يحملون في نفس الوقت عرضاً لبيع شكسبير بخمسمائة مليون استرليني لتعجيزهم عند إصرارهم. (بعدها بعام واحد أعلن ناقد مسرحي سوداني أن شكسبير أسله سوداني، وقدّم

وثائق وأدلة أهمها أن اسمه الحقيقي "الشيخ زبير"، لم ترسل إنجلترا لجنة أدبية فنية لإجهاض فرضية السودان للسطو على شكسبير، وإنما أرسلت لجنة سياسية دينية لتقسيم السودان ولم تغادر إلا في عام ٢٠١١ حينما أصبح السودان دولتين.

كل تلك الأحداث يعرفها ليمارجي، ويعرف أكثر منها فلماذا يأتيه الشيطان ويسرد له كل تلك الوقائع؟ من ذكر أمر الديناري هو حاخام ذو شأن ومن بشر به نبي مرسل، والحاخام والنبي فوق كل البشر، إذا فالأمر يختلف، لماذا أذهب بعيداً؟ فالنسب كما جيء على لسان قداسة النبي الزائر يقول :

"الديناري بن نصير بن صفوت بن نورس بن قاردال بن توبينا بن موردخاي بن توجو...حتى يصل إلى قرشون بن مردي سبط لاوي بن يعقوب."

- لكن نصير بن صفوت بن نورس مسلم ابن مسلم فكيف يكون يهودياً؟

هكذا تجرأ جوليان صهوكيت وسأل النبي، والليل يغطي حرمة التجلي والتجسد للنبي الياهو وتحلق طيور غريبة فوق المعبد لكي تحرسه وتمنع دخول الشياطين فلول الجن، على الرغم من أن شيطاناً مكرراً وجاناً خبيثاً دخلا من خلال ماسورة الصرف الصحي وأنصتاً لكل الحوار، يبدو أن النبي الياهو قد عرف بأمر تلصص الشيطان والجان فهمس قائلاً :

- ارتد موردخاي بن توجو واعتنق الدين الإسلامي بعد وصوله من إسبانيا إلى القاهرة، لأنه كان كثير الشك، وجرب كل الأعمال الدنيا

من عمله بؤاباً في إحدى المباني الكبيرة، إلى تصليح المصاييح
نية، ثم تبييض النحاس، وفي نفس الوقت تعلم القراءة والكتابة
ربية في كتائب القاهرة القديمة، وحفظ القرآن والتحق بدروس
مر، وظهرت عليه بؤادراً الورع والإيمان ونصحته معلمه الشيخ
وفي حافظ بن مظهر الفيومي شيخ الطريقة الفيومية بالذهاب
الأقصر وإقامة ساحة صوفية تابعة له تسمى الطريقة الفيومية في
الغربي وسمى نفسه أسماً عربياً، واستمرت الطريقة فرعية تابعة
يقة الفيومية حتى جاء الديناري (الجَد) بعد وفاة نصير الفيومي
الزاوية وغير اسمها إلى الطريقة الدينارية، وحملت القرية اسمه
ينارية) بعد أن كان اسمها (الفيومية).

الحاخام جوليان صهوكيت بعد أن ارتفع النبي الياهو من خلال
ة العليا، وكان قد قبل يديه النوريتين :

- يتطور الشك الديني في بعض الأحيان إلى الارتداد، لذا
بناء أسوار حول من تظهر عليهم بؤادراً الشك خشية أن يقفروا
على أتربة الكفر.

الفصل الثامن والأربعون

الساحة الدينارية تتوسط الهضبة الوسطى للجبل الغربي. ويعرفها من ناحية الغرب لسانٌ جبلي يتكون من حَجَرٍ مستطيل مفروز في كتف الجبل، وإذا جاء مصوّرٌ ما بطائرة هليوكوبترٍ من الخلف لظن أن الجبل ديناصور هائل رابض، نمر شرس، يخرج لسانه لاهثًا بعد عمليات انقضاضٍ متتالية، وأن الوادي الذي تستلقي أسفله رممٌ حيوانية قام الديناصور بتقطيعها إربًا بعد أن استخدم معها سيقانه ركلاً ودهسًا. ثم تناوب عليها الواحدة تلو الأخرى ولم يبق منها سوى عظام تبقي منها لحمٌ من المرحلة الأولى لنشده، وجلد مهترئ ومرقع كتوبٍ شحاذٍ يرقق قلوبَ المُحسنين بمنظره.

ولو جاء نفس المصور من الأمام لظن أن ذا القرنين جاء بمعاوله ورجاله الأشداء، ومعه بناءُ الأهرامات في عصر الملك خوفو وبقرؤا بطنَ الجبل وأخرجوا أحشاءه وقاموا بتحنيطه، لكنهم فشلوا في أن يعيدوا لسانه الذي خرج أثناء خروج روحه فتييس، وقاموا بتمهيد بطنه فصارت هضبةً مستوية أعدت لإقامة ساحة الديناري بعد ذلك بقرون.

من بعيد وأنت واقفٌ في البر الشرقي تتخذ الساحة الدينارية هيئة كُرسي عرشٍ ضخّم يتوسط الجبل الذي يحدده المجال البصري للبشر، لكن من يحدّق طويلاً يلمح الكرسي ولكن لا يميز من يجلس عليه؛ نظرًا لأن الشمس تقوم بعمل إضاءة سينمائية خالصة للتصوير فقط فتسلط أشعتها في فترة الصباح حتى العصر على القوائم البارزة من الكرسي التي تصنع ظلًا عريضًا يقع على الأفتية وجوانبها، وبعد

المصر تُسلطُ الأشعةُ من الخلف لتوحي للمشاهد بأن الرجل الكبير
يجلس على الكرسي ولا ترى منه إلا ظلًا أسود يزيد من غموضه.

نصعد إلى الساحة ثلاثة مدقات رملية وصخرية، تتلأ في صعودها
بشكل متعرج مثل ثلاثة ثعابين أناكوندا عملاقة تصعد من الأسفل
إلى قمة الجبل بشكل سريع متفادية النتوءات المنتشرة مثل أورام
سرطانية أعلنت عن نفسها مبكرًا، ظن الناس ساعتها أنها لعنة الإله
أمون تصيب من ينبش مومياءات الملوك في الوادي. وإذا جاء مساح
دقيق الملاحظة لاكتشف أن المدق الأوسط قد اختفى قبل الوصول إلى
الفناء الرملي الذي يسبق المدخل، وأن المدقين الأيمن والأيسر قد
أثفأ عند جنب الساحة، وكان الثلاثة ثعابين قد أطبقوا في وقت واحد
على فريسة ضخمة، لكنها اشتبكت معهم في سجال وعراك اقتراسي
انتهى بأن قضت تلك الفريسة على الثعابين وظلت على تلك الهيئة حتى
اليوم.

يتفرع من ذيول المدقات الثلاثة عدة مدقات فرعية صغيرة نسبيًا،
تتطلق من عدة اتجاهات، تظهر تلك المدقات الفرعية من الأعلى
وكانها حيات صغيرة قد ولدتها الأناكوندا مباشرة أثناء انطلاقها
للانقراض على ساحة الديناري.

لو دخلت للساحة مشدودًا بهيئة الديناري وهو جالس على الدكة
المزخرفة في صدر الفناء الداخلي لفاتك أن ترى الشجرتين اللتين
تقفان كجندبتين قويتين يحرسان مقر الإسكندر الأكبر، ويضعان خوذتين
فولاذيتين وهي يمين كل منهما رمح ينتهي بتصل حاد يعكس أضواء
القناديل الأمامية، لكن الديناري لا يرتدي درعًا أو خوذة يضعها أمامه
متأهبًا للخروج في غزوة يستعد لها جنوده أمام تكنايتهم مثل الإسكندر.

لكنه يرتدي جلباباً أبيض ينتهي بفتحة يتوازى طرفها الأيسر في طرفها الأيمن، وعمامة تحتوي على شال أسود ملفوف في شاش أبيض مضفر ينتهي بأهداب تهتز كلما حرك رأسه، يشبه في جلسته عمر مكرم وهو يتشاور في الأزهر لتعبئة الشعب للثورة ضد الحملة الفرنسية.

تختلف لحيته عن لحية محمد علي باشا من حيث غزارتها، وتقرب كثيراً من لحية عمر مكرم، وإذا وقف بجوار جنكيز خان لفاقه طولاً، ولعرفت أن كتفي الديناري أعرض قليلاً من كتفي جنكيز خان، وإذا كان خيالك أكثر خصوبة لتأكدت أن قوته تماثل قوة قابيل صاحب الجينات الأولى لنسله من بني البشر، لكن ذراعيه وساقيه أضعف قليلاً من ذراعي وساقَي آدم وهو يخطو في البرية يحاول التكيف معها بقوة تموق عشرة آلاف جندي يعاربون المجوس.

هناك تشابه كبير بينه وبين النبي نوح، فالعينان واسعتان برموش طويلة كأنها نخلة طويلة وارفة تفطي بجريدها بلعاً رطباً تدخره لموقف عظيم، لكنها من حين لآخر تكشف عنه كلما داعبتها نسمات الربيع أو اضطرت مرغمة أن تتطاير عنه بسبب ريح مغولية تكتسح ما أمامها من نخيل وأشجار عتيقة تحاول أن تززع إيمانها، وأنف طويل يقف حارساً على شارب أسود تتخلله شعيرات بيضاء منهكة فقدت سوادها بمرور الزمن، لكن الاختلافات وإن كانت كثيرة فلا يعلمها أحد.

في يوم المجلس الصوفي الخميمي الذي يعقده الديناري في الساحة مال الشيخ عبد الخالق الربالي هامساً في أذنيه وكأنه وزير يتقرب للخليفة بنصائحه :

- مولانا، الحضرة لا تتوقف، ولا يعترضها كلام أو همس،
وانما جدول مائي مستمر لا يعبأ بعوائق ليس لها قيمة.

- يا شيخ عبد الخالق، الحضرة التي كان يقيمها جدي كانت
حدولاً مائياً تستمر حتى الفجر، وكان الذاكرون يفيقون بصعوبة بالغة
الصلاة، ومنهم من كان ينام في المسجد دون أن يؤديها، وجاء أبي من
عده وقصّر وقت الحضرة فلم تتعد ساعتين، يعقبا حواراً صوفي طويلاً
حتى الفجر.

- وهل جاء مولانا الديناري ليُغيّر ما جاء به جيلان من
الصوفية العميقة؟

- لم آت لكي أهدم ما بناه جدي أو أبي أو غيره، وإنما جئتُ
لأدفع بالصوفية وأرتقي بها مسالك الصالحين.

لم يرد الربالي، فالصوفية تتحدث عن نفسها، واستطرد الديناري
فقال لينصرف الوزير العباسي من حضرة الخليفة الذي يُنظر لصوفية
جديدة :

- تتسلق الصوفية شُرُفات الإيمان العليا.

حينما كان الديناري يتصدر المجلس الصوفي في الساحة التي
يحتضنها الجبل الغربي يتكلم مثل الندى الذي ينبثق من جوف النبات
بعد استسلامه لصقيع الهزيع الأخير من الليل، إلا أن الديناري كان
يستتبت من إيمانه ندى لم يلفحه صقيع أو دوامات شتاء بفيض :

- السعادة الأبدية انتزعت من صُحف بني آدم، ووجب
عليهم أن يُنمّوا ذواتهم من نفايات إبليس التي ينفخها في وجوههم،
وإذا ارتقت أنفسهم ذلك المرتقى فسيجدون سعادة منهكة لا يمكن
أن تعالج آلامهم، ويظل الإنسان حائرًا يبحث عنها قانطًا، وربما يوهم
نفسه بأنه في ركابها سائرًا، إلا أنه في قرارة ذاته يبكي بحرقة وينعي

- متى يجد الإنسان السعادة الأبدية يا مولانا؟

قال الشيخ عبد الخالق الربالي وهو ينحى للخليفة العباسي احتراماً واجلالاً.

- كما قلتُ لكم، السعادةُ الأبدية مسحتها الملائكةُ من الصحف، ووضعَ الله بدلاً منها نُتْماً وزُعْماً في العبادات وفي الإيمان، فحينما تؤدي الصلاةُ يشرق وجهُك بنور الإيمان، وإذا أشرق وجهُ بني آدم بنور فهي السعادةُ بعينها، وكذلك الصوم وبقية العبادات، وذلك النور لا ينقطع إذا داومتَ على تدريب النفس على العبودية وردها لأحكام الربوبية، تماماً مثلما تجد عبداً يتذلل لإنسانٍ آخر فيقوم بكل ما فوق طاقته حتى يرضى ذلك الآخر، وحينما يرضى يشرق وجهه بنور السعادة، وإذا كان هذا المثالُ الحي جلياً على اثنين من بني البشر فما بالك إذا حدث بين العبد وبين ربه ذي الجلال والإكرام.

- متى مسحتِ الملائكةُ السعادةَ الأبديةَ من صحفِ بني البشر؟

قال الشيخ عبد الخالق الربالي وقد أشرق وجهه بنور التصوف ويستعيز من الشيطان الذي يجلس بجواره موسوساً له بعبثية كلام الديناري، فركل شيطاناً يتربص عند الشجرة، وضحكت، ولمأ سمع أخي الذي ولد بعدي بعليوني عام طارذني عشرة آلاف كيلومتر، وحينما عدتُ بعد أن ثقتُ عيناً من أعينه الثلاثة وجدتُ الديناري يقول :

- حينما عصى آدمُ كلامَ ربه، لكننا لن نلوم سيدنا آدمَ بعد كل القرون التي مضت على رحيله، ولن نحمل ذنبه لأنه عصى الله.

هذا هو جوهر الصوفية الذي استتبته الديناري بعد أن أجرى مراجعات
لمنازل الصوفية التي تناولها أبوه ومن قبله جدّه الديناري الأول.

كان مجلس الديناري الصوفي يحضره أئمة متصوفون من كل نجوع
قرية الدينارية، كما يحضره مقيموا الشعائر في المساجد، وطلبة
أزهريون يرتقون سلم الصوفية كلاعب يصعد السلم قفزاً، والعديد
من كبار السن الذين لم يعد لديهم هدف يعيشون من أجله ما تبقى
من حياتهم، أو هم يبقونهم في منازلهم منتظرين فرجاً، وأصبحت
الصوفية لديهم عوضاً عن تادية مناسك الحج لارتفاع تكاليفه، وهياً
لهم الديناري مرتقى سيرا يضمن لهم رضا الله عنهم، كما يحضره
طموحون يظنون أن بالتحاقهم بالساحة سوف تفتح لهم طاقة القدر
فيصبحون أغنياء وتحل كل مشكلاتهم المادية، وبعض من الشباب
الذين ظهرت عليهم أمارات التصوف مبكراً لأنهم رفضوا نزوع
الشباب إلى تطويل الشعر وتضفيره، واستماعهم للمجون وأغانى
المهرجانات، كما يحضرها شيوخ سلفيون وبعض من الشباب الذين
التحقوا بالجماعات الإسلامية.

كان الديناري (الأب) يحمل على عاتقه طوابق من نور يضيء به البر
الغربي ويسلطه على البر الشرقي إن استطاع سبيلاً، لكن سنوات عمره
تهشمت سريعاً، وأصيب بداء الكبد واكتسى جسده بصفرة تبدلت معها
هيئته ومسح المرض اللون الأبيض المشرب بالحمرة، فلم يعد وجهه
يتحول إلى شذرات من شفق يتفتت عندما يضحك، ولم تعد عيناه
تلتزمان حينما يتحدث عن الصوفية فيخلب الباب المنصتين.

- المرض الخبيث هو أول درجات عودة الإنسان لبارئه.

يقول (الأب) ذلك حينما يرى البعض يحدقون في عينيه، هو يعرف

أن نظرات الشفقة تطل من أعينهم كمتفرج ينظر بحزن إلى مصارع وقع بعد أن صرعه آخر، وربما يحاول البعض أن يفتديه بنفسه ويتبرع له بكبده، لكنه مع هذا ظل مستلقياً على الدكة الرئيسية التي تصدر الساحة وبجواره الديناري الشاب الذي شهد صوفية (الجَد) وصوفية (الأب) ومرضهما. وعلى الرغم من أن الأب كان يدرك أن داء الكبد هو مرض الموت إلا أنه رضى للأطباء وطاف عليهم من أسبوط إلى القاهرة، وكان يرى أن الله يأتي بمرض لعين كل حقة من الزمن حتى يطيح بعدد كثير من بني البشر ليأتي بأجيال جديدة، الإيدز حصد العديد من أرواح المتزوجين من عجائز أجنبيات، وجاء السرطان ليفتك بالكثيرين نساءً أو رجالاً أو أطفالاً، وكلما اكتشف العلماء مصللاً جديداً أمعن السرطان في إصابة عضو جديد يُسمى باسمه، وبحث علماء جدد في المرض الجديد لسنوات يكون ضحاياه ماتوا جملة، أو قبضت أرواحهم هم أنفسهم قبل أن يفرغوا من بحثهم، ولحق فيرس سى بالإيدز وبعض الأمراض بطيئة الفتك وقبض الروح.

- من نجا من الإيدز زاره السرطان، ومن أغلق بابَه في وجه السرطان تسلل إليه فيرس سى من ثقب الباب، الموت أت لا محالة، كل نفس ذائقة الموت. صدق الله العظيم.

وقال أخيراً :

- الصوفية عسل حلو المذاق، والموت مر كالحنظل.

وسدق الله على كلام (الأب) وقبض عزرائيل روحه في نفس الليلة، قبلها بنصف ساعة وجدت نفسي مدفوعاً للوراء حتى سقطت من فوق الساحة متدحرجاً مدفوعاً بقوة تستعصي قدراتي الشيطانية عن فهم

منها أو تمييز سلطانها، وكما قلتُ من قبل على الرغم من قدراتي
 الخارقة فهناك قدراتٌ شديدة البأس لا أستطيع الصمودَ أمامها، ليس
 لأنها أقوى فحسب بل لأنها غيرُ مرئية، والمخلوقاتُ كلها بما فيها بني
 البشر يخشون القدرات الخارقة، وشعرتُ بقدمي مثقلتين وكانَ آفاقاً
 من أولئك غير المرئيين يُمسكون بها مؤتمرين، في البداية ظننتُ أن
 إخوتي من الشياطين هم من كبلوني، هكذا فهم يستطيعون في بعض
 الأحيان أن يكونوا غير مرئيين بالنسبة لي حتى لا أشهد أفعالهم، وما
 فندتُ تلك الفرضيةَ رؤيتي لبعضهم يحاولون التسللُ إلى الساحة في
 جوف الثعابين الصاعدة وفي أذنان العقارب والفئران التي كانت
 تصعد إلى الجبل بشكل آلي، إلا أنها كانت تتساقط أيضاً بشكل آلي،
 ولم يفك القيد اللامرئي عن قدمي إلا حينما سمعتُ صرخةً تخرج
 من فوهة الساحة، ولما وصلتُ في اللازم الأسرع من الضوء نفسه
 وجدته مُسجى، ونورٌ صوفي ينبثق من وجهه ويشع كأنه لم يمرض يوماً،
 وكان وجهه مستديراً كرخيف خبز شمسي خرجَ لتوه من الفرن تشتهي
 قضمه والتهامه، ولا تصبر حتى يبرد خشية أن يفقد طزاجته، واللون
 الأصفر الذي يشبه أحشاء الخروف المنحور لتوه قد تلاشى منه، وفقدَ
 ذلك الامتاع بمجرد أن يُفرغ ما تكلس فيها من حشائش وخبز جاف،
 لون أصفرٌ يسود الكون قبل المغرب مباشرة، وعلى الرغم من أن الليل
 يطيح به بطبقات ظلامية لكنك تأنسُ بها خوفاً مما قد يجره ذلك اللونُ
 الأصفر، أفلها ضيق في النفس تشعر معها بمكابس هواء ضخمة معطلة
 تفوق آلات التنفس الصناعي تحاول إفاقتك، وحينما تمشل تشعر بأنك
 ملقى في هوةٍ سحيقة ليس لها قرار تتقلب منكفئاً ولا تستطيع الاتزان في
 سقوطك المريع، ولا يفلح معها الاستعاذة من الشيطان، وهل الشيطانُ
 يقف موسوساً أثناء الضيق؟ لا أعرف، ربما استحدث الشيطانُ الأعظم

وَبِنُوهُ **option** جديدًا لقدراتهم اللانهائية للفتك بالانسان، وأكثرها فجيعة تحقيق بنجع من نجوع القرية مثل الحريق المأجوجي الهائل الذي قَضَى على النجع بأكمله.

شفيقة المريسية عرافة خَطَّتْ بِقَدَمِهَا مِنْذُ أُسْبُوعِ الْعَامِ الْأَوَّلِ بِهَا، المائة، ههههه، أعرفُ أنني أضحكُ ضحكةً فيسبوكية، وليست ضحكةً شيطانية، لأنني كما قلتُ لن أتكلم عن نفسي حتى لا تعرف كيف أبدو، فقد حَجَبْنَا اللَّهَ عَنِ الْبَنِيِّ أَدْمِيينِ حَتَّى لَا يَمُوتُونَ خَوْفًا. اعذرني على الانفلات السردى الذي يصيب لساني في بعض الأحيان فقد كنتُ أسردُ سيرة شفيقة المريسية المعمرة التي عاصرت ثلاثة أجيالٍ وتنبأت بعدة أحداثٍ عندما كان اللونُ الأصفرُ يكسو القرية بنجوعها.

- حريقُ يَشُبُّ فِي بَيْتِ الْحَدَّادِ الْأَسْوَدِ فَيَبْسُطُ شَيْطَانٌ حَدِيثُ السَّنِ قَدَمَهُ الْكَبْرِيئِيَّةَ فَيَصِلُ الْحَرِيقُ لِبَقِيَّةِ بِيوتِ النِّجْعِ، يَمُوتُ الرَّجَالُ أَثْنَاءَ إطفاءِ الحريقِ، وتترمَّلُ بعضُ النساءِ ولا ينجوا إلا مَنْ ساقه القدرُ خارجَ النِّجْعِ.

قال البعض: "كذَّبَ الْمَنْجُمُونَ وَلَوْ صَدَقُوا"، وصدَّقَ البعضُ نبوءةَها، ونَعِيَ البعضُ ما قالته، وتذكر آخرون حديثها لكنهم لم يعرفوا أيَّ نجعٍ من نجوع القرية. فنَدَّ الشيوخُ تَنْجِيمَ الْعَجُوزِ وَخَطَبَ الْأُثْمَةَ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ اتِّبَاعِ تِلْكَ الْعَرَاةِ الَّتِي يَدْخُلُ أَهْلُ الْقَرْيَةِ بِسَبَبِهَا النَّارَ.

"كذَّبَ الْمَنْجُمُونَ وَلَوْ صَدَقُوا، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا." يستغلُّ الْمَنْجُمُونَ حَالَاتِ السُّكُونِ الَّتِي تَتَعَمُّ بِهَا نَجُوعُ الْقَرْيَةِ فِي إِصْدَارِ حَالَاتِ تَنْجِيمِيَّةٍ تُوَيْدِهَا الشَّيَاطِينُ وَتَكْرُسُ لَهَا. مَنْ اتَّبَعَهَا فَقَدْ ضَلَّ. وَمَنْ كَذَّبَهَا فَقَدْ نَجَا مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ يَنْتَظِرُهُ فِي الْآخِرَةِ."

الفصل التاسع والأربعون

كان الشيخ عبد الخالق الربالي أولَ مَنْ خُطِبَ خُطْبَةً الجمعة هي شفيقة المريسية يُحذِرُ مَنْ اتَّبَعَهَا، وَيُثْفِقُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَهَا، عَرَفْتُ أَنَّ إِخْوَتِي يترددون عليها لكنني لم أفهم تلك الصلة الغريبة فهم يستهدفون المستقيمين من البشر، فلم يفورن الضالين منهم؟ كما قال الشيخ الربالي.

لا أريدُ أن أشغلك بأسئلتِي وتساؤلاتي غير المجدية، وهي نفس الوقت أحميد عن السرد الذي ليس كمثلِه سرد، أصبحت الآن شيطاناً مستأنساً في نظرك، ولعلك تقول في سرك "ولماذا لا أربي شيطاناً صغيراً مثلي في بيتي وأتخذه بعد ذلك ذراعاً أطيع به بمن أشاء من البشر؟" على فكرة لا أعرف هذا option هي الشياطين وهل يستخدم الإنسان شيطاناً مثلي لتحقيق مآربه؟ أعرف أن مسألة طاقة الإخفاء كانت وسوسة من الشيطان للإنسان للقيام بأشياء خفية مثل أعمال السرقة والسطو والتزوير، بعدها تعلم الإنسان أن يقوم بالسرقة والحصول على الرشوة في الخفاء، واستخدم سُبُلًا كثيرة كأن يلبس طاقة الإخفاء، لكن بعد آلاف السنين عرفتُ أن الإنسان يستخدم الشيطان لتحقيق مآربه، مع أنني سمعتُ الشيطانَ الأعظم يقول ذات مرة إنه لم يسمح لذويه بأن يستخدمهم آدم أو ذويه.

- إذا كيف حدثتُ واستخدمتُ الحجاج بن يوسف الثقفي شيطاناً يا مولانا؟ قال شيطانٌ مولودٌ لتوّه وصلَ طولُه سبعينَ قدماً، وربتُ الشيطانَ الأعظم

على كتفه المعوج ومَسَحَ عن جسده لزوجته صفراء بعد ولادته من فخذة الأيسر ولعقها وضحك ضحكة لو سمعها الأدميون لخرُّوا مَيِّتين.

- ولدتك لتؤي من فخذي الأيسر وتسال سؤالاً لم يوجهه لي من قبل إخوتك القدماء الحمقى؟ أنا سعيدٌ لذكائك الذي يتطور كل ثانية منذ ميلادك، وأدعو بقية الشياطين للتطور والاستمادة من التقنيات الحديثة التي يستخدمها الإنسان، فالكومبيوتر يفيد الإنسان بسبب ذاكرته الشيطانية كما يقولون، ويمكن أن يضره إذا أردنا ذلك.

قال الشيطانُ المولود معتدلاً بعد أن كان يحبو لثانية:

- نوسوسُ له بتحميل أفلام البورنو والفيروسات، ويمكننا تهكير برامجه المفيدة.

- أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ أَيُّهَا التَّنَابِلَةُ إِنَّكُمْ لَا تَتَطَوَّرُونَ؟ لقد ركنتم إلى الراحة بعدما هُتِيت الممالك القديمة، وانتهت عصور الممالك. تلکم الشياطين الجديدة فاستفيدوا من ذكائهم وقدراتهم العصرية، وإذا لم تتطوروا فسوف أنجب شياطين أكثر تطوراً منكم، وأدفع بكم إلى مجاهل المحيط الهادي ولن تُخرجوا بعدها أبداً.

خلال ثلاث ثوانٍ ذهبَتْ جموع الشياطين التي تُقدَّر بملايين الملايين وعادت متطورةً في اللازمين وكأنها حصلت على كورسات مكثفة جداً في العلم والتكنولوجيا المصرية، وخرجت ابتسامة حمراء اللون على وجه الشيطان الأعظم وربت بأجنحته الأخطبوطية على الملايين من نسله الذين خضعوا للتقنيات المتطورة وقال:

- يمكنني الآن أن أجيب عن سؤال أخيك المولود تَوًّا والذي أنجبت من بعده خمسمائة ألف شيطان. الحجَّاجُ بن يوسف الثقفي لم يستخدم

الشیطان، لأنني لا أسمع بأن يستخدمني الإنسان الذي خلق من طين، ولكن بعضهم يصل إلى حيل استخدمناها من قبل يُعجز بها من حوله، ويقوم بأفعال لم نوسوس له بها همساً أو جهرًا، وإنما يقوم بذلك لأن نفسه تأمره بذلك، ولدينا سجل بتلك النماذج نعرفها تمامًا، ويمكنكم الإطلاع عليها في المكتبة الالكترونية الشيطانية.

على الرغم من وعورة الشيطان الأعظم والحراس الذين يحيطون به إلا أنني استطعت التسلل من خلال دودة حمراء لا يستطيع إخوتي تمييزها لأنها تمتزج بالأنوار الشيطانية الحمراء التي تعم الساحة الشيطانية التي تمتد من المحيط الهادي حتى المحيط الأطلنطي بارتفاع عشرين مترًا عن البشر، والاستماع إلى ذلك المؤتمر الحاشد الذي يعقده أبونا المعظم كلما يستدعي الأمر ذلك.

لم أقصد أن أتحدث عن الشيطان الأعظم أو عن قنّته، سردي كما قلت منفلت لا تحكمه قواعد، وكما يتوه المتعبّد في عبادته ويفكر في أمور أخرى، فأنا كذلك أتوه عن سردي في أمور لو خيروني لَمَا اخترتها، تُرى هل أتعرض الآن لوسوسة شيطانٍ آخر فأنفلت عن السرد الذي جنّت من أجله سارداً؟

عزيزي القاريء : تدركُ وأنت في طقوس عبادتك أنك تفكر في أمور دنيوية وتستغفر في سرك، فكذلك الأمر إذا خرجت عن المضمون المردي فنّبهنّي أو استغفر لي.



كان الشيخ عبد الخالق الربالي أول من يشهد الحريق الهائل الذي شبّ في نجع التفاريع، وأول من خلّع جلبابه يساعد في إطفاء الحريق،

ولم يكتف بذلك بل هتف في كل اتجاه ينادي أهل النجع الغافلين وقت الظهيرة، وبعض الرجال الذين يعملون في الفنادق في البر الشرقي، وآخرين يعملون حُرَّاسًا في المعابد وقليلًا ممن يعملون في مراكز فندقية، ألسنة النار تتطاير وتلقم بقية البيوت فتمضغ أعشاشها ووقيدها وقلق نخيلها الذي يستقنون به، وعروق السسبان الجافة وجدرائها الطينية ونساءها وأطفالها، لدرجة أن النار زحفت خارج البيوت وسرت فوق الطرق التي تؤدي إلى بقية البيوت فتمنع المتطوعين لقطع الطريق أمامها ومنهم الشيخ الربالي.

ساعة واحدة فقط فصلت ما بين حالتَي سكون، الأولى: سكون يقطعه بين الحين والآخر بكاء طفل في بيت أو ضحكة طفل آخر، وصياح ديك في الحظيرة يتوهم أن الفجر أت، أو أنه يعلن بصياحه الممزوج بنبرة حزن عن الفجيرة التي سوف تحل بالنجع، والأكثر من ذلك أعمار الذي نهق في أول بيوت النجع وتبعه نهيق مزعج مُتَّالٍ من حمير أخرى تبعه عنه، ولون أصفر يكتسي به الكون لدرجة أن الفيوم البيضاء كاللبن صارت صفراء وتكاثف متسارعة وكأنها تبغي الاندياح من فوق النجع لأنها تفهم النذير. والثانية سكون يقطعه حفيف وقيد محترق يتطاير بعد أن خف وزنه، فيصطدم بقلق نخلة محترقة لكنها مع ذلك تتقلب فوقه بفعل النسفات التي تجذبه نحوها فيعبر إلا أنه يتوقف عند جثث الطيور المحترقة فيلتصق بها بسبب الدهون التي نزت فدهنت أجسادها المتفحمة. وفي بعض البيوت تهدمت بعض الجدران فخلقت فجوات مستعرضة تؤدي إلى بعض جذوع الشجر الساقط فوقها، فسمع صفير من بينها ظن المحتشدون خارجها أن عزرائيل يصفر إعلانًا عن انتهاء حصاد اليوم من الأرواح.

بعد ثلاث ساعات عاد الرجال فوجدوا ما حاق بهم، ولم يكثرثوا بكور النار التي ما تزال تمور غضباً، أو من الجمر الذي كان يختبيء في بعض جذور الشجر والأخشاب وطلق النخيل، لكن هذا الجمر كان راكداً متربصاً مثل لعبان يختبيء تحت ورق أشجار تلون بلونها، وحينما تخطو ظناً منك أنك بآمن فوق الظلال الوارفة التي تربت على ورق الشجر، فتكون قدمك قد وقعت في فخ غير متوقع، كذلك خطا الرجال بأقدامهم فشوهتها الجمرات المخبوءة الراكدة، ولم يعلن أى منهم عن آلامه المتصاعدة وهو ينقل جثث زوجته وأمه وربما جثث أبيه وأولاده المتفحمين من الداخل إلى الخيام التي نصبها أهل النجوع الأخرى وكان الديناري يتقدمهم.

أذاعت قناة فضائية عربية أن المتطرفين الأقباط من بائعي الأحذية والترزية والحلاقين هم الذين فعلوها؛ لأنهم كانوا يعيشون فيها وتم ترحيلهم إلى السواقي منذ خمسين عاماً، والمتعلمون من هذه الطبقات يهاجرون إلى أمريكا بأعداد كبيرة وينضمون إلى أقباط المهجر لمهاجمة الدينارية، ويصفونها بأنها موطن الإرهاب، وأن الديناري راعي الإرهاب الأول في العالم، حينما سمع هذا التقرير اندهش كثيراً وقال له معتصم قبل أن يتجه إلى الجبانة القديمة أنه رأى بعينه هؤلاء المتطرفين وهم يحرضون العالم ضد القرية، ووصل بهم الأمر أن اقترحوا إنشاء قنصليات نوعية مثل القنصلية اليهودية والقنصلية القبطية، هاتان القنصليتان تتبعان منظمة حماية الدين اليهودي وجمعية يسوع المسيح التي تتخذ من الفاتيكان مقراً لها، وقالت قناة أخرى إن المتطرفين المسلمين هم الذين أحرقوه بعد أن هربوا منه ولجأوا إلى كهوف الجبل الغربي، وقناة أخرى قالت إن المجوس الشيعة

هُمُ الَّذِينَ أَحْرَقُوا نَجْعَ التَّفَارِيحِ لِأَنَّ السُّنَّةَ يَقْتُلُونَهُ وَلَيْسَ بِهِ شَيْعِيٌّ
وَاحِدٌ.



بعدَ حريقِ نَجْعِ التَّفَارِيحِ بِثَلَاثِ سِنَوَاتٍ، وَبَعْدَ مَوْتِ الْكَاهِنِ يُوَاقِيمِ
الصَّمَوَائِيلِيِّ بِثَلَاثَةِ شَهُورٍ، وَبَعْدَ خَلْعِ كَبِيرِ كَهَنَةِ الْيَهُودِ رِيْبَاشَ بِثَلَاثَةِ
أَيَّامٍ ذَهَبَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْخَالِقِ الرَّبَالِيُّ إِلَى مَعْبِدِ الْيَاهُو مَرْسَلًا مِنْ قَبْلِ
الدِّينَارِيِّ لِمُقَابَلَةِ عَاصِمِ الدِّينَارِيِّ الَّذِي عَادَ مِنْ تَلِّ أَيْبِ مَعَ زَوْجَتِهِ
أَهَافَا لِيَمَارِجِي وَأَبْنَيْهِ التَّوَامَ دِيْفِيدَ وَعَامُورَ، عِنْدَ الْبَوَابَةِ قَابِلَهُ رَئِيسَ
الْمَجْلِسِ الْكَهَنُوتِيِّ شَاؤُولَ أَشْعِيَا وَنَظْرَةَ شِمَاتَةَ نَبِتَتْ مِنْذُ عَامَيْنِ فِي قَاعِ
ذَاكِرَتِهِ، وَتَسَامَقَتِ الْيَوْمَ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى قِمَّةِ الْجَبَلِ الْغَرْبِيِّ وَارْتَدَّتْ
لِتَصْفَعَ الشَّيْخَ الرَّبَالِيَّ عَلَى وَجْنَتِهِ الَّتِي اصْطَبَغَتْ بِلَوْنِ أَصْفَرَ يَمْتَقِنُهُ
مَرَضَى الْحُمَيَّاتِ وَفِيْرَسِ سِيٍّ وَمَرَضَى الْفِشْلِ الْكَلْوِيِّ وَالْمَصَائِبِيِّ
بِشِمَاتَةِ الْيَهُودِ كَالرَّبَالِيِّ الَّذِي دَخَلَ مَطَاطِيءَ الرَّأْسِ كَجَنْدِيِّ عَائِدٍ
مِنْ حَرْبِ ٦٧ بَعْدَ أَنْ فَتَقَدَ سِلَاحَهُ، وَقَبْلَ أَنْ يَعْْبُرَ الْقَنَاةَ قَابِلَ جَنْدِيًّا
إِسْرَائِيلِيًّا لَا يَهْمُهُ أَنْ يَأْخُذَهُ أُسِيرًا، لَكِنَّهُ أَظْهَرَ لَهُ نَظْرَاتِ الشِّمَاتَةِ، لَمْ
يَظْهَرِ الْخَزْيُ عَلَى الشَّيْخِ الرَّبَالِيِّ أَوْ حَتَّى الْجَنْدِيِّ الْمَصْرِيِّ لِأَنَّ كِلَيْهِمَا
رَفَعَ رَأْسَهُ مَبَاشَرَةً لِيَنْتَقِمَ لَوْلَا هُرُوبُ الْكَاهِنِ وَالْجَنْدِيِّ الْإِسْرَائِيلِيِّ مِنْ
سَاحَةِ الْقِتَالِ.

انْتَظَرَ الشَّيْخَ الرَّبَالِيَّ فَوْقَ أُرَيْكَةِ قَدِيمَةٍ كَانُوا يَفْسُلُونَ مَوْتَى الْمَعْبِدِ عَلَيْهَا.
مَفْرُوشَةٌ بِكَلِيمٍ قَدِيمٍ مَهْتَرِيٍّ لَا يَفْطِي الْأُرَيْكَةَ كُلَّهَا، فَظَهَرَ الْخَشْبُ
مَسْلُوخًا تَرْتَمِعُ سَنُونُهُ، وَهَبُوطٌ خَشْبِيٌّ يَعْتَوِرُهَا، وَمَرٌّ وَقْتُ يَهُودِيٍّ طَوِيلٍ
مَصْبُوغٍ بِرَائِحَةِ سِبْطِيَّةٍ حَتَّى جَاءَ عَاصِمُ الَّذِي صَافَحَ الشَّيْخَ بِيْرُودٍ
شَدِيدٍ، وَلَمْ يَجْلِسْ بِجَوَارِهِ وَلَكِنْ ظَلَّ وَاقِفًا كَرَجُلٍ كَارٍ يَعْْمَلُ أَجِيرًا لَدَى

آخر، ولما وجدَ عملاً آخرَ يليقُ به يحصل فيه على أجر كبير، وقفَ الأجيرُ أمام الآخر واللامبالاة تغطي رأسه ينتظر أن يسمع منه طلبَ العودة إلى العمل معه حتى يقول له كلمة الرفض مهما كانت المحاولاتُ حتى ولو تضمنتْ زيادةً في الأجر وحوافزَ جديدة، لأنه في تلك الحالة اتخذ قراراً مصيراً لا رجعة فيه.

- عُدْ يا عاصم إلى الساحة.

..... -

- اصعدْ إلى الساحة يا عاصم

..... -

- اصعدْ إلى الساحة فالיום لا عاصم من أمر الله فيمن

عصاه.

..... -

كان عدمُ الردِ فلسفةً يتبناها معتنقُ الدين الجديد حينما يسأله الآخرون عن سبب خروجه عن دينه واعتناقه لدين الآخر، هذه الفلسفة ليست نابعةً من فكر الدين الآخر، ولكن لأن هذا المعتقد لا يعرف سبباً يُبرزه يبرر به، وإذا كانت لديه أسباب لا يريد أن يذكرها احتراماً لدينه القديم، وحتى لا يعرف الناسُ قناعاته الجديدة، وهي حالة عاصم الديناري لم يكن هناك مبررٌ لتغيير دينه، فالديناري وليّ يتبعه الكثيرون، أما أن يشذُّ ولده ولا يخرج عن الطريقة أو الساحة فحسب ولكنه خرج عن الدين كله فهذا هو المحك، وقفَ عاصم أسفل سفح الساحة والديناري أبوه فوقها ينتظره، والشيخ الربالي غارق

في حيرة شديدة جاء ليلبغ الابن رسالة الأب، لكن الابن عاق ومارق وصابيء، وشاؤول أشعيا يضحك كما لم يضحك من قبل، يقف خلف الستار الذي يحجب غرفة ريباش المحبوس، وأهافا تداعب النطفتين الديناريتين اللتين حصلتا على الجنسية الإسرائيلية بعد مولدهما في عباءة الدين اليهودي، بينما وقف لويس ليمارجي يرهف سمعه وليليان تراقب الكاهن الواقف وزوجها، وتحنو بعينها على النطفتين اليهوديتين الخالصتين، وفكرها شارد لا تعرف فوق أي جواد يطير أو أي ربح تدفعه نحو المجهول.

كانت أهافا تداعب الطفلين وعقلها مشئت منذ أن وصلت من تل أبيب، كانت ترفض الرجوع إلى الدينارية، لكن العاخام الأكبر أقتعها بأن رجوعها يكسب اليهود شرعية استيطانية في القرية، ومعها ابناها اللذان عوضا الكثير لأطفال ماتوا أثناء الخروج مع موسى ولم ينعموا بوطنهم الخارجين إليه أو وطنهم الذي أخرجوا منه، سيجيء هذان الطفلان إلى الدينارية فيرثان الديناري مالا وعلما وسلطة، الطفلان هما الوريثان الوحيدان للديناري بعد عاصم ومعتصم، وخصوصا معتصم الذي اختفى وقال الكثيرون إنه مات ودفن في الجبانة القديمة، إذا فهما وريثا أبيهما عاصم الذي لن يبخل بأن يمهد لهما الساحة عرشا وملكثا، فتتحول الدينارية إلى اليهودية القديمة، ديانة بني اسرائيل قبل الخروج.

خرج الشيخ الربالي من المعبد بعد أن مآ صورة عاصم من ذاكرته بمجرد أن استدار من أمامه ليفادِر الفناء الأمامي حتى وصل إلى البوابة الرئيسية، هذا المحو الذي يعتبر من أسس الصوفية : أن تمحو صورة الضال الذي لا ترتجى منه التوبة من ذهنك . حتى لا يؤثر على

سقاء ونقاء مُخيلتك التي تدخرها للذكر والوصل والمدد. اتَّبَعَ الشَّيْخُ
بَيْعَ الصُّوفِيَّةِ وَمَعَ صُورَةَ الضَّالِّ، وَأَصَمُّ أذُنِيهِ عَنِ الِهْمْسِ الَّذِي كَانَ
يَدُورُ فِي أَرْوَاقِ المَعْبَدِ.

عند الديناري وقف الشيخ الربالي يصف ما حدث من لقاء عاصم
والمتلصين من حوله، فجاءت هزة شديدة اهتز معها الرجلان،
هزة تُعبِّرُ عن هزة أخرى اجتاحتها منذ أن رأى تعبيرات موسوية فوق
وجه الربالي وهو صاعد المدق الواصل من معبد الياهو إلى الساحة،
تلك التعبيرات بدأت صغيرة وتنامت حتى كان الشيخ وجهًا لوجه مع
الولي، وقرأ الولي ما كتَبَ على وجه الشيخ بعد أن رآه في الكشف الذي
جاءه، انصاع الولي لأمر الله وبكى الأب على ما حاق بابنه، الولي القوي
بصوفيته يصرع الأب الضعيف بإنسانيته الذي كاد يضعف وينزل
بنفسه مقللاً من شأنه للمعبد، لكن الولي منعه وأرسل الربالي نيابةً
عنه، الولي لا ينزل للناس، لكن الناس يصعدون إليه، مَنْ خَرَجَ عَنِ
الولي لا يركض خلفه حتى يُثْبِتِيهِ عَنِ عَزْمِهِ وَعَنِ خُرُوجِهِ، والمريد إذا
كان ابنًا فالولي أيضًا يتمسك بأنساق الصوفية ومقام الأولياء ويرفض
النزول، لكن المنع والتمنع كانا صفتين تخلق بهما الابن ورفض
الصعود.

وقف الديناري أمام الساحة وخلفه الشجرتان تترنمان بصوت
المصافير التي تستعد للنوم، وأسفله دير القديس بطرس ومعبد الياهو
ساكنان، وقال وهو يخلق ببصره في الأفق :

"استفقلت الدينارية بأهلها ودياناتها، وأصبح الصراع جهازًا تفتلت
معه الألسنة وتتججر القلوب، وليت الديانات تتوحد وتصير دينًا
واحدًا."

الفصل الخمسون

سيولٌ جرارةٌ تجتاح الجبلَ الغربي، وتغمر كل ما يقف في طريقها من أحجار ورمال وتراب فيتحول إلى طين زاحف بين الفتوات الجبلية فتختلط بالرمال فتكتسب السيول لوناً مغايراً للون الأصلي، وتزحف، تلاحق السيول على قرية الدينارية بنجوعها، وتجرف، أمامها صخوراً متباينة الأحجام، وطمي ورمال وجثث متفرقة ومقابر جماعية في التجاويف الجبلية وهياكل عظمية ورمم حيوانية كثيرة، واندفاع، السيول كأن قوى خفية تدفعها فلا ترحم ما أمامها وتضرب بلا هوادة. تحولت السيولُ بسبب غزارتها وارتفاعها عن مستوى الأرض من متر إلى مترين إلى ثلاثة أمتار إلى طوفان هائل هدم البيوت المبنية بالطوب اللبن ومن قبله الأعشاش والخيام، ثم تحول إلى المباني بالطوب الأحمر وقضى على الأشجار الصحراوية فراود فروعها فجذوعها وجذورها فاجتثها ثم تحول إلى الأشجار المرتفعة عند دير القديس بطرس وعند معبد الياهو.

حينما نزلت السيول صباحاً في البداية كان الناس يظنونها خيراً يسقي الزرع الذي تأخر الفلاحون عنه يومين، كما يسقي البهائم الواقعة منذ الليل خارج البيوت تنتظر النائمين الغارقين في سباتهم وما تزال الصنارة التي تظهر كل يوم عطشى، كان الليل موجعاً بحرارته الشديد، فظلت الرمال محتقظة بمخونتها حتى وقت متأخر من الليل، بينما أبت الصخور أن تستغني عن سخونتها حتى ولو أطفأتها سيول، وكان السيول كانت تنتظر الفرصة فجاءتها من حيث لا تحتسب.

العجائزُ هم أول المستيقظين، يستهلون الليل بنوم هاديءٍ وحينما يصدح الديوك لتعلن قربَ موعدِ انبلاج الصباح يلبون نداءها بململاتٍ مستكينة يقومون على إثرها فيفسلون وجوههم ويخرجون أمام البيوت يفترون الشاي بقطع جافة من العخبز أو البسكويت أو "الفايش" وربما يبادلون بعض الحكايات المبكرة التي لا تتضمن تفاصيل، بل كانت دائماً موجزةً وتعبّر في نفس الوقت عن عقل غائب ليس بسبب تقدم السن فحسب ولكن لأن الليل الساخن بحرارته يؤثر في تماسك خلايا المخ فيحولهم إلى كائناتٍ دائخة ثملة لا تصمد حتى يفرغ أيُّ ساردٍ لحكاية فيخرون نائمين، والأطفالُ يحتلون المرتبة الثانية في النوم وهي الاستيقاظ لكنهم يختلفون عنهم في عدم الاستسلام للنوم سريعاً، فتظل حكاياتهم عن يومهم الفائت وإنجازاتهم وإخفاقاتهم في اللعب قائمة، وحينما يفرغون من حكايات اللعب يتحولون لسرد خلايا الوخبز والفيظ التي كوّنوها لضرب أطفال الأقباط واليهود أثناء اللعب، أو القيام بعملياتٍ محدودة كسرقة دراجات أو تفريغ إطارات سيارات من الهواء أو رسم علامة الموت على متاجر اليهود أو دس السم في لقيمات لكلابهم الرابضة أمام بيوتهم للحراسة، هؤلاء الأطفال يفرغون سريعاً من سرد يومياتهم مع أطفال أصحاب الكتاب، وعلى العكس من أطفال المسلمين المتشقة والمتفرحة أرجلهم يستيقظ أطفال الأقباط واليهود متأخرين، فالاستيقاظ المبكر يعتبر نوعاً من التخلف، هكذا يفكرون وينعتون أطفال المسلمين دائماً بالتخلف والهمجية، أما هم فيستيقظون بعد أن تستيقظ أمهاتهم بعد التاسعة صباحاً، ولا يفترون بالشاي بل يفترون إفتاراً كاملاً كالبيض والجبنة والفل، وحينما يكتشفون ما حدث لا ينفعلون ولكنهم ينظرون إلى السماء في انتظار نزول المسيح ليفتك بهم.

لكن هذا اليوم لم ينزل المسيحُ لِيُفْتِكَ بالبشر، بل نزلت سيولُ
 كونية تحالفت معها جميع الكواكب لتفريغ ما قد يكون بها من ماء،
 فائض، وأزاحت الرياحُ كل الغيوم المكدسة فوق المحيطات لتتحول
 لأمطار قاتلة، وكان رجالَ مطاقيء العالم كله وضعوا خراطيمهم
 في السماء وراحت الخراطيم تضخ المياه بقوة، وأمسك الإطفائيون
 تلك الخراطيم وصوبوها نحو البيوت التي خرج أصحابها مذعورين.
 وكان شيوخ المسلمين هم أول من رأى السيول، فحينما كانوا يتبادلون
 الحكايات المقصوفة مع الشاي والفايش شعروا بدغدغة في أرجلهم
 فنظروا ولم يكن نور الصباح قد كشف عن وجوههم بعد، ولما تحسسوا
 أرجلهم اكتشفوا الماء الذي يسري كأفاع خائبة متنكرة، ولما اكتشفوها
 راحت تتمسح في أرجل الناس لعلهم لا يفتكون بها، لكن الماء الأفسس
 تماذى في تمسحه وزاد منسوبه، وأعين الشيوخ بين الاستيقاظ والنوم.
 بينما كانت السيول تأتي جارفة من الجبل كقطع طرق داهمتهم قوات
 مكافحة الشغب وأفرغوا الكهوف منهم فخرجوا مذعورين منجرفين
 مع المنحدرات، شعر الكبار بحس جبلي بشيء غريب فقاموا وقد
 دب الذعر في قلوبهم، فرأوا فصائل السيول الهاجمة وقاموا بإيقاظ
 الأطفال والنساء والرجال الذين لم يفتسوا من الحدث الأكبر بعد،
 وصرخت النساء في الممتلكين عن الاستيقاظ من الأطفال والرجال،
 وخرجوا لعمل قنوات ترابية تبعد السيول عن بيوتهم، وهرع الأطفال
 لأطفال الأقباط واليهود لإيقاظهم والذين بدورهم أيقظوا آباءهم
 وأمهاتهم.

ارتفع الماء وحمل الرجال الأطفال فوق أعناقهم، وتشبثت بهم النساء،
 واغتسلوا بالسيول متطهرين وخلقهم الشيوخ، وكان لون الماء يتغير من

أصفرَ أرجواني إلى أرجواني محض حيث الرمال والتراب والطيني الذي
نتج عن إذابة البيوت المبنية بالطوب اللبن وكذلك الأراضي الزراعية،
وكما كان الشيوخ أولَ المتستيقظين كانوا أولَ اللافتين أنفاسهم،
وبذلَ الرجالُ كلَ المحاولات لرفع الشيوخ والأطفال والنساء، وتوالى
موتُ الشيوخ، وطففت بعض الجثث فوق الماء الذي جرفها وطارَ بها
بعيداً ليدفنها في نهر النيل، وظلَّ الرجالُ يصارعون الماء، والأطفالُ
يطفون ويجدِّفون بأيديهم حتى لا يجرفهم التيارُ، وتشبثت بعض النساء
ببعض الأشجار، واحتمى البعض منهم بشرفات الأدوار العليا لكن
الطوفانَ وصل لأعلى للسماء.

كان الرعد مبعوثاً نذيراً في الليلة السابقة، فراح يطرق طرقات خفيفةً
لينبِّه الناسَ بما هو آت، لكن الناس كانوا غافلين فلم يكثرثوا للطرقات
الخفيفة المداعبة، وحتى حينما أعلن عن غضبه لعدم اكرامهم طرقَ
طرقات عنيفةً على طبيلات كونية هائلة، ويبدو أن الرعد بطرقاته
العنيفة قد أثار فضولَ البرق فراح يرسل ومضات مواكبةً لطرقات
الرعد أحياناً وتاليةً له في أحيان أخرى، طرقات رعدية ومضات
برقية متوالية كأنهم ثنائي يعزفان لحنَ الكارثة التي تعل على قرية
الدينارية، يفقهان الكارثة والناس في الأسفل لا يفقهون.

لم يكن الربُّ نائمًا والرعد يطرق بمنف على الطلبة مصاحباً لترانيم
الرهبان في دير القديس بطرس، بل كأن يسمع ترانيم الخوف والرهبة
وخصوصاً حينما رأوا صورةَ القديس بطرس تلقى عليها قطوف من
نور البرق، فبدأ الخوف يرتسم على القديس، وكان الراهب بيشوي
الباخومي أولَ مَنْ اكتشف البرق حينما كان يعاني من أرقٍ بسبب رؤية
غريبة رآها حينما جاءته سنةً من النوم في أول الليل رأى فيها الكاهنُ

يواقيم الصموثيلي يخرج بتابوته من ضريحه فوق ماء ذي لون غريب يقترب من اللون البني وينكشف الغطاء فيبصر كل من بالدير ويربح رأسه على الوسادة البيضاء وينظر إلى السماء، وكان التابوت يتحرك بطريقة منهجية فطاف بشجرة الطلح ثلاث مرات ثم خرج من البوابة الرئيسية، وركض الرهبان خلف الكاهن ليضع منقريوس الذي شعر بالفزع لرؤية الكاهن المنتبج لأنه خشي أن يكون قد بُعث من جديد إلى الحياة ليتولى مكانه مسؤولية الدير ثم يفتك به كما فتك هو بمتى. وعند البوابة رأوا التابوت يركب الماء الذي يرجع عكسياً إلى الأعلى. ودُهِشوا جميعاً حينما رأوا لأول مرة انكسار نظرية الجاذبية فراح الماء يحمل الكاهن إلى الساحة الدينارية. والديناري فوق العرش ينتظره وهو يرفع راحتيه للسماء، وحينما وصل التابوت واستوى إلى الساحة قام الكاهن يواقيم الصموثيلي من رقدته التجريبية التي استمرت تسعة شهور واحتضنه الديناري ودخلا جوف الساحة، فاستيقظ الراهب بيشوي الباخومي من أحلامه بعد أن رفض الغطاء بقوة، ومسح عينيه كأنه يريد أن يمسح الصورة الأخيرة التي تعلق بمقلتيه، ولما خرج في الفناء الرئيسي وجد مختلى القديس بطرس مفتوحاً ورأى بنفسه بقعة البرق التي سقطت على صورته فبان على وجه الكدر.

هرع الراهب بيشوي الباخومي وخطواته تتناغم مع الطرق الشديد الذي يقوم به الرعد، يواصل تفجير نفسه في السماء منتحراً، ليوقظ الراهب أبانوب الأنطوني وبقية الرهبان، ولما سمعوا العنف الشديد الذي يتعامل به الرعد مع الدينارية اضطروا أن يوقظوا الكاهن ليضع منقريوس الذي قام فزعاً من حلمه حينما رأى الديناري يقف عند رأسه ويدعوه للصعود معه للساحة، وكان يقف معه متى الضبعاوي، لكنه رفض رفضاً شديداً، وقال الديناري له حينئذ :

"اصعدْ معي يا ليشع، اصعدْ معي يا ليشع"، فقال ليشع لنفسه: "هل جاء إلى هنا ليحوّلني إلى الإسلام؟ وهل يظن أنني ذاهبٌ معه وأنا المسيحي المُمعن والموغل في مسيحيتِه؟ لن أذهبَ معه حتى ولو انطبقت السماءُ على الأرض." وهنا جاء الراهب أبانوب الأنطوني ولحقَ بالكاهن قبل أن يجره الديفاري إلى الساحة جراً في أحلامه. مسحَ الكاهنُ عينيه وغسل وجهه وأمرهم بأن يؤدوا ترانيم الكوارث.

قبل أن تبدأ الترانيم بوقت قصير شعر الكاهنُ ليشع منقربوس بحدائث عهده بتولية أمرَ الدير وكذلك بالكهنوت، فلم يصادف أن رأى كارثةً كونيةً أو حتى دنيوية، ولم يكن قريباً جداً بالدرجة الكافية حتى يتعلم من الكاهن المتتبع أو حتى يمنحه علماً ويؤدبه، جاء الكاهن ليشع للدير بمؤامرة ضد صديقه ولم يهدأ بالاً إلا حينما صفّاه جسدياً. إن يديه مضمختان بدماء مئى الضبعاوي ولن تغسلهما أسفارُ اليهود أو ترانيم القديسين، لكنه تابَ عند كل باب، عند باب مذبح الرب، وعند باب القديس بطرس، وجثاً تائباً متضرعاً أمام المَجْسمِ اليسوعي الرئيسي، لكن يبدو أن التوبة لم تُقبَل، فهذه هي السيول التي باغْتتهم في الصباح الذي تلى الترتيل الليلي لدرءِ خطرِ البرق والرعد، لكنهما كانا نذيرين لكارثة وشيكة.

غرقت شجرة الطلح بعصافيرها، وطفأ الماءُ حتى دخل الدير من الداخل، وهرع الرهبانُ في اللجج التي ملأت الأفنية والردهات والغرف، وأغرقت بئرَ القديسين وكذلك أضرحة القديسين الحقيقيين والاعتباريين والشهداء والكهنة والرهبان والخدام والمرقين عن الدين، خرج الكاهنُ ليشع منقربوس وخلفه الرهبان حينما وجدوا أن التضرعَ عند المَجْسمِ سوف يتسبب في تأخيرهم ومن ثم غرقهم.

وعند شجرة الطلح وجدوا أن فك الطوفان المفترس ابتلعها تماماً والوادي غارق فيه، ورأوا الناس تجدفُ بأشياء يظنونها مستنجبهم منه، لكن ارتفاع المنسوب واندفاعه يُقَلِّبُ البشرَ مثل الكرات حتى ولو كانوا يركبون سفينة نوح، صعد الكاهن وخلفه الرهبان كمحاولة أخيرة للنجاة من الفرق إلى سطح الدير، وهم يدخرون سبيلاً أخيراً لو فشلت فيه تلك المحاولة. وكان الماء يتربص بهم فقد وصل أعلى البوابة التي تُعد من أطول البوابات في التاريخ، فهي تنتمي للعصر الفيكتوري الذي يتميز ببواباته العملاقة. وأسرع من البرق كان الماء قد وصل لأرجلهم وهم بالأعلى يناجون مجسّم يسوع الذي من المؤكد غرق في الماء، وغير تلك المحاولة التي ادخروها صعد الجميع إلى البرج فوق السلالم اللولبية حتى وصلوا إلى مَضْرَبِ الجرس، ذلك الجزء الحديدي الذي يُبطن الجدار الداخلي للبرج ويصطدم به الجرس حينما تكون هناك مناسبة فرح أو حزن أو صلاة، وكان الراهب أبانوب الأنطوني أول من يقوم به قبل إيقاظ الكاهن ليشهد الجميع طوفان العصر الحديث.



شمرت أهافا ليمارجي بخوف من البرق والرعد، فدست وجهها في صدر عاصم الديناري وكأنها تستشرف نذيراً، وخصوصاً بعد أن جاء الشيخ الربالي وطلب من زوجها أن يصعد للساحة. فانقبض من ساعتها قلبها وطلب منها أبواها ألا تناقشه في هذا الأمر. ولم يُخرج عاصم من ارتكانه إلى الجدار في غرفة الزوار في دير الياهو إلا طفلاه اللذان حاولا مداعبته فرفض، وعادا إلى أهافا فداعبتهما حتى ناما، وظل عاصم على هذه الحال حتى جاء البرق والرعد فتشعر أهافا بخوف شديد.

انتابها مرات كثيرةً خوف ورهبة لكنها لم تكن رهبة كونية كتلك التي تعابنها الآن، مرت برهبة حينما جاء حاخامان بالاتفاق معها إلى منزلهما بولاية النيوي وتحديثاً معه في الدين اليهودي فخافت عليه ومنه، وحينما خرج الحاخامان ثار في وجهها حينما علم أنهما جاءا بعلمها، وتكررت تلك الزيارات خشية على أهافا منه، وكانا يتبعان منظمة حماية الدين اليهودي، وقيل له لو عرضت عليها الإسلام فسوف تموت هنا.

لكن كيف تغير الحال من خوف الحاخامين على أهافا من عاصم ومن تبشيره المحتمل إلى الحديث عن الديانة اليهودية ومناقبتها؟ وكيف أن اليهود هم أصل السكان في مصر، وأن أباء الديناري أصله يهودي ويعود نسبه إلى سبط لاوي، وعلى الرغم من أنه سمع لويس ليمارجي يقول له تلك المعلومة فظنه حينها أنه يداعبه، لكن أن يقولها حاخامان بهذا الحجم في أمريكا فالأمر مختلف، وتذكر ذات مرة زميلاً له في الثانوية قال له :

- خرجتم مع بني إسرائيل وعدتم لحكم الساحة يا سبط لاوي.

كان ما قاله زميله في الثانوية ذكرى سيئة من الذكريات التي لا يحب المرء أن يتذكرها أو يستدعيها فيدفنها في سلة مهملات ذاكرته، ويحسب أنه بفعلته تلك أنها خرجت من تراثه الخلفي، لكنها ربما تأتي له عنوة حينما يحدث شيء متعلق بها، وعلى الرغم من ذلك لم يكثرث ولم يكثرثوا بعدم اكرائه فلاحقوه مرة بالمحايلة، ومرة بتشويه الدين الإسلامي، ومرة بتهديده بقتل أهافا ثم قتله، وحينما أنجب ابنيه كانا العنصرين المناسبين للتهديد.

الفصل الواحد والخمسون

نامت أهافا ليمارجي وهي تحتضن عاصم السبطي، وابناها في حضن ليليان بينما كان لويس ليمارجي ساهراً ينصتُ لفزع الرعد. وكمال الواطي يعاقر العجائز ويزرع في أرحامهن الخلايا السرطانية بعد أن خرج عن طريقة الديناري، ويبصر ليمارجي ما يحاول البرق أن يضيئه. تحوّل عاصم الديناري السبطي إلى اليهودية مثل تلك الليلة طرق الرعد فيها أجراس السماء، وأضاء البرق بضوئه المخيف تجاويف الكون، وتعمّد في الكنيس اليهودي في ولاية ينوي وأهافا تمسك بذراعه والحاخامان يحملان الطفلين، ولم يهدأ الرعد الضارب بقوة كبد السماء إلا حينما خرج عاصم وهو يضع طاقة الحاخامات فوق رأسه وفي قلبه يهودية أهافا، وهُنَا في الدينارية بجوار أهافا اليهودية يحاول أن يكتم ضربات قلبه المتلاحقة حتى لا يزعجها، وظل يصارع السهد والقلق والذكريات، وظهر الشيخ الربالي وهو يفادر المعبد عائداً إلى الساحة، حتى انبلج الصباح على صرخات متوالية لناس يطلبون الإغاثة.

الصرخات التي أطلقتها أهافا لم تصدر عن امرأة من قبل، صرخات موجعة متوجعة هائمة، تمسك بطفلها تشبث بهما وتحاول اللحاق بعاصم الذي ركض محاولاً العثور على مخرج، لكنه كان ملتزماً متبعاً تعليمات الكاهن شاؤول أشعيا ورهبانه، وأثناء بحثهم عن مخرج رأوا ريباش مقيداً فوق أريكة ترسم عليه علامات الاستكانة وانتظار المصير، وكان الماء قد وصل زاحفاً في فناء المعبد حتى وصل

لمستوى أعلى، ومثل أصحاب الدير صعدوا إلى الأعلى (هو نهج يتبعه أصحاب الكتاب للهروب إلى الأعلى عند الكوارث، وخصوصاً حينما كان بعض بلطجية المسلمين يُغيرون عليهم) وفوق المعبد كان الماء يتربص بهم صاعداً يلاحقهم لينفذ أمراً كان مفعولاً، وأهافاً تمسك بعاصم، وابناها يمسان بها وخلفهما ليليان ولويس ليمارجي.

تجلى الديناري لعاصم وهو واقف عند الساحة وكان مكبراً كونياً قريباً له صورة أبيه الواقف، والخوف يحرك أمعاءه، والولي المتجلي بكيانه الثابت بكشف محقق من لدن صاحب الأمر فوق الساحة، ومنسوب الماء الذي كان يطير للأسفل فيدحر كل ما يقف أمامه، لكن كانت الساحة بمنأى عن الطوفان. "أصعد إلى الساحة فالיום لا عاصم من أمر الله من عصاه." كلام أبيه الذي قاله له نيابة عنه الشيخ الربالي، ليته صعد، كيف يصعد وهو يهودي؟ ليته صعد ونجا، لم يعرف أبوه أنه اعتنق اليهودية، وربما كان يعلم وطلبه للاستتابة والرجوع، الماء يصل إلى مستويات أجسادهم فيلجؤون إلى برج الجرس عبر السلم الحلزوني وينتظرون عند الجرس أن ينقذهم الله كما أنقذ بني إسرائيل. فيأتيهم موسى فيضرب بعصاه الفيضان ويخرجون من الدينارية الظالم أهلها.

"باب التوبة مفتوح" كان يقولها الأولياء والكهنة، أن تذب وتتركب إثماً فتلجأ لباب التوبة، كم من مذنب دخل هذا الباب، وكم من مذنب أوصد أمامه هذا الباب، كيف يبرح المرء دينه ويدخل دين الآخر ثم يتوب؟ وهل عبد رباً آخر، أم أن الرب هو رب كل الأديان؟ المسألة هي العقيدة التي عرفت بها الله عن طريق هذا الدين، ولو طلبوا منك أن تعرف الله عن طريق آخر فسوف ترفض، لكن أن تكشف بنفسك وتطلب ذلك فتلك هي المسألة، لذا ظل حال عاصم متارجحاً

بين الإسلام واليهودية ولو جاءه الديناري وأمره لعاد للإسلام قبل أن يصعد للساحة. هكذا قال الربالي للديناري عندما عاد بدونه، الإسلام دينٌ تطلب اعتناقه ولا يأمرك أن تعتقه، وهكذا ردّ الديناري على طلب الربالي، وعلى الرغم من استغاثة عاصم به وهو يمسك بأهافا وولديه أثناء الفرق فقد كان قبل صعوده فوق البرج متعنّتا وقال في نفسه إنه لن يعودَ حتى ولو جاء الولي ممسكاً بيه.

انتظرَ عاصم الديناري وأهافا ليمارجي وشاؤول أشعيا ولويس ليمارجي وليليان وبقية الرهبان بينما طمرت المياه ريباش المحبوس في غرفة العشاء الأخير منذ أن نحاه الكاهن شاؤول أشعيا وحل محله بعد موافقة الحاخام جوليان صهوكيت في ليلة تشبه تلك الليلة.



أتى الديناري كشف قديم تجدد تحت ضوء القمر الذي اختطفه ملكٌ شديد البأس وجيء بقارعي الرعد فأحدثوا صخباً شديداً، وتبعهم مفعجرو البرق وتنزلت الأمطار قطرات تنزل ما بين طرقات الرعد والبقع الضوئية، وراح يرتل آيات من القرآن الكريم، ويردد الصلوات على النبي المختار وآيات الملك، كان كشفاً مرعباً رأى فيه أهوالاً مثل أهوال يوم القيامة، وحينما ذهب عنه الرؤية وهو جالس في الفناء الخارجي للساحة والعصافير عائدة لتوها من جولاتها الدينارية بعد العصر بقليل، واستعاد من الشيطان، ولم تكد العصافير تتخذ موضع عودة المسافر في أعشاشها سمعت الديناري يقول بصوتٍ أقرب للنواح:

- شعوب الأرض يتم إعادة إنتاجها كل ألفي عام، وما قام به نوح يعتبر استنساخاً لأجيال جديدة مؤمنة ومعدلة وراثياً، نحتاج إلى

بشر يستمرون جيلاً بعد جيل لتحقيق العدالة ويحافظون على التاريخ من أن يزورَ وإنتاج كمبيوتر صالح لكل الأزمان، ومطلوب ذاكرة واحدة للأديان، ثم يتم دمج جميع الأديان لتصبح ديناً واحداً يوحد البشرية تحت لواء واحد.

الفصل الثاني والخمسون

بعد أن وقف الديناري وحيداً في الدينارية يماين آثار الطوفان بثلاثة أيام وقد تعرض سكانها للفتنة ثم انهيار الجبل الغربي، خَرَجَ سُكَّانُ نَجْعِ الخرس يتقدمهم معتصم الديناري، وجثت الناس ملقاة على الطرقات، منهم مَنْ كان يتخذ وَضْعَ الرُكُضِ فكانت قدمه اليمنى تتقدم اليسرى متيسّتين، ورأسه مرفوعة راقدة على جانبه، ومنهم المنكفي، على رأسه، وآخرون يرقدون متجاورين كتلة واحدة وكأنهم كانوا يلوذون ببعض للنجاة من الطوفان، ونساء يحتضنّ أطفالهن يرتكنن بجوار جدران مهتمة، وأطفال مدفونون تحت كتل هائلة من الطمي والرمال، وآخرون مدفونون تحت أحجار وبقايا جدران مهتمة، ورجال غرقوا وهم يعتلون النخيل والأشجار التي لم يقطعها الطوفان، ورجال يرقدون وأيديهم تتخذ موضع التجديف، ونساء منكفئات على وجوههن وقد انحسرت عنهن ملابسهن، ورجال مسلمون يمسون بأخرين أقباط وخلفهم يهود يحاولون اللحاق بهم، اختلطت كل النجوع، فلم تعد هناك نجوع، هرية الدينارية بسكانها بلا نجوع، اليهود والأقباط والمسلمون كلهم راقدون بعد أن غرقوا جميعاً في الطوفان.

لم تعد هناك أديان فقدت مات معتنقوها.

ما تزال هناك قلوب الطوفان تدفع أمامها ما عجز الطوفان الأكبر أن يدفعها، لكن الطوفان قد ارتخى ولم يجد لديه العنفوان لدفع الرمم الحيوانية التي حاولت الفرار قبل البشر فكانت مدفوعة بقوة حتى وصلت للحواجز المشيدة عند الشاطئ الغربي لانهر. ولولا النهر

الذي صَبَّ فيه الطوفان غثيَّاهُ لَمَّا ارتكبت تلك الجثث المتفرقة والتي يبدو أنها حاولت تغيير مسارها في الفرار، والملاحظ أن الأقباط والمسلمين كانوا قريبين نسبياً، لكن اليهود حاولوا بفرارهم اللجوء للمناطق المرتفعة ظناً منهم أنهم سينجون.

بدأت فصائل نجع الخرس في جمع الجثث ووضعها في صناديقٍ جماعية وحملها في شكل جنازات متوالية، والصمتُ يصرخ مشيحاً وملاحظاً الصفوف المنتظمة وهي تتجه صوب الجبانة القديمة التي كانت مفتوحة لاستقبال الموتى، ظل سكان نجع الخرس يحملون الموتى طوال ثلاثة أيام تواكب ثلاثة أعياد: عيد الفران، وعيد القيامة المجيد، وعيد الأضحى، وقضت كل الجثث الآدمية الأعياد في القبور، وحينما انتهى نجع الخرس من توميد كل الموتى ذهبوا لبيتوا بيوت نجعهم التي جرفها الطوفان.



بعد وقت طويل غير معلوم جُفَّت فيه مياه الطوفان وأقام الديناري حضرةً مُفردة طوال موت البشر حضرتها الشياطين والجن وانثَسَ بهم قبل أن يتفقد مفرداً الكون كآدم. خَرَجَ الموتى زاحفين من قبورهم لم تقوَ أرجلهم على حملهم وكلما ينهض الميت محاولاً القيام تلين ركبتاه وتثنيان فيقع على ظهره أو ينكفي، على وجهه وظلوا على هذه الحال عدة ساعات وكأنهم يتدربون مثل الأطفال على المشي، ومنهم من حاول أن يفتح عينيه ففشل وكان العينين اتخذتا من الإغماض وضعاً نهائياً، لكن النور الذي يقع على المقلتين هو المحض الوحيد على الإبصار، فحينما يكون المكان مظلماً لا يحدث هذا التحفيز، جماعات منهكة تخرج من قبور جماعية واحدة اكتشفوا أنهم كانوا مدفونين معاً

وتشاركوا رهدةً واحدة، وكان مكان الإبصار بعد خروجهم من قبورهم بـمترين.

عند خروجهم من قبورهم كان الخوف يكفئهم بكفن آخر غير الكفن الأبيض، وكان كل ميت مبعوثاً حديثاً لا يريد أن يفتح عينيه حتى لا يتفاجأ بالنار أمامه فيدفعه الملائكة فيها. يتساوى الجميع يوم القيامة الذي يعاينونه الآن، السماء ليس بها شمسٌ أو قمر، فلم تكن نهاراً أو ليلاً، ولكن ضوء أبيض كلون اللبن يغطي صفحة السماء.

كان جميع المبعوثين ينتظرون أن يمسكوا كُتُبهم بيمينهم، وأن يمشوا على الصراط المستقيم دون الوقوع في تجاويف عميقة مشتعلة بالنار، وحينما ينتهي الجسر الكبير الذي تمشي عليه البشرية كلها منذ عهد آدم حتى الديناري، ملايين ليس لها حصر، عجز العقل البشري عن إحصائها، لكن كان هناك ملائكة يحصونهم بدقة متناهية، ويمر أمامهم رجال ذوو هيبة ووقار فيندفع كل الناس لتقبيل أيديهم. وقيل إنهم صافحوا النبي إبراهيم ولما حاولت كل البشرية أن تتبعه أشار بيده أن توقفوا مكانكم، فحزن قطعاً كبير من البشرية وصمدوا أملاً في القادم من أحداث، فرجع الجميع يقفون منتظرين القرار المصيري وبينما هم يشعرون بالرهبة إذا بالنبي موسى يمر أمامهم وكأنه راجع من فوق الجبل ولم يكن يحمل وصايا عشرًا بل كان يمسك بعباءته التي ليس لها مثل في الحياة الدنيا، وعيناه مضيئتان كأنهما نجمان متألقان في السماء. وابتسامة لم ترسم على وجه بشري من قبل، وكان ينظر إلى البشرية الواقعة يوم الحساب بتهلل وفرح أن جاءت يوم البعث ومرت فوق جسر الصراط واجتازوه والآن ينتظرون دخول الجنة، لكن لم يكن لديه كلامٌ ليقوله فقد قال كل شيء قبل أن تُقبض

روحه وتُصعد لبارئها، حاول الناس أن يتبعوه لكنه أشار كإبراهيم بيده أن اثبتوا مكانكم فليس في الجنة نبي يتبع، كانت الساعات تمر وهم في الوهم والخوف يسبحون، وكان يمر أمامهم أنبياء نسيهم الناس فلم يعرفوهم، ولما مر النبي يوسف يمسك بالنبي يعقوب عرفه كل الناس، وكان يحمل ابتسامة يعرفه بها كل البشر مع أن قطاعاً كبيراً من البشرية لم يره، لكن كان جماله يضي عليه سمة من سمات النور الرباني، ومر من أمام الناس وحاول البعض أن يقتفوا أثرهما لكن نودي من بعيد ألا تكلموا يوسف وأباه فالיום لا يكلم الأنبياء البشر، قد جاؤوكم بالحق فلم تتبعوهم، وبينما كان الجميع ينصتون للصوت الجميل الذي جعلهم يترنحون من عذوبته وحلاوته مر النبي هارون فلم ينتبهوا له من استمتاعهم بالصوت ولما فرغ الصوت من تلاوته القرآنية قيل لهم هذا صوت النبي نوح الذي ضلتم من بعده.

ما يزال النور الذي لم يكن نوراً نهارياً أو نوراً ليلياً أتى به القمر بل كان ضوءاً صافياً لا يخضع لتعاقب أو خسوف أو كسوف أو غيوم ضالة تدنس صفحته. هذا الضوء قيل للبشر الذين يقفون يوم الحساب إنه لا يتغير وإنه يضيء يوم الحشر دائماً، وقيل لهم وهم لا يعرفون أنهم واقفون منذ مائة عام، يقفون جيلاً كاملاً وفي الجيل الواحد في الحياة الدنيا تحدث كوارث بشرية تنميها كوارث طبيعية حصرة عليها، وهم يقفون يوم الحشر الآن طوال مائة عام، المعايير اختلفت، ضوء مستمر أنقى من ضوء الشمس وضوء القمر أو ضوءهما مجتمعين، وسنوات طويلة تمر أمامهم دون أن يشعروا بالتعب إلا الخوف من النار.

حينما كان يمر نبي من الأنبياء كانوا ينسون الذي مر من قبله، ويظنون أنه الوحيد الذي جاء ليخلصهم أو ليتوسط لهم ليغض الله بصره عن

ذنوبهم التي اقتترفوها، وجاء عيسى بن مريم، يسوع المسيح يمشى
وغلالة من ضوء تحيط به، يلبس عباءة بيضاء مزخرفة بزخارف يوم
الحشر، وضوء مبهر يتألق فيضيء خصلات شعره فتبدو ذهبية وهو
ينظر إلى جميع البشر وهو مبتسم ابتسامة يفلحها العتاب لا يفقهها
إلا المتقون. وحاول نفر كبير من البشرية أن يتبعوه أو يقبلوا يده كي
يتوسط لهم لكنه أشار بيده، وقيل من وراء حجاب كوني أن اثبتوا
مكانكم فميسي قد انتهت رسالته حينما رُفع (اليوم لا ينفع مال ولا بنون
إلا من أتى الله بقلب سليم) صوت نوح مرة أخرى يصدح بصوت مغمم
بوتر التشيللو الهاديء الذي يدخل قلبك ويعالجه من دس الصخب
الذي فيه كان غارقاً، ظل جميع البشر ينتظرون....

وفجأة انطفأ نور يوم الحساب، وأشرقت الشمس من جديد بعد
اختطافها يوم أن وقف الديناري يعاين الكون المفرغ من البشر،
والمبعوثون من قبورهم يتعثرون ويحاولون الوقوف كطفل يتعلم المشي
بعد أن زحف مسافة طويلة من قبره حتى خرج من بوابة الجبانة.

الشياطين تقف خارج الجبانة مشدوهة لا تعرف ماذا حدث فقد حُجب
عنها كل ما دار في القبور، وراحت تطير وتزحف وتبحث عن سحالي أو
ثعابين حتى تندمج فيها فتدخل خلسة، وراحت بعض الشياطين تتفتت
وتمتزج بالتراب حتى يمكنها الدخول متكررة في ذرات التراب الذي قد
تنفخه الريح فيدخل من خلال الجحور، وجاء الشيطان الأعظم بعد أن
فرغ من مهمات جسام في العراق وسوريا ليرى ما حدث وقابل أبناءه
وأنهمم بالتكاسل وسوء التصرف.

عاد جميع البشر من يوم الحساب التجريبي إلى قبورهم وركدوا
رقدتهم الأبدية التي قد تستمر ملايين السنين، لكن عاد أهل الدينارية

إلى قريتهم عراً يبحثون عن هويتهم الدنيوية، وحينما وصلوا إلى القرية التي تبعد عن الجبانة مسافة ثلاثة كيلومترات وجدوا الشياطين متجسدة أمامهم فلم يعد أمام الشيطان الأعظم حيلة بعد الآن سوى أن يظهر نفسه بعد أن أخفاها عن العيان ملايين السنين، وسمع المبعوثون قائلاً يقول إن البشر قد أعيد إنتاجهم من جديد، وقال آخر إن الديناري قام باستنساخ بشر آخرين، وقال ثالث إن الديناري وابنه معتصم اشتركا مع علماء أمريكيين في الاستنساخ فعدلوا من الخريطة الجينية للبشر في الدينارية، والبشر يسمعون وهم يمشون بجوار الشياطين الذين أصبح نزغهم مباشراً ودون منجاب، ويتناسلون جهازاً أمام الناس الذين تأكدوا أنهم سوف يعيشون في دينارية جديدة غير الدينارية القديمة التي كانت تتصارع فيها ديانات ثلاثة، جاءهم كائن آخر، كائن كان يوسوس لهم في الخفاء، فصارت الوسوسة الآن جهازاً، ويضع لنفسه خريطة وراثية جديدة لتدمير البشرية.

بعد خروج جميع الموتى وبعثهم من جديد لفظت كل القبور سكانها المؤقتين الذين ظنوا أنهم ملاقون ربهم يوم الحساب، ولم يتذكر أي منهم كم لبثوا في القبور، فراحوا يسألون بعضهم البعض كالنبي عزير لكنهم لم يعثروا مثله على إجابة، وفي ظل الحقائق المشوهة التي لم ترق إلى اليقين والظنون التي تعلقت بعقول المبعوثين ظهر معتصم الديناري خارجاً من الجبانة القديمة وخلفه علماء أجنبية أمريكيون وأوروبيون وعرباء عملاقة تحمل معدات طبية ثقيلة قوامها غرف عمليات متحركة ومعامل تحاليل وأشعة إكس ومقطعية ورنين مغناطيسي وكشافات عملاقة حولت القبور لمسارح عمليات بعد أن قاموا بعمليات استنساخ بشرية واسعة النطاق وزرع الآلاف من الخلايا

الجدعية وتغيير الجينات البشرية المستهلكة بجينات أخرى تفوقها في القدرات وتحويل مسارها الجيني وخلق خريطة جينية جديدة في القرية بعد أن وصل فيها النزاع الديني والعرقى لذروته.

وَجَدَ أَهْلَ الدِّينَارِيَةِ العائدين من البعث التجريبي الديناري يقف فوق الساحة شامخًا ونسمات علوية تنداح أمامه فيستنشق منها هواءً نقيًا، ثم تنزل النسمات فيتشم منها الخارجون من القبور ووجوههم مغبرةً وأيديهم ملطخةً بأتربةٍ تنضح بالرطوبة.

تعاظمت ملامح الديناري، وكان جسده يتضخم كلما نظروا إليه كأنه طائرٌ خرافي يستعد للطيران، وحينما همّت البشرية بكل دياناتها وأعراقها وألوانها بالصعود للساحة أشار بيده وقال لهم :

- ليس هناك ما يُقال اليوم أو غدا، فسوف يتأخر ظهور ياجوج وماجوج كثيرًا لأن الدينارية يُعاد تشكيلها من جديد.

المؤلف في سطور

عبد السلام إبراهيم

الإصدارات

- ١- قادش الحرب والسلام (رواية).
- ٢- كوميديا الموتى (قصص)
- ٣- الطواب الأكر (رواية) جائزة اتحاد كتاب مصر
- ٤- مسافة قصيرة جدا للفرق (قصص)

التراجم

- ٥- اللعب مع النمر ومسرحيات أخرى، دوريس ليسينج عن الهيئة العامة للكتاب
- ٦- عشر مسرحيات مفقودة، يوجين أونيل عن المركز القومي للترجمة.
- ٧- ثلاث مسرحيات، كليفورد اوديتس عن المركز القومي للترجمة.
- ٨- ثلاث مسرحيات د. هـ. لورانس عن المركز القومي للترجمة.
- ٩- رواية فوس، باتريك وايت عن الهيئة العامة للكتاب.
- ١٠- دوريس ليسينج مختارات قصصية مع مجلة الثقافة الجديدة.
- ١١- الراكبون إلى البحر ١٠ مسرحيات قصيرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- ١٢- مختارات قصصية أدباء جائزة نوبل مع مجلة دبي عن دار

الصدى - دبي.

١٣- رواية أشياء تتداعى تشنوا أنشيبى عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

١٤- أضواء على المسرح البريطاني عن جامعة القاهرة.

١٥- مسرحية الهبوط من جبل مورجان سلسلة عن المسرح العالمي بالكويت.



للاطلاع على أحدث إصدارات مؤسسة إبداع

يرجى زيارة الموقع الإلكتروني

www.prints.ibda3-tp.com



يقومُ الفِكرُ الصوفيُّ على أربعةِ أركانٍ: الزهد، والمعرفة، والمحبة،
والولاية، والوقتُ منسوجٌ بالمعرفة، والزهدُ تسقيه الولاية
من كئوس المحبة.

نعلمُ أن اللهَ بيدهِ القبضُ فنبتهلُ إليه أن يَمُنَّ علينا بالبسط،
وكما بيدهِ الفناءُ والبقاءُ فندعوه إن كان في بقائنا خيرٌ فيكون
القربُ منه والتقربُ إليه، وإن كان الفناءُ خيراً فندعوه أن يُحسِنَ
خواتيمنا، وإذا قُدِّرَ لنا المحوُ فبيدهِ الشبَّاتُ يبدلُ الحالَ بقدرته.
وقد وهبنا اللهَ مواهبَ كثيرة، أسبغَ على بعضها صبغةَ الرؤيةِ
المجردة، وأخرى فتحَ لها أبوابَ الكشفِ والتجلي، وللصوفيين منازلُ
أخرى كالمكاشفةِ والمشاهدةِ التي سبقَ أن تحدَّثنا عنها من
قبل، فلا مفر من اللهِ إلا إليه، وهو بيدهِ الملكوتُ وكلُّ شيء،
ندعوه أن يلمَّ شملنا وأن يعمنا بالسلام، وأن يرسلَ إلينا كلَّ مَنْ
اهتدى وأن يبعدَ عنا كلَّ مَنْ ضل، المهتدون همُ أحباؤنا،
والضالون همُ أعداؤنا."



إني

www.ayman.com